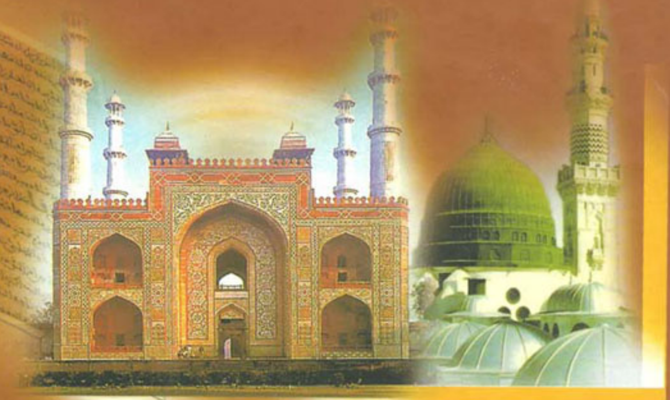
العُجالة السَّنيَّة على ألفية السيرة النبوية

للحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى ٨٠٦هـ



تأليف
العلامة الشيخ زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي
المناوي القاهري الشافعي
المتوفى ١٠٣١هـ

تحقيق
سعد عبد الغفار علي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

العجالة السنية
على
ألفية السيرة النبوية

للحافظ زين الدين أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي
المتوفى ٨٠٦ هـ

تأليف

العلامة الشيخ زين الدين محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي
المناوي القاهري الشافعي
المتوفى ١٠٣١ هـ

تحقيق

سعد عبد الغفار علي

منشورات
محمد علي بيضون
لنشر كتب السنة والجماعة
دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

منشورات محمد علي بيضون

دار الكتب العلمية

الطبعة الأولى
٢٠٠٤ م - ١٤٢٤ هـ

دار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

رمل الظريف - شارع البحتري - بناية ملكارت
الإدارة العامة: عرمون - القبة - مبنى دار الكتب العلمية
هاتف وفاكس: ٨٠٤٨١٠/١١/١٢/١٣ (٥ ٩٦١+)
صندوق بريد: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beirut - Lebanon
Raml Al-Zarif, Bohtory Str., Melkart Bldg. 1st Floor
Head office
Aramoun - Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
P.O.Box: 11-9424 Beirut - Lebanon

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Beyrouth - Liban
Raml Al-Zarif, Rue Bohtory, Imm. Melkart, 1er Étage
Administration général
Aramoun - Imm. Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Tel & Fax: (+961 5) 804810 / 11 / 12 / 13
B.P: 11-9424 Beyrouth - Liban

ISBN 2-7451-4201-1
90000>
9 782745 142016

http://www.al-ilmiyah.com/

e-mail: sales@al-ilmiyah.com
info@al-ilmiyah.com
baydoun@al-ilmiyah.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

إنَّ الحمد لله، نَحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذُ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا ۞ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أمَّا بعد: فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتُها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالـــة، وكل ضلالة في النار، وبعد:

فإن سيرة نبينا محمد ﷺ كانت ولا تزالُ معينًا لا ينضب، ومنبعًا ثرًّا يفيضُ بالخير والبركة على هذه الأمة.

والسيرة النبوية -على صاحبها الصلاة والسلام- عبارة في الحقيقة عن الرسالة التي حملها رسول الله ﷺ إلى المجتمع البشري، وأخرج بِها الناس من الظلمات إلى النور، ومن عبادة العباد إلى عبادة الله الواحد الأحد.

وقد مر على الإنسانية حين من الدهر وهي تتخبط في هوة من الضلال متسعة الأرجاء، وتسير في غمرة من الأوهام وفوضى الأخلاق وتنازع الأهواء، ثم أراد الله لهذه البشرية المعذبة أن ترقى وتسعد بوحي من السماء يملأ أرجاء المعمورة نورًا، وذلك لأن الله ﷻ نظر إلى أهل الأرض جميعًا فَمَقَتَهم -عربهم وعجمهم- إلا بقايا من أهل الكتاب.

فقد أظلمت الدنيا على أهلها، وامتلأت بالشرك والوثنية والشرور والآثام، فأدركها الله ﷻ ببعثة محمد ﷺ.

ولقد اصطفى الله ﷺ رسوله الكريم، وأعدَّه إعدادًا كاملاً ليتحمل أسمى رسالة، فأنزل عليه كتابًا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وقد حث الله المسلمين على اقتفاء آثار هذا النبي العظيم ﷺ، واتباع سنته، وجعل هذا الاتباع شرطًا في الظفر بحب الله، فقال تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [آل عمران: ٣١].

والمؤلفات في السيرة كثيرة وغزيرة، استطاع كُتَّابُها على مدى عمر أمة الإسلام أن يسجلوا فيها -لَحظة بلحظة- كل ما قام به النبي ﷺ من فتوحات، وكل ما كان يتميز به من أخلاق وشمائل... .

فقاموا بِهذه المهمة خير القيام، وأدوها حق الأداء، وممن نال شرف التصنيف في سيرة النبي ﷺ، العلامة الإمام زين الدين العراقي -رحمه الله- فنظم فيها أبياتًا رائقة من الشعر الجميل يجمعُ فيها -بإيجاز- أحداث السيرة النبوية معتمدًا فيها على أصح ما ورد فيها من روايات.

وقد قام بشرحها العلامة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الرءوف المناوي، موضحًا إشكالاتِها، ومبينًا مفرداتِها، ليُيسر على القارئ فهمها.

فجزى الله المؤلف والشارح خير الجزاء على هذا العمل الجليل، وجعله الله في ميزان حسناتِهما وحسناتنا، إنه سميع مجيب.

وآخر دعوانا أن الحمد الله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

وكتبه

سعد عبد الغفار علي

۞ ۞ ۞

ترجمة المؤلف[1]

اسمه ونسبه ومولده:

هو عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن بن أبي بكر بن إبراهيم الزين أبو الفضل الكردي الرازياني الأصل المهراني المصري الشافعي، والد الولي أحمد، وجويرية، وزينب، ويعرف بالعراقي.

ولد في الحادي عشر من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة.

طلبه للعلم:

سَمِعَ في سنة سبع وثلاثين من الأمير سنجر الجاولي، والقاضي تقي الدين الأخنائي المالكي وغيرهما من ذوي المجالس الشهيرة.

وحفظ القرآن وهو ابن ثَمان، والتنبيه وأكثر الحاوي، وكان رام حفظ جَميعه في شهر فملّ بعد اثني عشر يومًا.

وكذا حفظ الإلمام لابن دقيق العيد وكان ربُما حفظ منه في اليوم أربعمائة سطر... إلى غير ذلك من الْمَحَافيظ.

ولازم الشيوخ في الدراية، فكان أول شيء اشتغل به القراءات وكان من شيوخه فيها: ناصر الدين محمد بن أبي الحسن بن عبد الملك بن سَمْعُون أحد القدماء.

والبرهان الرشيدي، والسراج الدمنهوري، والشهاب السمين.

ومع ذلك فلم يتيسر له إكمال القراءات السبعة إلا على التقي الواسطي في إحدى مجاوراته بِمَكة.

ونظر في الفقه وأصوله: فحضر في الفقه دروس ابن عدلان، ولازم العماد مُحَمَّد بن إسحاق البلبيسي والجمال الإسنوي، وعنه وعن الشمس بن اللبان أخذ الأصول وتقدم فيهما بحيث كان الإسنوي يثني على فهمه ويستحسن كلامه في الأصول ويصغي لِمباحثه فيه ويقول: "إن ذهنه صحيح لا يقبل الخطأ".

---

(١) انظر ترجمته في: البدر الطالع (١/٣٥٤- ٣٥٦)، حسن الْمُحَاضرة (١/٣٢٠- ٣٦٢)، شذرات الذهب (٧/٥٥- ٥٧)، الضوء اللامع (٤/١٧٧، ١٧٨).

اهتمامه بعلم الحديث:

وفي أثناء ذلك أقبل على علم الحديث بإشارة العز بن جماعة فإنه قال له وقد رآه متوغلاً في القراءات: "إنه علم كثير التعب قليل الجدوى وأنت متوقد الذهن فاصرف همتك إلى الحديث".

فأخذ بالقاهرة عن: العلاء التركماني الحنفي وبه تخرج وعليه انتفع.

وببيت المقدس وبِمكة عن: الصلاح العلائي.

وبالشام عن: التقي السبكي. وزاد تفننًا باجتماعه بِهما وأكثر فيها وفي غيرها من البلاد كالحجاز عن شيوخها.

شيوخه وأساتذته:

للحافظ العراقي –رحمه الله– شيوخ عدة، منهم:

- الحافظ ابن سيد الناس أخو الحافظ فتح الدين.
- وناصر الدين مُحَمَّد بن إسماعيل الأيوبي ابن الملوك.
- وبِمصر ابن عبد الهادي، ومُحَمَّد بن علي بن عبد العزيز القطرواني.
- وبمكة أحمد بن قاسم الحرازي، والفقيه خليل إمام المالكية بِها.
- وبالْمَدينة العفيف المطري.
- وببيت المقدس العلائي، وبالخليل خليل بن عيسى القيمري.
- وبدمشق ابن الخباز، وبصالحيتها ابن قيم الضيائية، والشهاب المرداوي.
- وبحلب سليمان بن إبراهيم بن المطوع، والجمال إبراهيم بن الشهاب محمود...

تصانيفه ومؤلفاته:

وتصدى للتخريج والتصنيف والتدريس والإفادة فكان من تَخاريجه:

فهرست مرويات البياني، ومشيخة التونسي، وابن القاري، وذيل مشيخة القلانسي، وتساعيات للميدومي، وعشاريات لنفسه، وتخريج الإحياء في كبير ومتوسط وصغير وهو المتداول سماه: "**المغني عن حَمْل الأسفار في الأسفار في تَخريج ما في الإحياء من الأخبار**".

ومن تصانيفه: الألفية في علوم الحديث، وفي السيرة النبوية، وفي غريب القرآن وشَرَحَ الأولى وكتب على أصلها ابن الصلاح نكتًا.

وكذا نظم الاقتراح لابن دقيق العيد، وعمل في المراسيل كتابًا، وهو من أواخر ما

جمعه، وتقريب الأسانيد وترتيب المسانيد في الأحكام، واختصره وشرح منه قطعة نحو مجلد لطيف، وكذا أكمل شرح الترمذي لابن سيد الناس فكتب منه تسعة مجلدات و لم يكمل أيضًا.

وفي الفقه: الاستعاذة بالواحد من إقامة جمعتين في مكان واحد، وتاريخ تحريم الربا، وتكملة شرح المهذب للنووي بنى على كتابة شيخه السبكي فكتب أماكن واستدرك على المهمات للإسنوي وسماه: "تتمات المهمات".

وفي الأصول: نظم منهاج البيضاوي...

ثناء العلماء عليه:

قال العز بن جماعة: "كل من يدعي الحديث في الديار المصرية سواه فهو مُدَّعٍ".

وقال البرهان الحلبي: كان عالِمًا بالنحو واللغة والغريب والقراءات والحديث والفقه وأصوله غير أنه غلب عليه فن الحديث فاشتهر به وانفرد بالمعرفة فيه مع العلو، قال: وذهنه في غاية الصحة، ونقله نقر في حجر، وكان كثير الكتب والأجزاء لَمْ أر عند أحد بالقاهرة أكثر من كتبه وأجزائه، ويُقال أن ابن الملقن كان أكثر كتبًا منه وابنُ المحب كان أكثر أجزاء منه، وله نظم وسط وقصائد حسان ومَحاسنه كثيرة.

وذكره ابن الجزري في طبقات القراء، فقال: "حافظ الديار المصرية ومحدثها وشيخها".

وفاته:

مات عقب خروجه من الحمام في ليلة الأربعاء من شعبان سنة ست وثَمانمائة بالقاهرة ودفن بتربتهم خارج باب البرقية وكانت جنازته مشهورة وقُدِّمَ للصلاة عليه الشيخ شهاب الدين الذهبي، ومات وله إحدى وثَمانون سنة وربع سنة.

۞ ۞ ۞

ترجمة الشارح[(١)]

اسمه ونسبه ومولده:

هو الشيخ عبد الرءوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الملقب زين الدين الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي، صاحب التصانيف السائرة.

ولد في سنة اثنتين وخمسين وتسعمائة.

كان إمامًا فاضلاً زاهدًا عابدًا قانتًا لله خاشعًا له، كثير النفع، وكان متقربًا بحسن العمل مثابرًا على التسبيح والأذكار، صابرًا صادقًا، وكان يقتصرُ يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام.

وقد جَمع العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لَمْ يَجْتمع في أحد ممن عاصره.

حياته ونشأته وطلبه للعلم:

ونشأ في حجر والده وحفظ القرآن قبل بلوغه، ثُمَّ حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية وألفية ابن مالك وألفية سيرة العراقي وألفية الحديث له أيضًا، وعرض ذلك على مشايخ عصره في حياة والده، ثم أقبل على الاشتغال فقرأ على والده علوم العربية وتفقه بالشمس الرملي، وأخذ التفسير والحديث والأدب عن النور علي بن غانِم المقدسي، وحضر دروس الأستاذ مُحَمَّد البكري في التفسير والتصوف، وأخذ الحديث عن النجم الغيطي والشيخ قاسم والشيخ حَمْدَان الفقيه والشيخ الطبلاوي لكن كان أكثر اختصاصه بالشمس الرملي وبه برع.

جلوسه للتدريس:

وولي تدريس المدرسة الصالحية، وشرع في إقراء مُخْتَصر المزني ونصب الجدل في المذاهب وأتى في تقريره بِما لَمْ يسمع من غيره، فأذعنوا لفضله وصار أجلاء العلماء يبادرون لحضوره، وأخذ عنه منهم خلق كثير منهم الشيخ سليمان البابلي، والسيد إبراهيم الطاشكندي، والشيخ علي الأجهوري، والولي المعتقد أحْمَد الكلبي، وولده الشيخ مُحمَّد وغيرهم.

---

(١) انظر ترجمته في: معجم المؤلفين (٥/٢٢٠)، البدر الطالع (١/٣٥٧)، الأعلام للزركلي (٦/٢٠٤)، فهرس الفهارس (٢/٥٦٠- ٥٦٢).

مصنفاته:

وتآليفه كثيرة منها:

تفسيره على سورة الفاتحة، وبعض سورة البقرة، وشرح على شرح العقائد للسعد التفتازاني سماه "غاية الأماني" لم يكمل، وشرح على نظم العقائد لابن أبي شريف، وشرح على الفن الأول من كتاب "النقاية" للجلال السيوطي، وكتاب سماه "إعلام الأعلام بأصول فني المنطق والكلام"، وشرح على متن النخبة كبير سماه "نتيجة الفكر"، وآخر صغير، وشرح على شرح النخبة سماه "اليواقيت والدرر"، وشرح على الجامع الصغير ثم اختصره في أقل من ثلث حجمه وسماه "التيسير".

وشرح قطعة من زوائد الجامع الصغير وسماه "مفتاح السعادة بشرح الزيادة".

وله كتاب جمع فيه ثلاثين ألف حديث وبيّن ما فيه من الزيادة على الجامع الكبير وعقّب كل حديث ببيان رتبته وسماه "الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور"، وكتاب آخر في الأحاديث القصار عقّب كل حديث ببيان رتبته سماه "المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق"، وكتاب انتقاه من لسان الميزان وبيّن فيه الموضوع والمنكر والمتروك والضعيف ورتبه كالجامع الصغير، وكتاب في الأحاديث القصار جمع فيه عشرة آلاف حديث في عشر كراريس كل كراسة ألف حديث، كل حديث في نصف سطر يقرأ طردًا وعكسًا سماه "كنز الحقائق في حديث خير الخلائق".

وله شروح كثيرة منها شرح على ورقات إمام الحرمين، وآخر على ورقات شيخ الإسلام ابن أبي شريف، واختصر التمهيد للإسنوي لكنه لم يكمله، وله كتاب في الأوقات سماه "تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف".

وله شرح على رسالة الشيخ ابن علوان في التصوف، وكتاب "منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين"، وكتاب التشريح والروح وما به صلاح الإنسان وفساده، وكتاب في دلائل خلق الإنسان، وشرح على ألفية ابن الوردي في المنامات، وشرح على منظومة ابن العماد في آداب الأكل وسماه "فتح الرءوف الجواد" وهو أوَّل كتاب شرحه في الآداب، وكتاب في آداب الملوك سماه "الجواهر المضية في بيان الآداب السلطانية".

وكتاب في الطب سماه "بغية المحتاج إلى معرفة أصول الطب والعلاج"، وكتاب سماه "الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود"، وكتاب في تاريخ الخلفاء، وتذكرة فيها رسائل عظيمة النفع ينبغي أن يُفرد كل منها بالتأليف.

وله مؤلفات أخر غير هذه، وبالجملة فهو من أكثر علماء الإسلام آثارًا، ومؤلفاته غالبها متداولة وأشهرها شرحاه على الجامع الصغير، وشرح السيرة المنظومة للعراقي.

وفاتـــه:

وتوفي صبيحة يوم الخميس الثالث والعشرين من صفر سنة إحدى وثلاثين وألف وصلي عليه بجامع الأزهر يوم الجمعة ودفن بجانب زاويته التي أنشأها بخط المقسم المبارك.

وقيل في تاريخ موته: مات شافعي الزمان رحمه الله تعالى.

۞ ۞ ۞

وصف النسخة المخطوطة

وهذه النسخة الخطية مصورة عن النسخة المحفوظة في خزانة المكتبة العامة بالرباط تحت رقم [٥٥٩/ جلاوي].

وتقع في: ١٤٠ ورقـــــــة.

في الورقـــة صفحتان.

في الصفحـــة: ١٤ سطرًا تقريبًا.

وقد كتبت بِخط نسخ جميل، ومشكول.

وذلك في ثاني عشر شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة وألف (١١٥٧هـــ) من الهجرة النبوية على يد ملا علي بن عبد الله -غفر الله له-.



هذا كتاب ألفية السير

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي شرح الصدور ونظم شمل الإسلام وسيرته، والصلوة والسلام على من شرفه الله بحسن الشمائل وخصه بعموم الفضائل والفواضل على خليقته وعلى آله وصحبه التابعين له على منهاجه وطريقته. وبعد فهذه عجالة سنية على ألفية السيرة النبوية الحاوية مع ذلك المعجزات والخصائص المصطفوية، نظم جدنا الأعلى من قبل الأم شيخ الإسلام حافظ مصر والحرمين والشام عبد الرحيم العراقي الشافعي رحمه الله تبين مراده وتتمم مفاده مع الاختصار والاقتصار، والله أسأل أن ينفع بقبوله ويحشرنا في زمرة رسوله آمين. قال الناظم رحمه الله تعالى:

يقول راجي من إليه المهرب ... عبد الرحيم بن الحسين المذنب

أحمد ربي بأتم الحمد ... وللصلوة والسلام أهدي

إلى نبيه وأرجو اللاها ... في نجح ما سألته شفاها

من نظم سيرة النبي الأمجد ... ألفية حاوية للمقصد

وليعلم الطالب أن السيرا ... تجمع ما صح وما قد أنكرا

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

والحمد لله على الاتمام والصلوة والسلام على سيدنا محمد خير الانام وعلى آله واصحابه الكرام
التابعين لهم باحسان الى يوم القيام صلى الله عليه وعلى آله واصحابه وازواجه
وذرياته وسلم ما اشرق صباح وعقبه ظلام وقد وقع الفراغ
من تحرير هذه السيرة النبوية يوم الاحد لوقت الضحى
اثنا عشر شهر ربيع الاول لسنة سبع وخمسين
مائة والف من الهجرة النبوية على
صاحبها افضل الصلوة
والسلام والحمد
لله رب
العالمين

تمت على يد الفقير ملا علي بن عبد الله
رحم الله من دعا له بخاتمة
الايمان والسلامة
١١٥٧

صورة الصفحـــة الأخيرة من المخطوط

رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الـــذي شرح الصدور بنظم شمل الإسلام وسيرتـــه، والصلاة والسلام على من شرفه الله بحسن الشمائل وخصه بعموم الفضائل والفواضل على خليقته، وعلى آله وصحبه التابعين له على منهاجه وطريقته، وبعد فهذه عجالة سنية على ألفية السيرة النبوية الحاوية مع ذلك للمعجزات والخصائص المصطفوية، نظم جدنا الأعلى من قِبَل الأم شيخ الإسلام حافظ مصر والحرمين والشام عبد الرحيم العراقي الشافعي -رحمه الله-، يبين مراده ويتمم مفاده مع الاختصار والاقتصار، والله أسأل أن يُنعم بقبوله ويحشرنا في زمرة رسوله، آمين.

قال الناظم -رحمه الله تعالى-:

يقــولُ رَاجِي مَــنْ إليــهِ الْمَهْرَبُ	**عبدُ الــرحيم بــنُ الحسينِ الْمُذنبُ**
أحْمــــدُ ربي بــــأتمِّ الــحَمْـــــد	**ولـــلصـــــلاة وللســـــلام أُهْدي**
إلــــى نبيّــــــــهِ وأرجـــــو الله	**في نُجْـــحِ مـــــا ســــألتُهُ شِفَاهَا**
مِنْ نَظْــمِ ســــيرةِ النبيِّ الأمْجَــد	**ألفيّــــةً حـــاويـــــةً للمَقْصِـــــد**
ولــيعلــم الطــالبُ أن الـــسِّيَرَا	**تَجمَعُ مـــا صــحَّ ومــا قدْ أُنْكِرَا**
والقصــدُ ذِكــرُ مــا أتى أهلُ السِّيَر	**بــــهِ وإنْ إسنـــــادُهُ لَــمْ يُعْتَبَرْ**
فإنْ يَكُنْ قــدْ صحَّ غيرُ مــا ذُكِر	**ذكرتُ ما قــد صحَّ منــهُ واستُطِرْ**

الشرح: ناظم هذه الألفية هو الشيخ الإمام الحبر الهمام أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم ابن الشيخ الإمام العابد الزاهد القدوة المسلك حسين بدر الدين بن أبي بكر بن إبراهيم الكردي الرازياني الأصل ثم المصري الشافعي المعروف بالعراقي نسبة إلى عراق العرب.

قال جدنا قاضي القضاة شيخ الإسلام الشرف المناوي: (نسبه متصل بالفاروق ﷺ، لكن الشيخ كان لا يذكرُ ذلك تورعًا)، كانت إقامة أسلافه ببلدة يُقالُ لها رازيان من أعمال إربل، ولهم هناك مناقب ومآثر مشهورة وكرامات مأثورة، ومنهم جماعات من العلماء وجماعات من الصلحاء. وسبب إتيان جده إلى مصر أن عميه انجفلا في نوبة غازان

ملك التتار إلى مصر فلما استقرا بها أرسلا إليه فأحضراه إلى مصر وهو طفل، فنشأ بها على الاشتغال بالعلم والإقبال على شأنه، فولد بها هذا الإمام في الحادي والعشرين من جمادى الأولى سنة خمس وعشرين وسبعمائة ونشأ بها، فحفظ القرآن وهو ابن ثَمان والتنبيه والإلمام وأكثر الحاوي، وأراد حفظه كله في شهر فمل بعد اثنى عشر يومًا، وكان يحفظُ كل يوم أربعمائة سطر.

ثم أخذ الفقه وأصوله عن ابن عدلان والسبكي والأسنوي والعلائي وابن كثير، وتوغل في القراءات فقال له العز بن جماعة: «إنه علمٌ كثير التعب قليل الجدوى وأنت متوقد الذهن فاصرف نفسك للحديث»[(١)]، فأقبل عليه حتى مهر وبرع فيه وفاق أهل عصره؛ حتى وصفه مشايخه بأنه حافظ الوقت؛ ونقل عنه شيخه في المهمات وغيرها وترجمه في طبقات الشافعية ولم يذكر فيها أحدًا من الأحياء سواه، وامتنعَ السبكي حين قدم القاهرة من التحديث إلا بحضرته، وأولع بتخريج أحاديث الإحياء ورافق الزيلعي الحنفي في تخريج أحاديث الكشاف وأحاديث الهداية فكانا يتعاونان، كذا ذكره ابن قاضي شهبة[(٢)].

وكان مفرط الذكاء جدًّا بحيث يضرب به المثل في ذلك، وتصدى للتخريج والتصنيف والتدريس، فمن تصانيفه تخريج أحاديث الإحياء في كبير ومتوسط وصغير يُسمى المغني وهو المتداول، وخرج أربعين متباينة البلاد، والألفية في علوم الحديث ثم شرحها، والألفية في السيرة هذه، وتقريب الأسانيد واختصره وشرح منه قطعة وكمله ولده، وشرح البخاري ولم يكمل ولو كمل لَمْ يكن له نظيرٌ في بابه، وشرح سنن أبي داود ولم يكمل وبعضها عندي بخطه، وشرح مختصر ابن الصلاح، وكمل شرح الترمذي لابن سيد الناس فكتب منه عشر مجلدات نحو ثلثي الجامع ولَمْ يكمله فكمله ولده، وكمل تكملة السبكي لشرح المهذب ولم تكمل، ونظم منهاج البيضاوي والاقتراح، وذيّل على الميزان للذهبي فأوعب، ونظم غريب القرآن، واستدرك على المهمات في الفقه كتابًا سماهُ تتمات المهمات، وعمل للوفيات ذيلاً على ذيل أبي الحسين، وأملى أكثرَ من أربعمائة مجلس من حفظه، وله غير ذلك مِمَّا كمل ومِمَّا لَمْ يكمل.

---

(١) انظر: ذيل طبقات الحفاظ (ص٢٢٢).

(٢) انظر: طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة (٤/٣٠).

وطار صيته وعلا ذكره وحج مرارًا وولي قضاء المدينة المشرفة وخطابتها وإمامتها، ثم عاد إلى القاهرة فولي عدة تداريس، ثم انجمع وتقلل مع تواضع وعفاف و كفاف ومروءة ونخوة وصدع بالحق لا يهاب سلطانًا ولا غيره، وصار المنظور إليه في فن الحديث من بين أهل عصره، وانتفع به الأصاغر والأكابر، وصاهره جدنا المناوي على ابنته بعد موته لما أخذ عن ولده شيخ الإسلام الولي العراقي فتزوج كل منهما أختَ الآخر وأتى منها بأولاد.

وكان عالِمًا باللغة والنحو والفقه والأصول لكن غلب عليه علم الحديث وانفرد بمعرفته.

وأخذ عنه علماء الديار المصريــة وغيرهم، قال الحافظ ابن حجر: «ولم أر في جميع مشايخي أحسن صلاة منه»، وقد أفرد ولده ترجمته في مؤلَّف حافل، وفي هذا القدر كفاية.

مات في شعبان سنة ست وثمانمائة عقب خروجه من الحمام ودفن في تربة خارج باب البرقيـــة.

قال الحافظ نور الدين الهيثمي: «رأيت المصطفى ﷺ في النوم وعيسى عليه السلام عن يمينه والشيخ زين الدين العراقي عن يساره».

وقولــه: (أحمد ربي بأتم الحمد) أي بأكمله، والحمد الثناء باللسان على الجميل الاختياري، والصلاة من الله رحمة مقرونة بتعظيم، والسلام التسليم من الآفات المنافية للكمالات. والإضافة في قوله: (نبيّه) للتشريف ومزيد التعظيم. والنبي إنسان أوحي إليه بشرع وإن لم يؤمر بتبليغه فإن أمر فرسول أيضًا، وإن لم يكن له كتاب ونسخ بعض شرع من قبله فإن كان فرسول أيضًا قولان ثالثهما هما بمعنى، ولفظه بالهمز من النبأ وهو الخبر لإخباره عن الله، وبدونه من النبوة بالفتح وهي الرفعة.

وقوله: (وأرجو الله في نجح ما سألته) إلخ أي: أؤمل من الله في قضاء حاجتك التي سألتني أيها الطالب فيها وهي نظم السيرة النبوية في ألف بيت، وقوله: (حاوية للمقصد) بكسر الصاد أي: المقصود.

ثم أفاد أن السير يذكر فيها من الأخبار ما صحَّ سنده وما أنكر ولا يعتبر أهله صحة الإسناد، فجرى في هذه الأرجوزة على طريقتهم لكن زاد أنه إن كان ورد من طريق صحيح أو متماسك غير ما ذكروه نبَّه عليه فهذا هو المراد بقوله: (ذكرت ما قد صح منه واستطر) بالبناء للمجهول يُقال: سطر، واستطر: كتب، وهذه أرجوزة من أساطير الأولين مما سطروا من أعاجيب حديثهم، وسطر فلان: قصَّ علينا من أساطيرهم، والأساطير الأباطيل، والألف من قوله: (السيرا) و(أنكرا) للإطلاق.

أسماؤهُ الشَّريفـــة

أي هذا باب ذكر أسماء نبينا مُحَمَّد عليه الصلاة والسلام، والأسماء جمع اسم وهو كلمة وضعت بإزاء شيء متى أطلقت فهم منها:

محمـــدٌ مـــعَ المُقفـــي أحْمَـــدا الحـــاشرُ العَاقِبُ والـــمَاحي الرَّدا
وهـــو المسَّمى بـــنبيِّ الـــرَّحمـــة في مُسلـــمٍ ونبيَّ التـــوبـــة

له ﷺ أسماء كثيرة ذكر الناظم منها ثلاثين اسمًا ولا ينافيه حديث البخاري: «**إن لي خمسة أسماء**»[1] لأن مراده خمسةٌ اختصت لي لَمْ يتسم بِها أحد قبلي أو معظَّمة أو مشهورة في الأمم الماضية أو الكتب السالفة، فليس المراد الحصر فيها.

الأول: محمد، وابتدأ به لكونه أشهر أسمائه وأشرفها لإنبائه عن كمال الحمد المُنبي عن كمال ذاته، سمي به مع كونه لَمْ يؤلف قبلُ إما لكثرة خصاله الحميدة وإما لأنه تعالى وملائكته حَمَدُوه حمدًا كثيرًا بالغًا غاية الكمال.

قال القاضي عياض[2]: «وقد حمى الله هذا الاسم فلم يتسم به أحد ممن ادعى النبوة في الإسلام مع كثرتهم ولَمْ يتسم به أحدٌ قبله، وإنَّما سمت العرب محمدًا قرب ميلاده لما أخبر الأحبار والكهان أن نبيًّا يُبعث في ذلك الزمان يُسمى محمدًا فسمَّوا أبناءهم بذلك»، قال: وهم ستة، واستدرك عليه الحافظ ابن حجر نحو خمسة عشر.

الثاني: المقفِّي بكسر الفاء المشددة أي التابع للأُنبياء فكان آخرهم، وقافية كل شيء آخره، أو جعله الأنبياء عقبهم.

الثالث: أحمد، وأخَّره الناظم عن المقفي لضرورة الوزن وإلا فحقه التقديم إذ محمد وأحمد أعظم أسمائه وأبلغها وإليهما ترجع سائر صفاته لأن صيغة المبالغة تؤذن بالتضعيف والتكثير، وصيغة أفعل تُنبئ عن الوصول إلى غاية ليست وراءها غاية إذ معناهُ أحمد الحامدين لربه، وسببه ما في الصحيح[3] أنه يفتح عليه في المقام المحمود بمحامد لم يُفتح بها على أحد قبله، ويقال: الأنبياء حمَّادون وهو أحمدهم أي: أكثرهم حمدًا وأعظمهم في صفة الحمد.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٢٣) من حديث جبير بن مطعم ﷺ.

(٢) انظر: الشفا بتعريف حقوق المصطفى (٢٢٩/١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس ﷺ.

قال عياض[١]: «كان المصطفى أحمد قبل أن يكون محمدًا كما وقع في الوجود لأن تسمية أحمد وقعت في الكتب القديمة، وتسميته محمدًا وقعت في القرآن وذلك أنه حمد ربَّه قبل أن يحمده الناس وكذلك في الآخرة يحمد ربه فيشفعه فيحمده الناس وقد خص بسورة الحمد وبلواء الحمد وبالمقام المحمود، وشرع له الحمد بعد الأكل والشرب والدعاء والقدوم من السفر، وسميت أمته بالحمَّادين فجمعت له معاني الحمد وأنواعه فلذلك كان أحمد».

الرابع: الحاشر أي الذي يحشر الناس على قدمه أي على إثر زمن نبوته إذ لا نبي بعده، أو على إثره في الحشر لأنه أول من تنشق عنه الأرض.

الخامس: العاقبُ أي: الذي خلف من قبله في الخير، أو الذي لا نبي بعده إذ العاقب هو الآخر وهو عقب الأنبياء أي: آخرهم.

السادس: الماحي ولفظُ رواية البخاري: «**أنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر**»[٢] أي: أهله وهو المشار إليه بـــ(الردا) بفتح الراء والدال المهملة في عبارة الناظم، وهذا محمولٌ على الأغلب لأن الكفرَ ما انمحى من جميع البلاد أو أنه سينمحي أوَّلاً فأولاً إلى أن يضمحل بعد نزول عيسى فإنه يُرفع الجزيـــة ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف.

وفي رواية نافع بن جبير: «**وأنا الماحي فإن الله يمحو بي سيئات من اتبعني**»[٣]، قال الحافظ ابن حجر[٤]: "وهذا يشبه أن يكون من قول الرَّاوي".

السابع: نبي الرحمة أي: نبي المرحمة كما ورد تسميته به في صحيح مسلم وغيره[٥] أي نبي التراحم بين الأمة، أو مخبرٌ عن رحمة الله لرحمة دينه، أو جعل ذاته نفس الرحمة: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

الثامن: نبي التوبـــة كما في حديث مسلم[٦] أيضًا أي نبي مخبر عن الله بقبوله التوبة أي بشروطها، أو آمرٌ بها، أو كثير التوبة أي الرجوع إلى الله تعالى.

---

(١) انظر: فتح الباري (٦/٥٥٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٥٣٢) من حديث جبير بن مطعم ﷺ.

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤/٣٠٤)، وابن سعد في الطبقات (١/٨٤).

(٤) انظر: فتح الباري (٦/٥٥٧).

(٥) أخرجه مسلم (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٦) أخرجه مسلم (٢٣٥٥) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

وفيـــهِ أيضًا بنبيّ الـــمَلْحَمـــه وَفِي روايـــة نبيّ الْمـــرْحَمَـــه

التاسع: نبي الملحمة كما سمي به في حديث مسلم أيضًا[1]، والملحمة الحرب لاشتباك الناس فيها كاشتباك الثدي باللحمة، سمي به لحرصه على الجهاد ومسارعته إليه، وفي الحديث: «**جعل رزقي تحت ظل رمحي**»[2].

العاشر: نبي المرحمة كما جاء في رواية أخرى.

طـــهَ ويـــس مَـــعَ الــــرسول كذاكَ عبــــدُ الله في التـــنزيلِ

الحادي عشر والثاني عشر: طه ويس حكاهما مكي وغيره[3]، وقد قيل في بعض التفاسير: طه إنه يا هادي ويا طاهر، وياسين يا سيد، حكاهما السلمي وغيره[4].

الثالث عشر: الرسول أي: رسول الرحمة هكذا رواه ابن سعد عن مجاهد مرسلاً، ورسول الملاحم كما رواه عنه أيضًا[5].

الرابع عشر: عبد الله، ووصف العبودية أشرف الأوصاف وقد جاء وصفه به في التنـــزيل: ﴿**وَأَنَّـــهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللهِ يَدْعُوهُ**﴾ [الجن: ١٩]، وهو العبد المطلق ولم يوصف به غيره فيه إلا مضافًا.

والـــمُتَوَكِّـــلُ الـــنبيُّ الأمـــيّ والـــرَّؤُفُ الرَّحِـــيمُ أيُّ رُحْـــمِ

الخامس عشر: المتوكل سماه به في التوراة، أي الذي يكل أموره إلى الله.

السادس عشر: النبي الأمي الذي لا يكتب ولا يقرأ وذلك في حقه معجزةٌ وفي حق غيره عجزٌ.

السابع عشر والثامن عشر: الرءوف الرحيم بشهادة ﴿**حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ**﴾ [التوبة: ١٢٨]، والرأفـــة شدة الرحمة فهو شديد الرحمة على المؤمنين كما

---

(١) لم يرد هذا اللفظ في المطبوع من صحيح مسلم، وقد أورده المزي -رحمه الله- في «**تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف**» (٤٧٢/٦)، وذكر لفظ: «**نبي الملحمة**»، وعلق عليه محققه بأن في المطبوعة: «نبي الرحمة». والله أعلم

(٢) جزء من حديث، أخرجه: أحمد في المسند (٥٠٩٣)، وابن أبي شيبة في المصنف (٢١٢/٤)، والبيهقي في شعب الإيمان (٧٥/٢) وغيرهم، من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-. وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٢٨٣١).

(٣) انظر: الشفا (٢٣١/١).

(٤) انظر: الشفا (٢٣١/١).

(٥) انظر: طبقات ابن سعد (٨٤/١).

أشار إليه بقوله: (أي رُحْم) بشد الياء المضمومة وضم الراء وسكون الحاء المهملة.

وشاهدًا مُبَشّرًا نَذِيرَا كذا سِرَاجًا صِلْ بِهِ مُنِيرَا

التاسع عشر: الشاهد يوم القيامة للأنبياء على أممهم بالتبليغ والشاهد على أمته قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

العشرون والحادي والعشرون: المبشر لأهل الإيمان بالرضوان في هذه الدار وفي دار القرار، والمنذر لأهل الكفر بالخذلان والهوان في دار البوار.

الثاني والثالث والعشرون: السراج المنير قال تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦]، إذ به انجلت ظلمات الشرك كما ينجلي ظلامُ الليل بالسراج واهتدت بنور نبوته البصائر كما يهتدي بنور السراج الأبصار، ووصفه بالإنارة لأن من السراج ما لا يكون نيرًا. وقوله: (صل به) أي اجعله متصلاً بما عد قبله من الأسماء، وفي نسخة (سل به) بالسين أي: اسأل الله به يعني اجعله وسيلتك وشفيعك إليه، وكيف ما كان (فهو) حشوٌ لإكمال الوزن.

كذا بِهِ الْمُزَّمِّلَ الْمُدَّثِرَا وَدَاعِيًا لله والْمُذَكِّرَا

الرابع والخامس والعشرون: المزمل والمدثر كما في سورتيهما.

السادس والعشرون: الداعي إلى الله بإذنه كما في قوله: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾ [الأحزاب: ٤٦].

السابع والعشرون: المذكر بفتح الذال وكسر الكاف قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ﴾ [الغاشية: ٢١]، فقوله: (كذا به) أي: كذا صل بما تقدم من الأسماء هذه الأسماء الأربعة وهو حشو كمل به كما تكرر.

وَرَحْمَةً ونِعْمَةً وهادي وغَيْرَها تَجِلُّ عَن تَعدادِ

الثامن والعشرون: نبي الرحمة أي رحمة للعالمين، فهو رحمة.

التاسع والعشرون: نعمة الله إذ هو نعمةٌ على من آمن به في الدارين.

الثلاثون: الهادي إلى الصراط المستقيم بواضح الحجج وساطع البراهين حسبما ذُكِرَ في قوله تعالى: ﴿وإِنَّكَ لَتَهْدِي﴾ [الشورى: ٥٢] الآية، وله غير ذلك من الأسماء التي (تجل) بكسر الجيم أي: تعظم عن العد لكثرتها، و(التعداد) بفتح التاء كما قال الحافظ ابن حجر، ومن أسمائه المشهورة المختار والمصطفى والشفيع والمشفع والصادق والمصدوق وغير ذلك.

وقدْ وَعَى ابنُ العربي سبعةْ   من بعد ستين وقيل تسعةْ
من بعد تسعين ولابن دحية   الفحصَ يوفيها ثلاثمائة
وكونُها ألفًا ففي العارضة   ذكره عن بعض ذي الصوفية

أفاد الناظم أن القاضي أبا بكر محمد بن العربي المالكي قد وعى أي جمع في كتابه المسمى بعارضة الأحوذي في شرح الترمذي: للمصطفى سبعة وستين اسمًا، قال: وأوصلها بعضهم إلى تسعة وتسعين موافقةً لعدد الأسماء الحسنى، وأوصلها ابن دحيةَ إلى ثلاثمائة، وبعضهم إلى أربعمائة، وبعض الصوفية إلى ألف، بل قال ابن فارس: هي ألفان وعشرون، وأكثرها من قبيل الصفات. وقوله: (دحية) بكسر الدال المهملة، و(يوفيها) بالفاء المكسورة.

تتمة: نقل الجلال السيوطي عن البارزي أن من خصائصه ﷺ أن أسماءهُ توقيفيةٌ كأسمائه تعالى وهو غريبٌ.

فائدة: نقل الحافظ ابن حجر عن بعض شيوخه أن المصطفى وإن كان ذا أسماء كثيرةٌ لكن لا ينبغي أن يُنادى بشيء منها بل يُقال: يا رسول الله[1]، ثم أشار إلى التوقف فيه.

۞ ۞ ۞

(١) وذلك لقوله تعالى: ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا﴾ [النور:٦٣].

باب ذكر نسبه الزكي الطيب الطاهر

يُقال: نسبته إلى أبيه نسبًا: عزوته إليه، وانتسب إليه: اعتزى، والاسم النسبة بالكسر وتجمع على نسب كسدرة وسدر، قال ابن السكيت: "ويكون من قبل الأب ومن قبل الأم".

وهو ابن عبد الله عبد المطلب ... أبوهُ وهو شيبةُ الحمد نُسِبْ
أبوهُ عمروٌ هاشمٌ والجدُّ ... عبدُ منافِ بن قُصَيّ زيدُ
ابن كلاب أي حكيم يا أخي ... وهو ابنُ مرة بن كعب بن لؤي
وهو ابن غالب أي ابن فهر ... وهو ابنُ مالك أي ابن النضر
وأبُهُ كنانة ما أبرَكَه ... والدُهُ خزيمة بنُ مدركهْ
وهو ابنُ إلياسَ أي ابنِ مُضَرا ... ابنِ نزار بنِ مَعد لا مِرا

ذكر في هذه الأبيات ما هو متفقٌ عليه من نسبه، فهو محمد بن عبد الله وأبو عبد الله هو عبد المطلب، ويُسمى شيبة الحمد على الأصح وقيل عامر، فقول الناظم: (نُسب) أي: سمي، وقوله: (شيبة الحمد) مفعول مقدم، وإنّما سمي به لأنه ولد وفي رأسه شيبة أي شعرة بيضاء وكانت ترى في ذؤابته، وكنيته أبو الحارث وقيل أبو البطحاء، وفي نسخة:

وهو ابن عبد الله والأب انتسب ... لشيبة الحمد اسم عبد المطلب

وأبو عبد المطلب اسمُه عمرو ولقبه هاشم لأنه أول من هشم الثريد لقومه، وهاشم هو ابن عبد مناف سمي به لطوله من قولهم مائة ونيف واسمه المغيرة بن قصي مصغرًا واسمه زيد وقيل مجمع بن كلاب بكسر الكاف مخففًا لقب به لأنه كان أكثر صيده بالكلاب فكان يجمعها لذلك واسمه حكيم كما فسره الناظم بقوله: (أي حكيم) وقيل حكيمه، وقيل عروة. وقوله: (يا أخي) بالتصغير حشو كمل به الوزن.

وكلابٌ هو ابن مرة بضم الميم وشد الراء ابن كعب بن لؤي بضم اللام وبالهمزة وتسهل، ابن غالب بن فهر بكسر فسكون واسمه قريش وإليه نسبت قريش فيما فوقه كنانِي، وهو ابن مالك بن النضر بفتح النون وسكون المعجمة واسمه قيس لقب به لنضارة وجهه أي حسنه، وأبوه اسمه كنانة سمي به لأنه كان سترًا على قومه كالكنانة أي الجعبة الساترة للسهام وكان عظيم البركة عندهم يتبركون به كما أشار إليه الناظم بقوله: (وأبه كنانةٌ ما أبركه)، وقوله: (أبه) بضم الموحدة والْهاء على لغة النقص كقوله:

بأبـه اقتـدى عـديّ في الكـرم ... ...

ويأتي لـه نظائر كثيرة في كلامه.

ووالده اسمه خُزيمة -مصغرًا- ابن مدركه -بضم فسكون- واسمه عمرو وهو ابن إلياس -بكسر الهمزة- أو فتحها ولامه للتعريف وهمزته للوصل عند الأكثر، وهو ابن مضر -بضم ففتح- معدول عن ماضر واسمه عمرو بن نزار -بكسر النون والتخفيف- وهو ابن معد بغير شك كما أشار إليه الناظم بقوله: (لا مرا) أي بلا شك وهو حَشْوٌ كمل به الوزن، ومعد هو ابن عدنان كما في أول الأبيات المذكورة بقوله:

وهْوَ ابـنُ عـدنانَ وأهـلُ النسب قـد أجمعوا إلى هُنـا فـي الكتب
وبعـدَهُ خُلـفٌ كثـيرٌ جَـمٌّ أصحُّـهُ حَـوَاهُ هـذا النـظمُ

يعني أن النسابين قد أجمعوا في كتبهم على أنه لا يجاوز في نسبه عدنان كما حكاه ابن دحية عنهم، قال ابن قدامة: هذا مما لم يختلف فيه أحد.

وبعد عدنان أي فوقه إلى آدم (خُلْفٌ) بضم الخاء المعجمة أي خلاف كثير جمٌّ منتشر لكونه من كلام المؤرخين ولا ثقة بقولهم، ومن ثم أنكر مالك على من رفع نسبه إلى آدم وقال: من أخبره به؟ وأخرج ابن سعد[1] عن ابن عباس أنه ﷺ كان إذا انتسب لَمْ يجاوز في نسبه معد بن عدنان، ثم أصح هذا الخلاف على ضعفه ما جمعه الناظم في قوله:

عـدنان في القـول الصحيح ابن أدَدْ وبعضُهُمْ يزيـدُ أدًّا فـي العَدَدْ
بيـنهـمَـا وأدَدٌ والـــدُهُ مُقَوَّمٌ نـاحـورُ بـعـدُ جَدُّهُ
وهُـوَ ابـنُ تَيْرَحٍ أي ابـنِ يَعْرُبَـا وأنَّ يعربَ هـوَ ابـنُ يَشجُبَـا

عدنان هو ابن أدد بضم ففتح من الوُدّ أصله وُددٌ فأُبدل من الـواو همزة، قال السهيلي وهو مصروف، وزاد بعض علماء النسب بينها أُدًّا بضم فتشديد نقله ابن عساكر وغيره وأشار ابن عبد البر إلى تفرد قائله به، وأدد بنُ مقوم بفتح القاف والـواو مشددًا من قومتُ الرمحَ أقومه فهو مقوم، هذا ما جرى عليه الناظم تبعًا للحافظ عبد الغني وغيره[2]، واختار الدمياطي أن والد أدد هو اليسع، ومقومٌ بن ناحور بنون وحاء مهملة هذا هو الصحيح.

وقول الناظم: (بعد جده) بضم دال بعد أي وبعد ذلك فجد أدد المذكور هو ابن تيرح

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (١/٤٧). وقـال العلامـة الألباني -رحمه الله- في ضعيف الجامـع (٤٣٥١): موضوع.

(٢) انظر: سيرة النبي ﷺ للحافظ عبد الغني (ص٢٤).

بمثناة فوقية وراء فيعل من الترح الحزن كأنه حزن على الأعداء، وتيرح هو ابن يعرب بضم الراء من أعرب في كلامه: أصلح وأبان، أو من قولهم: الثيب تعرب وتبين، أو غير ذلك، وزاد الناظم أي المفسرة تكملة للوزن.

وقوله: (وأن يعرب هو ابن يشجبا) بفتح همزة أن وشدة النون على الأصح، أي: والأصح أن يعرب هو ابن يشجب من غير تكرار يعرب ويشجب مرتين، ومقابل الأصح ما في سيرة الحافظ عبد الغني[1] عن ابن إسحاق من أنه مكرر. ويشجب بشين معجمة وجيم مضمومة من شجب يشجب: هلك، والعرب تسمي باللفظ المكروه تفاؤلاً به للأعداء، وألف يعرب ويشجب للإطلاق.

وهـو ابـن نـابتٍ وإسماعيـل	أبٌ لـهُ وجـدُّهُ الخَليـلُ
إبراهـمُ بـنُ تـارِحٍ أيْ آزرُ	وهْوَ ابـنُ نـاحورَ وهذا آخـرُ
وهو ابنُ سَاروحَ بنِ أرُغو فالِـخ	أبٌ لـه ابنُ عَيْبـرَ بنِ شالَـخْ

أي: ويشجب هو ابن نابت بنون من نبت الزرع نبتًا، ونابت هو ابن إسماعيل على الصحيح ابن إبراهيم الخليل فعيل بمعنى مفعول من الخُلة بضم الخاء المعجمة الصداقة، سمي به لَمَّا تخلل قلبه من حب الله، فإبراهيم جدُ نابت وهو ابن تارح بمثناة فوقيـة وراء مفتوحـة، وتارح هو آزر على ما جرى عليه الناظم تبعًا للسُّهَيْلي، وهو ابن ناحور بنون وراء وحاء مهملتين من النحر، وناحور هذا آخر غير ناحور المتقدم، وناحور هو ابن ساروح بمهملات ويُقالُ ساروغ بغين معجمة (كذا ضبطه النووي، وضبطه الحافظ بشين معجمة وخاء معجمة، وقال الملك المؤيد: ورُبَّمَا قيل بالعين المهملة).

وهو ابن أرعو بعين مهملة وقيل معجمة، وهو ابن فالخ بفاء ولام مفتوحة وخاء معجمة وقيل فالغ بعين مهملة أو معجمة، وقوله: (أب له) إلخ أب لأرعو، وفالخ هو ابن عيبر بمهملة مفتوحة فمثناة تحتية ساكنة فموحدة تحتية ويُقالُ عابر، وهو ابنُ شالخ بمعجمتين بينهما ألف ولام مفتوحة. وقوله: (إبرهم) بحذف الألف والياء لغة في إبراهيم وهو سرياني ومعناهُ بالعربية أب رحيم، سمي به لمزيد رحمته سيما بالأطفال، ولذلك جاء

---

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ للحافظ عبد الغني (ص٢٤).

في حديث[١] أنه هو وزوجته سارة كافلان من مات من أولاد المؤمنين طفلاً إلى يوم القيامـــة.

وهـــو ابـــنُ أرْفَخْشَذْ أبـــوهُ سامُ ... أبـــوهُ نـــــوحٌ صـــائمٌ قَوَّامُ
وهـــو ابنُ لامَكَ بن متُّوشلَخـــا ... ابْنِ خَنُوخَ وهـــو فيمـــا وُرِّخـــا
إدريسُ فيمـــا زعمـــوا يَرْدٌ أبُــــهْ ... وهو ابنُ مَهْليـــلَ بن قَيْنَانْ يَعْقبُـــهْ
يانَشُ شيـــثٌ أبُـــهُ ابـــنُ آدمـــا ... صلّى عـــليـــه ربُّنـــا وسلّمـــا

أي: وشالخ هو ابن أرفخشد بفتح الهمزة وراء ساكنة وفاء مفتوحـــة فخاء معجمة ساكنة فشين معجمة ذكره النووي، وقيل غير ذلك، وتفسيره مصباح مضيء، وأبو أرفخشذ هو سام أبو العرب ابن نوح ﷺ وهو الصائم بالنهار والقوّام بالليل، ونوح هو ابن لامك بفتح الميم وكسرها ابن متوشلخا بميم مفتوحـــة ومثناة فوقية مشددة وواو ساكنة فشين معجمة ولام مفتوحتين، وقيل غير ذلك، وهو ابن خنوخ بخاء معجمة مفتوحة ونون مضمومة وخاء معجمة وقيل مهملة، وخنوخ هو ابن إدريس النبي على ما ذكره المؤرخون، وقيل إدريس في عمود النسب، بل هذا إدريس ابن إلياس لقول إدريس في خبر الإسراء: «مرحبًا بالأخ الصالح»[٢]، وتعقبه النووي[٣] بأنه قاله تلطفًا وإلا بأخوة (الدين) إذ المؤمنون إخوة.

وقوله: (يرد أبه) بضم الباء أي وإدريس أبوه يَرْد بمثناة تحتية مفتوحة وراء ساكنة ودال مهملة وهو ابن مهليل بفتح الميم وسكون الهاء ابن قَينن بفتح القاف وسكون المثناة تحت ونونين أولاهما مفتوحة، (ويعقبه) أي يتلوه في النسب يانش بمثناة تحتية ونون مفتوحة وشين معجمة وقيل بكسر النون، وقوله: (شيث أبه ابن آدما) أي وشيث هو أبو يانش وشيث ابن آدم عليه السلام من الأدمة أو الأديم وغير ذلك.

خـــاتمة: كره مالك رفع الأنساب إلى آدم والأكثر على جوازه، وفي حديث رواه

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١/٥٤١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححـــه العلامـــة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (١٠٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٤) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) شرح صحيح مسلم للنووي (٢/٢٢٠).

أبو نعيم وغيره[١] عن أبي هريرة ﷺ مرفوعًا: «علم النسب علم لا ينفع وجهالة لا تضر»، لكن حمله الأكثر على التعمق فيه والاشتغال به عما هو أهم.

أمَّا قريش فالأصحُّ فهرُ ... جماعها والأكثرونَ النَّضرُ

وأمّهُ آمنة والدُها ... وهبٌ يَلِي عبدُ مناف جدُّها

وهو ابن زُهْرَة يلي كلابُ ... وفيه مع أبيه الانتسابُ

الأصح الذي عزاه البيهقي للحلة أن جماع قريش الذي يجمعها كلها هو فهر بكسر الفاء ابن مالك فممن لَمْ يلده فليس بقرشي، وقال الأكثر وجرى عليه الشيخان الرافعي والنووي إنَّهم أولاد النضر بن كنانة فمن لَمْ يلده فليس من قريش، وأصل القرش الجمع وتقرشوا: تجمعوا، وبه سميت قريش، وقيل: قريش دابة تسكن البحر وبها سمي الرجل وينسب إلى قريش بحذف الياء فيُقال قرشي للضرورة.

وقوله: (وأمه) أي وأم النبي ﷺ آمنة وصرفه للضرورة، ووالدها وهب ويلي وهبًا في النسب عبد مناف، وجدها أي جد آمنة الرابع وهو جد أبيها زهرة وصرفه للضرورة[٢]، ويلي زهرة في النسب كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي.

وقوله: (وفيه) إلخ أي: ويجتمع نسبه ﷺ من أمه مع نسب أبيه في كلاب، والقول بأن زهرة اسم امرأة نسب إليها ولدها دون الأب زيفوه، وسَكَّن الناظم عين (مع) للوزن.

۞ ۞ ۞

---

(١) ذكره ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (٢/٢٣، ٢٤) أبي هريرة ﷺ، وضعفه العلامة الألباني -رحمه الله- في ضعيف الجامع (٣٧٢٥).

(٢) ولا ضرورة هنا؛ لأن الوزن مستقيم مع المنع من الصرف، والله

ذكر مولده الشريف وإرضاعه -عليه السلام- وما وقع فيهما من العجائب والآيات الخوارق الغرائب

وَوُلِدَ النبيُّ عامَ الفيل ... أيْ في ربيع الأول الفضيلِ
ليوم الاثنين مُباركًا أتى ... لليلتين مِنْ ربيع خَلَتا
وقيلَ بَلْ ذاكَ لثنتي عَشْرَه ... وقيلَ بعد الفيلِ ذا بفتره
بأربعين أو ثلاثين سنه ... ورُدَّا ذا الخُلْفُ وبعضٌ وهَّنهْ

ولد ﷺ بمكة داخل الزقاق المعروف بزقاق المدكك بالدال المهملة في دار كانت بيد عقيل بن أبي طالب ثم باعها ولده من أخي الحجاج ثم جعلتها الخيزران أو زبيدة حليلة الرشيد مسجدًا وهو المشهور الآن بمسجد المدكك، وقيل ولد: بالردم، وقيل: بالشعب، وقيل: بعسفان وهو شاذ، وذلك عام الفيل كما في المستدرك(١) عن ابن عباس.

قال ابن عبد البر: «ويحتمل أن يريد بعامه اليوم الذي حبس فيه الفيل عن الحرم»، وقال مغلطاي: ولد عند طلوع الفجر يوم أرسلت الطير الأبابيل، ومن قال ولد ليلاً أرادَ مجاز المجاورة، وقصة الفيل مشهورة.

وقوله: (أي في ربيع الأول) الذي ورد الشرع بتفضيله لا في صفر ولا في ربيع الآخر ولا رجب ولا رمضان، ولا يوم عاشوراء على الأصح، و(الفضيل) بمعنى الفاضل والمفضل، واللام في قوله: (ليوم) بمعنى: في كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

وقوله: (مباركًا أتى) أي: من بركة يوم الاثنين كون النبي أتى أي ولد فيه ولهذا جاء في السنة تفضيله وتفضيل الصوم فيه، ففي المستدرك أن أعرابيًا سأل المصطفى عن صوم الاثنين قال: «ذاك اليوم الذي ولدت فيه وأنزل عليَّ فيه»(٢)، وفي الخبر(٣): «ولد ﷺ يوم الاثنين ونبئ يوم الاثنين وهاجر يوم الاثنين ودخل المدينة يوم الاثنين ومات يوم الاثنين».

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٦٥٨).

(٢) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٢٥٠٢) موقوفًا على ابن عباس -رضي الله عنهما-

وكانت ولادته عند طلوع الفجر كما تقرر لليلتين مضتا من ربيع الأول على الأصح عند الأكثر، ولم يذكر الحافظ عبد الغني في سيرته غيره[١]، وقيل: بل ولد لثنتي عشرة ليلة خلت منه وهو الأشهر وعليه العمل، لكن الأصح عند الجمهور الأول، وقيل: لثمان، وقيل: لعشرة، وقيل: لسبعة عشرة، وقيل: لثمان بقين منه، وقيل: ولد بعد عام الفيل بزمن طويل وهو مراد الناظم بقوله: (وقيل بعد الفيل ذا بفترة) أي: وكان هذا بعد فترة طويلة بين وقعة الفيل وبين مولده، واختلف في ذلك فقيل بعشر سنين، وقيل: بأربعين، وقيل: بثلاثين، وقيل: بخمسين، وقيل: بخمسة وخمسين يومًا، وقيل: غير ذلك.

وقوله: (ورد) بضم الراء وشد الدال، وقوله: (الخلف) بضم الخاء المعجمة أي رد ابن الجزار على هذا الخلاف وحكى الإجماع على أنه ولد عام الفيل، وقوله: (بعضٌ وهنه) أي: وبعضُ العلماء ضعف الخلاف جدًا وقطع بأنه عامُ الفيل.

تنبيـــه: لَمْ يولد في يوم جمعة ولا شهر حرام ولا رمضان دفعًا لتوهم تشرفه بذلك الزمن الفاضل.

وقـــد رأت إذ وضعتـــــه نـــــورًا ... خرَجَ منهـــا فأضــــــا القُصــــورا

قصورَ بُصْرَى قـــدْ أضـــاءتْ ووضع ... بَصـــرُهُ إلى السمــــــاء مُرْتَفِـــعْ

وقع في حال ولادة المصطفى خوارق منها: أن أمه آمنة رأت حين وضعته نورًا خرج منها أضاء وانتشر حتى رأت القصور أي قصور بصرى بضم الموحدة التحتية وسكون الصاد المهملة وفتح الراء المهملة مدينة بالشام وهي حوران أو قيسارية، وقد أضاءت تلك القصور من ذلك النور كما ورد في عدة أخبار عند أحمد وغيره[٢]، ووقع من بطن أمه على الأرض شاخصًا رافعًا بصره إلى السماء لكونها أعلى الآيات الباهرة الدالة على وحدانيته تعالى ومهبط الوحي ومنـــزل الملائكة.

أخرج ابن عساكر عن أبي الحسن التنوخي: كان المولود إذا ولد في قريش دفعوه

---

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ (ص٢٥).

(٢) أخرجـــه أحمد (١٦٧١٢)، من حديث العرباض بن سارية ﷺ، وضعفه العلامة الألباني –رحمه الله– في ضعيف الجامع (٢٠٩١) ولفظه: «... **أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى بي ورؤيا أمي التي رأت حين وضعت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام...**».

إلى نسوة فيُكفين عليه بُرْمة، فلما ولد المصطفى فعلن به ذلك، فلما أصبحن وجدن البرمة انقلبت عنه وهو مفتوح العينين شاخص ببصره إلى السماء.

وفي حديث مخزوم بن هانئ، عن أبيه وكان قد أتت عليه مائة وخمسون سنة قال: «لَمّا كانت الليلة التي ولد فيها انكسر إيوان كسرى وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس ولم تخمد قبل ذلك بألف عام، وغاضت بحيرة ساوة، ورأى الموبذان وإبلاً صعابًا تقود خيلاً عرابًا قد قطعت دجلة وانتشرت في بلادها، فلمّا أصبح كسرى أفزعه ما وقع فسأل علماء مملكته عن ذلك فأرسل إلى سطيح»[1] فذكر القصة بطولها، أخرجها ابن عساكر وغيره في معرفة الصحابة بسنده.

تتمــة: ذكر القيرواني المعبر في البستان أن عبد المطلب كان رأى في منامه سلسلة فضة خرجت منه أضاء لها العالــم، لها طرف بالسماء وطرفٌ بالأرض وطرف بالمشرق وطرف بالمغرب، ثم عادت كأنّها شجرة على كل ورقة نور وأهل المشرق والمغرب متعلقون بها، فعبرت له بمولودٍ يتبعه أهلُ الأرض ويَحْمَدُه أهلُ السماء، قال ابن حزم وغيره: (ولم يلد أبواهُ غيره)[2].

مــاتَ أبــوهُ ولــهُ عــامـانْ	وثلُــثٌ وقيــلَ بـالنقصـانْ
عن قدر ذا بـل صـحَّ كـانَ حَمْلاَ	وأرضعتْــهُ حـين كـانَ طفـلاً
مـع عمـه حـمزة لـيث الـقومِ	ومــع أبـي سلمــة المخزومي
ثُــويـبةٌ وهـي الـتي أبـو لَـهَبْ	أعتَقَهــا وإنّـهُ حـينَ انـقَلبْ
هُلْكًا رُئي نــومًـا بـشرِّ حيبــةْ	لكــنْ سُقِــي بعتقــه ثُويبــةْ

مات والد المصطفى وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقيل: ثلاثين، وقيل: ثمانية وعشرين وللمصطفى سنتان وأربع أشهر، وقيل: كان عمره أقل من ذلك، فقيل: ابن سبعة أشهر، وقيل: ابن شهرين، وقيل: في المهد، قال السهيلي والدولابي: وعليه الأكثر بل صح عند الحاكم في مستدركه أنه كان حَملاً[3]. وأرضعته ثويبة بضم المثلثة مع عمه حمزة

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (١/١٢٦).

(٢) انظر: جوامع السير (ص٦).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٦).

وأبي سلمة عبد الله المخزومي زوج أم سلمة، وثويبة منسوبة إلى أبي لهب أي كانت رقيقة لأبي لهب وأعتقها لما بشرته بولادته، وقد عدها ابن منده في الصحابة[١]، ونوزع بأنه لم ير لغيره.

ولَمَّا مات أبو لهب رئي في المنام بشر حيبة أي حالة لكنه سقي في جهنم في مثل النقرة وهي ما بين السبابة والإبهام جزاء بعتقه ثويبة لما بشرته بولادة المصطفى[٢] وهو معنى قولُ الناظم: (وإنه) إلخ، فقوله: وإنه بكسر الهمزة لأنها بعد واو الحال.

وقوله: (حين انقلب) أي: انتقل إلى الله، و(هلكًا) بضم الهاء مصدر من الهلاك الموت، و(رئي) مبني للمفعول، و(نوما) أي في المنام، و(بشر حيبة) بكسر الحاء المهملة ومثناة تحتية ساكنة وباء موحدة أي في شر حالة، والرائي له العباس أو غيره، و(سقي) بالبناء للمجهول، وهذا الماء الذي يسقاه ليس ماء الجنة لحرمة شربها على الكافر.

وبعدَها حَليمةُ السَّعديةْ فَظَفرت بالدُّرة السَّنيَّةْ
نَالت به خيرًا وأيَّ خير من سعة ورغد وَمَيْر
أقامَ في سَعدِ بن بكر عندَها أربعةَ الأعوامِ تجْني سعدها

وأرضعته بعد ثويبة حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية نسبة إلى جدها سعد بن بكر ففازت حين أرضعته بالدرة السنية أي المضيئة المرتفعة القيمة، شبهه بها لإشراق لونه وضياء جسمه وعلو منصبه، وقد جاء في وصفه أنه أزهر اللون في صفاء الفضة كما سيأتي، فنالت برضاعته خيرًا كثيرًا وأيّ خير من سعة الرزق ورغد العيش وكثرة الميرة، روى ذلك ابن حبان والحاكم في قصة رضاعه ﷺ بإسنادهما إلى حليمة في حديث طويل، وفيه من العلامات كثرة اللبن في ثديها، ووجود اللبن في شارفها بعد الْهُزَال الشديد وسرعة مشي حمارها، وكثرة الدر في شياهها وخصب أرضها وغير ذلك.

وأقام في بلاد سعد بن بكر عند حليمة أربعة أعوام على الصحيح تجني سعدها أي عزها وشرفها وتتعرف من الله بالخير والبركة.

---

(١) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ ابن حجر -رحمه الله- (٢٥٧/٤).

(٢) وهذه الرؤيا المنامية لا يُعوَّلُ عليها، ولا يصحُّ أن تكون معارضة لصريح الأدلة النقلية من أن العذاب لا يخفف عن الكافرين. ويكفي أن أبا لهب نزلت فيه سورة تبشره بأن له نارًا ذات لَهَب خالدًا فيها أبدًا، بسبب عداوته الشديدة لله ورسوله، ومحاربته لدين الله ﷻ!!.

وقول الناظم: (وأي خير) بنصب أي المشددة المضافة لخير النكرة وهي الدالة على معنى الكمال، فالمعنى هنا نالت حليمة به كمال الخير. وقوله: (سعة) بفتح السين، و(رغد) بفتح الغين المعجمة، والرغد العيش الهنيء، والميرة الطعام الذي يجلب من البدو إلى الحضر، والعام الحول والنسبة إليه على لفظه، و لم يفرق العوام بين السنة والعام بل جعلوهما بمعنى، قال ابن الجواليقي: (وهو غلط بل السنة من أيّ وقت عددته إلى مثله والعام لا يكون إلا شتاء وصيفًا وفي التهذيب نحوه):

وحين شقَّ صدره جبريل	خَافَتْ عليه حَدَثًا يَؤولُ
ردَّته سالمًا إلى آمنة	وخَرَجَتْ به إلى الْمَدينة
تزورُ أخوالًا له فمرضتْ	راجعة فقبضَتْ ودُفنَتْ
هناك بالأبواء وهو عمرهْ	ستُّ سنين مع شيء يقدرُهْ
ضابطُهُ بمائة أيامًا	وقيل بلْ أربعة أعواما

أي ولـما أقام في بني سعد أربع سنين جاء جبريل وميكائيل وعليهما ثيابٌ بيض فأخذاه وأضجعاه وشق جبرئيل صدره الشريف واستخرج قلبه فشقه وأخرج منه علقةً سوداء فطرحها ثم غسله بثلج حتى أنقاه والتأم كما كان، قال السبكي: (وتلك العلقة خلقت في قلوب البشر قابلة لـما يلقيه الشيطان فبإزالتها من قلبه لم يبق فيه محل قابل لإلقاء الشيطان).

فلما علمت حليمة بشق صدره خافت أن يكون ذلك حدثًا يؤول إلى شيء يُصاب به فأعادته إلى آمنة أمه سالـمًا، ولـما بلغ ست سنين خرجت به أمه ومعها أم أيمن المدعوة ببركة إلى المدينة الشريفة تزور به أخواله من بني النجار فأقامت به عندهم شهرًا ثم رجعت فمرضت في الطريق فماتت حال كونها راجعة به إلى مكة ودفنت بالأبواء بفتح فسكون ومد موضع معروف بين الحرمين وهو إلى المدينة أقرب وعمره حينئذ ست سنين ومائة يوم، وقيل: كان عمره سبع سنين، وقيل: ثمان، وقيل: أربع، وهذا معنى قولُ الناظم: (وهو عمره ست سنين) إلى آخره.

وقوله: (مع شيء) أي: من الأيام زائد عليها، وقوله: (يقدره) بفتح الياء وسكون القاف وضم الدال، وقوله: (ضابطه بمائة أيامًا) أي: وهذا القدر ضبط بمائة من الأيام.

وحـــينَ مــــاتتْ حملتــه بركــةْ لـــجـده بمكــــة الْمُبارَكـــةْ
كَفَلَـــهُ إلى تَمَـــام عُـــمْرِهِ ثَمـــانــيًا ثـــم مَضَى لقبـــرِهِ

لَمَّا دفنت أمُّه رجعت به أم أيمن بركةُ إلى جده عبد المطلب بمكة فكفله إلى أن صار عمره ثماني سنين، ثم هلك عبد المطلب عن سن عالية مختلف في قدرهـــا، ومضى به أهله إلى قبره فدفنوه، ولَمَّا احتُضِرَ وكان ضنينًا به ضمه إلى عمه أبي طالب وأكد الوصيـــة به.

۞ ۞ ۞

باب ذكر كفالة أبي طالب له ومتعلقات ذلك

والكفالةُ القيام بامر الطفل وتربيته

أوْصَـــى بـــــه جَدُّه عبدُ المطلبْ إلى أبي طالب الْحـــامــي الحدبْ
يَكفُلـــهُ بعـــدُ فكـــانتْ نَشْأتــُـــهْ طاهرةً مـــأمونــــةً غائلـــتُـــهْ

لَمَّا احتُضِرَ عبد المطلب أوصى بالمصطفى إلى عمه أبي طالب لأنه كان شقيق أبيه، فصار أبو طالب هو الحامي له من أعدائه، والحدب بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين أي الشفوق عليه، حتى إنه كان إذا أراد أن يعشي أولاده يقول: (مكانكم حتى يأتي ابني محمد)، وكان أبو طالب فقيرًا فأثري وكثر ماله ببركة كفالته للمصطفى.

وكانت نشأتـــه طاهرة مطهرة من دنس الجاهلية وجميع العيوب والأخلاق الرديـــة والنقائص الحسية والمعنويـــة، مأمونـــة غائلته أي: خديعته ومكره. وقول الناظم: (يكفله بعد) بالضم لحذف المضاف إليه أي بعد ذلك، وقولـــه: (طاهرة) بالنصب خبر كان.

وكـــــانَ يُدْعَـــــى بالأمينِ ورَحَلْ مـــع عمـــه للشـــام حتى إذْ وصلْ
بُصرى رأى منـــه بـــحيرا الـــراهب مـــا دلَّ أنــــه النبـــيُّ العاقـــب
محمـــــد نـــبيُّ هـــذي الأمــــــة فـــــردَّهُ تَـــخَوفًا مـــــن ثَـــمَّةْ
من أن يَرَى بعـــضُ اليهـــود أمـــرَهْ وعـــمْرُهُ إذ ذاك ثنتــــا عشـــرهْ

كان المصطفى يُدعى في قومه بالأمين لِمَا شاهدوا من أمانته وصدق حديثه، ولَمَّا

بلغ من العمر اثنتـــي عشرة في قول ابن سعد[1]، وثلاث عشرة في قول ابن عبد البر، وتسع سنين في قول الماوردي، رحل ﷺ مع عمه أبي طالب في ركب إلى الشام في تجارة فسار حتى وصل إلى بصرى وكان بها راهب يُسمى بحيرا بفتح الموحدة وكسر الحاء المهملـــة وزيادة ألف بعد الراء، وكان قد انتهـــى إليه علم النصرانيـــة، فتأمله فرأى من آياته ما دل على أنه النبـــي العاقب الْهَادي نبي هذه الأمـــة وذلك لأنه رأى غمامةً تُظله من بين القوم وهو راكب، فلمّا نزل تَحت شجرة تَهَصرت[2] أغصانها عليه حتى أظلته، فصنع بحيرا للقوم طعامًا وأضافهم وقال لعمه أبي طالب: (ارجع بابن أخيك واحذر عليه اليهود أن يروا بعض صفاته فيعرفوا أنه النبي المبعوث من العرب فربما تحيلوا على اغتياله فإنه كائن له شأن عظيم) فرده عمه، (من ثَمَّهْ) بفتح الثاء وشدة الميم وهاء السكت أي من هناك خوفًا عليه، فأسرع به إلى مكة.

وما في جامع الترمذي[3] من أن عمه والصديق بعثا معه بلالاً وزودهما بحيرا كعكًا وزيتًا، فقالوا: إنه متن منكر؛ لأن بلالاً لم يكن لأبي بكر حينئذ ولأن أبا بكر كان سنهُ إذ ذاك دون العشر فإنه أصغر سِنًّا من المصطفى والمصطفى كان سنه إذ ذاك اثنى عشرة على ما تقدم.

والراهب عابد النصارى[4] من رهِبَ رَهَبًا خاف فهو راهب من الله، والله مرهوب والأصل مرهوب عقابه، والجمع رهبان، وترهب الراهب انقطع للعبادة.

ثـــمَّ مَضـــى للـــشَّام مَـــعْ ميسرة فـــي متـــجرٍ والـــمال من خديجة
مِنْ قبـــل تـــزويـــج بِهـــا فبـــلغـــا بُصْرَى فباعَ وتَقَاضَا مـــا بَغـــــا

ثم لَمَّا بلغ من العمر خمسًا وعشرين سنة مضى مرة ثانيـــة إلى الشام مع ميسرة غلام خديجة بنت خويلد في متجر والمال الذي يتجر فيه من مال خديجـــة وذلك أن عمه قال له: (أنا لا مال لي، وخديجة ترسل من يتجر لها فيصيبون منافع فلو جئتها لأسرعت

---

(١) طبقات ابن سعد (١/٩٧).
(٢) تَهَصَّرت، أي: مالت وانحنت.
(٣) أخرجه الترمذي (٣٦٢٠) من حديث أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه.
(٤) ويُطلق على الذين كانوا على الإسلام من أتباع سيدنا عيسى ﷺ وعلى من بدّل بعد ذلك.

إليك) فبلغها فأرسلت إليه فقالت: (أعطيك ضعف ما أعطي غيرك لأمانتك) فأجابَ وخرج مع غلامها ميسرة وذلك من قبل تزويجه بها، حتى بلغا بصرى لأربع عشرة ليلة مضت من ذي الحجة سنة خمس وعشرين من الفيل فنزل ظل شجرة بقرب صومعة راهب يسمى نسطورا فاطلع فقال لميسرة: (من هذا)؟ قال: رجلٌ من قريش، فقال: (ما نزل تحت هذه الشجرة إلا نبي)، فوعاها ميسرة[1]؛ ثم حضرا سوق بصرى فباع النبي المتاع وتقاضى أي طالب بثمنه وقبضه واشترى ما بغى بموحدة أي طلب، يُقال: بغيته أبغيه طلبته، والاسم البُغاء وزان غراب.

وقــد رأى ميسـرة العـجائبًا	منـهُ وما خُصَّ بـه مواهبـا
وحدَّثَ السيـدةَ الـجليـلـةْ	خديجـة الكُبـرى فـأَحصتْ قِيلَهْ
ورغـبت فخـطبتْ مُحمَّـدا	فيَـا لها من خطبـةٍ مـا أسعدَا
وكـانَ إذْ زوّجهـا ابنَ خمـس	مـن بعـد عشرين بغيـر لَبْسِ

ثم لَمَّا باعَ ﷺ واشترى رجع وقد رأى ميسرة منه العجائب الكثيرة منها: أنه اختلف مع رجل في بيع سلعة فقال له الرجل: أتحلفُ باللات والعزى، قال: ما حلفتُ بهما قط ولا أفعل، فعاد الرجل وصدقه، ورأى ميسرة أيضًا ما خص به من الآيات وذلك كله مواهب من الله لا بطريق الكسب ولا من جهة الاستعداد، ومن ذلك أن الغمامة كانت تظله فحدث ميسرة السيدة الجليلة خديجة الكبرى، وفي نسخة: (الفضلى) -بضم الفاء- كالحبلى، بقول ذاك الراهب وبما أبصره من الخوارق والعجائب التي من تباشير النبوة وآياتها (فأحصت) أي ضبطت خديجة قيله -بكسر القاف وسكون التحتية- أي قول ميسرة، ثم رأت ربح التجارة ضعف ما كان يربحه غيره فرغبت في نكاحه فخطبته (فيا لها من خطبة) بكسر الخاء ما أسعدها وأبركها، فزوجها منه أبوها، وقيل: إنه كان قد مات وإنّما زوجها منه عمها، وقيل: أخوها، (وكان إذ) أي: حين زوجها بالبناء للمفعول ابن خمس وعشرين سنة، (بغير لبس) أي: شك واشتباه أي بالنسبة للسنين الكاملة، أما الشهور فكان بعدها شهران وعشرة أيام من يوم الفيل على ما ذكره ابن عبد البر.

ونفي الناظم الشك في ذلك يوهم أنه لا خلاف فيه والأمر بخلافه بل وراء ذلك

---

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١/١٣٠) ط – دار صادر.

أقوال أخر فقيل: كان سنّه يومئذ ثلاثين سنة، وقيل: إحدى وعشرين وعليه الزهري، نعم ما جرى عليه الناظم هو الأصح.

وكان عمرها هي نحو أربعين سنة، وتزوجت برجلين قبله، وأتت بولدين، وألف (العجائبا) و(مواهبا) للإطلاق، و(زوجها) مبني للمجهول، وقوله: (ابن) بالنصب خبر كان، ولام لبس بالفتح بضبط الناظم، والرؤية معاينة الشيء بحاسة البصر، والرغبة إرادة الشيء والحرص على تحصيله، والخطبة بكسر الخاء اسم من خطب إلى القوم إذا طلب أن يتزوج منهم.

۞ ۞ ۞

باب قِصةِ بناء الكعبة الشريفة

أي البيت الحرام وسمي بذلك لتكعبه أي تربُعه، والقصة بكسر القاف الشأنُ والأمر، يُقال: ما قصتك؟ أي ما شأنك، والجمع قِصص كسدرة وسِدَر.

وإذْ بَنَتْ قريشٌ البيتَ اختلَفْ ... ملاؤهُم تنازعًا حتى وقَفْ
أمرُهمُ فيمن يكونُ يَضَعُ ... ألحجرَ الأسود حيثُ يُوضعُ
إذْ جاءَ قالوا كلُّهُمْ رَضِينا ... لوضعه مُحمدَ الأمينا
فحُطَّ في ثوب وقال يَرْفعُ ... كل قبيل طرفًا فرفَعُوا
ثُمَّتَ أودعَ الأمينُ الحَجَرا ... مكانهُ وقد رضُوا بما جَرَى

لَمَّا اجتمعت قريش لبناء الكعبة خشية أن يهدمها السيل بنى كل فرقة جانبًا فلَمَّا وصلوا إلى محل الحجر الأسود اختلف مَلَؤهم أي أشرافهم فيمن يضع الحجر موضعه فكل قبيلة تريد رفعه دون الأخرى، وتنازعوا تنازعًا كثيرًا حتى وقف أمرهم أي في ذلك الشأن، واستمروا على ذلك نحو خمس ليال وأعدوا للقتال وتعاهدوا على الموت فقال أسنهم أبو أمية بن المغيرة: حكّموا فيما بينكم أول داخل إلى المسجد ففعلوا فكان أول داخل رسول الله، فقالوا: (هذا الأمين رضينا به)، فحكم بينهم فقال: (هلم ثوبًا)، فأتوه به فحط أي: وضع الحجر الأسود فيه ثم قال: (لترفع كل قبيلة منكم طرفًا) فرفعوه جميعًا ثم لَمَّا بلغوا به محله أخذه بيده فوضعه مكانه وبنى عليه، فرضُوا كلُّهم بما جرى من حُكمه بذلك، وكان ذلك يوم الاثنين عام خمس وثلاثين من مولده الشريف.

وقوله: (فحط) بالبناء للمفعول بضبط الناظم أي: وضع، والواضع له المصطفى.

وقوله: (ثمت) بزيادة تاء التأنيث على ثُمَّ العاطفة، قال السيهلي: وكان ارتفاع الكعبة تسعة أذرع وهي بلا سقف فزادها قريش تسعة، ورفعوا بابها عن الأرض بحيث لا يصعد إليها إلا بدرج، وزادها ابن الزبير تسعة فصارت سبعًا وعشرين وألصق بابَها بالأرض وجعل لَهَا بابًا من ورائها وأدخل الحجر فيها، ووقع بناؤها خمس مرات الأولى بناء شيث، الثانية إبراهيم، الثالثة قريش، الرابعة ابن الزبير حين احترقت بشرارة طارت من أبي قبيس فهدمها حتى انتهى إلى قواعد إبراهيم فرأوا نارًا وأهوالاً أفزعتهم فأمرهم أن يقروا القواعد وأن يبنوا من ثَمَّ، الخامسة عبد الملك بن مروان وذلك أنه لَمّا قدم مكة قال: لسنا من تخليط أبي خبيب في شيء فهدمها وردها إلى ما كانت عليه في عهد المصطفى فلمّا فرغ حدثه بحديث عائشة الصحيح: «**لولا أن قومك حديثو عهد بالجاهليــة**»[1] الحديث فندم، ولَمّا حج الرشيد سأل مالكًا عن هدمها وردها إلى بناء ابن الزبير للخبر المذكور فقال مالك: (أنشدك الله يا أمير المؤمنين لا تجعل هذا البيت ملعبة للملوك فتذهب هيبتُهُ من القلوب) فأمسك، فهذا ما كان من بناء الكعبة وما نقل عن جرهم إنما كان إصلاحًا.

۞ ۞ ۞

بابُ كيف كــان بدء الوحي

أي الإرسال إليه ﷺ، وأول ما بُدئ به الرؤيا الصالحة فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح واضحة، وحُبب إليه الخلاء والانفراد عن الناس. والوحي أصله إلقاء المعنى في النفس في خفاء ثم قيل للكلام الإلهي الذي يلقى إلى الأنبياء وحي وذلك إما برسول مشاهد يرى ذاته ويسمع كلامه، وإما بسماع كلام بغير معاينة، وإما بالإلقاء في الرُّوع.

حتى إذا مـــا بلَـــغَ الـــرسولُ	**الأربعـــين جـــاءهُ جـبريـــلُ**
وهوَ بغـار بِحـــراء مُختَلـــي	**فجاءهُ بالوحـــي منْ عند العَلـــي**
في يـــوم الاثـنـــين وكان قد خلت	**من شهـــر مولـــد ثـمان انْ ثَبَتْ**
وقيـــل في سابـــع عشـري رجب	**وقيـــل بـــل في رمضان الطيب**
قـــال لـــه اقـــرأ وهو في المرار	**يُجيبُ نُطقًا مـــا أنـــا بقـاري**
فغطّـــه ثلاثـةً حتّـــى بَلَـــغْ	**الجَهْدُ فـــاشتدَّ لـذاكَ وانصبَغْ**

(١) أخرجه البخاري (١٥٨٤)، ومسلم (١٣٣٣) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

لَمَّا بلغَ سن المصطفى أربعين سنة تحديدًا أو ويومًا، أو وعشرة أيام، أو وعشرين، أو وأربعين، أو وستين يومًا، أو ونصف سنة، أو إلاَّ نصفها، أو تسعًا وثلاثين، أو ثنتين وأربعين عامًا، أو غير ذلك، أتاهُ جبريلَ عليه السلام وهو مختلٍ بغار حراء بالكسر والمد ويجوز صرفه وعدمُه جبلٌ على ثلاثة أميال من مكة وهو أول موضع نزل فيه القرآن، وذلك أنه كان يخلو فيه في كل عام شهرًا يتحنث أي: يتعبد فيه ويطعم من جاءَهُ من الفقراء، فإذا قضى جواره يُفيضُ فيطوف ثم يذهب إلى بيته، فلمَّا أراد الله إكرامه بالإرسال جاءه جبريل بالوحي من عند الله العلي شأنه في يوم الاثنين لخبر مسلم: «**وأنزل علي فيه**»[1].

قال ابن عبد البر: وكان قد خلت من شهر ربيع الأول وهو شهر مولده ثمانية أيام سنة إحدى وأربعين منذ الفيل، واعترضه الناظم بأنه إنّما يتم إن ثبت بتوقيف صحيح وأنى به، وقيل: أول ربيع، وقيل: في سابع عشري رجب، وقيل: بل في رمضان الطيب ذكره العطر عبيره ونشره العظيمة بركته وسره سابع عشرة أو ثامن عشرة أو تاسع عشرة.

وقال ابن الشحنة: وكونه في رمضان هو الذي عليه الأكثر، فقال له جبريل: اقرأ، وكرره ثلاث مرات، وهو في المرار الثلاث يجيب جبريل نطقًا باللسان بقوله: «**ما أنا بقارئ**» أي: ما أحسنُ القراءة، فغطه أي: عصره ثلاث مرات في كل مرة منها يقولُ له: اقرأ، فيقول: «**ما أنا بقارئ**» حتى بلغ منه الجهد، أي: بلغ الغط منه غاية الوسع، فاشتد أي قوي وصلب جسمه على الحركة، وانصبغ أي: اكتسى جلدًا وقوة على مخالطة الروحانيات بالضم ويجوز الفتح على أنه من الروح أو الرَّوح منها شبَّهه بالثوب المصبوغ.

وما في قول الناظم: (ما بلغ) زائدة للتأكيد، و(المرار) بكسر الميم، والباء في (بقارئ) مزيدة لتأكيد النفي، وغَطَّهُ -بغين معجمة وطاء مشددة-، و(الجهد) -بالنصب وفتح الجيم-.

تنبيه: قال في سفر السعادة في سياق هذا الباب: كان المصطفى في ابتداء أمره بعيدًا جدًا من المخالطات حتى من الأهل والمال والعيال بالكلية، واستغرق في بَحر الأذكار القلبية فانقطعَ عن الأضداد فاستشعر حصول المراد وظهر له الأنس والخلوة فتـذر من أجل ذلك الجلوة، و لم يزل في فلك الأنس ومراءة الوحي تزداد من الصفاء والصقال حتى

---

(١) أخرجه مسلم (١١٦٢) من حديث أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه.

بلغ من درجات الكمال ما بلغ فظهرت بشائر صبح الوحي، وأشرقت وانتشرت بروق السعادة وتألقت فكان لا يمر بشجر ولا حجر إلا قال بلسان فصيح ونطق صحيح: (السلام عليك يا رسول الله) فينظر يَمينًا وشِمالاً ولا يرى شيئًا، فبينما هو ذات يوم قائمًا على جبل حراء ظهر له شخص بين السماء والأرض، وقال: (أبشر يا محمد أنا جبريل وأنت رسول الله إلى هذه الأمة)، ثم أخرج له قطعة نمط مرصعة بجوهر ووضعها في يده وقال: يا محمد اقرأ، فقال: «**ما أنا بقارئ ولا أرى في هذه الرسالة كتابة**»، فضمه وغطه حتى بلغ منه الجهد ثم أطلقه وقال: اقرأ، فقال: «**لستُ بقارئ**»، فعل ذلك ثلاثًا، ثم قال: ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ [العلق: ١]، ثم نزل عن الجبل إلى قرار الأرض فأجلسه على دُرنوك[١] أبيض وعليه ثوبان أخضران ثم ضرب برجله الأرض فنبعت عين ماء فتوضأ جبريل وأمر النبي أن يفعل كفعله، فلَمَّا تم وضوؤه أخذ جبريل كفًّا من ماء فرشَّ به وجه رسول الله ثم قام فصلى ركعتين والرسول مقتد به ثم قال: الصلاة هكذا، وغاب عنه؛ فجاء الرسول إلى مكة وقص على خديجة القصة ففعلت ما سيأتي ذكره.

أقرأهُ جبريلُ أولَ العَلَقْ ... قَرأهُ كَمَا لَهُ بها نَطَقْ
وكونُ ذا الأولَ فهْوَ الأشهَرُ ... وقيلَ بل يَا أيّها المُدثِرُ
وقيلَ بلْ فاتحةُ الكتاب ... والأولُ الأقرب للصَّواب

روى الشيخان[٢]: «أول ما نزل به جبريل وأقرأه إياه سورة العلق ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ**﴾ [العلق: ١]، إلى قوله: ﴿**مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ [العلق: ٥]» فاقرأه قراءة حصل بها كماله حين نطق أي بالمقروء، ثم حفر جبريل بعقبه فنبع ماء فتوضأ وعلمه الوضوء وصلى ركعتين.

روى أحمد والدارقطني والحاكم مرفوعًا أنه ﷺ قال: «**أتاني جبرائيل في أول ما أوحي إليّ فعلّمني الوضوء والصلاة فلمّا فرغ أخذ غرفة بِها من الماء فنضح فرجه**»[٣]، وكون هذا هو الأول مما أنزل من القرآن هو القول الأشهر الذي عليه الأكثر، وحكمة خصوص هذه الآيات بالأولية تضمنها أطوار الآدمي من الخلق والتعليم والإفهام فناسب تقديمه رعاية التقدم الطبيعي.

---

(١) الدرنوك: ضرب من الثياب أو البسط له خمل قصير كخمل المناديل. انظر: لسان العرب (٤٢٣/١٠).

(٢) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٠٢٦) من حديث زيد بن حارثة ﷺ.

وقيل: بل أول ما نزل سورة المدثر، روي من حديث جابر مرفوعًا: «**جاورت بحراء فلمّا قضيت جواري هبطت فنوديت فنظرت عن يميني فلم أر شيئًا فنظرت عن يساري فلم أر شيئًا فنظرت من خلفي فلم أر شيئًا فرفعت رأسي فإذا الملك بين السماء والأرض فأتيت خديجة فقلت: دثروني دثروني، فصبُّوا علي ماءً باردًا فنـزلت هذه الآية ﴿يَأَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ* قُمْ فَأَنذِرْ﴾** [المدثر: ١، ٢]»(١) رواه مسلم.

وقيل: أول ما نزل الفاتحة، روى البيهقي(٢) مرسلاً «أن خديجة قالت لأبي بكر: يا عتيق اذهب بمحمد إلى ورقة فذهب به فقال له: «**إذا خلوتُ وحدي سمعت نداء خلفي: يا مُحَمَّد، فأنطلق**»، فقال: لا تفعل إذا أتاك فاثبت حتى تسمع ثم ائتني فأخبرني، فلمَّا ناداهُ ثبت فقال له: قل بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين إلى آخرها، قل لا إله إلا الله، فأتى ورقة فأخبره، فقال: أبشر فإني أشهدُ بأنك الذي بشر به ابن مريم، وأنك على مثل ناموس موسى وعيسى وأنك نبي مرسل، وأنك تؤمر بالجهاد بعد يومك هذا ولئن أدركت ذلك لأجاهدن معك. انتهى

قالوا: وفيه غرابة والأول أقرب إلى الصواب بل قال النووي(٣): القول بأن أول ما نزل المدثر باطل.

جَـــاءَ إلـــى خديـــجة الأمينَـــهْ ... يشكُو لَهَـــا مـــا قـــدْ رآهُ حينــه

فثبَّتـــتْهُ إنَّهـــا مـــوفَّقَـــهْ ... أولُ مَنْ قَدْ آمنَتْ مُصَدِّقَـــهْ

ولَمَّا أقرأه جبريل ما ذكر جاء إلى زوجته خديجة بنت خويلد الأمينة على وحي الله وأمر رسوله لأنَّها كانت صاحبة سره لأمانتها وصدقها، فشكا إليها ما قد رآه من نزول الملك عليه وغطه إيّاه بشدة وما قاله له في حينه ذلك وهو بكسر الحاء زمن بلوغ الشيء وحصوله، والمراد به هنا زمن الغط، وقال لَهَا: «**والله لقد خشيت على نفسي**»(٤) فثبتته بأن قالت له: اثبت يا ابن عم وأبشر إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث وتحمل

---

(١) أخرجه البخاري (٤٩٢٢)، ومسلم (١٦١) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

(٢) حديث ضعيف: أخرجه البيهقي في دلائل النبوة وقال: هذا منقطع (١٥٨/٢).

(٣) شرح صحيح مسلم (٢٠٧/٢).

(٤) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

الكلَّ وتكسب المعدوم وتقري الضيف وتعين على النوائب، وفي رواية[1] أنَّها قالت له: أتستطيع أن تخبرني بصاحبك؟، فجاءه فقال رسول الله ﷺ: «**هذا جبريل**»، قالت: قم فاجلس على فخذي اليسرى، فجلس فقالت: هل تراهُ، قال: «**نعم**»، قالت: تحول فاقعد على فخذي اليمنى، فقعد فقالت: هل تراه؟، قال: «**نعم**»، قالت: تحول فاجلس في حجري ففعل، فقالت: هل تراه؟، قال: «**نعم**»، فألقت خمارها ورسول الله ﷺ جالسٌ في حجرها ثم قالت: هل تراه؟، قال: «**لا**»، قالت: اثبت وأبشر فوالله إنه ملك ما هذا بشيطان. انتهى

وإنَّها كانت موفقة بتوفيق الله وهي أولُ من آمن بالله ورسوله من النساء حالةَ كونَها مصدقة لــه فيما جاء به، وهذه الأولية مذكورة في عدة أخبار وصرح بِها أهلُ الآثار.

ثُمَّ أتـــت بــــه تـــوْمُ ورقــهْ قَصَّ عليــه مــــا رأى فَصَدَّقــهْ

فَهْوَ الـــذي آمــنَ بــعدُ ثانيــا وكـــان بــرًا صــادقًا مُواتـــيا

والصادقُ المصـدوقُ قــالَ إنــــه رأى له تَخضخُضًا في الجَنَّـــهْ

ثم إن خديجة أتت به توم أي تقصد به ورقة بن نوفل ابن عمها وكان تنصر في الجاهلية وقرأ الكتب العبرانية فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، فقصَّ عليه ما رآه فصدقه وقال: هذا الناموس الذي أُنزل على موسى، يا ليتني فيها جذعٌ ليتني أكونُ حيًّا إذ يخرجك قومك، فقال: «**أوَمُخرجيَّ هم**»، قال: نعم لَم يأت رجلٌ بِما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا[2]، فورقــة هو الذي آمن بعد أي بعد خديجة كما جرى عليه الناظم، فقول الناظم: (بَعدُ) بالبناء على الضم لِحذف المضاف إليه، وقوله: (ثانيـــا) أي هو ثاني من آمن به، فقد ورد في رواية أنه قال: "أشهدُ إنك الذي بشر به ابن مريم وإنك نبي مرسل" كما مر.

وقوله: (وكان برًا) بفتح الموحدة أي: طائعًا لله، وقوله: (صادقًا) أي: مصدقًا لما أخبر به، وقوله: (مواتيا) أي: مترفقًا متطلفًا، وقد أخبر الصادق المصدوق رسول الله أنَّه رأى لـــه تخضخضًا أي تحركًا واضطرابًا في الجنة حين اطلع عليها، وورد في حديث النهي

---

(١) أخرجها البيهقي في دلائل النبوة (٢/١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (٤)، ومسلم (١٦٠) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

عن سبه، وفي آخر أنه رأى له في الجنة درجتين[١]، وفي آخر أنه رآه فيها وعليه لباسٌ أخضر، وقد قرن ابن كثير له بين الترحم والترضي وجزم بإسلامه، قال ابن الشحنة: وهو الراجح عند جهابذة أئمة الأثر. انتهى

وقد مرَّ ما يعلم منه أن المصطفى كان يرى أولاً في النوم ثم صار يسمع الصوت والتسليم عليه بالنبوة، وكان لا يرى أحدًا، ثم استعلن له جبريل في حراء، ثم ظهر له على صورته بين السماء والأرض وقال له: أنا جبريل وأنت رسول الله، وهذا المقام لا يليق به إيراد أكثر من هذا.

فائـــدة: ذكر شيخنا الشعراوي أن رجلاً أتاهُ برأس خروف مشوية فأكلَ جلدها فرأى فيها مكتوبًا بخط فوق الحاجبين والأنف لا إله إلا الله محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق يهدي به من يشاء من عباده قال: وهذا علم من أعلام النبوة ولو لَمْ يكن دليلٌ على صحة شرع المصطفى إلاّ هذه الكتابة لكفى.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (٢/٦٦٦) من حديث عائشة -رضي الله عنها-. وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٧٣٢٠) ولفظه: «**لا تسبوا ورقة فإني قد رأيت له جنة أو جنتين**».

باب ذكر قدر إقامته -عليه السلام- بمكة بعد البعثة

أي الإرســـال.

أَقَـــامَ فِي مَكَّـــة بعـــدَ البعثـــة ثـــلاثَ عـــشرةَ بغيـــرِ مِرْيـــة
وقيـــل عَشْرًا أو فـــخمسَ عشْرَه قولانِ وهُنِّـــوهُمـــا بـــمَرَّهْ

أقام رسول الله بمكة بعد البعثة ثلاث عشرة سنة على الأصح كما أشار إليه الناظم بقوله: (بغير مرية) يعني: هذا هو الأصح بغير شك لخبر البخاري[١] في كتاب البعث عن ابن عباس بذلك، وقيل عشرًا لخبره أيضًا في المغازي وفضائل القرآن به[٢]، وقيل خمس عشرة لحديث ابن سعد بذلك[٣]، وهذان القولان وهنوهما أي ضعفهما المحدثون وأهل السير بمرة[٤]، كذا قال الناظم وليس بجيد فقد حملا على ما يوافق الأول فجمع بأن القول الأول أراد قائله أنه مكث بها ثلاث عشرة، ثلاثًا نبيًا وعشرًا رسولاً، والثاني: أراد قائله الرسالة فحسب، والثالث: حسب معها السنتين اللتين كان يرى فيهما الضوء والنور ويسمعُ الصوت ويرى الرؤيا فتجيء كفلق الصبح وبذلك يَحْصُل الجمع بين الأقوال ويزول التعارض بلا إشكال، وإذا أمكن تنـــزيل الكلام على مَحمل صحيح فالعدول إلى تزييفه من ضيق العطن كما لا يخفى على أهل الفطن.

فكـــانَ فـــي صَلاتـــه يستقبلُ بـــمكـــة القـــدس ولكـــن يجعلُ
البيت مـــن بـــين يديـــه أيضـــا فيمـــا أتـــى تطـــوعًا أو فرْضـــا
وبعـــد هجـــرة كـــذا للقـــدسِ عـــامًـــا وثُلثًا أو نصـــفُ سُـــدْسِ
وحُوِّلتْ مِنْ بَعْـــد ذاكَ القِبْلـــة لكعبـــةِ الله ونعـــمَ الجِهَـــة

كان رسول الله يستقبل مدة إقامته بمكة القدس وهو بيت المقدس ومع ذلك لا يستدبرُ الكعبة بل يَجعل البيت الحرام بين يديه تلقاء وجهه أيضًا ويستقبله في كل ما أتى به أي فعله من الصلوات تطوعًا كان أو فرضًا، والقول بأنه كان يجعل الكعبة خلف ظهره رأي مهجور.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٥١) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٢) أخرجه البخاري (٤٤٦٥، ٤٩٧٩) من حديث عائشة، وابن عباس ﷺ.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١/١٧٤)، وأخرجه مسلم (٢٣٥٣) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٤) انظر: فتح الباري (٧/٢٣٠)، وشرح صحيح مسلم (١٥/٩٩).

وكان بعد هجرته من مكة إلى المدينة كذلك يستقبل في صلاته بيت المقدس لكن لا يتيسر له مع ذلك استقبال الكعبة فكان كذلك يجب أن يستقبل الكعبة فكانت مدة صلاته لبيت المقدس عامًا وثلثا أو عامًا وثلثًا ونصف سدس أيضًا يعني ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا كذا هو في البخاري[1] على الشك.

ورجح الأول بوروده في صحيح أبي عوانــة وغيره[2] بغير شك، ثم حولت بعد ذلك القبلة إلى الكعبة في الركوع الثاني من ظهر يوم الثلاثاء نصف شعبان فاستدار إلى الكعبة حال الركوع واستدارت الصفوف خلفه فصلى بهم بمسجد القبلتين ركعتين للقدس وركعتين للكعبة.

وقول الناظم: (ونعم الجهة) برفع التاء لأنَّها ساكنة، أي: نعم جهة الكعبة؛ لأنَّها قبلة إبراهيم والأنبياء على الأصح.

۞ ۞ ۞

باب ذكر السابقين للإســـلام

أي الذين دخلوا في هذا الدين في ابتداء الدعوة.

مِنَ الرجالِ ابنُ أبي قحَافــــهْ   قالَ بـــهِ حَسانُ في القصيدهْ
وعِدةٌ من الصحَابـــةِ الأُلَـــــى   وفَّوْا وتابعُوهـــمُ ممـــن تَلَـــى

اختلف في أول من أسلم وأقرب ما قيل فيه إن الأول من الرجال البالغين الأحرار الصديق الأكبر عتيق هو عبد الله بن أبي قحافة بن عامر كما قال بذلك حسان بن ثابت الأنصاري في قصيدته بقوله:

إذا تــذكرت شجوًا مــن أخي ثقــة   فــاذكر أخاك أبا بكرٍ بما فعــلا
خيـــر الـــبريـــة أتقاهـــا وأعدلـــهاً   بعـــد النبي وأوفاهـــا بـــما حمـــلا
والتالي الثانـــي الـــمحمـــود مَشْهَدُه   وأول الناس منهم صدق الرَســــلا

ولَمَّا أسلم أظهر إسلامــه ودعـــا إلى الله وإلى رسوله من وثق به من قومه وممن يغشاه وكان المصطفى يقول: «**ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة إلا ما**

(١) انظر: صحيح البخاري (٤١) وغير موضع، ومسلم (٥٢٥).
(٢) انظر: فتح الباري (١/٩٦).

كان من أبي بكر ما عكم»[1] بالتحريك أي: ما تحبّس ولا انتظر ولا عدل عنه حين ذكرته له.

ثم تتابع الناس في الدخول في الإسلام أرسالاً فأسلم بعده عدة من الأكابر الأولين الذين وفوا أي: عملوا بما دعاهم إليه أبو بكر من الإيمان بالله ورسوله منهم عثمان وغيره ممن يأتي، وأسلم بإسلامهم أتباعُهُم وهو مرادُ الناظم بقوله: (تابعوهم) وهو بكسر الموحدة بعد الألف.

وقوله: (الألى) بضم الهمزة المقصورة أي: الأولين، وقوله: (وفوا) بالتشديد بضبطه، وقوله: (ممن تلى) أي: ممن تبع أبا بكر في الإسلام وكان إسلام أبي بكر أعظمهم غناءً ونفعًا للإسلام فإنه كان صدرًا رئيسًا في قريش ذا مال سخيًا يبذلـه في نصرة الدين داعيًا إليه من قدر عليه.

خديجة اذكرْ أولَ النسوانِ ... عليًّا اعدُدْ أولَ الصبيانِ
وعمرُهُ ثمانٌ أو فَعَشْرُ ... أو ستٌّ أو خمسٌ وقيلَ أكثرُ
مِنَ الْمَوالي زيدٌ بنُ حارثةْ ... كانَ مُجَالسًا لـه مُحادثةْ

أي: اذكر خديجة بنت خويلد زوجة المصطفى في أولَ من أسلم من النسوان الكاملين الأحرار على ما تقرر فيما سَلَفَ، واعدُدْ علي بن أبي طالب ابن عم الرسول وزوج البتول أمير المؤمنين أولَ من أسلم من الصبيان وعمره إذ ذاك ثمان أو ست أو سبع سنين، وقيل: كان عمره أكثر من ذلك فقيل ثنتي عشرة، وقيل: خمس عشرة، قال ابن عبد البر، وغيره: وهو أولُ من أسلمَ مُطلقًا.

وأمّا أول من أسلم من الموالي فزيدُ بن حارثة سبي في الجاهلية فاشتراهُ حكيم بن حزام ووهبه لعمته خديجة ثم وهبته خديجة لرسول الله فأسلم فلمّا بلغ أباه وعمه مكانه أتيا رسول الله فقالا: يا ابن عبد المطلب يا سيد قومه جئناك في ولدنا فامتن علينا فإنا ندفعُ لك الفداء قال: «**وما ذاك**»، قالوا: زيد بن حارثة، قال: «**أو غير ذلك، ادعوه فخيروه فإن اختاركم فلكم وإلا فما أنا بالذي أختار على من اختارني فداءً**»، قالوا: زدتنا على النصف أي: العدل، فدعاه فقال: «**أتعرفهما**»، قال: أبي وعمي، قال -أي الرسول-: «**أنا من علمت وقد رأيت صحبتي لك فاخترني أو هما**» فقال: ما أختار عليك أحدًا أنت مني

---

(١) انظر: البداية والنهاية (٣/٢٢).

مكان الأب والعم، قالا: أتختارُ العبودية على الحرية، قال: رأيتُ من هذا الرجل شيئًا ما أنا بالذي أختارُ عليه أحدًا، فلمّا رأى ذلك المصطفى أخرجه إلى الحجر، وقال: «**اشهدوا أنه ابني أرثه ويرثني**»، فصار يُدعى بابن محمد حتى نزلت ﴿**ادْعُوهُم لِآبَائِهِمْ**﴾[1] [الأحزاب: ٥]، وكان مُجالسًا محادثًا ملازمًا له لا ينفكُ عنه.

عثمانُ والزبيرِ وابنُ عوفِ ... طلحةُ سعدٌ أمنوا مِنْ خَوفِ
إذ آمنوا بدعوة الصديق ... كذا ابنُ مظعونٍ بذا الطريق
ثم أبو عبيدة والأرقمُ ... كذا أبو سلمةَ المكرَّمُ
وابنُ سعيد خالدٌ قدْ أسلمَا ... وقيلَ بل قبلَهُمْ تَقدَّمَا
كذا ابن زيد أي سعيد لا مِرَا ... وزوجُهُ فاطمةُ أخت عُمَرا
كذاك عبدُ الله مع قدامةْ ... هما لمظعون سعيدًا الهامةْ
وحاطبٌ حطابٌ ابنا الحارث ... أسماء عائشْ وهيَ غيرُ طامث
كذا ابنُ إسحاقَ بذاكَ انفرَدا ... ولَمْ تكن عائشُ ممن وُلدا

ذكر الناظم ممن أسلم من السابقين الأولين سبعًا وخمسين إنسانًا ما بين رجل وامرأة أحدهم عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس أمير المؤمنين ذو النورين هاجر الهجرتين وتزوج الابنتين رقية وأم كلثوم قتل شهيدًا بداره يوم الجمعة سنة خمس وثلاثين عن نيف وثَمانين سنة.

الثاني: الزبير بن العوام بشدة الواو القرشي الأسدي حواريُّ رسول الله وابن عمته، أسلم وعمره خمس عشرة أو اثنتا عشرة أو ثمان أو ست وهاجر الهجرتين، وهو أول من شهر سيفًا في سبيل الله عذبه عمه بالدخان ليترك الإسلام فلم يفعل.

الثالثُ: عبدُ الرحمن بن عوف من بني زهرة يلتقي مع رسول الله في كلاب بن مرة وهو أحد العشرة المبشرة ومن الستة أصحاب الشورى، شهدَ المشاهد كلها.

الرابع: طلحة بن عبيد الله يجتمع معَ المصطفى في مرة وهو أحدُ العشرة المبشرة والستة أصحاب الشورى، وتوفي رسول الله وهو عنه راض وسماهُ طلحة الخير وطلحة الفياض وطلحة الجود، وهو من الأعلام الشامخين والشجعان المشهورين وأبلى يوم أحد

---

(١) انظر القصة في: السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٤٧).

بلاء عظيمًا، وكان الصديق إذا ذكر أحدًا قال: «ذلك اليوم كله كان لطلحة»، وقى المصطفى بمهجته وشلت يده بسببه، قتل يومَ الجمل سنةَ ست وثلاثين وهو ابن أربع وسبعين سنة رماهُ مروان بنُ الحكم بسهم قطع رجله فنــزف حتّى مات.

الخامس: سعد بن أبي وقاص بفتح الواو وشدة القاف من الوقص الكسر مالك بن وهيب الزهري يلتقي مع المصطفى في كلاب، أسلم وهو ابن تسع عشرة سنة، وهو أحد العشرة والستة، أسلم بعد أربعة أو ستة وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، وهاجر إلى المدينة قبل المصطفى، وشهد المشاهد كلها، وكان مجاب الدعوة.

وقال له المصطفى يوم أحد: «**ارم فداك أبي وأمي**»[1] فما جمع أبويه لأحد إلا له، ولَمَّا احتضر دعا بجبة صوف فقال: (كفنوني بِها فإني لقيتُ المشركين فيها) مات بالعقيق فحمل إلى المدينة فدفن بالبقيع سنة خمس وخمسين على الأشهر عن بضع وسبعين سنة، وهو آخر العشرة موتًا، وهؤلاء الخمسة قد أمنوا من الخوف حين آمنوا بالله ورسوله بدعوة الصديق؛ لأن قومه كانوا يألفونه ويأتونه فدعاهم إلى الإسلام فأجابوه.

فقول الناظم: (أمنوا) بفتح الهمزة وكسر الميم مقصورًا، وقوله: (إذ آمنوا) بالمد وفتح الميم.

السادس: عثمان بن مظعون بفتح فسكون، الجُمَحِيّ بضم الجيم وفتح الميم وكسر المهملة المكي يجتمع مع المصطفى في كعب بن لؤي، أسلم بعد ثلاثة عشر وهاجر الهجرتين وقبَّله المصطفى بعد موته ودموعه تجري على خده وقال يوم ماتت ابنته رقيــة: «**الحقي بسلفنا الصالح عثمان بن مظعون**»[2]. وقوله: (بذا الطريق) أي: أن ابن مظعون أسلم مع السابقين الأولين بِهذا الطريق يعني بدعاء الصديق له، وأما قول البعض أراد بذا الطريق الإسلام لقومه أو أشار به لكونــه أول من مات من المهاجرين بالمدينة وراح إلى رحمة الله فمناف للسّوْق كما لا يخفى على أهل الذوق.

السابعُ: أبو عبيدة عامرُ بن الجراح الفهري القُرشي أمينُ هذه الأمــة وأحد العشرة، يلتقي

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٥٩)، ومسلم (٢٤١١) من حديث عليٍّ ﷺ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢١٢٨) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، وضعفه العلامة الألباني -رحمه الله- في ضعيف الجامع (٢٩٨٩).

مع المصطفى في فهر، شهد بدرًا وما بعدها وأثنى عليه المصطفى بالأمانة في غير ما حديث[1]، وكان شديدًا في الإسلام بحيث قتل أباه كافرًا غضبًا لله ورسوله، وثبت مع المصطفى يوم أحد، مات بالشام سنة ثَماني عشرة.

الثامن: الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي، أسلم سابع سبعة أو بعد عشرة.

التاسع: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي أسلم بعد عشرة، وهو أول من هاجر إلى الحبشة وأخو المصطفى من الرضاع وهو المكرم عنده.

العاشر: خالدُ بن سعيد بن عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية الأموي أسلم بعد هؤلاء وقيل بل قبلهم، فقيل: ثالثًا، وقيل: رابعًا، هاجر إلى الحبشة وقدم على المصطفى في حنين وبعثه على صدقات اليمن فمات المصطفى وهو باليمن، له ذكرٌ بلا رواية.

الحادي عشر: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي ابن عم عمر بن الخطاب، وكان إسلامه قبل إسلام عمر، شهد المشاهد كلها إلا بدرًا، وكانت أخته عاتكة تحت عمرَ وأخت عمر تحته وكان مجابَ الدعوة، مات بالمدينة سنة إحدى وخمسين، وقيل بالعقيق عن بضع وسبعين سنة، وهذا كله (لا مرا) أي: لا شك فيه بل ثبت من طرق صحيحة.

الثاني عشر: فاطمة بنت الخطاب أخت عمر، أسلمت مع زوجها سعيد بن زيد قُبيله أو بُعيده.

الثالث والرابع عشر: عبد الله مع أخيه قدامة وهما ابنان لمظعون الجمحي، وقدامة بضم أوله وفتح المهملة، ومظعون بفتح الميم وسكون المعجمة.

الخامس عشر: حاطب بحاء وطاء مهملتين.

السادس عشر: أخوه حطاب بحاء مهملة وقيل معجمة وهما ابنا الحارث الجمحي وهاجر إلى الحبشة.

السابع عشر: أسماءِ -بفتح الهمزة- بنت الصديق زوجة الزبير وأم ولده عبد الله وتسمى ذات النطاقين، أسلمت بمكة وتزوجها الزبير ثم طلقها، قيل: وقف ابنه عبد الله بالباب، فجاء أبوه ليدخل فمنعه فقال: طلق أمي فأبى فقال: مثلي لا يكون له أم توطأ فطلقها، وبقيت عند ابنها إلى أن قتل وماتت بعده بقليل وكانت من أعبر الناس للرؤيا.

---

(١) صحيح البخاري (٣٧٤٤)، ومسلم (٢٤٢٩) من حديث أنس ﷺ، ولفظه: «**إن لكل أمة أمينًا، وإن أميننا أيتها الأمة: أبو عبيدة بن الجراح**».

الثامن عشر: أختها عائشة وهي صغيرة لم تبلُغ كذا قاله ابن إسحاق ورده الناظم بأنه من تفرده بل (هذا) باطل إذ هي لم تكن ولدت وإنما ولدت بعد البعثة بخمسة أعوام، وقول الناظم: (اخت) بوصل الهمزة للوزن، وقوله: (سعيدا الهامة) بنصب سعيد مع ألف التثنية، والهامة القامة وأشارَ به إلى شجاعتهما، وقوله: (عائش) مرخم بحذف الهاء، وقوله: (وهي غير طامث) أي لم تبلغ سن الحيض.

فـــاطمـــةٌ فُكيهـــةُ الـــزوجـــان	تـــلك لـــذاك هـــذه للثـــاني
عبيـــدةُ بـــنُ حـــارث خَبّـــابُ	ابنُ الأرتِّ كلـــهُم أجـــابُـــوا
كـــذا سَلَيْطٌ وهوَ ابـــنُ عمـــرو	وابـــنُ حـــذافـــةَ خُنيسٌ بَـــدْري
وابنُ ربيعـــة اسْمُـــهُ مســـعودُ	ومعـــمَرُ بنُ حـــارث معـــدودُ
وولـــدا جَحْشٍ هُمـــا عبـــدُ الله	كـــذا أبـــو أحمـــد عَبـــدٌ أوّاهْ

التاسع عشر: فاطمة بنت المجلّل القرشية أسلمت قديمًا وهاجرت إلى الحبشة مع زوجها.

العشرون: فكيهة بنت يسار وهاتان الزوجتان فاطمة وفكيهة تلك أي فاطمة زوجة لذاك الأول وهو حاطب، وهذه أي فكيهة زوجة للثاني وهو حطاب أخو حاطب.

الحادي والعشرون: عبيدة مصغرًا ابن الحارث بن المطلب بن عبد مناف، أسلم قديمًا قبل دخول المصطفى دار الأرقم.

الثاني والعشرون: خباب بفتح المعجمة وشدة الموحدة ابن الأرت بفتح الهمزة وشدة المثناة الفوقية، بدري سبي في الجاهلية فاشترته امرأة خزاعيـــة فأعتقته، وهو من السابقين الأولين المعذبين في الله، مات سنة سبع وثلاثين. فهؤلاء كلهم أجابوا دعوة الصديق لرسول الله فأسلموا.

الثالث والعشرون: سليط بفتح فكسر وهو ابن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري هاجر الهجرتين وشهد جميع المشاهد.

الرابع والعشرون: ابن حذافـــة بضم المهملة وذال معجمة خفيفة واسمه خنيس بضم الخاء المعجمة ونون خفيفة مفتوحة وسين مهملة مصغرًا القرشي السهمي تزوج حفصة بنت عمر قبل المصطفى ﷺ، وهو بدري قديم.

الخامس والعشرون: ابن ربيعة واسمه مسعود من بني عبد العزى أسلم قبل دخول دار الأرقم وشهد بدرًا.

السادس والعشرون: معمر بن الحارث الجمحي أخو حاطب وحطاب شهد بدرًا وكل مشهد فهذا معدود من السابقين.

السابع والثامن والعشرون: ولدا جحش وهما عبد الله وأبو أحمد ابنا جحش بن رياب أسلما قديمًا وهاجرا الهجرتين إلى الحبشة، واسم أبي أحمد عبد، وكان أوَّاهًا.

كــذا شَبيــهُ المصطفــى أي جعفــرُ ... أسْمَــــاءُ زوجُــهُ الْحَلــيفُ عامرُ

عيــــاشٌ اعني ابــنَ أبي ربيـــعهْ ... وزَوْجُـــــهُ أســمَا إلى سَلامـــهْ

نُعــــيمٌ النَّحــامُ أيضًا حــاطبُ ... وهو ابنُ عمــرو وكــذاك السائبُ

أي ابــنُ عثمــان بــن مظعون ذُكِرْ ... أبــوهُ مــع مُطَّلب بــن أزهَـــرْ

وزوجُــــــهُ رَملــةُ مــعْ أمينَـهْ ... بنت خلفْ لــخَالــد قَــرينَـهْ

مضَــى اسْمُــــهُ عمارٌ بـــنُ ياسرِ ... وابنُ فُهَيْــرةَ اسمـــهُ بعامـــرِ

أبــو حــذيفــة صهــيبٌ جُنْــدُبُ ... وهو أبــو ذرٍّ صـــدوقٌ طَيِّــبُ

وقــال إنــي رابــعٌ لأربـــعــهْ ... من تابعي النبــيْ أسلموا مــعَــهْ

التاسع والعشرون: شبيهُ المصطفى في الخَلق والخلق جعفر بن أبي طالب قال له المصطفى: «**أشبهت خلقي وخلقي**»[1] أسلم وهاجر إلى الحبشـة وقدم في فتح خيبر فلاقاه المصطفى وقام إليه واعتنقه، وقبل موته رآه المصطفى في الجنة يطير بجناحين[2].

الثلاثون: أسماء بنت عميس بضم العين المهملة وفتح الميم وسين مهملة الخثعمية زوجة عامر، أسلمت وهاجرت معه إلى الحبشة وولدت له بها محمدًا وغيره، وتزوجها بعد أبو بكر ثم عليٌّ.

الحادي والثلاثون: عامر حليف آل الخطاب وهو ابن ربيعة -بفتح الراء- العنـزي -بفتح المهملة وسكون النون وبالزاي-، مات سنة ثلاث وثلاثين وقد شهد بدرًا وغيرها من المشاهد.

الثاني والثالث والثلاثون: عياش بعين مهملة ومثناة تحتية مشددة وشين معجمة يعني

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٠) من حديث البراء بن عازب ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٦٣) من حديث أبي هريرة ﷺ. وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٣٤٦٥). ولفظه: «**رأيتُ جعفر بن أبي طالب ملكًا يطيرُ في الجنة مع الملائكة بجناحين**».

ابن أبي ربيعة المخزومي، وزوجـه أسماء المنسوبة إلى والدها سلامة بالفتح والتخفيف ويُقال سلمة الدارمية التميمية هاجرت مع زوجها إلى الحبشة.

الرابع والثلاثون: نعيم بضم النون ابن عبد الله العدوي النحَّام بشدة الحاء المهملة سمي بـه لقول المصطفى: «**دخلت الجنة فسمعتُ نحمة نعيم فيها**»[1] والنحمة السعلـة أو النحنحة، أسلم قبل عمر وكتم إسلامه ومنعه قومه لشرفه فيهم من الهجرة لكونه كان يمونُ أرامل بني عدي وأيتامهم فقالوا: (أقم على أي دين شئت).

الخامس والثلاثون: حاطب بمهملتين بينهما ألف وهو ابن عمرو بن عبد شمس بن عبدُود القرشي العامري أخو سليط، هاجر الهجرتين وشهد بدرًا وما بعدها.

السادس والثلاثون: السائب بن عثمان بن مظعون وقد ذكر أبوه آنفًا، شهد بدرًا وجميع المشاهد.

السابع والثلاثون: المطلب بن أزهر الزهري أسلم قديمًا وهاجر إلى الحبشة وبها مات.

الثامن والثلاثون: رملة بنت أبي عوف زوجة المطلب، فقول الناظم: (وزوجه) أي: وزوج المطلب أسلمت وهاجرت مع زوجها للحبشة.

التاسع والثلاثون: أمينة بضم الهمزة وفتح الميم ومثناة تحتية ثم نون على ما ذكره بعضهم وتبعه الناظم لكن ادعى بعضهم أنه مصحّف وإنّما هو بميم بدل النون، وهي بنت خلف بن أسعد الخزاعيـة وهي زوجة خالد بن سعيد، وهو مراد الناظم بقوله: (لخالد قرينهْ) وقد مضى اسمه ونسبه.

الأربعون: عمار بن ياسر بتحتيـة ومهملة العنسي بمهملة ونون المذحجي أبو اليقظان مولى بني مخزوم، هاجر الهجرتين وصلى إلى القبلتين وشهد كل مشهد، وهو أول من بنى مسجدًا، وقتل في وقعة صفين وهو ابن أربع وستين سنة[2].

الحادي والأربعون: ابن فهيرة بضم الفاء مصغرًا واسمه عامرٌ مولى أبي بكر عبد أسود اشتراهُ من الطفيل فأسلم فأعتقه، وهو رفيق المصطفى والصديق في الهجرة، وشهد بدرًا وقتل في بئر معونة.

---

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته (١٠٣/٤) عن أبي بكر العدوي مرسلاً، وضعفه العلامة الألباني في ضعيف الجامع (٢٩٦٤).

(٢) كذا بالأصل، وما في كتب التراجم أنه لما مات كان عمره ثلاثًا وتسعين سنة، انظر: الإصابـة (٥١٢/٢)، وسير الأعلام للذهبي (٤٢٦/١).

الثاني والأربعون: أبو حذيفة ابن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس القرشي من فضلاء الصحابة وأشرافهم، صلى إلى القبلتين وهاجر الهجرتين مع امرأته سهلة فولدت له بالحبشة محمدًا، وشهد كل مشهد وقتل يوم اليمامـــة.

الثالث والأربعون: صهيب بن سنان الكعبي ويعرف بالرومي لأنه أخذ لسان الروم حين سَبَوه وهو طفل، أسلم هو وعمار بن ياسر في يوم والمصطفى في دار الأرقم بعد نحو أربعين رجلاً.

الرابع والأربعون: جندب وهو أبو ذر الغفاري كان رأسًا في العلم والزهد صدوق اللهجة طيب السيرة والسريرة قال: إنه أسلم رابع أربعة من تابعي رسول الله ﷺ، وقول الناظم: (اعني) بوصل الهمزة للوزن، وقوله: (وزَوجه أسما) بالقصر للضرورة، وقوله: (ابن أزهر) بالوقف، وقوله: (خَلَفْ) بسكون الفاء للوزن، وقوله: (ابن فهيرة اسمه بعامر) بهمزة وصل وكسر الميم.

كذا أنيس أخُـــه قـــد أسلمـــا ... ثُمَّتَ بعـــدُ أسلمت أمُهُمـــا
كـــذا ابنُ عبـــد الله وهوَ وافـــدُ ... كـــذا إيـــاسٌ عاقـــلٌ وخالـــدُ
وعامـــرٌ أربعـــةٌ بنُو البُكَيـــرْ ... وابنُ أبي وقاصٍ اسمـــه عُمَيـــرْ
كـــذاك بنـــتُ أســـد فاطمـــة ... كذاك بنت عامرٍ ضُبـــاعَـــةُ
عمروٌ أبو نَجيـــح فيهمْ معـــدود ... عُتبـــةُ عبدُ الله نَجـــلا مسعود

الخامس والأربعون: أنيس بضم الهمزة، وقول الناظم: (أخه) بالنقص. للوزن أي: وكان أنيس أخًا لأبي ذر قد أسلم بعد أخيه، وقوله: (ثمت) أصله (ثُمَّ) زيد فيه تاء التأنيث المفتوحة في الوصل.

السادس والأربعون: أمهما رملة، وقول الناظم: (بعد) بالبناء على الضم لحذف المضاف إليه أي ثم بعد ذلك أسلمت أمهما رملة بنت الوقيعة الغفارية.

السابع والثلاثون: وافد بالفاء وقيل بالقاف ابن عبد الله بن عبد مناف حليف الخطاب بن نفيل، أسلم قبل دار الأرقم وشهد بدرًا وما بعدها، مات في خلافـــة الفاروق.

الثامن والتاسع والأربعون والخمسون والحادي والخمسون: إياس بكسر الهمزة فمثناة تحتية وأخوه عاقل بعين مهملة وقاف وأخوهما خالد وأخوهم عامر، وأربعتهم بنو البكير ابن أبي البكير بن عبد ياليل من بني عبد مناف، أسلموا في دار الأرقم وشهدوا كل مشهد، قتل خالد يوم الرجيع، وعامر يوم اليمامـــة، وعاقل يوم بدر.

الثاني والخمسون: عمير بن أبي وقاص واسم أبي وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة واسم ابنه عمير مصغرًا وهو أخو سعد قرشي زهري، قتل ببدر وعمره ست عشرة سنة.

الثالث والخمسون: فاطمة بنت أسد بفتح الهمزة وسين مهملة ابن هاشم بن عبد مناف أم علي بن أبي طالب، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، هاجرت إلى المدينة وبها ماتت في حياة المصطفى، وألبسها قميصه واضطجع معها في قبرها وقال: «**لـم يكن أحد بعد أبي طالب أبرّ لي منها**»[1].

الرابع والخمسون: بنت عامر العامرية واسمها ضباعة بضم الضاد المعجمة وموحدة تحتية وعين مهملة أسلمت بمكة، وهي القائلة:

اليوم يبدو بعضه أو كله ... وما بدا منه فلا أحله

الخامس والخمسون: عمرو بن عبسة أبو نجيح، وقول الناظم: (فيهم) أي: السابقين، (معدود) حشو كَمَّل به الوزن.

السادس والسابع والخمسون: عتبة بضم المهملة ومثناة فوقية ساكنة وأخوه عبد الله وهما ولدا مسعود بن غافل الزهري، هاجرا إلى الحبشة الهجرة الثانية وشهدا أحدًا بعدها، قال الزهري: ما كان عبد الله بأفقه ولا أقدم صحبة من عتبة لكنه مات سريعًا.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٧/٨٧). وذكره الهيثمي في المجمع (٩/٢٥٧)، وقال: «فيه سعدان بن الوليد، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات» اهـ.

بابُ ذكر إسلام عبد الله بن مسعود المذكـور

أفرده بباب لأن إسلامــه قد ترتب على هذه المعجزة العظيمة الآتية.

جاءَ لــهُ النبــيُّ وهــوَ يَرْعَــى غُنَيْمــة يُسيمُـها في المـرعـى

قـــالَ لــهُ شاؤُكَ فيهـــا لبــنُ قـــالَ نعمْ لكننـــي مُؤْتَمَــنُ

قــالَ فَهَــلْ فيهــا إذًا مــنْ شــاة مــا مسَّهــا الفَحْلُ إذًا فتأتـــي

بِهـــا فمسَّ الضَّرْعَ وهو يـــدْعو فامتَــدَّ ضَرعُها وَدَرَّ الضَّــرْعُ

فَاحْتَـــلَبَ الشاةَ وأسقــى ثُمَّ مَصْ في شربــه قالَ لــهُ اقْلُصْ فَقلصْ

قــالَ فعلِّمنـــــي لَعَلـــي أعلَــمُ قالَ لـــهُ غُـلـيمٌ مُـعَلَّــمُ

قوله: (غنَيمة) تصغير غنمة، وقوله: (يسيمها) بضم أوله قال تعالى: ﴿فِيـهِ تُسِيمُونَ﴾ [النحل: ١٠]، أي: ترعون مواشيكم من السّمة العلامـة لأنّها تؤثر في الأرض علامات في الرعي، وقوله: (شاؤك) بالضم جمع شاة وتجمع على شياه رجوعًا للأصل، وأصلُ ذلك ما في المعجم الصغير عن ابن مسعود: كنتُ في غنم لآل عقبة بن أبي معيط فجاء رسول الله ومعه أبو بكر فقال رسول الله: «**هل عندك لبن؟**» قلت: نعم لكنني مؤتمن عليها أي: أمين، قال: «**فهل عندك شاة لَمْ يَنْـزُ عليها الفحل؟**» قلت: نعم، فأتيته بشاة فمسح النبي مكان الضرع بيده وهو يدعو وما كان لَها ضرعٌ فإذا ضرع حافل مملوء لبنًا فأتيتُ النبي بصخرة منقعرة فاحتلب الشاة فسقى أبا بكر ثم سقاني ثم شرب ثم قال للضرع: «**اقلص**» فرجع كما كان، فلَمَّا رأيتُ هذا قلت: يا رسول الله علمني فمسح رأسي وقال: «**بارك الله فيك فإنك غلامٌ معلم**»[1]. انتهى

وقول الناظم: (وأسقى) لغة في سقى، وقوله: (ومص في شربه) مزيد على هذه الرواية إما باطلاع الناظم عليه في رواية أخرى لم نقف عليها أو لأن الاستقراء قاضٍ بأنه كان يَمَصُّ في شربه أبدًا. وقوله: (اقلص) بضم الهمزة واللام أي: انزو وانضم فقلص بسكون الصاد في النظم، وقوله: (غُليمٌ) بالضم والتشديد مصغرًا ولفظ الحديث غُلام.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٥٨٧) من حديث ابن مسعود ﷺ.

باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم

واتَّخَذَ النبيُّ دارَ الأرقمِ	للصحبِ مستخفينَ عنْ قومهمِ
وقيلَ كانوا يخرجونَ تَتْرى	إلى الشِّعَابِ للصلاةِ سِرّا
حتّى مَضَت ثلاثةٌ سنينا	وأظهرَ الرحمنُ بعدُ الدينا
وصَدَعَ النبيُّ جهرًا مُعلنا	إذْ نَزلت فاصدع بما فمَا وَنَى
وأنذرَ العشائرَ التي ذكرْ	بجمعهم إذْ نزلت وأنذرْ

لَمَّا دعا رسول الله ﷺ إلى الإسلام ودخل في الدين جماعةٌ قليلة خافوا من المشركين، فاتخذ النبي دار الأرقم للصحب ليتجمعوا فيها مستخفين أي في خفية عن قومهم. وقيل: كانوا يخرجون وقت الصلاة تترى أي يتبع بعضهم بعضًا غير متواصلين خوفًا من كفار مكة إلى الشعاب لأجل الصلاة فيها سرًا لئلا يشعروا بِهم، واستمروا على ذلك حتى تكاملوا أربعين نفسًا آخرهم عُمَرُ، ومضت عليهم وهم بِها ثلاثٌ من السنين.

فكان رسول الله في تلك الثلاث يدعو الناس إلى الإسلام سرًّا ثم أظهر الرحمنُ سبحانه الدين فصدع بالدعوة أي: أظهرها معلنًا بعد ما كان مسرًّا لَمّا نزل ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فبادر بجد وعزم وما ونى أي: ما ضَعف ولا تراخى عما أمر به، فدعا الناس كافة إلى الإسلام وصدع بالدعوة كما أمر به، وأنذرَ العشائر جمع عشيرة وهي القبيلة لا واحد لها من لفظها التي ذكرهن في كتابه بجمعهم أي بأجمعهم حين نزل عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فصنع طعامًا وجمع بني عبد المطلب حتى أنذرهم ومن حينئذ اشتد الأمرُ بينه وبين أهله فمنهم من اتبعه ومنهم من أعرض واستهزأ به ومنهم من آذاه فأخذه الله أخذ عزيز مقتدر، والشعاب جمع شعب وهو الطريقُ في الجبل، وقوله: (ثلاثة) بالتنوين للوزن، و(بعد) مبني على الضم.

۞ ۞ ۞

باب ذكر تاييده -عليه السلام- بمعجزة القرآن المجيد

وجعل الله لهُ القُرآنا آيةَ حق أعجزَتْ بُرهَانَا
أقامَ فيهم فوق عشر يطلبُ إتيانَهم بمثله فغُلبوا
ثم بعشر سور فسورةْ فلَمْ يُطيقوها ولو قصيرةْ
وهُمْ لَعَمْرِي الفُصحاءُ اللُّسْنُ فانقَلَبُوا وهُمْ حيارى لُكْنُ
وأسمعوا التوبيخ والتَّقريعا لَدى الْمَلَا مُفترقًا مجموعا
فلم يفُهْ منهم فصيحٌ بشفَةْ مُعارضًا بل الإلهُ صَرَفَهْ

قد جعلَ الله لنبيه القرآن أعظم معجزاته وكان آية حق قد أعجزت فصحاء العرب العرباء (برهانًا) أي: ببرهانه وقوة بلاغته، فأقام في قومه بمكة فوق عشر سنين ينذرهم ويُحادُّهم ويتلو عليهم القرآن فيكذبونه ويجحدونه، فيطلب منهم إتيانهم بمثله وهم أهلُ الفصاحة والبلاغة.

قال لهم: ائتوا بعشر سور مثله مفتريات فعجزوا، فقال: فأتوا بسورة واحدة مثله في الفصاحة والبلاغة فعجزوا ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، فلم يطيقوا سورة واحدة أي: الإتيانَ بها ولو قصيرة كسورة الكوثر وغيرها، وهم والله كلهم لعمري الفصحاء البلغاء اللسن بضم اللام الثانية وسكون السين جمع أَلْسَنَ أي: الآخذين من عوارضهم بألسنتهم المسلطة، فانقلبوا مع ذلك وهم حيارى فيما جاءهم به من الحق، و(لُكْن) بضم اللام وسكون الكاف جمع أَلْكَن، واللكنة العيّ وثِقَلُ اللسان.

وقوله: (وأسمعوا) بالبناء للمفعول أي: وأسمعهم الله تعالى فيما أنـزل من محكم كتابه التوبيخ البالغ والتقريع الفاحش (لدى الملا) أي بين يدي الجم الغفير (مفترقًا ومجموعًا) أي: حال افتراقهم عن الناس إذا خلوا وحال اجتماعهم في المحافل.

(فلم يفه) بفتح الياء التحتية وضم الفاء أي: لم ينطق منهم فصيحٌ بشفة أي: بكلمة واحدة معارضًا له بها بل الإله القادر الميسر المعسر صرفهم عن ذلك دلالةً على إعجازه وإظهارًا لمعجزة نبيه، وهذا الختام من الناظم يؤذنُ بميله إلى القول بالصرفة وهو رأي مرجوح أطالَ المحققونَ في تقرير رده.

فقائلٌ يقــول هــــذا ســــحرٌ وقـــائـــلٌ فـــي أذُنـــــيَّ وَقْرُ
وقـــائلٌ يقـــولُ ممـــن قـــــد طَغَوا لا تسمعوا لــــه وفيه فالغـــــوا
وهـــم إذا بعضٌ ببعض قـــدْ خــــلا اعترفـــوا بـــأنَّ حقًّا مـــا تَــلا
وأنَّـــــه لـــيس كـــــلامَ الـــبشر وأنــه ليس لــــه بِمُفْتَـــــــرى
اعتـــــرف الوليد ثـــمّ النَّضــــــرُ وعتبـــــةٌ بــــذاك واســـتـــقـــرّوا
وابنُ شَريقٍ بـــــاءَ وهْوَ الأخنـــسُ كـــذا أبو جهــــل ولكنْ أبلسوا

لَمَّا عجزوا عن معارضتــه وتحيروا في أمرهم شرعوا يختلفون عليه فقائل منهم يقول: هذا الذي يقول سحر، فرد عليه المغيرة وهو من أعظمهم قدرًا: قد رأينا السحرة فما هو بنفثهم.

وقائل يقولُ: أنا في أذني بشدة المثناة التحتية تثنية أذن وقر أي: صمم فلا أسمعُ ما يقوله، وقائلٌ يقول -وهو أبو جهل وحزبـه- وكانوا قد طغوا وتمردوا: ﴿لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيـــهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [فصلت: ٢٦]، أي: لا تسمعوه وعارضوه باللغو والباطل وإذا خلا بعضهم ببعض اعترفوا وأذعنوا وأقروا بأن ما جاء به هو الحق وصدقوا جميع ما تلاهُ من القرآن، وقالوا إنه ليس هو أعجزنا به ونحنُ أفصحُ البلغاء من كلام البشر وإنَّما هو كلامُ الله أنزله على رسوله، فممن اعترف بصدقه الوليد بن المغيرة حين اجتمع به نفرٌ من قريش وكان ذا سن عالية فيهم فقال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أصله لغدق وإن فرعه لجناه.

ثُمَّ النضر بن الحارث وكان من رءوس بني عبد الدار وعتبة بن ربيعــة وكان من أشراف بني عبد شمس اعترفوا بذلك أيضًا، ولكن طمس الله على قلوبِهم وطبع عليها فاستقروا على ضلالــهم.

وأمَّا ابن شريق الثقفي واسمه الأخنس فقد باء أي: رجع عن معارضته وكذا أبو جهل كلهم قد علموا أنه الحق من ربِّهم لكنهم أصروا على طغيانِهم فأبلسوا أي: سكتوا حزنًا وحيرة.

وكيــفَ لاَ وهُـــوَ كـــــلامُ الله مُنــــــزهٌ عَنْ نحْلــــةِ اشتبــاه
يَهْدِي إلـــى الـــتي هُدَاهـــا أقْــوَمْ بــــه يُطــاعُ وبــهِ يُعتَصَــــم
وهو لـــــدينا حَبْلُـــهُ الْمَتيـــــن نعْبُــــدُه بــــه ونــستعيـــنُ

وهو الذي لا تَنْقَـــــضي عجائبُــه ولا يَضِـــلُّ أبـــدًا مُصــاحبــه
معجزةً بــاقيـــةً علــى الْمَـــدا حتـــى إلى الوقت الذي قَدْ وَعدا

وكيف لا يعترفون ويُذعنون ويعجزون عن الإتيان بمثل شيء منه وهو كلام الله المنــزه عن نحلة مثله أي: عن الإتيان بشبهه أو بشبه سورة أو بعض سورة منه، وقد جعل الله القرآن في هذه الأمة رحمة يهدي من اقتدى به إلى الصراط المستقيم، والمنهج القويم، والطريق السليم، الذي هداها هو أقوم الطرق الموصلة إلى الله تعالى فإن به يُطاعُ الله وبه يعتصم بالبناء للمفعول.

إذ هو العروة الوثقى لِمن تمسك به وعمل بما فيه وهو لدينا أي عندنا في اعتقادنا أنه كلامُ الله القديم وهو حبلُه المتين، نعبدُه به أي بتلاوتــه والعمل بما فيه، وبه نستعين على قضاء مهمات الدارين، وهو الذي لا تنقضي عجائبه أي: لا تنتهي ولا تنقطعُ على طول المدى إلى أن يأتي أمرُ الله، ولا يضل عن الهدى والطريق المستقيم أبدًا مصاحبه الذي حفظه وعمل بما فيه ووقف عند حدوده قال تعالى: ﴿فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يَشْقَـــى﴾ [طه: ١٢٣].

وقولُ الناظم: (معجزة) بالنصب أي: حال كونه معجزة، ويجوز رفعه بدل من الذي أو خبر مبتدأ محذوف أي: هو معجزة باقيـــة على طول المدى بفتحتين الغايـــة، فلا يزالُ كذلك (حتى إلى الوقت الذي قد وعدا) أي: وعد الله فيه أن يرتفع فيه القرآن.

۞ ۞ ۞

باب كفاية الله تعالى نبيه المستهزئين به من كفار قريش ومن تبعهم

وقدْ كَفَى المستهزئينَ البُعدا ... اللهُ ربُّنا فَباءوا بالرَّدى
فَعَمِيَ الأسودُ ثُمَّ الأسودُ ... الآخر اسْتسْقَى وأرْدتْهُ اليَدُ
كذا أشارَ للوليد فانتقَضْ ... الجُرْحُ والعاصي كذاك فعَرَضْ
لرجله الشوكةُ حتى أزهقا ... والحارثُ اجتيحَ بقيح بَزَقا
وعُقبةٌ في يوم بدرٍ قُتلا ... أبو لَهَبْ بَاءَ سريعاً بالبَلا
ثامنهم أسلمَ وهو الحَكَمُ ... فَقَدْ كَفَاهُ شَرَّه إذ يسلمُ

وقد كفى الله تعالى نبيه أي: حفظه من أذى أعدائه المستهزئين به الساخرين به ورؤوسهم ثمانية وهم البعداء من رحمة الله فباءوا أي: رجعوا وانقلبوا بالردى أي: بالهلاك بضروب من البلاء.

فالأول: الأسود بن المطلب بن أسد ودعا عليه رسول الله بالعمى فعمي.

الثاني: الأسود الآخر وهو ابن عبد يغوث استسقى، مر بالمصطفى وجبريلُ عنده فقال جبريل: قد كفيته وأشار إلى بطنه بأصبعه فاسْتَسْقَى في الحال، وأردته أي: أهلكته اليد أي: يدُ جبريل عليه السلام.

الثالثُ: الوليدُ بنُ المغيرة أشار جبرائيل إلى ساقه وكان قد أصابته شظية نَبْلٍ فمنعه الكبر والتِّيه أن ينزعها حالاً فانتقض عليه الجرحُ وتألَّم ومات منها.

الرابعُ: العاصُ بن وائل السهمي أشار إلى أخمصيه فخرجَ على راحلته فنزل في شعب فعرض لرجله شوكة في أخمصه فصارت كعنق البعير حتى أزهق بضم فكسر أي: لحقه الموت وغشيه الهلاك.

الخامس: الحارث بن العيطلة السهمي أومأ إليه جبريل فاجتيح أي: أصابته جائحة حالاً فابتلي بقيح يمخطه من أنفه وبزق قيحًا حتى مات.

السادس: عقبة بن أبي معيط قتل يوم بدر كافرًا شر قتلة.

السابع: أبو لهب باء سريعًا بالبلاء القوي أي: رجع قتيلاً بسرعة رماه الله بالعدسة

داء معروف وذلك بعد وقعة بدر بسبع ليال فمات وأقام ثلاثة أيام لَمْ يُدْفَن.

وأمّا ثامنهم: وهو الحكم بن أبي العاص فإنه أسلمَ يوم الفتح وقد كُفي رسول الله شره حيث أسلم وإلا أصيب بعاهة وانقلب.

وقول الناظم: (أزهق) بالبناء للمفعول والألف في (قتلا) للإطلاق.

۞ ۞ ۞

باب مشي كفار قريش أي: رؤسائهم ووجوههم في أمره أي: النبي إلى عمه أبي طالب بن عبد المطلب

ثم مشت قريشٌ الأعداءُ ... إلى أبي طالب أن يُساءُوا

من ابنه محمد في سبِّهم ... وسب دينهم وذكر عيبهم

في مرَّةْ ومرة ومرة ... وهو يذبُّ ويقوي أمره

في آخر المرات قالوا أعطنا ... محمدًا وخُذْ عُمارةَ ابْننا

بدَلَهُ قَالَ أردتُم أكفُلُ ... ابنَكُمُ وأُسْلِمُ ابْني يُقْتَلُ

لَمَّا صدع رسول الله بما أمر به من التبليغ لَمْ يبعد قومه كلَ البعد ولَمْ يردوا عليه ولَمْ يتعرض له كفار قريش بالأذى حتى عاب آلهتهم وذمها فحينئذ أجمعوا على عداوته وآذَوْهُ أذىً كثيرًا إلا من عصم الله منهم بالإسلام وقليل ما هم.

وحدِب بفتح الحاء وكسر الدال المهملتين ثم موحدة أي: عطف عليه عمه أبو طالب، وقام دونه وحماه فمضى على أمر الله لا يرده عنه شيء، فمشت أشراف قريش إلى أبي طالب من أجل أنهم يساءون أي: يحصل لهم السوء من ابن أخيه وسماهُ في النظم ابنه لأنه كان بمنزلة الابن عنده.

فقالوا: إنه يسبنا ويسب ديننا ويضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا، وإمّا أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحنُ عليه، وتكرر قولُهم له في ذلك في مرة أولى ومرة ثانية ومرة ثالثة، وهو يردهم ردًا جميلاً، ويقول لهم قولاً رفيقًا ويذب عنه ويقوي أمره ويشد أزره ويعضده ويشده، فلمَّا كان في آخر المرات تنكروا وتذامروا بذال معجمة ومشوا إلى أبي طالب وقالوا: إن لك سنًا وشرفًا فينا وإنّا استنهيناك من ابن أخيك فلم تنههُ وإنا لا نصبرُ على شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهتنا؛ فإمّا أن تكفه أو ننازله وإياك حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب عداوة قومه وفراقهم ومحاربتهم ولم تطب نفسه بإسلام المصطفى إليهم، فكلمه أبو طالب في ذلك فظن أن بدا له وأنه خاذله فقال: «**يا عم والله**

لو وضعوا الشمس في يَميـني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يُظهره الله أو أهلكَ دونه مـا تركته»[١] ثم بكى وولى، فنـاداه عمه: يا ابن أخي قل ما أحببت فلا أسلمك أبدًا.

فلمَّا رأت قريش أنه أبـى خذلانه جاءوه وقالوا له: هذا عمارة بن الوليد بن المغيرة أنهد فتىً في قريش وأجملهم، وأعطنا ابن أخيك محمدًا الذي خالفَ دينك ودين آبائك وفرق جماعة قومك وسفّه أحلامهم وعاب آلهتهم فنقتله وخذ عمارة بدله فاتخذه ولدًا، لك عقله وبصره، قال: بئسما تسومونني به أكفل لَكُمْ ولدكم وأسلمُ لكم ابني لتقتلوه هذا لا يكون أبدًا، فقال المطعم بن عدي: يا أبا طالب قد أنصفك قومك وجهدوا على التخلص مما تكرهه، قال: ما أنصفتموني لكنك أجمعت على خذلاني ومظاهرة القوم عليّ فافعل ما بـدا لك.

ثم تذامروا على من في القبائل منهم ممن أسلم مع المصطفى فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يفتنونهم عن دينهم ويعذبونهم، فضرب أبو بكر ضربًا شديدًا حتى ما يعرف أنفه من وجهه، وحمل إلى منـزله في ثوب فأقامَ برهةً لا يتكلمُ ولا يتحرك حتى ظنوا موتـه، وفعل بغيـره الأفاعيل كما يأتي تفصيلـه. وقول الناظم: (وأسلم) بضم الهمزة وتخفيف اللام المكسورة.

ثـمَّ مـضى يجهرُ بالتـوحيـد	**ولا يخـافُ سَطوةَ الـعبيد**
وأجمعـتْ قـريـش أن يقولـوا	**ساحرًا احـذروا وعنـه ميلـوا**
وقَعـدوا فـي زمـن الْمَـواسم	**يُحـذرونَ منـه كـلَّ قـادم**
وافتَـرقَ النـاس فَشـاع أمـرُهُ	**بيـنَ القبـائـل وسـارَ ذكـرُهُ**

ثم مضى رسول الله على حاله يجهر بكلمة التوحيد ويدعو إلى الإسلام الخاص والعام ولا يخافُ سطوة العبيد السوء فكان يطوف على الناس في منازلـهم وفي المجامع والمحافل ويقول: «**إن الله يأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، قولوا: لا إله إلا الله**»، ووراءه عمه أبو لهب يكذبه ويقول: هذا يأمركم أن تتركوا دينكم ودين آبائكم فلا تفعلوا.

---

(١) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية (١٠١/٢) عن ابن إسحاق عن يعقوب بن عتبة.. فذكره. وهذا إسناد ضعيف؛ لأن يعقوب بن عتبة من كبار أتباع التابعين، فالحديث ضعيف معضل. والله أعلم.

ثم إن الوليد بن المغيرة اجتمعت إليه قريش وقد حضر الموسم فقال: يا معشر قريش إن وفود العرب ستقدم عليكم فأجمعوا في صاحبكم رأيًا ولا تختلفوا فيكذب بعضُكم بعضًا، قالوا: فأنت فقل، قال: بل أنتم فقولوا أسمع، قالوا: نقول كاهن، قال: والله ما هو بكاهن، قد رأينا الكهان فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: مجنون قال: ما هو بمجنون رأينا الجنون وعرفناه فما هو بخنقه ولا تخالجه ولا وسوسته، قالوا: شاعر قال: ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر رجزه وهزجه وقريضه ومقبوضه ومبسوطه، قالوا: ساحر قال: ما هو بساحر قد رأينا السحار وسحرهم فما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما تقول؟، قال: والله إن لقوله لحلاوة وإن أصله لعذق -بسكون الذال المعجمة- استعارة من النخلة التي ثبت أصلها، ورواية ابن هشام -بفتح الغين وكسر الدال المهملة- من الغدق -وهو الماء الكثير- وإن فرعه لجنـــاة -بالجيم والنون- أي: فيه ثمر يُجتَنى، وما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا أعرف أنه باطل وأقرب ما يقال أن تقولوا: ساحر يفرق بين المرء وأبيه وأخيه وزوجته فاحذروا سحره وميلوا واعدلوا عنه، فتفرقوا على ذلك وجعلوا يقعدون بالسبل في زمن الموسم يحذرون منه كل وافد وقادم فكل من مرَّ بهم وصفوه له وحذروه منه فافترق الناسُ بـــخبره وصدرت العرب من ذلك الموسم يتحدثون في شأنه فشاع أمره وسارَ أي: انتشر في الآفاق ذكرُه.

۞ ۞ ۞

باب ذكر وفـــد نَجْران

بفتح النون وسكون الجيم بلدة من بلاد همدان من اليمن سميت باسم بانيها نجران ابن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان، والوفد بسكون الفاء الجماعة الواردون على نحو أمير أو وزيرٍ أو ملك بنحو رسالة أو تعرف خبره.

وجاءَ مِنْ نَـــجرانَ قَومٌ أَسْلمـــوا ... عدتُـــهُمْ عشرونَ لَمَّـــا عَلِمُوا

بصدقـــه جَاءَ أبـــو جَهـــلٍ فَسَبْ ... وأَقْذَعَ القـــولَ لَهُم بـــلا سبب

فـــأعرَضُوا وقـــولُـــهم سَـــلامُ ... ليـــسَ لَنـــا مَعْ جَـــاهلٍ كـــلام

قال ابن إسحاق: جاء من نصارى نَجران عشرون رجلاً إلى رسول الله وهو بمكة حين بلغهم خبره من الحبشة فوجدوه بالمسجد فقعدوا إليه وكلموهُ وسألوهُ عن أشياء

فدعاهم إلى الله وتــلا عليهم القرآن ففاضت أعينهم من الدمع مما عرفوا من الحق واستجابوا له وأسلموا لَما علموا بصدقه وعرفوه بوصفه في كتبهم.

وكان رجال من قريش حول الكعبة ينظرون فجاء أبو جهل فسب الوفد وقال: خيبكم الله من ركب بعثكم من وراءكم من أهل دينكم لتأتوهم بخير الرجل فلم يطمئن مجلسكم عنده حتى فارقتم دينكم.

وقول الناظم: (وأفدع) بسكون الفاء وفتح الدال المهملة أي: أفحش أبو جهل القول لَهم بالسب بغير سبب موجب لذلك فأعرضوا عنه، وكان قولــهم له سلامٌ عليكم لا نجاهلكم ليس لنا مع من هو جاهل كلام لنا ما نحنُ عليه ولكم ما أنتم عليه قبل، وفيهم نزل: ﴿**سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ**﴾ [القصص: ٥٥].

۞ ۞ ۞

باب ذكر قُدوم ضماد بن ثعلبة عليــه

ويُقال ضمام وكان في سنة خمس أو تسع من النبوة.

ثُـــمَّ أتى ضمـــادُ وهُوَ الأزْدي ... لِيَسْتَبِـــينَ أمْـرَهُ بـــالنَّقْـــد

مَـــا هُوَ إلاَّ أنْ محمـدٌ خَطَـــبْ ... أسْلَـــم للـوقت بصِـدْقٍ وَذَهَبْ

ثم أتى إلى رسول الله ضماد بن ثعلبـــة وهو الأزدي لا السعدي نسبة إلى الأزد واسمه دار بن الغوث ويُقال بالسين، وكان ضماد صاحبًا للنبي ﷺ في الجاهلية يطبب ويرقي ويطلب العلم فقدم مكة ليستبين أمره بالنقد وذلك أنه سمع من سفهاء مكة يقولون محمد مجنون، فقال: لو لقيته لعل أن يشفيه الله على يدي. فلقيه فقال: يا محمد أرقيك لعل الله يشفيك فما هو إلا أن المصطفى خطب فقال: «**الحمدُ لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل لــه ومن يضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلــه إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد**»[1] فقال: أعد فأعادها ثلاثًا فأسلمَ للوقت بصدق وإخلاص وذهب إلى قومــه.

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٨) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

باب ذكر أذى قريش لنبي الله ﷺ وللمستضعفين الذين اتبعوه

وأوذي النبيُّ ما لَم يُوذا ... من قبله من النبيين وَ ذَا

مِمَّا يُضاعفُ له الأجورا ... ولو يَشَاءُ دُمِّروا تَدْميرا

لَكنهم إذ أضمروا الضَّغائنا ... ما مُكِّنوا فاستضعفوا مَنْ آمنَا

عَمَّارًا الطيب أمّه أبهْ ... أمَّ بلال وبلالاً عذَّبه

أميةٌ ومنهم جاريةُ ... ومنهم زنبرة الرُّوميّة

كذاك أم عنبس وابنتُها ... وابنُ فُهيرة فذي سبْعتُهَا

ابتاعَها الصديقُ ثم أعتَقْ ... جَميعهُمْ لله بَرَّ وَصَدَقْ

لقد أوذي النبي من كفار قريش ما لَمْ يؤذ به أحد من النبيين وذلك مما يُضاعف الله به الأجور ويُضاعف به العذاب على أهل الفجور، ولو يشاء الله دمروا بالبناء للمفعول تدميرًا أي: أهلكوا هلاكًا فظيعًا.

فقد بعث الله له ملك الجبال فقال له: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين، فقال: «**بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبده**»[١] وقد كانوا يضمرون له الضغائن في قلوبهم لكنهم لم يمكنوا من إيقاع ما أضمروه، فاستضعفوا من آمن بالله وبرسوله.

وقول الناظم: (عمارًا) بنصبه بدل مما قبله أي: وممن أوذي من المستضعفين عمار ابن ياسر فعذبوه حتى تكسرت بعض أضلاعه وهو ثابت على دين الإسلام لا يتزلزل ومن ثم وصفه الناظم (بالطيب) بالتشديد، وعذبوا أمه سمية بنت حاطب وطعنها أبو جهل بحربة في قُبُلِهَا فماتت فكانت أول شهداء الإسلام، وعذبوا أبه بالقصر وأصله أباه وهو ياسر بن عمار الصابر ومر عليهم رسول الله وهم يعذبون فقال: «**صبرًا آل ياسر موعدكم الجنة**»[٢].

ومِمَّن عذب في الله وابتاعهم أبو بكر الصديق ثُمَّ أعتقهم سبعة فالأول والثاني منهم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٢٣١)، ومسلم (١٧٩٥) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٧٤٢) من حديث أم سلمة بنت أبي أمية -رضي الله عنها-، وانظر القصة في السيرة النبوية لابن هشام (٢١٧/١).

أم بلال وابنها بلال بن رباح المؤذن عتيق الصديق واسم أمه حمامة، وهذان عَذَّبَهُمَا أمية ابن خلف وبالغ في تعذيبهما وبلال مع ذلك يقول أحد أحد.

فقول الناظم: (أم بلال وبلالاً) بالنصب، والثالث منهم جارية أم عمرو من بني الموسل حيٌّ من بني عدي، والرابع منهم زنبرة بزاي ونون ساكنة فباء موحدة وراء مهملة الرومية كانت لبني عبد الدار، فلَمَّا أسلمت عميت فقال الكفار أعمتها اللات والعزى فردَّ الله عليها بصرها، الخامس أم عنبس بفتح فسكون بضبط الناظم فتاة لبني تميم بن مرة أسلمت فعذبت، السادس ابنتها، السابع عامر بن فهيرة عبد لطفيل، فهذه السبعة ابتاعها الصديق ثم أعتقهم جميعهم لله وقد بر وصدق في كونه فعل ذلك لله.



بابُ ذكـر انشقاق القمـر

وإذ بَغَتْ منهُ قريشٌ أنْ يُري	آيًا أراهُم انشـقاق القَمـر
فصـارَ فـرقتين فرقـةٌ عَـلَتْ	وفرقـةٌ للطودِ منـه نـزلتْ
وذاكَ مـرتين بـالإجمـاع	والنـص والتواتـر والسماعـي
زاد الـذين آمنـوا إيمـانًا	ولأبـي جهـلٍ بـه طُغْيـانًا
وقـال ذا سـحرٌ فجاءَ السفْـرُ	كلٌّ بـه مُصـدّقٌ مُـقرُّ

ولَمَّا بغت أي طلبت قريش من النبي ﷺ أن يريهم آيًا جمع آيـة أي علامَة على صدق في دعواه النبوة أراهم انشقاق القمر بمكة ليلة أربع عشرة، فصار فرقتين فرقة فوق جبل أبي قبيس وفرقة دونه، وهو مراد الناظم بقوله: «فرقة علت وفرقة للطود منه نزلت» والطود الجبل، ووقع انشقاقه مرتين كما رواه الترمذي وغيره(١).

وهذا أمر بالإجماع لا نزاع فيه لثبوته بنص القرآن والسنة وبلغ حد التواتر وحصل به العلم اليقيني السماعي أي بالسماع من الجم الغفير، ولا التفات لطعن الزنادقة فيه بأنه لو كان للزم مشاركة أهل الأرض في إدراكه؛ إذ لا يلزم ذلك إلا لو استوى أهل الأرض في مطلع واحد على أن زمنه لَمْ يطل حتى تتوفر الدواعي إلى النظر إليها، فزاد انشقاق القمر

---

(١) أخرجه البخاري (٤٨٦٤)، ومسلم (٢٨٠١) من حديث ابن مسعود ﷺ.

. الذين آمنوا إيمانًا وحصل به لأبي جهل ومن معه طغيانًا وقالوا هذا سحر فابعثوا إلى الآفاق لتنظروا أرأوا ذلك أم لا؟ فأخبروا أنّهم رأوه كذلك، وجاء السفر بسكون الفاء أي المسافرون من الآفاق كل منهم مصدق مقر بانشقاقه فقالوا رأيناه عيانًا.

تنبيه: ما جرى عليه الناظم هنا من انشقاق القمر مرتين وحكايته فيه الإجماع تعقبه فيه تلميذه الحافظ ابن حجر[١] بأنه لا يعرف من جزم من علماء الحديث بتعدد الانشقاق في زمنه عليه السلام ولم يتعرض لذلك أحد من شراح الصحيحين لكن خرّجه مسلم[٢] من حديث شعبة عن قتادة بلفظ: «فأراهم انشقاق القمر مرتين» وهكذا أخرجه أحمد عن عبد الرزاق[٣] وأكثر الروايات: «فرقتين أو فلقتين» بالراء أو اللام، وقد أوّلت رواية مرتين بأن المرات يراد بها الأفعال تارة والأعيان أخرى والأول أكثر، قال ومن الثاني انشق القمر مرتين وقد خفي على البعض فادعى أن انشقاقه وقع مرتين وذلك مما يعلم أهل الحديث والسير أنه غلط فإنه لم يقع إلا مرة واحدة. انتهي

قال ابن كثير في رواية مرتين[٤] : لعل قائلها أراد فرقــتين.

قال الحافظ ابن حجر[٥] وعبارة الناظم تحتمل التأويل فإنه جمع بين مرتين وفرقتين ويمكن أن يتعلق قوله بالإجماع بأصل الانشقاق لا بالتعدد مع أن في نقل الإجماع في نفس الانشقاق نظرًا.

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: فتح الباري (٨/ ١٨٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٢) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده.(١٢٢٧٧) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٤) نقله الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٧/ ١٨٣).

(٥) فتح الباري (٧/ ١٨٣).

باب ذكر الهجرتين إلى النجاشي ملك الحبشة

واسمه أصحمة والنجاشي لقب لكل من ملك الحبشة، وذكر حصار الكفار لبني هاشم في الشعب بكسر الشين وأصله الطريق في الجبل.

لَمَّا فشـا الإسـلام واشتد على — من أسلمَ البـلاء هـاجـروا إلى
أصْحَمَة في رجب مـنْ سنـة — خمس مـضت لَهُمْ مـن النبـوة
خمس مـن النسـاء واثنا عشرًا — مـن الرجـال كـلهم قد هاجروا
عثمـانُ مـع زوجتـه رُقَيَّـةْ — أسبقهُم للـهجرة الـمرضيّـة
مصـعب والزبيـر وابـن عـوف — وحاطب فـآمنوا مـن خـوف
كـذا ابـنُ مظعون ابنُ مسعود أبو — سلَمـة وزوجُـهُ تُصَـاحـبُ
أبـو حُـذَيْفـة أبوهُ عُتْبـةُ — وزوجُـهُ بنتُ سُهَيْلٍ سَهـلـة
وابنُ عمـير هـاشم وعـامـرُ — ابـنُ ربيعـةَ الحليـفُ الـناصر
وزوجـه ليلـى أبـو سَبْـرَةَ مَعْ — زوجتـه أي أمّ كلثوم جُمَـع

لَمَّـا فشا الإسلام أي ظهر وانتشر اشتد على من أسلم البلاء والتعذيب فقال لهم النبي: «تفرقوا في الأرض فسيجمعكم الله» قالوا: إلى أين نذهب قال: «هاجروا إلى أرض الحبشة فإن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجًا»[1]. فخرج عند ذلك المسلمون فرارًا بدينهم إلى الله وهي أول هجرة كانت في الإسلام فمنهم من هاجر بأهله ومنهم من هاجر بنفسه، فقدموا على أصحمة بمهملات وهو النجاشي في شهر رجب سنه خمس من النبوة وعدَّتهم سبعة عشر خَمس من النساء واثنا عشر من الرجال.

وما ذكر من أن النساء خمس هو ما جرى عليه ابن سيد الناس[2] مستدركًا على ابن إسحاق في قوله أربعـة، وذكر القطب الحلبي في شرح سيرة عبد الغني أربعة بإسقاط أم كلثوم. وأول من هاجر إليها عثمان ومعه زوجه رقية بنت المصطفى.

وممَّن هاجر بنفسه مصعب بن عمير والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف

---

(١) انظر: فتح الباري (١٨٨/٧).
(٢) انظر: عيون الأثر، لابن سيد الناس (١٣٦/١).

وحاطب بن عمرو، فأمنوا بالقصر بِهجرتهم من الخوف، وكذا اعدد ممن هاجر بنفسه عثمان بن مظعون وعبد الله بن مسعود، وهاجر أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي ومعه زوجته أم سلمة هند بنت أبي أمية المعروف بزاد الركب.

وقول الناظم: (تصاحب) حشو كمل به الوزن. وممن هاجر بنفسه وأهله أبو حذيفة واسمه مهشم أو هشيم أو هاشم وأبو هاشم عتبة ومعه زوجته وهي بنت سهيل مصغرًا ابن عمرو واسمها سهلة، ومنهم مصعب بن عمير مصغرًا ابن عبد مناف وعامر ابن ربيعة حليف آل الخطاب بن نفيل الناصر لدين الله واسم زوجة عامر ليلى بنت أبي خيثمة العدوية، وأبو سبرة بفتح فسكون ابن عبد العزى العامري ومعه زوجته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو.

وقول الناظم: (جمع) بضم الجيم وفتح الميم أي: جميع هؤلاء المذكورين من رجال ونساء هاجروا الهجرة الأولى للحبشة وهو حشو كمل به الوزن، والألف في قوله: (واثنا عشرا) للإطلاق.

وخَرَجَت قريشٌ في الآثار	لم يصلوا منهم لأخذ الثَّار
فجاوَرُوهُ في أتمِّ حال	ثُمَّ أتوْا مكة في شَوَّال
من عامهم إذ قيل أهل مكة	قد أسلموا ولم يكن بالثَّبَت
فاستقبلوهم بالأذى والشدة	فرجعوا للهجرة الثانية
في مائة عَدُّ الرجالُ منهم	اثنان من بعد الثمانين هُمُ
فنزلوا عند النجاشي عَلى	أتم حال وتغيَّظَ الْمَلا

وخرجت كفار قريش في آثار المهاجرين فلم يدركوهم ولَمْ يصلوا منهم لأخذ الثأر، وتلقاهُم النجاشي بالإكرام فجاوروه على أتم حال وعبدوا الله جهرًا وهم في أمان، ثُمَّ إن رسول الله في رمضان تلك السنة قرأ: ﴿وَالنَّجْمِ﴾ [النجم: ١]، حتى بلغ ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى﴾ [النجم: ٢٠]، ألقى الشيطان على اللسان «تلك الغرانيق العلا وإن شفاعتهن لترتجى»[1] ثم قرأ السورة وسجد وسجد القوم، وقالوا: عرفنا أن الله يحيي ويميت لكن آلهتنا تشفعُ لنا عنده فإن جعلت لَها نصيبًا فنحنُ معك.

---

(١) وهذه القصة موضوعة مكذوبة، ولا يصح منها شيء، وقد جمع طرقها وفصلها بما لا مزيد عليه، العلامة الألباني -رحمه الله- في رسالة له بعنوان «نصب المجانيق في نسف قصة الغرانيق» فلتُنظر.

فكبـر ذلك على رسول الله فلما أمسى أتاهُ جبـريل فعرض عليه السورة فأوحى الله إليه ﴿وَإِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٧٣]، ففشت تلك السجدة في الناس حتى بلغت الحبشة فرجع المهاجرون حتى أتوا إلى قرب مكة في شوال فإنَّهم خرجوا في رجب وعادوا في شوال من عامهم الذي ذهبوا فيه إذ لقوا ركبًا من كنانة فقالوا لَهُم: قيل إن أهل مكة أسلموا فقال الركب: ذكر محمد آلـهتهم بخير فتابعه الـملا ثم ارتد عنها فعادوا له بالشر ولَم يكن إسلامهم بالثبت بفتح الموحدة أي: لم يثبت، فائتمر القوم بالرجوع ثُمَّ دخل كل واحد منهم بجوار إلا ابن مسعود فاستقبلتهم قريش بالأذى والشدة فرجعوا إلى الحبشة الهجرة الثانيـة وعدهم مائة نفس اثنان وثمانون رجلاً وثمانيـة عشرة امرأة، وقيل: أكثر، وقيل: أقل، فنـزلوا عند النجاشـي علـى أتم حال فلمّا علمت ذلك قريش بعثت عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة قيل وعمارة ابن الوليد بهدية إلى النجاشي وبطارقته وسألوهم ردَّهم إليهم، وابتدرا النجاشـي فجلس أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وقالا: أيُّها الملك إنه قد ضوى إلى بلادك منا جماعة سفهاء فارقوا دين قومهم ولَمْ يدخلوا دينك وجاءوا بدين ابتدعوه، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم عليهم فهم أعلمُ بِهم عيبًا وأعلمُ بما عابوا منهم وعاينوهم فيه.

فغضب النجاشي وقال: لا والله لا أسلمهم إليكما حتى أدعوهم فأسألهم فإن كانوا كما تقولون رددتهم إلى قومهم وإلا منعتهم منهم وأحسنتُ جوارَهم، فدعاهم فلمَّا جاءهم رسولـه ائتمروا فيما يقولون له فقالوا: نقولُ ما عُلّمناهُ وما أمرنا به نبينا كائنًا في ذلك ما هو كائنٌ، فسألهم وقد دعا أساقفته ونشروا مصاحفهم حوله فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال: أيها الملك كنا أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكلُ الميتة ونأتي الفواحش ونقطعُ الأرحام ونُسيء الجوار ويأكلُ القوي الضعيف حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرفُ نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونخلع ما كان يعبدُ أباءونا من الحجارة والأوثان.

وأمرنا بصدق الحديث وأداء الأمانة وصلة الأرحام وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله ولا نُشرك به شيئًا، وبالصـلاة والزكـاة والصيام وعدد أمور الإسلام

فآمنا به واتبعناهُ فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردونا إلى عبادة الأوثان واستحلال الخبائث، فلمَّا قهرونا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إليك واخترناك على من سواك ورجونا أن لا نظلم عندك.

فقال النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله شيء، قال: نعم فقرأ صدرًا من (كهيعص) فبكى النجاشي وبكت أساقفته حتى أخضَلوا مصاحفهم أي بلُّوها بالدموع ثُمَّ قال النجاشي: والله إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة، انطلقا فلا أسلمهم أبدًا، فلمَّا خرج قال عمرو: لآتينه غدًا بما استأصل به خضراءهم، ثم غدا عليه فقال: إنهم يقولون في عيسى قولاً عظيمًا فأرسل إليهم فسألَهُم.

فقال جعفر: نقول الذي جاء به نبينا هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته ألقاها إلى مريم العذراء البتول، فضرب النجاشي يده إلى الأرض فأخذ منها عودًا ثم قال ما عدا عيسى مما قلت هذا العود، فتناخرت بطارقته حوله حين قال ما قال فقال: وإذ تناخرتم فاذهبوا فأنتم شيوم بأرضي أي آمنون فما أحب أن لي ديرًا من ذهب أي جبلاً وإني آذيتُ رجلاً منكم ردوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بها، فما أخذ الله مني الرشوة حين ردّ عليّ مُلكي وما أطاع الناس فيّ فأطيعهم فيه. مرحبًا بكم وبمن جئتم من عنده، فخرجا من عنده مقبوحين مردودًا عليهما ما جاءا به، وأقام المسلمون عنده بخير دار مع خير جار واستمروا حتى قدموا على المصطفى بخيبر[1].

وقوله: (وتغيظ الملا) يأتي شرحه مع ما بعده.

على النبي وعلى أصحابه	وكتب البغيضُ في كتابه
عَلَى بَني هاشم الصحيفةْ	وعُلّقت بالكعبة الشريفةْ
أن لا تناكحوهم ولا ولا	وحُصروا في الشعب حتى أقبَلا
أولُ عام سبعة للبعث	قاسوا به جهدًا بشر مُكث
وسُمعت أصواتُ صبيانِهم	فساءَ ذاكَ بعضَ أقوامِهمُ
وأطلع الرسولُ أن الأرضَة	أكلت الصحيفة المُبَغَّضةْ

(١) انظر: القصة في السيرة النبوية لابن هشام (٢١٧/١).

ما كان من جـــور وظلـم ذهبـا	وبقـي الـذكر كما قد كُتبــا
فوجـدوا ذاك كمـا قـال وقَدْ	شُلّتْ يَدُ البغيـض والله الصمدْ
فلبســوا السـلاح ثـم خـرجوا	مـن شعبهـم وكان ذاك الْمَخرجُ
في عـام عشـرة بغـير مَيْنِ	وقيل كان مُكثُهُم عـامين

وتغيظ الملأ من قريش على النبـي وعلى أصحابه في هلال محرم سنة سبع من البعثة لَمَّا بلغهم إكرام النجاشـي لأصحابـه ورد هديتهم عليهم، وكتبوا كتابًا على بنـي هاشم وعلق في الكعبة وكان كاتب الصحيفة البغيض ابن عامر بن هاشم بن عبد مناف ابن عبد الدار بن قصي، فكان مما كتب: أن قريشًا لا تناكحوهم ولا تبايعوهم ولا تُخالطوهم إلا أن يُسلموا محمدًا ليقتل، فأبى بنو هاشم وظاهرهم بنو المطلب، وأجمع المشركون علـى إخراجـهم من مكـة إلى شعب أبي طالب فحصروا بنـي هاشم والمطلب فيـه مؤمنهم وكافرهم فالمؤمن دينًا والكافر حميـةً.

وكان دخولـهم فيه حين أقبل أي: أهل هلال المحرم عام سبع من البعثة، وخرج أبو لـهب إلى قريش فظاهرهم على أهله وقطعوا عنهم الْمَيـرة والمارة ومنعوا عنهم الأسواق وأصروا على أن لا يقبلوا منهم صلحًا أبدًا مـا لَمْ يسلموا محمدًا ليقتل، وصار المحصرون لا يخرجون إلا من الموسم إلى المـوسم فقاسَوا بذلك جهدًا أي: مشقةً وبلاءً، ومكثوا فيـه ثلاث سنين مع ضيق العيش والجوع والأذى.

وقول الناظم: (وسمعت) بالبناء للمجهول أي: وسمعت كفار قريش أصوات صبيانهم يتضاغون من وراء الشعب من شدة الجوع فساء ذلك بعضهم وتلاوم قوم من قصي ممن ولدته بنو هاشم ومن سواهـم، فمشى أبو البختري العاص بن هشام والمطعم بن عدي وهشام بن عمرو بن الحارث العامري، وزهير بن أمية في نقض ذلك فلبسوا السلاح وأخرجوهم من الشعب مرغمين لـمن خالفهم في ذلك.

هذا ما حكاه بعضُ أهل السير، وساق أبو الفتح بن سيد الناس[1] القصـة على وجه آخر: وهو أنه لَمَّا اشتد عليهم البلاء أطلع الله رسوله على أن الأرضـة أكلت جميع ما في الصحيفة من ظلم وشرك وقطيعة رحم وبهتان فلم يبق منه شيء وبقي ما فيها من

---

(١) انظر: عيون الأثر (١/١٤٧).

ذكر الله ورسوله كما كتب لم يتغير منه شيءٌ، فأخبر المصطفى بذلك عمه أبا طالب فقال أبو طالب: لا والثواقب ما كذبتني، فانطلق في عصابة من بني عبد المطلب حتى أتوا المسجد فظنت قريش أنهم خرجوا من شدة البلاء ليسلموا رسول الله إليهم ليقتل فقال أبو طالب: يا معشر قريش قد جرت أمور بيننا وبينكم لم نذكرها فائتوا بالصحيفة التي فيها مواثيقكم فلعل أن يكون بيننا وبينكم صلحٌ فأتوا بها معجبين لا يشكون أن محمدًا يدفع إليهم، فوضعوها بينهم وقالوا لأبي طالب: قد آن لكم أن ترجعوا عما أحدثتم علينا وعلى أنفسكم فقال: إنَّما أتيتكم في أمر هو نصفٌ بيننا وبينكم أخبرني ابن أخي أن هذه الصحيفة بعث الله عليها دابة فلم تترك فيها إلا ذكر الله ورسوله فإن كان كما قال فلا والله لا نسلمه حتى نَموت من عند آخرنا، وإن كان باطلاً دفعناهُ إليكم فقتلتم أو استحييتم، قالوا: رضينا بالذي تقول ففتحوها فوجدوا الصادق المصدوق أخبر بخبرها قبل فتحها فقالوا: هذا سحر ابن أخيك وزادهم بغيًا وعدوانًا، ولأبي طالب في قصة الشعب أشعار منها:

ألا أبلغا عني التي ذات بيننا ... لؤيًّا وخصا من لؤي بني كعب
ألم تعلموا أنا وجدنا محمدًا ... نبيًّا كموسى خُطَّ في أول الكتب
وأنَّ عليه في العباد محبةً ... ولا خيرَ ممن خَصَّه الله بالحُب

وهي طويلة؛ ولَمَّا وقع ذلك في يدي البغيض كاتب الصحيفة شلت يده، وكان ذلك المخرج بفتح الميم والراء أي: خروجهم في عام عشرة مضت من البعثة بغير مَين بفتح الميم أي: كذب أو ريب، وقيل كان مكثهم فيه عامين فقط والأصح الأول.

وقول الناظم: (لا تُناكحوهُم) بضم الميم للوزن، وقوله: (وحُصروا وسُمعت وأطلع) بالبناء للمفعول، وقوله: (المبغضة) بفتح الغين المعجمة المشددة أي إلى بني هاشم وهو حشو كمَّل به الوزن، وكذا قوله: (ذهب)، وقوله: (والله الصمد) قسم.

۞ ۞ ۞

باب وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد زوجة المصطفى وذلك في عام واحد

بعدَ خروجهم بثلثي عام ... وثُلثي شهر ويوم طامي
سِيقَ أبو طالب للحِمَامِ ... ثُمَّ تَلى ثلاثة الأيام
موتُ خديجة الرضَا فلم يَهُنْ ... على الرسول فقد ذَيْنٍ وحَزَنْ

ثم مات أبو طالب بعد خروجهم من الشعب بثلثي عام وهي ثمانية أشهر وثلثي شهر ويوم وهي أحدٌ وعشرون يومًا كذا ذكره الناظم، فالموجود في السير أحد عشر يومًا وكان آخر كلامه: (هو على ملة عبد المطلب).

وفي الصحيح[1] ما يدل على موته كافرًا، وقد رويت له وصية قال من جملتها: وإني أوصيكم بمحمد خيرًا فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيتكم به وقد جاءكم بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنئان، وأيم الله كأني أنظرُ إلى صعاليك العرب وأهل البر في الأطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره فخاضَ بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها أذنابًا ودورها خرابًا وضعفاؤها أربابًا، وإذا أعظمهم عليه أحوجهُم إليه وأبعدهم منه أحظاهم عنده، وقد مَحَّضَته العرب ودادَها وأعطته قيادها دونكم، يا معشر قريش والله لا يسلك أحد منهم سبيله إلا رشد ولا يأخذ بهديه إلا سعد، ولو كان لنفسي مدة ولأجلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ودافعتُ عنه الدواهي ومن نظمه:

ودعوتني وعلمت أنك صادقٌ ... ولقد صدقت وكنت ثَمَّ أمينا
ولقد علمت بأن دين محمد ... من خير أديان البرية دينًا
والله لن يصلوا إليك بأسرهم ... حتى أوسدَ في التراب رهينا
فاصدع بأمرك ما عليك غضاضة ... وابشر بذاك وقَرَّ منه عيونا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لوجدتني سمحًا بذاك مُبينَا

فلَمَّا مات نالت قريش من المصطفى ما لم تكن تناله ولا تطمع فيه، حتى

---

(١) أخرجه البخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤) من طريق سعيد بن المسيب، عن أبيه.... فذكره.

اعترض سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه ترابًا فدخل رسول الله ﷺ بيته والتراب على رأسه فقامت إليه إحدى بناته فجعلت تغسلُ عنه التراب وهي تبكي ورسول الله ﷺ يقول لها: «**لا تبكي يا بنية فإن الله مانع أباك**»، ويقول بين ذلك: «**ما نالت مني قريش شيئًا أكرهه حتى مات أبو طالب**»[1]، فبلغ ذلك أبا لهب فقال له: يا محمد امض لما أمرت وما كنت صانعًا إذ لو كان أبو طالب حيًّا فاصنعه، لا واللات والعزى لا يوصل إليك حتى أموت فمكث كذلك أيامًا لا يتعرض له أحدٌ هيبة لأبي لهب، فجاءه عقبة بن أبي معيط وأبو جهل فاحتال عليه بقوله: إن من سلف من قريش في النار فقال: والله لا برحت لك إلا عدوًا واشتد أبو لَهب وجميع قريش عليه حتى قال أبو جهل: أعاهد الله لأجلسن له غدًا بحجر ما أُطيق حمله فإذا سجد في صلاته رضختُ به رأسه فأسلموني عند ذلك أو امنعوني فليصنع بنو عبد مناف ما بدا لهم، قالوا: لا نسلمك أبدًا فامض لِما تريد، فلمّا أصبح أخذ حجرًا كما وصف ثُمَّ قعد ينتظره، وغدا رسول الله كما كان يغدو فلمّا جلس احتمل أبو جهل الحجر حتى إذا دنا منه رجع منهزمًا منتقعًا -بالبناء للمفعول- لونه، مرعوبًا قد يبست يداه على حجره حتى قذفه من يده وقامت إليه رجال قريش فقالوا: ما لك يا أبا الحكم، قال: قمتُ إليه لأفعل ما قلت فلما دنوتُ منه عرض لي دونه فحلٌ من الإبل ما رأيتُ مثل هامته فهمّ بي أن يأكلني فقال المصطفى: «**ذاك جبريل لو دنا لأخذه**».

ثم انضم إلى ذلك موت خديجة الكبرى أم المؤمنين فإنه تلا موت أبي طالب بثلاثة أيام وهي الرضى أي المرضية عند المصطفى فقد كانت وزير صدق على الإسلام وكان المصطفى يسكنُ إليها، وقيل: ماتت بعده بِخمسة أيام، وقيل: قبله بِخمسة وثلاثين يومًا، وقيل: غيرُ ذلك.

وقول الناظم: (يهُن) بضم الهاء وكسرها بفتح المثناة التحتية قبلها للمناسبة أي: عسر على رسول الله ﷺ فقد هذين الشفوقين المساعدين القائمين معه، ونالت قريش منه الأذى ما لَمْ تطمع فيه من قبل، وحزن لموتهما حزنًا شديدًا وسمي ذلك العام عام الحزن لتوالي هاتين المصيبتين عليه فيه، وأقلّ الخروج ولزم بيته، ثم خرج إلى الطائف ومعه زيد

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (١/٥٥٤).

ابن الحارث فقط يلتمس النصرة والمنعة من ثقيف فأقام بالطائف عشرة أيام فما ترك أحدًا من أشرافهم إلا اجتمع به، فلم يجيبوهُ وسلطوا سفاءهم وصبيانهم عليه فقعدوا له بالطريق صفين يضربونه بالحجارة في رجليه حتى أدموهما وزيد يقيه بنفسه حتى شج في رأسه فلمّا خلص عمد إلى حائط فاستظل في ظل حبلة بتحريك المهملة والموحدة وقد تسكن شجرة عنب وكان فيه عتبة وشيبة ابنا ربيعة فكرِه مكانَهما لما يعلم من عداوتهما له فقال: «**اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربي إلى من تكلني إلى عدو يتجهمني أم إلى عدو ملكته أمري، إن لَمْ يكن بك غضبٌ عليَّ فلا أبالي ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذُ بنور وجهك الذي أشرقت به الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينـزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك العُتْبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلا بك**»[(١)].

فأرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال فقال: إن شئت أطبقت عليهم الأخشبين. فقال: «**لا، بل أرجو أن يُخرج الله من أصلابِهم من يعبد الله**»[(٢)]، فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فبعثا قطفًا من عنب مع غُلام لهما نصراني اسمه عدّاس فلمّا وضعه بين يديه قال: «**باسم الله**» ثم أكل، فنظر عداسٌ في وجهه ثم قال: إن هذا الكلام لا يقوله أهل هذه البلاد فقال له المصطفى: «**ومن أي البلاد أنت**» قال: نصراني من أهل نينوى، قال: «**أمن قرية الرجل الصالح يونس بن متي**»؟ قال: وما يدريك ما يونس؟، قال: «**ذاك أخي كان نبيًا وأنا نبيٌّ**» فأكب عداس عليه فقبل رأسه ويديه فلما جاءهما قالا له: ما لك تقبل رأسه ويديه قال: ما في الأرض خير منه قد أعلمني بأمر لا يعلمه إلا نبيٌّ. قالا: ويلك لا يصرفنك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

ثم انصرف من الطائف فصار إلى حراء وبعث إلى الأخنس بن شريق ليجيره فأبى، فبعث إلى سهيل بن عمرو فقال: إن بني عامر لا يجيرون على بني كعب، فبعث إلى المطعم بن عدي فأجابه ثم تسلح وأهل بيته وخرجوا حتى أتوا المسجد ثم بعث إلى رسول الله أن ادخل فلما دخل طاف ثم انصرف إلى منـزله.

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام (٣٥٠/١)، والحديث ذكره الهيثمي في المجمع (٣٥/٦)، وقال: أخرجه الطبراني، وفيه ابن إسحاق وهو مدلس، وبقية رجاله ثقات. اهـ
وضعفه العلامة الألباني -رحمه الله- في ضعيف الجامع (١١٨٢).

(٢) تقدم تخريجه.

باب ذكر وفد الجن من جن نصيبين

وبعـــد أنْ مَضَتْ لـــه خمســـونـا ... وربـــعُ عَـــامٍ جَاءَهُ يَسْعَـــونـــا
جنُّ نَصِـيْبِـيْنَ لـــهُ وكـــانـا ... يَقْرأُ فـــي صـلاتــه قُرآنـــا
بِنَخْلـــة فـــاستَمــــعُوا وأسْلـــموا ... ورجعُـــوا فأنـــذروا قَومـــــهُمُ

لَمَّا انصرف المصطفى من الطائف راجعًا إلى مكة نــزل إلى نخلة فقام يُصلي من الليل وكان إذ ذاك مضى له من عمره خمسون سنة وربع عام وهو ثلاثــة أشهر، جاءَهُ يسْعَون جنُّ نصيبين بالجزيرة هكذا في مسلم[1].

وفي تفسير عبد بن حميد: من نينوى (بنخلة) وهم تسعةٌ وكان يصلي فاستمعوا لقراءتـــه فلما فرغ أسلموا وولوا إلى قومهم منذرين فأنزل الله: ﴿**وإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الجِنِ**﴾ [الأحقاف: ٢٩] الآية.

وروي[2] من حديث أبي المعلى عن ابن مسعود قال: خرج رسول الله قبل الهجرة إلى نواحي مكة فخط لي خطًّا وقال: «**لا تحدثن شيئًا حتى آتيك**»، ثم قال: «**لا يروعنَّك أو لا يهولنك شيء تراه**»، ثم جلس فإذا رجال سود كأنَّهم رجال الزط -جيل أسود من الهند- وكانوا كما قال الله: ﴿**كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْه لِبَدًا**﴾ [الجن: ١٩]، فلوددت أن أقوم فأذب عنه بالغًا ما بلغتُ ثم ذكرتُ عهده فمكثتُ ثم تفرقوا عنه فسمعتهم يقولون: (يا رسول الله شُقَّتُنا بعيدة ونحنُ منطلقونَ فزودنا) الحديث؛ وفيه: فلما ولّوا قلت: من هؤلاء؟. قال: «**جن نصيبين**»، واختلف في تسميتهم على أقوال كثيرة.

والشُقَّــة بُعد تسير إلى الأرض البعيدة. وقول الناظم: (قرآنا) حشو كمل به الوزن، ونخلة غير منصرف لأنه اسم موضع بقرب مكة.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجـــه مسلم (٤٥٠).
(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٦/١٠).

باب ذكر قصة الإسراء

بمد الْهَمْزَة.

وبعد عام مَعَ نصف أُسْرِيا	به إلى السماء حتى حَظِيا
من مكة الغرَّا إلى القدس على	ظهر البُراق راكبًا ثُمَّ علا
إلى السماء معه جبريلُ	فاستفتح الباب له يقولُ
مجيبًا إذ قيل له من ذا معك	محمدٌ معي فرحَّب الملك
ثم تلاقى مع الأنبياء	وكل واحدٍ لدى سَماءِ
ثمَّ علا لمستوى قد سَمِعا	صَرِيفَ الأقلامِ بِما قد وقعا
ثم دنَا حتى رأى الإلها	بعينه مُخاطبًا شفاها
أوحى له سبحانه ما أوحى	فلا تسل عمَّا جرى تصريحا
وفرضَ الصلاة خمسينَ على	أمته حتَّى لخَمس نزلا
والأجرُ خمسونَ كما قد كَانا	وزاده من فضله إحْسَانا

اختلف في المعراج والإسراء هل كانا في ليلة أو ليلتين وأيهما كان قبل، وهل كان يقظة أو منامًا؟ بجسده أو بروحه مرة أو أكثر على أقاويل لا تكاد تحصى[1].

واختلف فيه متى كان فقيل: في ربيع الأول، وقيل: في الآخر، وقيل: في رجب، وقيل: في رمضان، وروى البيهقي[2] عن الزهري أنه كان قبل خروجه إلى المدينة بسنة، وكذا رواه ابن لهيعة فيكون في ربيع الأول، وروى الحاكم عن السُّدي أنه قبل الهجرة بستة عشر شهرًا فيكون في ذي القعدة؛ والذي جرى عليه الناظم أنه كان بعدما بلغ رسول الله إحدى وخمسين سنة ونصف سنة فأسري بجسده لا بروحه فقط على الأصح (إلى السماء حتى حظيا) بفتح الحاء المهملة والألف للإطلاق أي حظي عند ربه بالمنزلة الرفيعة.

واختلف في الموضع الذي أسري به منه فقيل: من شعب أبي طالب، وقيل: من بيت أم هانئ، وقيل: من الحجر بالمسجد الحرام (من مكة الغراء) أي المضيئة المشرق نورها إلى

---

(١) والصواب الذي تعضده الأدلة أن الإسراء والمعراج كانا في ليلة واحدة، وكانا بروحه وجسده ﷺ.

(٢) دلائل النبوة (٢/٣٥٤).

بيت المقدس راكبًا على البراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى بصره، فركبه حتى أتى بيت المقدس فربطه بالحلقة التي تربط بها الأنبياء، ثم دخل المسجد فصلى ركعتين ثم خرج وعلا إلى السماء ومعه جبريل فاستفتح له جبريل الباب فقال له خازن السماء: من ذا معك؟ قال: محمد. قيل: وقد بُعث إليه، قال: نعم، فرحب بشدة الحاء المهملة (الملك) بفتح اللام أي خازن السماء لما فتح له فدخل.

وقول الناظم: (ثم تلاقى مع الأنبياء) بوصل الهمزة وتحريك اللام للوزن أي لقي آدم وإدريس وهارون وموسى ويحيى وعيسى ويوسف وإبراهيم وكل منهم رحب به ودعا له، وقوله: (وكل واحد لدى سماء) أي: وكل واحد منهم في سماء ما عدا عيسى ويحيى فقد كانا في السماء الثانية معًا.

ثم خرق الطباق السبع ومعه جبريل وعلا لمستوى أي: مصعد يصعد عليه وسمع فيه صريف الأقلام أي: تصويتها حال الكتابة بما قد وقع أي: بما كان وما يكون، ثم دنا فتدلى[1]، حتى رأى الإله سبحانه بعين رأسه وقيل: بعين قلبه، وقيل: رأى نورًا[2] قال بعضُ المحققين: والمختار أنه رآه على أكمل ما يكون من الرؤيـــة فرآه حال كونه مخاطبًا له شفاهًا أي مشافهةً من غير واسطة فأوحى له سبحانه، فلا تسأل عما جرى بينهما من المخاطبة والمشاهدة تصريحًا بالكلام. وقوله: (فلا تسل) بفتح السين المهملة وحذف الهمزة للوزن.

و(فرض) الله من جملة ما أوحى إليه خمسين صلاة كل يوم وليلة عليه وعلى أمته، فلم يزل يرجع بإشارة موسى ويسأل ربه التخفيف ويخفف عنه حتى نزل بعد الخمسين إلى خمس صلوات وجعل أجر الخمسين كما كان فلم ينقص منه، والصحيح أن فرض الصلاة كان ليلة المعراج كما تقرر.

---

(١) والصحيح أن الذي دنى فتدلى هو جبريل عليه السلام، وما جاء في البخاري من رواية شريك: «ثم دنا الجبار رب العزة»، فلا يصح؛ حيث إن شريك بن عبد الله بن أبي نمر قد اضطرب في هذا الحديث وساء حفظه ولَمْ يضبطه، وقد قال الحافظ أبو بكر البيهقي: في حديث شريك زيادة تفرد بها على مذهب من زعم أنه ﷺ رأى الله ﷻ.. قال: «وقول عائشة، وابن مسعود، وأبي هريرة في حملهم هذه الآيات على رؤيته جبريل أصح..». انظر: تفسير ابن كثير (٣/٤).

(٢) والصحيح في هذه المسألة أن النبي ﷺ رأى ربه ولكن لَمْ يثبت أنه رآه ليلة المعراج. والله أعلم، وانظر: مسلم (١٧٨).

وقول الناظم: (وزاده من فضله إحسانًا) أي: له ولأمته هذا تقريرُ كلام الناظم.

قال عياض: وفي هذا أحاديث كثيرة منتشرة يزيد بعضها على بعض وأكملها حديث مسلم[1] عن أنس أن رسول الله قال: «أتيتُ بالبراق وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه، فركبته حتى أتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي يربط بِها الأنبياء، ثُمَّ دخلتُ المسجد فصليتُ فيه ركعتين ثم خرجتُ فجاءني جبريل بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترتُ اللبن فقال لي جبريل: اخترت الفطرة، ثم عرج بنا إلى السماء فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟ قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه، قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بآدم ﷺ فرحب بي ودعا لي بخير، ثم عُرج بنا إلى السماء الثانية فاستفتح جبريل فقيل: من أنت؟. قال: جبريل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه، ففتح لنا فإذا أنا بابني الخالة عيسى ابن مريم ويحيى بن زكريا -صلى الله عليهما- فرحبا بي ودَعَوا لي بخير. ثم عُرجَ بنا إلى السماء الثالثة فذكر مثل الأول ففتح لنا فإذا أنا بيوسف ﷺ وإذا هو قد أعطي شطر الحسن فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء الرابعة فذكر مثله فإذا أنا بإدريس فرحب بي ودعا لي بخير قال تعالى: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ [مريم: ٥٧].

ثم عرج بنا إلى السماء الخامسة فذكر مثله فإذا أنا بهارون فرحب بي ودعا لي بخير. ثم عرج بنا إلى السماء السادسة فذكر مثله فإذا أنا بِموسى فرحب بي ودعا لي بِخير. ثُمَّ عرج بنا إلى السماء السابعة فذكر مثله فإذا أنا بإبراهيم مسندًا ظهره إلى البيت المعمور وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه. ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال، قال فلما غشيها من أمر الله ما غَشِيَ تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليَّ ما أوحى، ففرض عليَّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة فنزلت إلى موسى فقال: ما فرضَ ربك على أمتك؟ قلتُ: خمسين صلاة، قال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف فإن أمتك لا يطيقون ذلك فإني قد بلوت بني إسرائيل وخبرتهم، قال: فرجعتُ إلى ربي فقلتُ: يا رب خفف عن أمتي فحط عني

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٢) من حديث أنس ﷺ، وفيهما عن غيره من الصحابة ﷺ.

خمسًا، فرجعتُ إلى موسى فقلت: حط عني خمسًا، قال: إن أمتك لا يطيقون ذلك، فارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، قال: فلم أزل أرجعُ بين ربي تعالى وبين موسى حتى قال: يا محمد إنّهن خمس صلوات كل يوم وليلة بكل صلاة عشر فتلك خمسون صلاة، ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لَمْ تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة. قال: فنــزلت حتى انتهيت إلى موسى فأخبرتــه فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فقال رسول الله ﷺ فقلت: قد رجعتُ إلى ربي حتى استحييت منه».

وفي حديث ابن شهاب: أن كل نبي قال: «مرحبًا بالنبي الصالح والأخ الصالح إلا آدم وإبراهيم قالا له الابن الصالح». وفي حديث ابن عباس: «ثم ظهرت بمستوى أسمع فيه صريف الأقلام».

وفي حديث مالك بن صعصعــة: «فلما جاوزتُ موسى بكى فنودي ما يبكيك؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي».

وفي حديث أبي هريرة[1]: «وقد رأيتني في جماعة من الأنبياء فحانت الصلاة فأممتهم، قال قائل منهم: يا محمد هذا مالك خازن النار فسلّم عليه فالتفتُ فبدأني بالسلام».

وفي حديث أبي هريرة أن الملائكة قالوا: «حيّاه الله من أخ وخليفة ونعم الأخ ونعم الخليفة»، وأنّهم لقوا أرواح الأنبياء فأثنوا على ربّهم وذكر كلام كل واحد منهم وهم إبراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان، وذكر كلام المصطفى فقال: وإن محمدًا أثنى على ربــه فقال: «كلكم أثنى على ربه وأنا أثني على ربي الحمد لله الذي أرسلني رحمة للعالمين وكافة للناس بشيرًا ونذيرًا، وأنــزل علي القرآن فيه تبيان كل شيء، وجعل أمتي خير أمة، وجعل أمتي أمة وسطًا هم الأولون وهم الآخرون، وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري وجعلني فاتحًا وخاتمًا، فقال إبراهيم: بهذا فضلكم محمد».

وفي طريق الربيع بن أنس أنه يخرج من أصل سدرة المنتهى أنــهار من لبن لــم يتغير طعمه وأنــهار من خمر لذة للشاربين وأنــهار من عسل مصفى، وهي شجرة يسيرُ الراكبُ في ظلها سبعين عامًا، وأن ورقة منها مظلة الخلق فقال تبارك وتعالى له: سل،

(١) أخرجه مسلم (١٧٢).

فقال: إنك اتخذت إبراهيم خليلاً وأعطيته ملكًا عظيمًا وكلمت موسى تكليمًا، وأعطيت داود مُلكًا عظيمًا وألنت له الحديد وسخرت له الجبال، وأعطيت سليمان ملكًا عظيمًا وسخرت له الإنس والجن والشياطين والرياح وأعطيته ملكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وعلمت عيسى التوراة والإنجيل وجعلته يبرئ الأكمه والأبرص وأعذته وأمه من الشيطان فلم يكن له عليهما سبيل، فقال له ربه قد اتخذتك خليلاً حبيبًا فهو مكتوب في التوراة محمد حبيب الرحمن وأرسلتك إلى الناس كافة، وجعلتُ أمتك هم الأولون والآخرون، وجعلتُ أمتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا أنك عبدي ورسولي، وجعلتك أول النبيين خلقًا وآخرهم بعثًا، وأعطيتك سبعًا من المثاني ولم أعطها نبيًا قبلك، وخواتيم سورة البقرة من كنز تحت عرشي لَم أعطها نبيًا قبلك وجعلتك فاتحًا وخاتمًا. انتهى كلام القاضي عياض[1].

وذكر ابن النقيب المفسر أن خواتيم سورة البقرة تلقاها ليلة الإسراء المصطفى بغير واسطة. وفي بعض طرقه أن البراق استصعب عليه فقال جبريل: أبمحمد تفعل هذا فما ركبك أحدٌ أكرم على الله منه فارفضَّ (عليه) عرقًا.

فصدَّقَ الصديقُ ذو الوفاء	**وكَذَّب الكفَّارُ بالإسراء**
وسألُوه عن صفات القدس	**رفعَهُ إليه روحُ القُدْسِ**
جبريل حتى حَقَّقَ الأوْصَافا	**له فمَا طاقوا له خلافا**
لكنَّهُمْ قدْ كذَّبُوا وجَحَدوا	**فأُهلكوا وفي العذاب خُلِّدوا**

لَمَّا أصبح المصطفى غدا على قريش فانتهى إلى نفر منهم في الحطيم منهم المطعم بن عدي والوليد بن المغيرة فقال: «**صليت الليلة في هذا المسجد وصليتُ به الغداة وأتيتُ فيما بين ذلك بيت المقدس ثم عُرِجَ بي**»، وذكر القصة، فأعظموا ذلك وقالوا: هذا والله الأمر المبين إن العير لَتُطردُ شهرًا من مكة إلى الشام مدبرة وشهرًا مقبلة فيذهبُ ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة، فارتد كثير ممن كان أسلم وقال المطعم: كل أمرك قبل اليوم كان أمًّا غير قولك اليوم أنا أشهد أنك كاذب، وكان للمطعم حوض على زمزم فهدمه وأقسم باللات والعزى لا

---

(١) انظر: الشفا للقاضي عياض (١/١٨٣)، وذكر الحديث الذهبي في الميزان (٣/٣٢٠)، وقال: إن فيه ألفاظًا منكرة جدًّا.

يسقي منه قطرة أبدًا، وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا: هل لك في صاحبك يزعم أنه جاء في هذه الليلة بيت المقدس وصلى فيه ثم رجع إلى مكة، فقال: إنكم تكذبون عليه؟ قالوا: ها هو ذاك بالمسجد يحدث به الناس، قال: والله إن كان قال لقد صدقكم فما يعجبكم فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة فأصدقه وأنا أشهدُ أنه صادق، فلذلك سمي الصديق وهو (ذو الوفاء) بِما يقول ويفعل.

وسألوه عن صفات بيت المقدس فرفعه إليه روح القدس جبريل أو صوره له في جناحه حتى حقق لَهم أوصافه فجعل يصفه بابًا بابًا ويصف موضعًا موضعًا وأبو بكر يقول: صدقت صدقت، فما قدروا على معارضته ولا أطاقوا له خلافًا لكنهم كذبوهُ عنادًا وجحدوا ما وضح لهم فأهلكوا في الدنيا (وفي العذاب) الأليم في الآخرة (خلدوا)، وقول الناظم: (طاقوا) بِحذف الهمزة للضرورة.

وفي حديث أم هانئ أَنَّهم قالوا له: ما آية ذلك فإنا لَمْ نسمع بِمثل هذا قط، قال: «**آيته أني مررتُ بعير بنـــي فلان بوادي كذا فأنفرهم حس الدابة فندَّ لهم بعير فدللتهم عليه وأنا متوجه إلى القدس، ثم أقبلت حتى إذا مررتُ بعير بنـــي فلان فوجدت القوم نيامًا ولهم إناءٌ فيه ماءٌ قد غَطَّوا عليه بشيء فكشفته وشربتُ ما فيه ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن عيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية التنعيم يقدمها جملٌ أورق عليه غرارتان إحداهما سوداء**»[1]، فابتدر القوم الثنية فلم يلقهُم أولُ من الجمل كما وصف لهم وسألوهم عن الإناء فأخبروه أنهم وضعوه مملوءًا ماءً ثم غطوهُ وانتبهوا فوجدوه مغطًّى لا ماء فيه.

وفي بعض الطرق أنه عيّن لقدوم العير يوم الأربعاء فلمّا كان ذلك اليوم لَمْ يقدموا حتى كادت الشمس أن تغرب فدعا الله فحبسها حتى قدموا كما وصف قال: ولم تحبس الشمس إلا له ذلك اليوم وليوشع، قال بعضهم: وفي حديث رد الشمس لعلي كلامٌ طويل محصله أنها حبست للنبـــي مرتين ولموسى وليوشع وداود ولسليمان ولعلي عليهم السلام وعليه الرضوان[2].

واعلم أنه اختُلفَ في المعراج كما مر فقيل: إنه قبل الإسراء، وقيل: ليلته، وقيل: كان من

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٤٣٢/٢٤)، وذكره الهيثمي في المجمع (٧٥/١)، وقال: «فيه عبد الأعلى بن أبي مساور، متروك كذاب» اهـــ.

(٢) انظر: فتح الباري (٢٢٢/٦).

مكة، وقيل: تعدد. وروى ابن سعد أن المصطفى كان يسأل ربه أن يريه الجنة والنار فلمّا كانت ليلة السبت لسبع عشرة خلت من رمضان قبل الهجرة بثمانية عشر شهرًا وهو نائم في بيته ظهرًا أتاهُ جبريل وميكائيل فقالا: انطلق إلى ما سألت الله فانطلقا به إلى ما بين المقام وزمزم فأتي بالمعراج فإذا هو أحسن شيء منظرًا، وفي بعض الطرق أنه الذي يمد الميت بصره إليه. فعرج به إلى السماوات سماء سماء وقال: إنه لم يسمع في السابعة إلا صريف الأقلام وأنه فرضت عليه الخمس ونزل جبريل فصلى به الصلاة في مواقيتها ركعتين ركعتين.

وقال ابن كثير: لَمَّا فرغ من أمر بيت المقدس نصب له المعراج ولم يكن صعوده على البراق كما توهَّمـهُ بعضُهم.

وقال ابن العربي: إن ذلك كله كان مرتين مرة في المنام توطئة وأخرى في اليقظة، وفي ذلك كله كلام منتشر وخلاف طويل يخرجنا ذكرُه عن المقصود.

۞ ۞ ۞

باب ذكر عرض النبي نفسه على القبائل من العرب وبيعة الأنصار لَمَّا هداهم الله إلى الإسلام

والقبائل جمع قبيلة وهم بنو أب وجدّ، والبيعة بفتح الباء بذل الطاعة للإيمان، واللام في الأنصار للعهد أي: أنصار الرسول سماهم به أخذًا من قوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ﴾ [الأنفال: ٧٢]، فصار علمًا بالغلبة وهم وإن كانوا ألوفًا استعمل فيهم جمع القلة لأن اللام للعموم.

وعَرَضَ النبيُّ نفسَهُ عَلَى	قبيلة قبيلة ليَحْصُلا
إيواؤه من بعضهم يبلغُ	رسالة الله فكلٌّ يَنزَغُ
إليهم الشَّيطانُ حتَّى يُعْرِضُوا	عَنْ قوله ويَهزؤا ويَرْفُضوا
حتَّى أتَاحَ الله للأنصار	فاستبقوا للخير باختيار
فيُسْلِمُ الواحدُ منهم يُسْلِمُ	به جَميعُ أهله فرُحِمُوا
لَقِيَ ستًّا أو ثَمانيًا لدَى	عَقَبَة دعاهُمُ إلى الْهُدى
فآمنُوا بالله ثُمَّ رجعوا	لقومهم يدْعونهم فسمعوا
حتَّى فشا الإسلام ثُم قَدِما	في قابل منهم ومن أسلما

لبيعـــة ضعـفُ الـذين أسْـلفُوا كبيعـــة النســاء ثم انصرفــوا
ثُمَّ أتــى مِنْ قابـلٍ سَبْعــونـا ونـيــفٌ فـبايعــوا يُخفونـا
بَيْعَتَهُـمْ ليــلاً ونِعْمَ الْبَيْعَــةُ جزاء مَنْ بايع فيهـا الجنَّـة

قد عرض النبـي نفسه على قبائل العرب في موقف عرفة قبيلةً بعد قبيلة عدة سنين ويقول: «**ألا رجلٌ يعرضُ عليَّ قومـه فإن قريشًا منعونـي أن أبلغ رسالة ربـي**»[1]. ليحصل له إيواء أي: ينضمُ إلى قبيلة تؤويه وتحميه (فكلٌّ) منهم (ينـزغ) بفتح الزاي بضبط الناظم (إليهم الشيطان حتى يعرضوا) عن قوله لهم من القرآن والمواعظ فيولوا عنه وهم يهزؤا، أي: يهزؤا به (ويرفضوا) أي: يرموا بمقالته ويترفعوا عن مجالسته، وأبو لَهب وراءه يكذبه وينهاهم عن اتباعــه، ولَـمْ يَزل الشأنُ على ما ذكر حتـى أراد الله إظهارَ دينـه ونصر نبيـه فأتاحَ أي قَيَّضَ الله له الأنصار وهُمُ الأوْسُ والخَزْرَجُ لِمَا قدَّره الله لهم من السعادة، فانتهى إلـى نفر منهم وهم يحلقون فقعد إليهم ودعاهم إلى الله وقرأ عليهم القرآن فاستبقوا للخير واستجابوا لله ولرسوله وأووا ونصروا، فلذلك سموا الأنصار وهو لقب إسلامي.

وكانوا قبل ذلك يُعرفون ببنـي قيلة وبالأوس والخزرج وذلك كله باختيار منهم، وكان يسلم الواحد منهم ويذهب إلى قومه فيعرض عليهم الإسلام فيسلمُ جميع قومه فرحموا بإجابتهم وإسلامهم، وكانوا ستًّا: أسعدَ بن زرارة وعوف بن الحارث، ورافع بن مالك، وقطبة بن عامر، وعقبة بن عامر، وجابر بن عبد الله، ومنهم من جعل عبادة بن الصامت مكان جابر، وقيل: كانوا ثمانية بزيادة أبي الهيثم بن التَيهان، ومعاذ بن عفراء، فلما عرفوه بصفاته التـي كانوا يسمعونَها من اليهود أهل الكتاب ودعاهم إلى الهدى أجابوه فآمنوا بالله ثم انصرفوا من عنده ورجعوا إلى بلادهم حتـى أتَوا قومهم فأعلموهم بِما كان ودعوهم إلى الإسلام فسمعوا وأطاعوا حتـى فشا الإسلام فيهم فلم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله.

وذكر ابن الجوزي بسنده أن الأوس بن حارثة لَما احتضر قالوا له: كنا نأمرك بالتـزوج

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٣٤)، والترمذي (٢٩٢٥) وابن ماجه (٢٠١) من حديث جابر ﷺ.
وانظر: صحيح أبي داود للعلامة الألباني (٢٣٤/٣)

فتأبـى وهذا أخوك الخزرج لـه خمس بنين وليس لك إلا مالك، قال: لن يهلك هالك ترك مثل مالك وأنشد:

ألـم يـأت قـومـي أن لله دعـوة يفوزُ بها أهـل السعـادة والبـر

إذا بعث المبعوث مـن آل غـالب بمكـة فيما بـين زمـزم والحجر

هنـا لك فأبغـوا نصرة ببلادكـم بنـي عامـر إن السعادة في النصر

ثُمَّ قدم منهم مكة في العام القابل مِمَّن أسلم أولاً خمسة أسعد بن زرارة وعوف ورافع وقطبة وعقبة، ومن غيرهم من الأنصار سبعـة ذكوان بن عبد قيس، وعبادة بن الصامت، ويزيد بن ثعلبة والعباس بن عبادة، ومعاذ بن عفراء، وأبو الهيثم مالك بن التيهان وعُويمُ بن ساعدة، فكانوا ضعف الستـة أي اثنـي عشر لبيعة الإسلام فأسلموا وبايعوا وكانت بيعتهم كبيعة النساء أي على بيعة النساء فتلا عليهم آية النساء وهو أن لا يشركوا بالله شيئًا ولا يزنوا ولا يُقتلوا أولادهم ولا يأتوا ببهتان يفترونـه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصون في معروف فإن وفيتم فلكم الجنة وإن غشيتم من ذلك شيئًا فأصبتم بحد في الدنيا فهو كفارة لـه في الدنيا وإن سترتم عليه فأمركم إلى الله إن شاء عذب وإن شاء غفر، وذلك قبل أن تفرض الحرب، ثم انصرفوا إلى المدينة وكتبوا إلى المصطفى:

ابعث إلينا من يقرئنا القرآن ويفقهنا فبعث إليهم مصعب بن عمير فنـزل على أسعد بن زرارة فكان يدعى المقرئ والقارئ وهو أول من سمي بذلك، وأسلم على يده أسيد بن حضير وسعد بن معاذ وذلك أن ابن معاذ بلغه اجتماع مصعب مع رجال ممن أسلم بِحائط من الحوائط فبعث أسيد بن حضير ليزجرهم حياءً من خالـه أسعد بن زرارة فلمّا جاء وأخذ في كلام يزجر به قال له مصعب: أوَتجلس فتسمع فإن رضيت أمرًا قبلته وإن كرهته كف عنك ما تكرهه؟، قال: أنصفت ثم ركز حربته وجلس فكلمه مصعب بالإسلام وقرأ القرآن.

فقال: ما أحسن هذا، كيف تصنعون إذا دخلتم في هذا الدين؟ قال: تغتسل، وتطهر ثم تشهد شهادة الحق ثم تصلي فقام ففعل، ثم قال: أرى رجلاً إن اتبعكم لم يتخلف أحد وسأرسله الآن سعد بن معاذ، ثم انصرف، فلمّا رآه سعد مقبلاً قال: أحلفُ بالله لقـد جـاءكم بغير الوجه الـذي ذهب به، فقال له سعد: ما فعلت فذكر القصة وحاصلها أن سعد بن معاذ أسلم ثم عاد إلى قومه فقال: يا بنـي عبد الأشهل كيف

تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا، قال: كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا فمَا أمسى فيهم رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مُسلمةً.

وفي تاريخ البخاري الأوسط[1] أن أهل مكة سمعوا هاتفًا قبل إسلام سعد بن معاذ يقول:

فإن يُسلم السعدان يصبحْ محمدٌ ... بِمكة لا يَخْشَى خلافَ المخالف

فظنوا أنه يريد السعدين سعدهم وسعد بن زيد مناة فقال:

أيا سعدُ سعدَ الأوس كن أنت ناصرا ... ويا سعدُ سعدَ الخزرجين الغطارف

أجيبا إلى داعي الهدى وتمنيا ... على الله في الفردوس مُنيةَ عارف

فإن ثواب الله للطالب الهدي ... جنانٌ من الفردوس ذاتُ رَفارِف

(ثُمَّ أتَى من) العام (القابل) في أيام التشريق من الأنصار (سبعون) رجلاً (ونَيِّفَ) بشدة الياء أي: ورجل أو رجلان وامرأتان وهي البيعة الثانية فسلموا على المصطفى بمكة فواعدهم ليلة النفر الأول إذا هدأت الرجْلُ أن يوافوه في الشعب الأيمن إذا انحدروا من منى في أسفل العقبة حيثُ المسجد الآن.

وأمرهم أن لا ينبهوا نائمًا ولا ينتظروا غائبًا فخرج القومُ يتسللون وسبقهم النبي لذلك الموضع ومعه العباس فقط فأول من تكلم العباسُ فقال:

يا معشر الخزرج إنكم دعوتُم محمدًا إلى ما دعوتموه إليه، ومحمدٌ من أعز الناس في عشيرته يمنعه من كان على قوله ومن لم يكن على قوله يمنعه الشرف والحسب وقد أبى إلا الانقطاع إليكم فإن كنتم ترون أنكم تفون له وأنكم أهل جلد وقوة وبصر بالحرب واستقلال بعداوة العرب قاطبة ترميكم عن قوس واحدة فروا رأيكم وائتمروا ولا تفرقوا إلا عن اجتماع فإن أحسن الحديث أصدقه، فقال البراء بن معرور: سمعنا ما قلت، ولو كان في أنفسنا غير ما ننطق به قلناه ولكنا نريد الوفاء وبذل المهج دونه.

ثم قرأ عليهم القرآن ورغبهم في الإسلام فأجابه البراء بالإيمان والتصديق وهو أول من بايع وقيل أسعد بن زرارة وقيل: أبو الهيثم بن التيهان فبايعوا كلهم وهم يحلفون على بيعتهم، وأخرج لَهم اثني عشر نقيبًا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.

---

(١) انظر: التاريخ الصغير للبخاري (١/٢٥)، وتاريخ الطبري (١/٥٧٠).

وفي حديث ابن سعد فقال رسول الله: **«إن موسى اتخذ من بني إسرائيل اثني عشر نقيبًا فلا يجدن أحد منكم في نفسه أن يؤخذ غيره فإنما يختار لي جبريل»**[1].

وكانت (بيعتهم ليلاً ونعم البيعة جزاء من بايع فيها الجنة) أي: دخولها لأن المصطفى اشترط عليهم شروطًا وجعل لَهُم على الوفاء بِها الجنة، فلمّا بايع القوم وكملوا صاح الشيطان على العقبة: يا أهل الأخاشب هل لكم في محمد والصباة معه أجمعوا على حربكم، فقال المصطفى: **«أفضُوا إلى رحالكم»** فقال العباس بن عبادة: والذي بعثك بالحق لئن أحببت لنميلن على أهل منى بأسيافنا وما أحد عليه سيف تلك الليلة وغيرهُ، قال: **«لَمْ أؤمرْ بذلك»** فتفرقوا إلى رحالهم فلما أصبحوا غدت جلّة قريش وأشرافهم حتى دخلوا شعب الأنصار فقالوا: يا معشر الخزرج بلغنا أنكم لقيتم صاحبنا ووعدتموه أن تبايعوه على حربنا وأيم الله ما حي من العرب أبغض إلينا من أن ينشب الحرب بيننا وبينه منكم، فانبعث من كان ثَمَّ من الخزرج من المشركين يحلفون ما كان هذا وما علمنا ثم رحلوا وطابت بذلك نفس المصطفى إذ جعل الله له منعة وقومًا أهل حرب ونجدة.

۞ ۞ ۞

باب ذكر الهجرة من مكة إلى المدينة المشرفة

وإذْ فشَا الإسلامُ بالْمَدينة	هَاجرَ مَنْ يحفظ فيها دينَهْ
وعزم الصديق أن يُهاجرا	فَرَدَّهُ النبيُّ حتَّى هَاجرا
معًا إليهما فترافَقا إلى	غار بثور بعد ثمَّ ارْتَحلا
ومعهُما عامرُ مولى الصديق	وابنُ أريقط دليلٌ للطريق
فأخذوا نَحو طريق الساحل	والحق للعدو خيرُ شاغل
تبعهم سُراقة بن مالك	يريد فتكًا وهو غير فاتك
لَمَّا دَعَا عليه ساخت الفَرَسْ	ناداهُ بالأمان إذ عنهُ حبس

وحين فشا الإسلام أي: ظهر وانتشر بالمدينة شكا أصحابُ رسول الله ﷺ ما وجدوه من أذى المشركين واستأذنوهُ في الهجرة إلى المدينة فأذنَ فهاجر إليها كل من

(١) انظر: الطبقات الكبرى (١/١٧٢).

يُحَافظ على دينه، فخرجوا أرسالاً قيل: وأولهم أبو سلمة أخو النبي من الرضاعة وحبست عنه زوجته بِمكة نحو سنة ثُمَّ أذن لَها بنو المغيرة فهاجرت، وقيل: مصعب بن عمير، فآواهم الأنصار وواسوهم ولَمْ يبق بِمكة إلا المصطفى والصديق والمرتضى أو محبوس أو مريض، وعزم الصديق على المهاجرة فقال له النبي: «**لا تعجل لعل الله يجعل لك صاحبًا**»[(١)].

فلم يزل يرده عن المسير حتى هاجرا معًا، وسبب هجرته أن قريشًا لَمَّا رأت خروج من أسلم إلى المدينة بالذراريّ والأطفال خافت خروج المصطفى وعلمت أنه قد صار للمسلمين منعة وقوة فاجتمعوا للتشاور في أمره وحضرهم إبليس في صورة شيخ نجدي فأشار كل برأي وإبليس يرده إلى أن قال أبو جهل: نأخذ من كل قبيلة من قريش غلامًا بسيف فيضربونه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه في القبائل فلا يُمكن بنو عبد مناف حرب الكل فيرضون بالفعل، فقال النجدي: هذا هو الرأي فتفرقوا عليه.

وأخبر جبريل النبـــي بذلك فلم ينم في مضجعه تلك الليلة، واجتمعوا ببابـــه يرصدونه لينام فيثبون عليه فقال لعلي: «**نَمْ على فراشـــي وتسجَّ ببردي فلن يخلص إليك شيءٌ تكرهه**» وأخذ حفنة تراب وخرج عليهم فلم يروه فوضع التراب على رءوسهم وهو يتلو سورة يس إلى قوله تعالى: ﴿**فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ**﴾ [يس: ٩]، ثم انصرف.

فأتاهم آتٍ فقال: خرج محمد وما منكم إلا من وضع على رأسه ترابًا فوضع كل منهم يده على رأسه فوجد التراب ثم جعلوا يتطلعون فيرون عليًّا على الفراش متسجيًا ببرد رسول الله فيقولون: هذا هو نائم على فراشه فلم يبرحوا كذلك حتـــى أصبحوا فقام عليٌّ من الفراش وجاء المصطفى إلى بيت الصديق ظهرًا فقال: «**إن الله أذنَ لي في الهجرة**» فقال: الصحبة، عندي ناقتان أعطيك إحداهما، فقال: «**بالثمن**» فتجهزا قالت عائشة: وضعنا لَهُمَا سُفرةً من جراب فقطعت أسماء بنت أبي بكر قطعة من نطاقها فربطت به فمه فسميت ذات النطاقين[(٢)]، فخرجا من خوخـــةٍ[(٣)] لأبي بكر ليلاً فترافقـــا إلى الغار وهو

---

(١) ذكره الهيثمي في المجمع (٦/٦٢)، وعزاه للطبراني وقال: «فيه عبد الرحمن بن بشير الدمشقي، ضعفه أبو حاتم» اهـــ.

(٢) أخرجه البخاري (٣٩٠٦) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٣) الخوخـــة: باب صغير وسْط بابٍ كبير نُصِبَ حاجزًا بين دَارَين.

بثور جبل بقرب مكة فدخلاه، وخيَّم العنكبوت على بابه وفرخت حمامة[١].

وطلبت قريش المصطفى أشد الطلب وجعلت لمن دلَّ عليه مائة ناقة وأتوا إلى الغار فوجدوه كذلك حتى قال أبو بكر: يا رسول الله لو نظر أحدهم إلى رجله لرآنا، فقال: «**اسكت ما ظنك باثنين الله ثالثهما**»[٢] فتقدم جمع منهم فنظروا الحمامتين والعنكبوت فقالوا: ليس في الغار شيء، وكان عامر بن فهيرة يأتيهم ليلاً ثم يسرح مع الناس ومكثا ثلاث ليال يأتيهما عبد الله بن أبي بكر يخبرهما بما سمع من القوم وبعد ثلاث ارتحلا ومعهما عامر بن فهيرة يخدمهما، واستأجرا عبد الله بن أريقط من بني عبد بن عدي يدلهما على الطريق وكان كافرًا إذ ذاك ولَمْ يعرف له إسلام فأخذوا نحو طريق الساحل أسفل من عُسْفَانَ والحق سبحانه شاغل لعدوهم عن اتباع آثارهم من تلك الجهة.

وبلغ سراقة بن مالك المدلجي أن سوادًا مر بالساحل فركب فرسه منتهزًا للفرصة خفية من قومه (يريد) برسول الله ﷺ (فتكًا) أي: قتلاً ليحصل على ما جعلت قريش لمن رده أو قتله (وهو غير فاتك) به لأن الله حماه وعصمه، فحث في الطلب حتى أدركهما فصُرِعَ عن فرسه فأخرج الأزلام فاستقسم بها فخرج ما يكره فركب وحث في الطلب فصار أبو بكر يكثر التلفت والمصطفى يقرأ ولا يلتفت فلما قرب منهما قال: «**اللهم اكفناهُ كيف شئت وبما شئت**»[٣].

ودعا عليه فساخت يدا فرسه إلى بطنها في أرض جَلَدٍ وخر عنها فناداهُ بالأمان لحبسه عن لحوقه له فدعا له فانطلق فرسه ووقف المصطفى حتى جاءه فأخبره ما يريد به قومه وأنهم قد جعلوا فيه الدية، فقال: أخف علينا فرجع فوجدهم يلتمسونه فقال: ارجعوا فقد استبرأت لكم ما هاهنا، قال: فخرجت وأنا أحب الناس في تحصيلهما ورجعتُ وأنا أحبهم في أن لا يعلم بهما أحد وفي ذلك يقول مخاطبًا لأبي جهل:

أبا حكم لو كنت والله شاهدًا ... لأمر جوادي إذ تسيخُ قوائمه

---

(١) لا يصح ما ورد في تفريخ الحمامة وتخييم العنكبوت على باب الغار. وانظر: السلسلة الضعيفة للعلامة الألباني –رحمه الله– (٢/٢٥٩).

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٦٣)، ومسلم (٢٣٨١) من حديث أبي بكر ﷺ.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (٣) من حديث أبي بكر الصديق ﷺ.

علمت ولم تشكك بأن محمدًا رسول ببرهان فمن ذا يقاومه
عليك بكف القوم عنه فإنني أرى أمره يومًا ستبدو معالمه
بأمر يود الناس فيه بأسرهم بأن جميع الناس طرًّا تسالمه

ويُقال: إن المصطفى كتب له كتابًا بالأمان في عظم أو أَدَمٍ وأنه وافاهُ به يوم الفتح فرحب به وأمَّنه، ووقعَ لسراقة هذا عَلَمٌ من أعلام النبوة وهو قول المصطفى: «**كيف بك إذا لبست سواري كسرى**»[1] فلبسهما أيام عمر.

۞ ۞ ۞

باب ذكر مروره ﷺ بأم معبد

بفتح الميم واسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية ويعرف ذلك الموضع الآن بخيمة أم معبد.

مَرُّوا على خيمة أم مَعْبَد وهْيَ عَلى طريقهم بِمرصد
وعندها شاةٌ أضرَّ الجهد بها وما بِها قوى تشتدُّ
فمسح النبي منها الضَرْعَا فحلبت ما قد كفاهم وُسعا
وحلبتْ بعدُ إناءً آخرا ترك ذاك عندها وسافَرا

مروا على خيمة أم معبد وهي على طريقهم مختبئة بفناء خيمتها تسقي المارة من الماء واللبن، (بِمرصد) بفتح الميم والمرصد الموضع الذي يرصد فيه أي: يقعد فيه ليرصد من يَمر عليه في الطريق.

ونظر النبي (عندها شاة) قال: **ما هذه؟** قالت: (شاة أضر الجهد بِها وما بِها قوى) بضم القاف جمع قوة أي: ليس بِها قوة (تشتد) بِها حتى تلحق الغنم ترعى معهم، قال: «**هل بِها من لبن**»، قالت: هي أجهد من ذلك، (فمسح النبي منها) ظهرها والضرع وسمى ودعا (فحلبت ما قد كفاهم وسعًا) بضم الواو أي: ما تحتمله طاقتهم من الري، وحلب النبي بعد ذلك إناء آخر ثانيًا (وترك ذاك) الإناء (عندها) مملوءًا وسافر بعد أن بايعها على الإسلام.

واستمرت تلك البركة فيها، ثم لَما رحلوا جاء زوجها أكثم بن الجون يسوق

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٦/٣٢٥).

أعنـــزًا عجافًا فلَمَّا رأى اللبن عجب، وقال: من أين ولا حلوب في البيت؟ قالت: مر بنا رجل مبارك من حاله كذا، قال: صفيه، قالت: رجل ظاهر الوضاءة أبلج الوجه حسن الخلق لم تعبه ثجلة و لم تُزْرِ بــهِ صعلةٌ، وسيمٌ قسيمٌ في عينيه دعجٌ وفي أشفاره وطفٌ وفي عنقه سطحٌ وفي صوته صحلٌ، وفي لحيته كثافـــة، أحور أكحل أقرن شديد سواد الشعر، إن صمت فعليه الوقار وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبْهَاه من بعيد، وأحسنه وأجمله من قريب، حلو النطق، فصلٌ لا هَزَرٌ ولا نَزرٌ، كأن منطقه خرزات نظمن ينحدرن، ربعة لا بائنٌ من طول ولا تقتحمه عينٌ من قصر، غصنٌ بين غصنين فهو أنضرُ الثلاثة منظرًا، وأحسنهم قدًّا، له رفقاء يحفون به إن قال أنصتوا لقوله وإن أمر تبادروا إلى أمره، محفود محشود، لا عابسٌ ولا مفند.

قال أبو معبد: هو والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره وقد هممت أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت لذلك سبيلاً، وأصبح صوت بمكة عال يسمعون الصوت ولا يرون صاحبه يقول:

جـــزى الله ربُّ الناس خيرَ جزائـــه ... رفيقين حـــلا خيمتـــي أم معبـــد

هُمَا نَـــزلا بالْهُـــدَى واغتـــدوا بـــه ... فقـــد فـــاز من أمسى رفيق محمد

فيـــا لقصي مــــا زوى الله عنـــكم ... بـــــه مـــن فعال لا يجارى وسؤدد

ليهـــن بنـــي كعـــب مكـــان فتاهم ... ومرصـــدها للمؤمنـــين بمقعـــــد

سلـــوا أختكم عـــن شاتهـــا وإنائها ... فإنكـــــم إن تسألـــوا الشاة تشهد

دعـــاهـــا بشـــاة حـــائـــل فتحلبت ... له بضريع ضرة الشـــاة مزبـــــــد

قالت أسماء: فلمَّا سمعناهُ عرفنا حيث وجه رسول الله ﷺ وأن وجهـــه إلى المدينـــة[1].

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك (١١/٣)، والبيهقي في دلائل النبوة (٢٧٦/١) من حديث هشام بن حبيش بن خويلد ﷺ. وذكره الهيثمي في المجمع (٥٨/٦) وعزاه للطبراني، وقال: «وفي إسناده جماعة لم أعرفهم». اهـــ

باب ذكر وصوله -أي رسول الله- إلى قُبَـاء

موضع بئر على ثلاثة أميال من المدينة ثم وصوله إلى المدينة الشريفة.

حتَّى إذا أتى إلى قُبَاء ... نَزلَها بالسَّعْد والهَنَاء

في يوم الاثنين لثنتَي عشرهْ ... من شهر مولد فنعم الهجرهْ

أقامَ أربعا لديهم وطلع ... في يوم جمعة فصلَّى وجَمعْ

في مسجد الجمعة وهي أولُ ... ما جَمَّع النبيُّ فيما نقلوا

وقيل بل أقام أربع عشره ... فيهم وهم ينتحلون ذكرهْ

وهو الذي أخرجه الشيخان ... لكنّ ما مرّ من الإتيان

بِمسجد الجمعة يوم جمعة ... لا يستقيمُ مَعَ هذي المُدَّة

إلا على القول بكون القدمة ... إلى قُبا كانتْ بيومِ الجُمعةَ

بنَى بِها مسجدهُ وارْتَحلا ... لطيبَة الفيحَاء طابتْ نُزلاً

كان المهاجرون والأنصار يغدون إلى قُباء ينتظرون قدومه في أول النهار فإذا أحرقتهم الشمس رجعوا، فلَمَّا كان يوم قدومه غدوا كعادتهم فلما أحرقتهم الشمس رجعوا فإذا بيهودي يصيح على أطم: يا بني قيلة هذا صاحبكم، فلبسوا السلاح وتلقوه فقدم حتَّى وصل إلى موضع قباء نزلَها بالسعد والهناء في يوم الاثنين لثنتي عشرة ليلة خلت من شهر مولده وهو ربيع الأول سنة سبعمائة وثلاثة وثلاثين من ذي القرنين، فنعم تلك الهجرة كانت.

وجاء المسلمون يسلمون عليه وهو جالسٌ في ظل نخلة ومعه أبو بكر في مثل سنه وأكثرهم لَمْ يكن رأى المصطفى قبل ذلك، وأنكرَ الناس ما يعرفونه من أبي بكر حتى زالَ الظل عنه فقام أبو بكر يظله بردائه فعرفوهُ وجعل الصبيان والنساء يقلن[1]:

أقبل البدر علينا ... من ثنيات الوداع

وجب الشكرُ علينا ... ما دعا لله داع

فنزل رسول الله ﷺ على كلثوم بن هدم، وقيل: على سعد بن خيثمة وجمع

(١) قال ابن القيم -رحمه الله- في زاد المعاد: لا يصح ذلك الخبر؛ لأن ثنيات الوداع من ناحية الشام، وليست من ناحية مكة. وانظر: السلسلة الضعيفة للعلامة الألباني -رحمه الله- (٢/٦٣).

بينهما بأنَّه كان إذا خرج من بيت كلثوم جلس في بيت سعد لأنه كان عَزَبًا، وكان يُقال لبيتــه: بيتُ العُزَّاب، وكان منــزل المهاجرين منهم.

ونزل أبو بكر على خُبيب بن إساف بالسُّنح، وقيل: على خارجــة بن زيد، وأقام المصطفى في قباء في بنــي عمرو بن عوف أربعًا الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس المسجد الذي أسس على التقوى، ثُمَّ طلعَ من بين أظهرهم يوم الجمعة فركب راحلته ومشوا حولــها ولا يزال أحدهم ينازع صاحبه زمامها شحًّا على كرامته فأدركته الجمعة في بنــي سالِم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن وادي رانوناء بفتح المهملة وبعد الألف نون مضمومــة وبعد الواو نونٌ مفتوحــة وألف ممدودة فكانت أول جمعة صلاّها في المدينة بمن معه من المسلمين، وهم مائة في مسجد الجمعة.

وخطبهم وهي أول خطبة خطبها فحمد الله وأثنــى عليه ثم قال: «**أمَّا بعدُ أيُّها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لــها راع ثم ليقولن له ربه وليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألــم يأتك رسولــي فبلغك وآتيتك مالاً وأفضلت عليك فما قدمت لنفسك فلينظرن يمينًا وشمالاً فلا يرى شيئًا، ثُمَّ لينظرن قدامه فلا يرى غير جهنم، فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمرة فليفعل فإن لَمْ يَجد فبكلمة طيبة والسلام عليكم ورحمة الله وبركاتــه**»[(١)].

وما ذكر من أنه أقام في بنــي عوف أربعة أيام هو ما وقع لجمع من أهل السير، وقيل: بل أقام فيهم أربع عشرة ليلة.

وقول الناظم: (وهم ينتحلون) بِحاء مهملة أي: وأهل العلم بالسير يجنحون إلى هذا القول ويميلون إليه وهو الأكثر في كلامهم وهو الذي أخرجه الشيخان البخاري ومسلم في الصحيحين[(٢)] من حديث أنس لكن يُعارضــه ما مرَّ أولاً من كون الإتيان بمسجد

---

(١) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة (٢/٥٢٤). وقد وردت بعض جمل منــه في صحيح البخــاري (١٤١٣) دون ذكر أنَّها كانت في أول خطبة له بالمدينة، وفيه: «**... ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألَم أوتك مالاً؟، فليقولن: بلى، ثم ليقولن: ألَم أرسل إليك رسولاً؟، فليقولن: بلى، فينظرُ عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تَمرة، فإن لَم يجد فبكلمة طيبة**».

(٢) أخرجــه البخاري (٣٩٣٢). ومسلم (٥٢٤) من حديث أنس ﷺ.

الجمعــة إنَّما كان يوم الجمعة إذ لا يستقيم حسابه مع القول بأنه أقام في بنــي عمرو بن عوف أربعــة عشر إلا على القول بكون قدومــه إلى قُباء كان يوم الجمعة لا الإثنين.

وبنــى أي أسس رسول الله ﷺ بقباء مسجده ولحقه علي بن أبي طالب وكان تأخر ثلاث ليال لرد الودائع التي كانت عند المصطفى ﷺ لأهلها، ثُــم ارتحل لطيبة وهو اسم للمدينــة الشريفــة سميت به لطيبها، ووصفها بقولــه: (الفيحاء) من فاح الطيب إذا تضوع.

وقول الناظم: (لكن) بتشديد النون للوزن، والقدمــة بفتح القاف وسكون الدال مصدر قدم من سفره، وقُبا بالمد والقصر، والباء فــي قوله: (بيوم) زائدة، وقوله: (طابت نــزلا) النــزل ما يهيأ للضيف قبل وصولــه.

فَبركــتْ نــاقــتُهُ الــمأمورهْ بموضع الــمسجــد في الظهيــرهْ

فَحَــلَّ فــي دار أبــي أيــوبــا حتَّــى ابْتــنــى مسجدهُ الرَّحيبا

وحــولــهُ مَــنَازِلا لأهــلـــه وحولــهُ أصحابــهُ فــي ظِلّــه

لَمَّا ارتحل المصطفــى قاصدًا المدينــة أتاه عتبان بن مالك في رجال من بنــي سالم فأخذوا خطام ناقتــه فقالوا: أقم عندنا في العدد والعدة والمنعــة، فقال: «**خلوا سبيلها فإنَّها مأمورة**»، فخلوها حتــى إذا مرت بدار بنــي ساعدة اعترضــه سعد بن عبادة في رجال فقالوا كالأول وأعاد مثله، حتــى إذا وازت دار بنــي الحارث بن الخزرج اعترضه سعد بن الربيع وعبد الله بن رواحــة في رجال فقالوا مثله وأعاد مثله، حتى إذا مرت بدار عدي بني النجار وهم أخوالــه اعترضه سليط بن قيس في رجال فقالوا: هلــم إلى أخوالك إلى العدد والعدة والمنعة قال: «**خلوا سبيلها فإنَّها مأمورة**» حتى دانت دار بنــي مالك بن النجار بركت ناقته الــمأمورة أي: التي أمرها الله تعالى أن تبرك بموضع المسجد أي: مسجده ﷺ وهو يومئذ مربد لغلامين يتيمين من بني مالك بن النجار في حجر معاذ بن عفراء.

فلمَّا بركت وهو عليها لم ينــزل وثبت فسارت غير بعيد والمصطفى واضعٌ لــها زمامها لا يثنيها بــه ثم التفتت خلفها فرجعت إلــى مبركها الأول فبركت به ثم تحلحلت. ووضعت جرانــها فنــزل عنها وذلك في وقت الظهيــرة أي: الــهاجرة، فاحتمل أبو أيوب خالد بن زيد من بنــي النجار رحلــه وأدخل ناقته داره ونــزل عنده

لكونـــه من أخوال عبد المطلب ولَمَّا سألوهُ النـــزول عليهم قال: «**المرء مع رحله**» وخرجت جوار من بني النجار يضربن بالدفوف ويقلن:

نحن جـــوار من بنـــي النجـــار   يا حبـــذا محمدٌ من جـــار

فخرج إليهم رسول الله فقال: «**أتحبوننـــي**»، قالوا: إي والله، قال: «**وأنا والله أحبكم**» ثلاثًا[١].

قال زيد بن ثابت: وأول هديـــة دخلت بها أنا قصعة مثرود فيـــها خـــبز وسمن ولبن فقلت: أرسلت بها أمي فقال: «**بارك الله فيك**»، ودعا صحبه فأكلوا فلَم أرم الباب حتـــى جاءت قصعة سعد بن عبادة بثريد وعراق لحم وما كان من ليلة إلا وعلى باب المصطفى الثلاثة والأربعة يحملون طعامًا كثيرًا ثم صار سعد بن عبادة يرسل إليه كل يوم قصعة، فأقام بدار أبي أيوب حتى ابتنى مسجده الرحيب أي: الواسع بعد شرائه أرضه من قسيم مالكيه، وذلك أن المصطفى سأل عن المربد لمن هو فقال معاذ بن عفراء: فسهل وسهيل بنـــي عمرو يتيمان لـــي وأرضيهما فيه.

وقال الدمياطي: إن المصطفى ساومهما فيـــه ليتخذه مسجدًا فقالا: هبة لك فأبى حتـــى ابتاعـــه بعشرة دنانيـــر وأمر أبا بكر أن يعطيهما إيّاها ثـــم أمر بالنخل الذي فيه والغرقد فقطع وباللبن فضرب وكان فيـــه قبورٌ جاهليـــة فنبشت وغيبت العظام وسويت الحفر وأسس المسجد وجعل طوله مما يلـــي القبلـــة إلى مؤخره مائة ذراع وفي ذينك الجانبيـــن مثل ذلك فهو مربـــع، وقيل: كان أقل من مائة ذراع وجعل الأساس نَحو ثلاثة أذرع علـــى الأرض بالحجارة ثـــم بنوه باللبن وجعل رسول الله ينقل معهم الحجارة بنفسه ويقول: «**اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة**»[٢]، وقال قائل:

لئـــن قعـــدنا والنبـــي يعمـــلُ   لـــذاك منـــا عمـــل مضـــلل

وقال عمار بن ياسر: قتلونـــي يا رسول الله حَمَّلونـــي فوق ما يتحملون، فقال: «**إنَّمـــا تقتلك الفئـــة الباغـــية**»[٣] فقتل بصفين.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٥/٤) من حديث عبد الله بن الزبير ﷺ، وذكره الهيثمي في المجمع (٦٣/٦) وقال: فيه صديق بن موسى، قال الذهبي: «ليس بحجة». اهـ
(٢) أخرجـــه البخاري (٦٤١٤)، ومسلم (١٨٠٤) من حديث سهل بن سعد ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري (٤٤٧) من حديث أبي سعيد ﷺ.

وجعل قبلته لبيت المقدس وجعل لــه ثلاثــة أبواب بابًا في مؤخره وبابًا يُقالُ لــه باب الرحمــة وهو الذي يُسمى باب عاتكة والباب الثالث الذي يدخل منه المصطفى وهو الذي يلي آل عثمان، وجعل عمده الجذوع وسقفه الجريد وبنــى بيوتــه بجنبــه باللبــن.

ومن الفوائد الحسنة ما ذكره مغلطاي أن موضع المسجد كان ابتاعه تبع للمصطفى قبل مبعثه بألف سنة وأنــه لــم يــزل علــى ملكــه من ذلك العهد.

ثــم إنــه بنــى حوله منازل أي: مساكن لأهلــه أي نسائــه ومواليــه ومن يليــه وبعث زيد بن حارثــة وأبا رافع إلى مكة فقدما عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه، وسودة زوجته وأسامه بن زيد وأمه أم أيمن، وجلس أبو العاص بن الربيع مع بنته زينب، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر وفيهم عائشة فقدموا المدينة فأنزلهم في بيت حارثه بن النعمان كل ذلك وهو في بيت أبي أيوب.

وقول الناظم: (وحوله أصحابه) أي كان أصحابه من المهاجرين والأنصار ينون مساكنهم حواليه في ظله أي: في كنفه؛ حتى إن من الأنصار من ترك مسكنه البعيد وسكن بقربه.

طَابَتْ بــه طيبــةُ مــن بعْد الرَّدى ... أشرقَ مــا قــد كانَ منها أسودا
كــانت لَمــن أوبــأ أرض الله ... فــزالَ داؤُهــا بهــذا الــجــاه
ونقــل الله بــفضــل رحــمة ... مــا كــانَ من حُمَّى بها للــجُحْفَــة
ولــيس دجــالٌ ولا طــاعُــونُ ... يَدْخُلــُهــا فــحرزُهــا حَصيــنُ

لَمَّا هاجر المصطفى (طابت به طيبة) بعد الردا أي: صارت طيبة بعدما كانت رديــة، و«أشرف» أي أضاء كلما كان منها أسود منذ دخلها فإنها (كانت لمن أوبأ أرض الله فزال) عنها وباؤها ببركة هذا النبي العظيم الجاه أي القدر والمنــزلة عند الله، و(نقل الله) عنها بفضل منه ورحمة عامة ما كان بها من الحمى للجحفة قريــة على طريق المدينة من مكة سميت به لأن السيل أجحفها، ولا يدخلها الدجال ولا الطاعون فلها منهما حرز حصين.

أقــامَ شَهرًا ثُــمَّ بعــد نــزلتْ ... عليه إتــمامُ الصــلاة أكــملَتْ
أقــامَ من شهر ربيــع لصفــر ... يُبْنــى لــه مسجــدُهُ والمستقَرْ
ووادَع اليهــود فــي كتــابــه ... مــا بينهم وبــين ما أصحابــه
وكــان بــدء الأمــر بــالأذان ... رؤيا ابن زيــد أو لــعام ثــانِ

أقام رسول الله ﷺ في بيت أبي أيوب شهرًا ثم بعده نزل عليه إتــمام الصلاة فإنه

لَمَّا قدم المدينة كان يصلي هو والناس ركعتين فأكملت الفريضة أربعًا للمقيم وأقرت صلاة المسافر وتركت صلاة الفجر لطول القراءة والمغرب لأنّها وتر النهار وحديث عائشة في ذلك ثابت في الصحيح[1] فقال المصطفى: «**أيها الناس اقبلوا فريضة ربكم**» وذلك لاثنتــي عشرة من ربيع الأول، وأقام بالمدينة إذ قدمها في دار أبي أيوب من شهر ربيع الأول إلى صفر من السنة الداخلــة يبنــى لــه فيها مسجده والمساكن التي استقر فيها حول المسجد، وفي السنة الأولــى وادع اليهود أي: صالــحهم وعاهدهم وشرط لــهم واشترط عليهم في كتابه الذي كتبه فيما بينهم وبين أصحابــه من المهاجرين والأنصار.

و(ما) في قول الناظم: (وبين ما أصحابه) زائدة، وصورة الكتاب: (هذا كتاب من محمد رسول الله بين المؤمنين من قريش ويثــرب ومن تبعهم فلحق بِهم وجاهد معهم أنّهــم أمة واحدة من دون الناس، وأن من تبعنا من اليهود كان لــه النصرة والأسوة غير مظلومين، وأنه لا يحل لــمؤمن أقرَّ بما في هذه الصحيفة أن ينصر محدثًا ولا يأويــه، وأنّكُم مهما اختلفتم فيــه من شيء فإن مرده إلى الله وإلى رسوله).

وفيها آخى رسول الله بين المؤمنين من المهاجرين والأنصار وهي المؤاخاة الأولى وكانوا يتوارثون بِهــا أولاً، ثُمَّ المؤاخــاة الثانيــة بعــد بدر وأخــذ بيــد علي فقال: «**هذا أخي**».

وتكلم بعضُ الحفاظ في هذا الحديث وفي المؤاخاة والحق أن المؤاخاة ثبتت ومؤاخاة علي وردت من طرق كثيرة بعضها يرتقي عن درجة الحسن[2].

وفيها كان بدأ الأمر بالأذان وسببه رؤيا عبد الله بن زيد المشهورة وذلك أنــه لَمّا اجتمع أمر الأنصار واستحكم شأنُ الإسلام وقــامت الصــلاة وإنَّما يَجتمعُ النــاس في مواقيتها بغير دعوة فاهتم رسول الله فيما يعلم به الوقت، فذكرت الراية والبوق فلم يعجبه، وذكر الناقوس فأمر بــه فنُحِتَ ليضربَ بــه فبينما هم كذلك إذ رأى عبد الله ابن زيد أنّــه مر بــه رجلٌ عليه ثوبان أخضران يحملُ ناقوسًا فقال عبد الله: أتبيعُ هذا الناقوس، قال: وما تصنعُ بــه؟ قال: ندعو به للصلاة، قال: أفلا أدلك على خير منه،

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٠)، ومسلم (٦٨٥) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

(٢) انظر: فتح الباري (٢٧١/٧).

قال: وما هو؟، قال: تقول: الله أكبر إلى آخر ألفاظ الأذان، ثم استأخر غير بعيد، ثُمَّ قال: تقول: إذا قمت إلى الصلاة الله أكبر إلى آخر ألفاظ الإقامة.

فأخبر بها رسول الله فقال: «**إنها رؤيا حق إن شاء الله قم مع بلال فألقها عليه فإنه أندى منك صوتًا**»[1] ففعل فلما سمعها عمر وهو في بيته خرج وهو يجر رداءه يقول: والذي بعثك بالحق لقد رأيتُ مثل ما رأى فقال المصطفى: «**لله الحمد**».

وفي هذه السنة أسلم عبد الله بن سلام، وكان اسمه الحصين فسماهُ المصطفى عبد الله.

وفيها شرع القتال وأنزل الله: ﴿**أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا**﴾ [الحج: ٣٩]، وقال المصطفى: «**أمرتُ أن أقاتل الناس**» الحديث[2]. وقوله: (لعام ثان) يأتي شرحه مع ما بعده.

وفيه فرضُ الصَّوم والزكاة	**للفطر والعيدين بالصلاة**
بخُطبتَين بَعدُ والأضحيةُ	**كذا زكاة مالهم والقبلة**
للمسجد الحرام والبناءُ	**بعائش كذلك الزهراءُ**

وفي العام الثاني من الهجرة كان فرض الصوم بالإضافة أي صوم رمضان والزكاة التي للفطر وذلك قبل فرض زكاة المال، وفيها نزل العيدان أي: الأمر الندبي بالصلاة لهما على الكيفية المعروفة، وفيها نزل الأمرُ بالأضحية في الأضحى، وكذا فرض زكاة مالهم، وفيها تحولت القبلة من بيت المقدس إلى المسجد الحرام يوم الثلاثاء نصف شعبان أو رجب، وفيها كان البناء بعائش أي: إعراسه بعائش ترخيم عائشة بنت الصديق وعمرها تسع سنين في شوال ومكثت عنده تسع سنين وخمسة أشهر ولم يتزوج بكرًا غيرها، وقال ﷺ في شأنها: «**فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام**»[3]، وحوت علمًا جمًّا ومناقبها كثيرة جدًّا، ومات المصطفى في يومها ورأسه في حجرها، ودفنَ في بيتها بالمدينة. توفيت ﷺ في رمضان سنة ست أو سبع أو ثمان وخمسين عن نحو سبع وستين سنة، وما ذكر من أن البناء بها كان في العام

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩)، وابن ماجه (٧٠٦) من حديث عبد الله بن زيد ﷺ. وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح أبي داود (١/١٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٢٥)، ومسلم (٢٢) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٦٩). ومسلم (٢٤٣١) من حديث أبي موسى ﷺ.

الثاني هو ما وقع للناظم، وقال غيره: في الأول على رأس ثمانية أشهر أو تسعة من الهجرة، وكذا كان بناء علي ﷺ على فاطمة الزهراء سميت به لأنها زهرة رسول الله ﷺ وهي أصغرُ بناته.

وبَدرٌ الكبرى وفي الثالثة ... دُخوله بحفصة القانتة
والزينبين وبنَى ابنُ عفان ... بأم كُلثوم وفيه الجمْعانْ
التقيا بأحد والرَّابعة ... بئر معونة بتلك الفاجعةْ
وغزوةُ بني النَّضير وجَلَوا ... ذاتُ الرِّقاع بعدها كما حكوْا

وفيها غزوة بدر الكبرى فهذا كله في السنة الثانية من الهجرة.

وفي السنة الثالثة كان دخول المصطفى بحفصة بنت عمر القانتة الصوامة القوامة، وفيها كان دخوله بالزينبين زينب بنت خزيْمَة الحارثية دخل بِها في رمضان على رأس أحد وثلاثين شهرًا من الهجرة وزينب بنت جحش التي قص الله خبرها في القرآن، وفيها بنى عثمان بن عفان بأم كلثوم بنت المصطفى، وفيه أي: هذا العام التقى الجمعان بأحد وكان من أمرهما ما كان فهذا ما وقع في الثالثة.

وفي الرابعة كانت سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة ماء لبني عامر ابن صعصعة في صفر ومعهم القراء وهم سبعون وباءوا بتلك الفاجعة أي: الرزية المؤلمة وهي أن عامر بن الطفيل خرج بقومه فقتل القراء جميعًا إلا كعب بن زيد، وعمرو بن أمية الضمري، ودعا النبي عليهم في صلاته شهرًا، وفيها كانت غزوة بني النضير في ربيع الأول فتحصنوا فحاصرهم وخرب بيوتهم وحرق نخلهم، فسألوه الجلاء فأذن وجعل لهم ما حملت الإبل إلا الحلقة، فجلوا أي: خرجوا إلى خيبر وأخذوا من أموالهم ما استقلت به الإبل، وفيها كانت غزوة ذات الرقاع، وكانت بعدها أي: بعد بني النضير في المحرم وذكرها البخاري[1] بعد خيبر (كما حكوا) أي: أهل السير وغيرهم.

وقائلٌ فيها الصلاة قصرت ... والخَمرُ حُرِّمت أو في التي خلت
وقيل فيها آيةُ التيمم ... كذا صلاة الخوف مع خُلف نُمي
وقيل في الخمس وفيه نزلت ... آيُ الحجاب والخسوفُ صُلِّيَتْ

---

(١) انظر: فتح الباري (٧/٤١٧).

لقمر وفيـــه غـــزو الخنـــدق مـــع قُريظَة مَـــع الـمصطلِق
علـى الصحيـح وبِهـــا جُويريـةْ بـنـــى بِها والإفكُ أوْ فـي الآتيـةْ

وقال قائل -وهو ابن الجوزي-: إن فيها أيضًا الصلاة الرباعية قصرت إلى ركعتين، وفي الرابعــة نزل تَحريم الخمر، وقال بعضهم: إنَّما حرم بالبناء للمفعول أي شربــها في الثالثــة في ربيع الأول، وقيل: فيها سقط عقد عائشــة، فنــزلت آية التيمم، وقيل: نزل فيها أيضًا صلاة الخوف في غزوة ذات الرقاع مع خُلف في هذين أي: آية التيمم وصلاة الخوف (نُمي) أي: روي عن جمع، وقيل: إنما كانت صلاة الخوف في سنة خمس وذكرها البخاري بعد خيبـــر، هذا ما وقع في السنة الرابـــعة.

وفي العام الخامس نزلت آي الحجاب جَمع آية، وفيه كان الخسوف، فقول الناظم: (وصليت) بالبناء للمفعـــول أي: وصلى النبي ﷺ لخسُوف القمر صلاتـــه على الكيفية المشهورة، وفيه كانت غزوة الخندق وتسمى غزوة الأحزاب، وكانت في ذي القعدة مع غزوة بنـــي قريظة فإنه لَما انصرفَ من الخندق وضع السلاح فجاءه جبريل فقال: «**إن الملائكة لَمْ تضع السلاح وإن الله يأمرك بالمسير إلى بنـــي قريظة**».

وقول الناظم: (مع المصطلق) بكسر اللام أي: وكانت غزوة بنـــي المصطلق مع ما قبلها في عامها (على الصحيح) وهم حي من خزاعـــة وهي المريسيع، وقوله: (وبـــها) إلخ أي: وفي هذه السنة بنـــى بجويرية بنت الحارث وكانت من بنـــي المصطلق جاءته لتستعين به على كتابتها فأدّى عنها وبنـــى بِها وجعل عتقها صداقها، وأمّا الإفك أي: قصته فقيل كان في هذه السنة وقيل في السنة الآتية وهي سنة ست هذا ما وقع في السنة الخامسة.

في الست كانت عُمْرَةُ الـحُدَيْبِيَـهْ وبيـــعة الرضـــوان تلك الزَّاكـــيهْ
وفيه فرضُ الحـــج أو مـــا خَلَت أو في الثمـــان أو ففـــي التاســـعة
خُلْفٌ وقيل كـــان قبـــل الـهجرة وجوبُـــهُ حَكـــاهُ فـــي النـــهايـة
وفيـــه قـــد ســـابَقَ بيـــن الخَيْلِ وآية الظهـــار فـــي ابـــن خَوْلـي

وفي السنة السادســـة كانت عمرة الحديبية قرية على سبعة أميال من مكـــة، وبيعة الرضوان وهم العشرة بايعوهُ تحت الشجرة، وتلك البيعة الزاكية أي: المباركة المرضية التي ذكرها الله في سورة الفتح، وفيه كان فرضُ الحج أو إنَّما فرض في التـــي خلت وهي السنة الخامســـة، فما فـــي النظم موصولـــة أو إنـــه إنَّما فرض في الثمان أو فـــي السنة

التاسعة فهذا خلف مشهور وأقوال معروفة اختار القرطبي منها الأخير.

وقيل: فرض قبل الهجرة حكاهُ إمام الحرمين في النهاية فهذه خمسة أقوال.

وفي سنة ست سابق المصطفى بين الرواحل فسبق قعود الأعرابي ناقة رسول الله القصوى فشق على المسلمين فقال: «**حق على الله أن لا يرفع شيئًا من الدنيا إلا وضعه**»[1]، وفيها سابق بين الخيل فسبق فرس أبي بكر، وفيها أخبرته خولة أن زوجها أوس بن الصامت ظاهر منها فنزلت آية الظهار فكان سبب نزولها في خولة.

في السبع خيبر وعمرة القَضَا ... وقدمت أم حبيبة الرِّضا
بنى بها وبعدها ميمونةْ ... كذاك فيها قبلها صفيَّةْ
وفيه منعُ الحُمُر الأهليَّة ... ومتْعَةُ النساء ثمَّ حَلَّت
يومَ حُنَيْنٍ ثُم قد حَرَّمها ... مؤبدًا ليس لذلك انْتهَا

وفي السبع أي: العام السابع كانت غزوة خيبر في جمادى الأولى على الأصح، وفيها كانت عمرة القضاء وتسمى عمرة الصلح في هلال ذي القعدة، وفيها قدمت أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان من الحبشة وكان تزوجها وهي هناك فبنى بها أي: دخل عليها وتزوج بعدها ميمونة بنت الحارث الهلالية بِمكة في عمرة القضاء، وكذا أيضًا في السابعة قبلها بعد أم حبيبة وقبل ميمونة صفية بنت حيي، وفيه حرم أكل الحمر الأهلية، ونهى عن أكل كل ذي ناب من السباع، وفيه منع متعة النساء أي: حرم نكاح المتعة ثم حلت أي: حللها بعد ذلك يوم وقعة حنين سنة ثَمان ثم حرمها بعد ذلك مؤبدًا.

وقول الناظم: (الرضا) وصف لأم حبيبة وهو مصدر يستوي فيه المذكر والمؤنث، وقوله: (ليس لذلك) أي: التحريم، (انتها) حشو كمل به الوزن.

وفي الثمَان وَقْعةٌ بِمؤتَة ... والفتحُ مَعْ حُنَينَ في ذي السنة
وأَخْذُ جِزْيةِ مَجُوسِ هَجرا ... واتَّخذ النبيُّ فيه المنبرا

وفي عام الثمان كانت وقعة مؤتة بضم الميم وبِهمز ودونه من عمل البلقاء بالشام في جمادى الأولى، وبِها كان أعظم الغزوات الفتح فتح مكة في رمضان لنقض قريش العهد مع غزوة حنين وهي بعد الفتح بأيام قليلة فكانتا في ذي السنة الثامنة

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٧٢) من حديث أنس ﷺ.

اتفاقًا، وأخذ الجزيــة من مجوس هجر مدينة باليمن قاعدة البحرين.

وقول الناظم: (أخذ) برفعــه عطفًا علــى وقعة وبجره عطفًا على حنين، وفيها اتخذ النبــي المنــبر ليخطبَ عليه وكان قبل يخطب إلى جذع فلما فارقــه حنَّ إليه وأنَّ فاحتضنه فسكن كما يجيء.

فــي التســع غــزوةُ تَبُوك بعد أنْ صَلَّــى علــى أصْحَــمَ غائبًا فسنْ

وفيه قــدْ آلــى مــن النســوانِ شهــرًا وفيــه قصــة اللِّعــان

وحجَّــةُ الصديــق ثــم أرسَــلا لــه عليًّا بعــدَهُ علــى الــولا

أن لا يَحُجَّ مُشركٌ بــعــد ولا يَطُوفُ عُريانٌ كفعــلِ الــجُهَلا

وسميــت بسنــة الــوفــود لــكثــرة الــقــادم مــن وفُود

وفي سنة تسع كانت غزوة تبوك وتعرف بغزوة العُسْرة وبالفاضحة، بينها وبين المدينة نحو أربع عشرة مرحلة وبينها وبين دمشق إحدى عشرة مرحلة، والأشهر عدم صرفه للتأنيث والعلمية، وفيها صلى على أصحم -ترخيم أصحمة- وهو النجاشي ملك الحبشة بعدما أخبــرهم النبــي بموتــه وكان غائبًا بالحبشــة فسن النبــي بذلك الصلاة على الغائب[١]، وفيها آلــى رسول الله من نسائه، يُقال: إنه ذبح ذبحًا فقسمته عائشة بين أزواجــه، فأرسلت لزينبَ نصيبها فردته فقال: «زيديها»[٢] فردته ثلاثًا فحلف لا يدخلُ عليهن شهرًا.

وفيها كانت قصة اللعان في شعبان بين عويمر العجلاني وامرأته، وفيها كان حج

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٧٧) وغير موضع من حديث جابر ﷺ.

وقد اختلف العلماء في الصلاة على الغائب: فذهب أبو حنيفة ومالك إلى أنها لا تشرع. وجوابهم على هذه الأحاديث أنها خاصة بالنبي ﷺ.

وذهب الشافعي، والمشهور عند أصحاب الإمام أحمد أنها مشروعة لهذه الأحاديث الصحيحة، والخصوصية تحتاج إلى دليل، وليس هنا دليل.

وتوسط شيخ الإسلام ابن تيمية، فقال: إن كان الغائب لــم يصلَّ عليه، صُلِّيَ عليه كهذه القضية، قضية النجاشي- وإن كان قد صُلِّيَ عليه، فقد سقط الفرضُ بذلك عن المسلمين.

وهو مروي عن الإمام أحمد، وصححه ابن القيم في الهدي؛ لأنه توفي في زمن النبي ﷺ أناس من أصحابه غائبين، ولم يثبت أنه صلى على أحد منهم.

انظر: تيسير العلام شرح عمدة الأحكام، للعلامة الشيخ عبد الرحمن آل بسام -حفظه الله- (ص٣٦٢).

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (١٥٨/٨) من طريق الواقدي، وهو مُجْمع على ضعفه.

الصديق بالناس فخرج من المدينة ثم أرسل النبي له في أثره علي بن أبي طالب ﷺ على الوفاء فأدركه بالعرج فقال: بعثني النبي أنادي أن لا يحج مشرك بعد هذا العام ولا يطوفُ بالبيت عريان كما كانت تفعلُ الجاهلية وأقرأ على الناس سورة براءة، وسميت هذه السنة وهي التاسعة سنة الوفود لكثرة الوفد القادم فيها على النبي ﷺ من جميع الجهات فإنهم كانوا منتظرين ما يقع له مع قومه فلمّا حصل الفتح دخل الناس في دين الله أفواجًا.

في العَشْرِ كانت حجة الوداعِ ... لا يَحصُرُ الوَافون باطلاعِ
فقيل كانوا أربعين ألفا ... أو ضعفها وزد عليها حتى ضعفا
وارتد فيها وادَّعى النبوة ... الأسود العنسي حتى موَّهْ
لبعض قومه بسجع صنَعَهْ ... فقُتلَ الشقيُّ مع من تَبِعَهْ
فيما يليها وهي إحدى عشرهْ ... قَضَى نبيُّ الله فيها عُمْرهْ
عاش ثلاثًا بعد ستين على ... أصحِّها والخُلفُ في هذا خَلا

وفي العام العاشر لخمس بقين من ذي القعدة حج المصطفى حجة الوداع ولم يحج بعد الهجرة غيرها ولم يثبت كم حج قبلها، وحج معه خلقٌ لا يُحصى عددهم (الوافون) أي: أهل العلم المتمكنون باطلاعهم عددهم، وقد ذكر البعض عددهم فقيل: كانوا أربعين ألفًا، وقيل ثمانين ألفًا وهو مراد الناظم بضعفها، وقيل: كانوا مائة ألف وعشرين ألفًا وهو مراد الناظم بقوله: (وزد عليه ضعفًا).

ويجوز أن يكون مراده وزد على الثمانين ضعفها فتصير ستة عشر، لكن يبعده أن أكثر ما قيل في عدد الصحابة الذين مات عنهم مائة ألف وأربعة عشر ألفًا، وبالجملة التحديد بعيد كل البعد إذ هو كالمتعذر مع تفرق الصحب في الأقطار والبوادي والبواري والقفار والقرى والأمصار، والتعبير المستقيم أن يُقال يزيدون على مائة ألف.

وفي السنة العاشرة أيضًا ارتد الأسود العنسي وادّعى النبوة، وكان بصنعاء اليمن وطغا وافترى حتى إنه (موه) أي: لبس وزخرف لقومه بسجع صنعه لهم يزعم أنه أوحي إليه فقتل الشقي مع من معه من أتباعه.

وفي السنة التي تليها وهي إحدى عشرة من الهجرة (قضى) أي: تم نبي الله فيها عمره فأقام بالمدينة عشر سنين فكان جملة ما عاش ثلاثًا وستين على أصحها أي: الأقوال، وقيل: أكثر، وقيل: أقل، و(الخُلفُ في هذا خلا) أي: سبق.

۞ ۞ ۞

باب ذكر صفته أي أوصافه الطاهرة

وربعة كان من الرجال لا من قصارهم ولا الطوال
بعيد بين المنكبين شعره يبلغ شحمة للأذن يُوفِرُهْ
مرة أخرى فيكون وفرةُ يضرب منكبيه يعلو ظهرةُ
يحلق رأسه لأجل النسك وربَّما قصَّرَهُ في نُسُك
وقد رووا لا توضعُ النَّواصي إلا لأجل النُّسكِ المحَّاصِ

كان المصطفى رَبْعَةً بفتح الراء فسكون من الرجال أي: مربوع الخلق معتدله لا من قصار الرجال ولا من الطوال بكسر الطاء لكنه كان إلى الطول أقرب كما في الزهريات عن أبي هريرة بسند حسن.

وكان بعيد ما بين المنكبين أي: عريض ما أعلى الظهر والصدر وهو دليل النجابة، والمنكب: مجمع العضد والكتف، وفي الصحيح[1] من طريق البراء بن عازب أن شعره كان يبلغ شحمة أذنه أي: إذا أخذ منه، وفي رواية[2] يوفره مرة أخرى فيكون وفرة بسكون الفاء وهو الشعر الذي يصل شحمة الأذن، وفي رواية وكان شعره يبلغ شحمة أذنه كان يضرب منكبيه مرة، ومرة يطول حتى يعلو ظهره.

قال عياض: والجمع بين هذه الروايات أن ما يلي الأذن هو الذي يبلغ شحمة أذنيه والذي بين أذنيه وعاتقه وما خلفه هو الذي يضرب منكبيه، وقيل: بل يختلف باختلاف الأوقات فإذا لم يقصره بلغ المنكب، وإذا قصره كان إلى أنصاف أذنيه؛ وكان يفرق شعره ولا يحلق رأسه إلا لأجل النسك، وقد رووا أي المحدثون في بعض الأخبار لا توضع النواصي أي جمع ناصية وهي شعر مقدم الرأس إلا لأجل النسك، و(المحاص) أي: الممحص للذنوب وهو الحج.

أبيض قد أشرب حمرةً عَلَتْ وفي الصحيح أزهرُ اللون ثَبَتْ
وفي الصحيح أشكَلُ العَيْنين أي حُمْرَةٌ لدى بياض العين

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥١) من حديث البراء بن عازب ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٣٣٧) من حديث البراء بن عازب ﷺ.

ولِعَلِيٍّ أدْعَجٌ وَفُسِّرا بشدة السَّواد في العين يُرى
وفي الصحيح أنه دَعِجُ الشَّعَرْ لا سبط ولا بجعد الخبر
وعن علي سبطٌ لم يَثْبُتِ إسنادُهُ وكان كثٌّ اللّحيَة

كان المصطفى أبيض اللون مشربًا بِحمرة وهو مراد الناظم بقوله: (قد أشرب حمرة علت) والأشرب خلط لون بلون كأن أحد اللونين سقي بالآخر، وفي صحيح البخاري[1] عن أنس كان أزهر اللون أي: أبيض مشربًا بحمرة.

قال ابن حجر[2]: وقد وقع ذلك صريحًا في حديث أنس من وجه آخر عند مسلم وغيره، وثبت ذلك من طرق أخرى.

وفي صحيح مسلم[3] كان أشكل العينين، أي: يخالط بياض عينيه حمرةٌ وهو محمودٌ مطلوبٌ.

وقول سماك: أي طويل شق العين وهمه فيه عياض، والشكلة إحدى علامات النبوة، فقول الناظم: (لدى) بمعنى في، وفي بعض الروايات لعلي بن أبي طالب أي: عنه في صفته أنه أدعج العينين، وفسر عبد الغني وغيره الدعج بشدة سواد العين وقيل هو شدة سواد العين مع شدة بياضها.

وفي الصحيح[4] عن أنس أنه ليس بجعد الشعر ومراده أنه ليس بسبط بفتح المهملة وكسر الموحدة وهو المنبسط المسترسل الذي لا تكسر فيه ولا بجعد وهو ما بضده بل كان بين ذلك كما جاء في الخبر الآخر، وأمّا ما رواهُ ابن عساكر عن علي كرم الله وجهه أنه كان سبط الشعر فهو غير ثابت من طريقيه لأن في إحداهما مجهول وفي الأخرى ضعيف، وكان كث اللحية أي: كثير شعرها غليظة زاد في رواية: (قد ملأت من هاهنا إلى هاهنا وأمرَّ يديه على عارضيه).

وأشعر الصدر دقيق المسرُبَةْ من سُرَّة حتى يُحاذي لبتَهْ
وكان شَثْنًا كَفُّهُ والقَدَمُ وهو الغَلِيظُ قوةً يستلزمُ

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٧) من حديث أنس بن مالك ﷺ.
(٢) انظر: فتح الباري (٦/٥٦٩).
(٣) أخرجه مسلم (٢٣٣٩) من حديث جابر بن سمرة ﷺ.
(٤) أخرجه البخاري (٣٥٤٧) من حديث أنس ﷺ.

كان أشعر الصدر أي: كثير الشعر على صدره رقيق المسربة بفتح فسكون فضم وفسر بأنه الشعر المستدق من السرة إلى محاذاة اللبة شعر يجري كالقضب ليس في بطنه ولا ظهره غيره، وكان شثن الكفين والقدمين أي: غليظهما من غير قصر ولا خشونة فالمراد غلظ العضو في الخلقة لا خشونة الجلد وذلك يستلزم قوة في القبض والمشي وهو محمودٌ في الرجال دون النساء.

وقوله: (رقيق) روي بدال وبراء، والشثن بمعجمة مفتوحة ومثلثة وقيل مثناة ساكنة من شثن بالضم غلظ، والكفين تثنية كف وهي الراحة مع الأصابع سميت به لأنها تكف الأذى عن البدن وهي مؤنثة على الصواب، والقدمين تثنية قدم وهي معروفة ومؤنثة وتصغيرها قديمة.

إذا مشى كأنما ينحط ... من صبب من صُعُد يَحُطُّ
إذا مَشَى كأنَّما تَقلَّعا ... مِنْ صَخْرٍ أي قَوِي مَشْي مُسْرِعًا
يُقبِلُ كلُّه إذا ما الْتَفتا ... وليس يُلوِي عُنُقًا تَلَفُّتَا

كان إذا مشى كأنما ينحط من صبب أي ينحدرُ من مكان عال وهو مراد الناظم بقوله: (من صعد يَحط) أي يَحط من مكان عال، وصعد بضمتين جمع صعود وهو خلاف الهبوط، وكان إذا مشى كأنما تقلعا أي: يتقلعُ أي: يخرج قدميه من صخر أي قوي المشي كأنه يرفع رجليه من الأرض رفعًا قويًا مسرعًا لا كمن يمشي اختيالاً ويقارب خطاه، وكان يقبل بكله أي بكل جسمه إذا التفت فلا يسارق النظر ولا يلوي عنقه.

وقوله: (تلفتا) أي: في حال تلفته فإن ذلك فعل الطائش الخفيف، فكان يقبل جميعًا ويدبر جميعًا أي: بجميع أجزاء بدنه فإذا توجه إلى شيء توجه بكليته ولا يُخالف ببعض جسده بعضًا لئلا يخالف بدنه قلبه وقصده مقصده لما في ذلك من التلون وأمارة الخفة وعدم التصون، وما في قول الناظم: (ما التفتا) زائدة.

كأنَّما عرقه كاللؤلؤ ... أي في البياض والصفا إذا رُئي
تجمعه أم سليم تَجعله ... في طيبها فهو لعمري أفضلُهْ
يقولُ من ينعته ما قبلهُ ... وبعدهُ رأيتُ قطُّ مثلهُ

وكان عرقه أي: رشح جسده الشريف كاللؤلؤ هكذا ورد في خبر، وفسره الناظم بأنه مثله في البياض والصفاء، وأل فيهما عوض من الضمير أي في بياضه وصفائه،

إذا رئي أي: إذا نظر إليه الرائي، وكان ريح عرقــه أطيبُ من المسك ومن ثم كانت تجمعه أم سليم سهلة أو رملة أو الرميصا في قارورة وتجعله في طيبها كما رواه مسلم وغيره[١].

وفي بعض طرقه: وهو أطيب الطيب فهو لعمري والله أطيب طيب وأفضله، وفي حديث وائل بن حجر عند الطبرانــي والبيهقي[٢]: قد كنت أصافحُ رسول الله ﷺ أو يمس جلدي فأتعرفه بعد في يدي وأنه لأطيب رائحة من المسك، وفي حديثه عند أحمد[٣] أُتـــي رسول الله ﷺ بدلو من ماء فشرب منه ثم مجّ فيه ثم صبه في البئر ففاح منها ريح المسك، وروى أبو يعلى والبـــزار[٤] بسند صحيح عن أنس كان إذا مرَّ في طريق من طرق المدينة وجد منه رائحة المسك فيُقال: مر رسول الله، يقول من ينعته أي: يصفه ما رأيتُ مثله قبله ولا بعده قط أحدًا مثله، روى الشيخان[٥] عن البراء: لـــم أر شيئًا أحسن منه، وروى ابن سفيان فـــي مسنده عن أبيه إسحاق الهمدانـــي قلت لامرأة حجت مع المصطفى شَبِّهيه لـــي فقالت: كالقمر ليلة البدر ولـــم أر قبله ولا بعده مثله.

وروى الدارمي[٦]: قال أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر: قلتُ للربيع بنت معوِّذ: صفـــي لنـــا رسول الله قالت: (لو رأيته لقلت الشمس طالعة) أي: لرأيت شمسًا طالعة جردت من نفسه الشريفة نفسًا، وهي نحو قولك لئن لقيته لتلقين منه أسدًا، وروى أحمد وغيره عن أبي هريرة: (ما رأيتُ أحسن من رسول الله كأن الشمس تجري)، وفي لفظ (تخرج من وجهه).

وأخرج الترمذي عن قتادة والدارقطني، عن أنس: **«ما بعث الله نبيًّا إلا حسنَ الوجه حسنَ الصوت، وكان نبيُّكم أحسنهم صوتًا وأحسنهم وجهًا»**[٧].

۞ ۞ ۞

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٣١) من حديث أنس ﷺ.
(٢) انظر: المعجم الكبير (٢٢/٣٠).
(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٨٣٩٥) من حديث وائل بن حجر ﷺ.
(٤) انظر: مجمع الزوائد (٨/٢٨٢).
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧) من حديث البراء بن عازب ﷺ.
(٦) أخرجه الدارمي (٦٠) عن الرُّبيِّع بنت معوِّذ.
(٧) أخرجه الترمذي في الشمائل (ص٢٥٤) من حديث قتادة مرسلاً. وضعفه العلامة الألباني -رحمه الله- في مختصر الشمائل برقم (٢٧٤).

باب ذكر وصف أم معبد الخزاعية لـه وقـد تقـدم ذكـرُ اسمها

تقولُ فيـه بلسـان نـاعت أبْلَـجُ وجـه ظـاهرُ الوضاءة
الخَلق منـه لَـمْ تعبه ثجْلـةْ كلاَّ ولـم تُزر بـه من صَعْلـةْ
أدعجُ والأهـدابُ فيهـا وَطْفُ مـن طولـها أو غَـطَفٌ أو عَطْفُ
والجيـدُ فيـه سطـعٌ وسيـمُ والصَّـوتُ فيـه صحـلٌ قسيمُ

لَمَّا هاجر المصطفى إلى المدينة ومر على أم معبد وكان من أمرها ما تقدم جاء زوجها ورأى اللبن فسألها عنه فأخبرته بأمره فقال لَها: صفيـه لـي، فبدأت تقول فيه بلسان ناعت بتنوين لسان أي: تنعته لزوجها: هو رجل أبلج الوجه أي: مشرقه نيره ظاهر الوضاءة والبهجـة والجمال، قال البراء بن عازب: ما رأيتُ من ذي لُمة في حلة حَمراء أحسن منه رواهُ مسلم وأبو داود[١].

وقال أبو هريرة: كان أحسن الناس صفة وأجملهم، رواه الحسن بن الضحاك في شمائله، وقال ابن عباس: لَمْ يقم مع شمس قط إلا غلبَ ضوؤه ضوء الشمس ولـم يقم مع سراج قط إلا غلب ضوؤه ضوء السراج، رواه ابن الجوزي.

وقال أنس: كل شيء حسن فقد رأيته فما رأيتُ أحسن من رسول الله ﷺ رواه ابن عساكر.

وقال أبو قرصافـة: كان حسن الوجه ولـم يكن بالفارغ الجسيم، وقال نفطويه في قوله تعالى: ﴿يَكَادُ زَيْتُهَـا يُضِيءُ﴾ [النور: ٣٥] الآية: هذا مثل ضربـه الله لنبيـه يقول: يكاد نظره يدل على نبوته وإن لـم يتل قرآنًا كما قال ابن رواحة:

لـو لـم تكن فيـه آيـات مبينةٌ كانت بديهـته تنبيك بالـخـبـر

والخلق في قول الناظم: (الخلق منه لـم تعبه ثجلة) بفتح الخاء وسكون اللام وتعبه بفتح الفوقية وكسر العين أي: لـم يوجد في بدنه شيء يُعاب به ثجلة ولا غيرها والثجلة

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٥١)، ومسلم (٢٣٣٧) واللفظ له من حديث البراء ﷺ.

بفتح المثلثة وسكون الجيم عظم البطن مع استرخاء أسفله، وروي بفتح النون وسكون المهملة أي: لم يعبه رقة وهزال وضعف تركيب من قولهم نحل جسمه نحولاً.

وقوله: (كلا) ردعٌ لمن عابه وهو من كلام الناظم، وقوله: (ولم تزر به) بضم أوله وسكون الزاي والإزراء الاحتقار والاستخفاف بالشيء أي: لم يحتقر ولم يستخف به، وقوله: (صَعْلة) بفتح الصاد وسكون العين المهملتين صغر الرأس وهو أيضًا الرقة والنحول في البدن، وفي حديث الأحنف أنه كان صعل الرأس وروي بقاف وروي بسين مهملة بدل الصاد، (والأهداب منه فيها وطف من طولها أو غطف) وأو فيه بمعنى الواو أو في رواية وطف، وفي رواية غطف بغين معجمة، وهي أشهر وأرجح وهما بمعنى وهو أن يطول شعر الأجفان ثم تغطف، وفي رواية عطف بعين مهملة أي: طال وانعطف.

وقوله: (والجيد) لفظ الرواية المشهورة والعنق أي عنقه فيه سطع بفتح السين والطاء المهملتين وهو طول العنق وارتفاعه، وقوله: (وسيم) أي: ومن صفاته الوسم وهو الحسن والوضاءة فإنه صار الحسن له علامة، وقوله: (والصوتُ منه فيه صحل) بفتح الصاد والحاء المهملتين وهو غلظ في الصوت وفي رواية صهل بالهاء وهو قريب منه لأن الصهل صوت الفرس، وقوله: (قسيم) أي: ومن صفاته أنه قسيم والقسامة الحسن ورجل مقسم الوجه أي: جميلٌ كله.

كثيف لحية أزجُّ أقرنُ	**أحلاهُ من قُربٍ لهُ وأحسنُ**
أجملُهُ من بعد وأبْهَا	**يَعْلُوهُ إذ ما يتكلمُ البها**
كذاك يعلوهُ الوقارُ إنْ صمت	**منطقهُ كخرز تَحدَّرتْ**
فَصْلُ الكلام ليس فيه هَذرُ	**حُلوُ المَقَال ما عَرَاهُ نَزْرُ**

ومما وصفته به أم معبد أنه كثيف اللحية كذا في النظم ولفظها: (في لحيته كثافة) أزج أي: مقوس الحاجبين أي: طويلهما دقيقهما ممتدهما إلى مؤخر العين، أقرن أي: يتصل أحد الحاجبين بالآخر كذا في وصف أم معبد.

وفي رواية ابن أبي هالة الآتية: (سوابغ في غير قرن) بالتحريك وجمع بينهما بأنه كان بحسب ما يبدو للناظر من بعد أو بغير تأمل أقرن وأما القريب المتأمل فيبصر بين حاجبيه فاصلاً لطيفًا فهو أبلج في الواقع أقرن بحسب الناظر من بعد أو بغير تأمل.

والقول بأن القرن حدث فيه بُعْدٌ، قال الأنطاكي وغيره: والعرب تستملحُ البلج والعجم تستحسنُ القرن ونظر العرب أدق وطبعهم أرق، وقوله: (وأحسن أجمله من بعد) لفظ أم معبد: (أجمل الناس وأبهاه من بعيد وأحسنه وأحلاه من قريب) أي: مَنْ رآه مِنْ بعد رآه أجمل من كل أحد وأبـــهى والبهاء حسن الهيئة.

وقوله: (يعلوه إذ ما يتكلم البها) مقصورٌ وأصلهُ المد، ولفظ أم معبد: (إن تكلم سما وعلاه البهاء) أي: علا بكلامه على من حوله من جلسائه، وقوله: (كذاك يعلوه الوقار إن صمت) لفظ أم معبد (إن صمت فعليه الوقار) أي: الحلم والرزانـــة، وفي رواية (إذا صمت فعليه البها وإذا نطق فعليه الوقار).

وقوله: (منطقه كخرز تحدرت) لفظ أم معبد (كان منطقه خرزات نظم يتحدرن) أي: منطقه يشبه خرزات اللؤلؤ المنظوم إذا انحدرت من فيه وتساقطت، وقوله: (فصل الكلام) أي: كلامه بيِّن ظاهر يفصل بين الحق والباطل، وقوله: (ليس فيه هذر) أي: ليس في كلامه تكثير يمل على سامعه، وقوله: (حلو المقال) لفظ أم معبد (حلو المنطق، لا نزر ولا هدر) أي: ليس كلامه بقليل لا يفهم ولا بكثير يمل، وقوله: (ما عراه) بمهملتين أي: لـــم يعبه ولـــم يكن كلامه نزرًا أي: ليس بقليل يدل على عـــي المتكلم بـــه.

لا بـــائنٌ طـــولاً ولا يُقتـــحمُ	مـــن قصـــر فهو عليهم يَعظُمُ
بنضـــرة المنظـــر والـــمقـــدار	تَـــحُفُّـــهُ الرُّفْقَـــةُ بـــائتمَار
إن أمـــروا تبـــادروا امتـــثالا	أو قـــال قولاً أنْصَتُوا إجْـــلالا
فهو لـــدى أصحابـــه مَحفـــودُ	أيْ يُسْرعونَ طَـــاعَةً مَـــحْشودُ
لـــيس بعـــابـــس ولا مُفنّـــد	بـــذاك عَـــرَّفتْهُ أمُّ مَعْبَـــد

كان المصطفى ليس بالطويل البائن[١]، وقوله: (ولا يقتحم) بالبناء للمفعول ولفظ أم معبد (ولا تقتحمه عين من قصر) أي: لا تزدريه من ينظره لقصر ولا يحتقره فيتجاوز عنه إلى رؤية غيره بل يهابـــه ويعظمه وهو معنى قول الناظم (فهو عليهم يعظم)، وقوله: (بنضرة المنظر) بفتح نون نضرة وسكون الضاد المعجمة أي: لحسن منظره وعظم قدره، ولفظ أم معبد (فهو أنضر الثلاثة منظرًا وأحسنهم قدرًا).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٤٨)، ومسلم (٢٣٤٧) من حديث أنس ﷺ.

وقوله: (تحفُّه الرفقة) أي: تطوفُ رفقته به ويدورون حوله، وقوله: (بائتمار) يحتمل كون الباء بِمعنى مع، أي: مع اهتمامهم بشأنه، وقوله: (إن أمروا) بضم الهمزة مبني للمفعول أي: إذا أمرهم بشيء تبادروا له امتثالاً لأمره وإن قال قولاً أنصتوا له إجلالاً وإعظامًا، فهو عند أصحابه محفود بحاء مهملة أي مخدوم يسرعون طاعة له.

وقوله: (محشود) المحشود الذي يجتمع الناس حوله ليمتثلوا قوله ويقتدوا بأفعاله، وقوله: (ليس بعابس) أي: الكريه الملتقى، وقوله: (ولا مفند) بفتح الفاء وكسر النون المشددة وهو الذي لا فائدة لكلامه لقلة عقله؛ فبهذه الأوصاف كلها عرفته أم معبد لزوجها فقال: هذا والله صاحب قريش ولقد هممتُ أن أصحبه ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلاً[1].

۞ ۞ ۞

باب ذكر وصف هند بن أبي هالة له

وهند هو التميمي الأسدي ربيب المصطفى، أمة خديجة زوجته، وكان فصيحًا بليغًا وصَّافًا أي يحسنُ وصف صفات النبي ويستحضرها، والوصَّاف العارف للصفة.

وابنُ أبي هالة زاد لَمَّا	وصفهُ مُفخَّمًا وفَخْمَا
لوجهه تلألؤٌ كالبدر	مُعتدل الخَلْق عريضُ الصدر
عظيمُ هَام واسع الجبين	فَمٌ ضَليعٌ أقنى ٱلعرنين
يعلوه نورٌ من رآه إذ ما	لم يتأمَّل ظَنَّهُ أشَمَّا
مُفَلَّجُ الأسنان سهلُ الخَدِّ	أشنبُ بادنٌ طويل الزَّنْد
عُنُقُهُ يُرَى كجيد دُمية	مع صفاء لونه كالفضَّة
أزجُّ في غير قرنْ إذا غَضِبْ	بينهما عرقُ يُدِرُّهُ الغَضَبْ
وسائل الأطراف رَحبُ الراحة	ضَخمُ الكَراديس ذريعُ المشية

قد بالغ هند بن أبي هالة وزاد على غيره في أوصافه فقال: كان مفخمًا أي: معظمًا في صدور الصدور وعيون العيون فخمًا أي: عظيمًا في نفسه يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر أي: يُشرقُ وجهه ويستنيرُ كاستنارة القمر ليلة بدارته وهي ليلة أربعة عشر، معتدل

---

(١) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (١/٢٧٦).

الخلق بفتح فسكون في جميع صفات ذاته ومعتدل الصورة الظاهرة بمعنى أن أعضاءه متناسبة، عريض الصدر عظيم الرأس وهو مراد الناظم بقوله: (عظيم الْهَام) ترخيم هامة أو هو جمع هامة، واسع الجبين أي: مُمْتَدَّه طويله عريضه وذلك محبوب محمود، ضليع الفم أي: عظيمه واسعه والعربُ تتمدحُ به وتذمُ ضيقه، وكان لسعته يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه وهو دليلٌ على قوة الفصاحـة.

وقوله: (أقنى العرنين) مرتفع أعلا الأنف محدودب الوسط منه فقوله: (أقنى) بقاف ونون مخففة من القنا وهو ارتفاع أعلى الأنف واحديداب وسطه كما تقرر، وهذا بمعنى قول ابن الأثير: (هو السائل الأنف المرتفع وسطِه).

وقيل: هو نتوء في وسط القصبة والأول أدخل في المدح، والعرنين بكسر المهملة وسكون الراء وكسر النون الأولى ما صلب من عظم الأنف أو كله أو ما تحت مجتمع الحاجبين أو أوله حيث يكون الشمم وجمعه عرانين، وعرانين الناس أشرافهم ووجهاءهم ويكنى به عن العزيز المحسود في قومـه.

وقول الناظم: (يعلوه نور من رآه) إلخ لفظ الحديث: (له نور يعلوه يحسبه من لـم يتأمله أشم) أي: يعلو أول أنفه وطول قصبته نور ساطع وإذا لـم يتأمله الناظر يظنه أشم الأنف، والشمم ارتفاع قصبـة الأنف وطولَها مـع استواء أعلاهـا وإشراف الأرنبـة قليلاً، وقوله: (مفلج الأسنان) بفاء وجيم أي: مفرج ما بين الثنايا والرباعيات، والفلج أبلغُ في الفصاحة لأن اللسان يتسع فيها بِخلاف الألص[1]، سهل الخدين أي: ساهلها غـير مـرتفع الوجنتين وهي بِمعنى خبر البيهقي وغيره: (كان سهل الخدين) وذلك أعلى وأحلى عند العرب.

أشنب أي: أبيض الأسنان، بادن عظيم البدن لكن لا مطلقًا بل بالنسبة لِما ذكروهُ من كونه شثن الكفين والقدمين جليل المشاش ومع ذلك كان متماسكًا أي: يُمْسك بعض أجزائه بعضًا من غير تزحزح ولا استرخاء في اللحم، ليس بسمين ولا ناحل فهو معتدل الـخلق بفتح الخاء وسكون اللام؛ لأنه تعالى حماهُ خَلقًا وخُلقًا من الإفراط والتفريط.

---

(١) في لسان العرب (٨٧/٧) مادة (ل ص ص): «اللصَصُ: تقارب ما بين الأضراس حتى لا ترى بينهـا خللاً».

وكان الزندين تثنية زند كفلس وهو ما تحسر عنه اللحم من الذراع، وفي الصحاح[1]: (مَوْصِلُ طرف الذراع في الكف)، وقوله: (عنقه يُرى كجيد دمية) بضم نون عنقه للاتباع وفي لغة الحجاز وبناء يُرى للمفعول أي: يراه الرائي كجيد دمية بمعجمة بِمهملة ومثناة صورة مضيئة بيضاء مشربة بحمرة قد بولغ في تحسينها، ودمية بضم فسكون.

وقوله: (مع صفاء لونه) أي: مع صفاء لون عنقه يعني وكان عنقه مع ذلك كالفضة الصافية، فشبَّه عنقه بالدمية في الصفاء والاعتدال وظرف الشكل وحسن الهيئة والكمال وبالفضة في اللمعان والضياء والإشراق والجمال، وكان أزج الحواجب في غير قرن كما مرّ، وكان بين حاجبيه عرق يدره الغضب أي: يحركه ويظهره ويهيجه بإمارة ما فيه من الدم، وليس المعنى أنه لم يكن وأن الغضب يثيره بل هو موجود والغضب يظهره بإثارة ما فيه من الدم كما تقرر، وفيه دليلٌ على كمال قوته الغضبية التي عليها مدارُ حماية الديار وقمع الأشرار وكمال الوقار وتمكنه من الغضب للجبار القهار إذا انتهك شيء من محارمه.

وكان سائل الأطراف أي: طويل الأصابع ممتدها بلا احديداب ولا تعقد ولا انقباض ولا تكسر جلد ولا تشنج، وسائل بسين مهملة ولام، وروي: شائل بشين معجمة أي مرتفعها من قولهم شالت الميزان أي: ارتفعت إحدى كفتيه، وروي: سائن بسين مهملة ونون وهو بمعنى سائل فإن اللام تبدل من النون، وروي: سائر بالراء من السير، ومقصود جميع الروايات أنَّها غير متعقدة كما قاله الزركشي، وقوله: (رحب الراحة) أي: واسع الكف حسًّا ومعنًى، ومن قَصره على حقيقة التركيب أو جعله كناية عن الجود فحسب فغير مصيب، والراحة بطن الكف وأصله من الروح وهو الاتساع، ضخم الكراديس أي: عظيم رءوس العظام غليظها، ذريع المشية بكسر الميم أي سريع هيئة المشي واسع الخطوة فهو مع كون مشيته بسكينة كان يمد خطوته حتى كأن الأرض تطوى له، قال في المصباح: (الذريع السريعُ وزنًا ومعنى)، وفي المفردات[2]: (هو الواسع).

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: مختار الصحاح ص(٢٧٦)، مادة: (ز ن د).

(٢) انظر: المفردات للراغب الأصبهاني (ص١٧٨).

باب ذكر أخلاقه الشريفة جمع خُلُق بضمتين

صورته الباطنة وهي نفسه وأوصافها ومعانيها

أكــــرم بــــــه خُلُقُـــــهُ القرآنُ ... فهـــو لــــدى غضَبِـه غَضْبــانُ
يَرضى بِما يرضـــاهُ لـــيس يغضبُ ... لنفســــــه إلا إذا تـــرتكـــبُ
مـــحـــــارمُ الله إذًا فيَنْتــــقِمْ ... فأحــدٌ لــذاك أصلاً لــم يقـــمْ
بَعَثَـــــهُ الرحمـــنُ بالإرفــــاق ... كيــمَا يَتِمَّ صَالــحَ الأخــلاق
أشجعُهُمْ فــي موطـــن وأنْجــــدا ... وأجـــودُ النَّاس بَـــنانًا وَيَـــدا

قوله: (أكرم به) أي: ما أكرمه على الله إذ جعل خُلُقه القرآن أي: ما دل عليه من أوامره ونواهيه ووعده ووعيده، وقوله: (فهو لدى غضبه غضبان) أي: كل مكان جاء فيه غضب الله فهو غضبان لأجله، يرضى بـــما يرضاه القرآن ويتأدب بآدابه ويتخلق بأخلاقه ويلتزم أوامره ولا يغضب لنفسه إلا إذا ارتكبت محارم الله فإنه حينئذ ينتقمُ من مرتكبها[١].

وقوله: (فأحد لذاك أصلاً لـــم يقم) فيه تقديم وتأخير ولفظ رواية البغوي[٢]: (فإذا تُعدّيَ الحقُّ لـــم يقم لغضبه شيء) أي: لشدة انتقامـــه، وفي رواية الطبرانـــي: «فإذا انتهكت حرمة الله كان أشد الناس غضبًا لله»[٣]، أي: فينتقم من مرتكب ذلك كما هو شأن أكابر المرسلين.

وقد بعثه الله الرحمن بالإرفاق أي: رفقًا بهذه الأمـــة لكـــي يتمم مكارم الأخلاق. وكان أشجع الناس أي: أقواهم قلبًا وأكثرهـم جراءة لـــملاقاة العدو، وقوله: (في موطن) أي: في مكان القتال وطالـــما استنجده الخائف عند خوفـــه فأنجده أي: أعانه ونصره، وقوله: (أجود الناس بنانًا ويدا) البنان الأصابع واحدها بنانة، وفي رواية الترمذي: «كان أسخى الناس كفًّا»[٤].

---

(١) أخرج البخاري (٣٥٦٠)، ومسلم (٢٣٢٧) من حديث عائشة -رضي الله عنها-، قالت: «... ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه إلا أن تُنتهك حرمة الله؛ فينتقم لله بها».

(٢) انظر: شرح السنة للبغوي (١٣/٢٧٢).

(٣) انظر: المعجم الصغير (ص٣٨٦).

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٣٨) مطولاً من حديث عليٍّ ﷺ. وضعفه العلامة الألباني -رحمه الله- في ضعيف الترمذي.

مـــا سُئِلَ قَـــطُّ حاجــةً فقالَ لا ... ولــيس يــأوي منــزلا إنْ فَضَــلا
ممَّا أتــــى درْهــمٌ أو دينـــارُ ... حتــى تريح منهمــا الأقــدار
أَصدقُ لَــهجَــــةً وأوفــــى ذِمَّةْ ... ألينهم عَريكـــــة فــــي الأمَّــةْ
أكرمُهُمْ فـــي عشـــرة لا يَحسبُ ... جلسيُـــــهُ أن ســــواهُ أقـــربُ
حَياؤهُ يـــربُو عـــلــى الــعَذْراء ... في خـــدرها لشـــدَّة الــحيـــاء

ما سُئِلَ رسول الله ﷺ شيئًا قط يعني حاجة من متاع الدنيا يباح إعطاؤها فقال لا، بل إنّما يعطيه أو يقول له ميسورًا من القول فيعده أو يدعو له.

وقول الناظم: (وليس يأوي منــزلا) أي: إلى منــزله إن فضل أي: بقي مما أتي أي: من الذي يأتيه من نحو غنيمة درهم أو دينار، حتى يريحه منهما أي: من هم الدينار والدرهم الأقدار فيفرقه على مستحقيه.

وكان أصدق الناس لهجة أي لسانًا يعني كلامًا والمعنى كلامه أصدق الكلام فلسانه أصدق الألسنة، وقوله: (وأوفى الناس ذمة) أي: عهدًا وأمانًا، وألينهم عريكة أي: أحسنهم معاشرة فكان علــى الغاية من التواضع وقلة النفور والخلاف، هكذا كان حاله مع جميع الأمة أي: أمة الإجابة، وكان أكرمهم في عشرة أي: في حسن صحبته من يصاحبه ويعاشره لا يحسب جليسه أي: من يجالسه أن سواهُ أقرب إليه منه لعظم إكرامــه لــه، وكان أشد حياء من العذراء في خدرها وهو المراد بقول الناظم: (حياؤه يربو) أي: يزيد على العذراء في خدرها، وقوله: (لشدة الحياء) حشو كمل به الوزن.

نظـــــرة للأرض منــــه أكــثرُ ... إلى الســماء خــافـــضٌ إذْ يَنْظُرُ

كان نظره إلى الأرض أكثر من نظره إلى الســـماء كما في خبر الترمذي، يعني: نظره إلى الأرض حال السكوت وعدم التحدث أطول من نظره إلى السمـــاء، والنظر كما في الصحاح بفتحتين: (تأمل الشيء بالعين)، والأرض الجرم المقابل للسماء وإنَّما كان نظره إلى الأرض أطول لأنه أجمع للفكرة وأوسع للاعتبار أو لأنه أكثر الناس حياءً وأدبًا مع ربه أو لأنه بعث لتربية أهل الأرض لا لتربية أهل السماء.

أمّا في حال التحدث فكان يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء، فلا تعارض بين حديث الترمذي هذا وبين حديث أبي داود: «كان إذا جلس يتحدث يكثر أن يرفع طرفه إلى السماء»[1].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٣٧) من حديث عبد الله بن سلام ﷺ. وضعفه العلامة الألباني –رحمه الله– في ضعيف الجامع (٤٣٧٤).

وقـــولـــه: (خافض الطرف إذ ينظر) أي: كان لا يثبت بصره في وجه أحد لشدة حيائه ذكره الناظم تبعًا لقول عياض أنه روي كذلك، وقيل: كان المراد إذا نظر إلى شيء ما خفض بصره لأن هذا شأن المتواضع وهو متواضع بسليقته، وشأن المتأمل المتفكر وهو مشغول بالتفكر في آلاء ربـــه، وقيل: هو كناية عن لين جانبه ومزيد تواضعه أو عن عدم كثرة سؤاله أو استقصائه إلا في واجب، والطَّرف العين وهو في الأصل تحريك الأجفان عند النظر فوضع موضع النـــظر.

أكثـــرهـــم تـــواضعـــًا يُـــجيـــبُ ... داعيــــهُ بعيـــدٌ أو قـــــريبُ
من عبـــد أو حُرٍّ فقـــير أو غنـــي ... وأرحـــم النـــاس بكـــل مـــؤمـــن
وطائف يَعْرُوهُ حتَّـــى الـــهِـــــرة ... يُصْغـــي لـــها الإنـــاءَ غَـــيْرَ مَـــرَّةْ

كان أكثر الناس تواضعًا كيف وقد خُيـــر بين أن يكون نبيًّا ملكًا أو نبيًّا عبدًا فاختار الثانـــي[(١)].

وقوله: (يُجيب داعـــيه) أي: من دعاه، أصله النصب على الحال من ضمير المفعول ورفع هذا خبر مبتدأ محذوف، أي: يجيب كل من دعاه من بعيد أو قريب من عبد أو حر أو فقير أو غني دني أو شريف، وكان أرحم الناس بكل مؤمن وبكل طائف فلا يختص برحمته من يعقل بل تعم رحمته حتى من لا يعقل كالوحش والطير، وكان كل طائف يعروه أي: يقصده حتى الـــهرة فكانت تأتيه فيصغي لـــها الإناء لتشرب يفعل ذلك غير مرة بل كل مرة أتته يفعل بها ذلك.

كان أعـــف النـــاس ليـــس يُمسك ... أيديَ مَـــنْ ليـــــس لَهُنَّ يَمْلكُ
يُـــبايعُ النســــاء لا يُـــصـــافـــحُ ... أيديهن بـــــل كـــلامٌ صالـــــحُ

---

(١) أخرج أحمـــد في مسنده (٧١٢٠) وابن حبان في صحيحه (١٤/١٨٠)، وأبو يعلى في مسنـــده (١٠/٤٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينـــزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ خُلق قبل الساعة، فلمّا نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك قال: أفملكًا نبيًّا يجعلك أو عبدًا رسولاً، قال جبريل: تواضع لربك يا محمد، قال: «بل عبدًا رسولاً». وصححه العلامة الألباني رحمه الله في الصحيحة (١٠٠٢).

كان أعف الناس أي أنزههم عمّا لا يليق ومن عفته أنه ليس يُمسك أيدي نساء من ليس لهن يملك من رق ونكاح، ولفظ الحديث: «ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها»[١] ولو قال الناظم:

كان أعف الناس أيضًا ما مَسَك ... قَطّ يدًا ليسَ لِرقِّها مَلَكْ

كان أقرب إلى لفظ الحديث لكن فيما عبر به شمول لما ملك بالزوجية دون هذه. وكان يبايع النساء ويستغفر لهن امتثالاً لقوله تعالى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللهَ﴾ [الممتحنة: ١٢]، لكن لا يصافح أيديهن بل مبايعته لهن كلام صالح يعني بايعهن بالكلام لا بالمصافحة في اليد عند المبايعة.

أشدُّهم لصحبه إكرامًا ... ليس يَمُدُّ رجلَهُ احْترَاما
بينهم ولَم يكن يُقدِّمُ ... رُكبتهُ على الجليس يُكْرِمُ
فمن بديهةً رآه هابهُ ... طبعًا ومَنْ خالطهُ أحبَّه

كان أشد الناس لأصحابه إكرامًا لهم ومن ذلك أنه كان لا يمد رجله بين جلسائه احترامًا لهم وفي رواية: «كان أوقر الناس في مجلسه لا يكاد يخرج شيئًا من أطرافه إكرامًا واحترامًا لَهم»[٢]، ولَمْ يكن يقدم ركبتيه على جليسه بل كان يكرمه بتجنب ذلك تواضعًا وإيناسًا، ومن رآه بديهة أي رؤية بديهة فهو مفعول مطلق يعني فجأة من غير مخالطته ومعرفة أخلاقه أو قبل النظر في أخلاقه العلية وأحواله السنية هابه وعظمه وخافه طبعًا أي بالطبع وإن لم يره قبل ذلك لما علاه من صفات الجلال ونعوت الكمال، ومن خالطه وعاشره أحبه لما يشاهده من محاسن أخلاقه ومزيد شفقته وتواضعه وباهر عظيم تألفه وأخذه بالقلوب، فكانت تحنُّ إليه الأفئدة وتقرُّ به العيون وتأنس به القلوب، فكلامه نور ومدخله نور ومخرجه نور وعمله نور، إن سكت علاه الوقار وإن نطق أخذ بالقلوب والبصائر والأبصار.

يَمشي مع المسكين والأرملة ... في حاجة من غير ما أنفةِ
يخصفُ نَعْلهُ يَخيطُ ثَوْبهُ ... يَحْلِبُ شَاتهُ ولَنْ يَعِيبَه

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢١٤)، ومسلم (١٨٦٦) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.
(٢) أخرجه أبو داود في المراسيل، برقم (٥٠٥). وانظر: ميزان الاعتدال (٥/٢٥٦).

كان يمشي مع المسكين والأرملة إذا أتياه في حاجة ما، يفعل ذلك من غير ما أنفة بفتح الهمزة والنون وزيادة ما يقال أنف من الشيء إذا شرفت نفسه عنها وتنـــزه عنه، وكان يخصف نعله أي يخرزها، ويخيط ثوبه أي: يرقعه ويعمل في بيته كما يعمل الآحاد، وكان يحلبُ شاتـــه ويخدم نفسه أي: يتعاطى خدمة نفسه بنفسه ولا يعيبه ذلك.

يَخـــدم فـــي مهنـــــة أهله كمـــا يقطَـــــعُ بالسكين لَحْمًا قَدُمَــــا
يُـــردف خلفــــــه علــــى الحمــــار علـــى إكـــاف غـــير ذي استكبار
يمشي بـــلا نعـــــلٍ ولا خُفٍّ إلــــى عيـــادة المريـــض حولـــه الــــملا

وكان يخدم في مَهنة أهله بفتح الميم أي خدمتهم، يعني يتعاطى ذلك معهم، وربما تحمله عنهم جملة، وذلك مثل تقطيع اللحم الذي يقدم إليه للأكل بالسكين فإنَّــه كان يتولى ذلك بنفسه وذلك لا يأنف منه، وكان يردف خلفه عبده أو خادمـــه أو قريبه يفعل ذلك علـــى الحمار وغيـــره من نحو ناقة أو بغلة أولـــى، وكان يركب على إكاف بكسر الهمزة وهو للحمار كالسرج للفرس يفعل ذلك من غير تكبر، وكان يمشي حافيًا بلا نعل ولا عيادة المريض وحوله الــــملأ من أشراف قومه وأصحابه سموا ملأ لأن رؤيتهم تملأ العين.

يُجالــــــسُ الفقـــير والمسكينـــــــا ويُكرمُ الكـــــرام إذْ يأتونــــــا

وكان يُجالسُ الفقراء والمساكين والعبيد والإماء ويعودهم ويزورهم ويتفقدُ حالـــهم ويشهد جنائزهم، ويُكرمُ أهل الفضل والكرام حين يأتون إليـــه وربـــما بسط لبعضهم رداءه، ويقول: «**إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه**»[1]، فكان يحافظ على تألف أهل الشرف ترغيبًا لـــهم ولقومـــهم في الإسلام.

ليـــــس مـــواجهًا بشيء يَكرهـــــه جليـــــسُهُ بـــل بالرضـــا يُواجهـــهْ

كان لا يواجه أحدًا من الناس بشيء يكرهه لا سيما جليسه بل يواجهه بالرضـــا ويقول إذا بلغه عن أحد ما يكرهه: «**ما بالُ أقوام يصنعون كذا**»[2]، ولا يقول ما بال

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٣٧١٢) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-. وحسنه العلامـــة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٢٦٩).

(٢) انظر: صحيح البخاري (٤٥٦، ٤٧٣٥، ٦١٠١)، ومسلم (١٤٠١، ٢٣٥٦).

فلان يفعل كذا، وفي نسخة: (يشافهه) بدل يواجهه، وكان يقبلُ بوجهه وحديثه على أشراف القوم.

يَمْـزَحُ لا يَـقُـولُ إلا حَـقًّا ... يَجْلسُ في الأكْلِ مَعَ الأرِقَا

وكان يمزحُ مع أصحابه مؤانسة لـهم وتألفًا لـما كانوا عليه من شدة فكان يُمازحهم تخفيفًا عليهم لكنه لا يقولُ إلاَّ حقًّا لأنَّه معصوم عن الكذب فالـمزاح لا يُنافـي الكمال حيث لـم يخرج عن القوانين الشرعية، وكان يجلسُ في الأكل مع العبيد الأرقاء ويتشبه بـهم في الجلوس للأكل فلا يترفع عليهم ويقول: «**إنَّما أنا عبد آكل كما تأكلُ العبيد وأجلسُ كما تجلس العبيد**»[1].

يأتـي إلـى بسـاتـن الإخوان ... يكـرمهم بـذلك الإتيـان

أي: كان يذهبُ إلى بساتين أصحابه يقصد بذهابه إليـهم إكرامهم وتألفهم وقد ذهبَ إلى بستان أبي الهيثم وغيره، وأصلُ بساتن بساتين جمع بستان فحذف الياء للوزن، والبستان فعلان قال الفراء[2]: عربي، وقال بعضهم: روميٌّ معرب.

قيل له يدعـو علـى الكفـار ... دوس وغـيرهم مـن الفجـار

فقـال إنَّمـا بُعثـتُ رحمـةْ ... ولـيس لـعانًا نبـيُّ الرَّحـمةْ

بل سأل اللهم فـاهد دوسـا ... وأتِ بِهِـم فـأصبَحُوا رءوسـا

كان من شدة رحمة المصطفى بالخلق أنه قيل له: قد دعا نوح على قومـه فلو دعوت على من وطئ ظهرك وأدمى وجهك وكسر رباعيتك ولو دعوت على دوس وغيرهم من الكفار، فقال: «**إنَّما بعثتُ رحمة ولـم أبعث لعانًا**»[3].

وهو مراد الناظم بقوله: (وليس لعانًا نبـي الرحمة) فلـم يجب من سأله إلى الدعاء عليهم بل دعا لـهم فقال: «**اللهم اهد دوسًا وأت بِهِم مسلمين**»[4]، فأصبحوا رءوسًا في الإسلام، وحديث البخاري: جاء الطفيل إلى النبـي فقال: إن دوسًا قد هلكت عصت

---

(١) أخرجه أبو يعلى في مسنده (٣١٨/٨) من حديث عائشة -رضي الله عنها-. وذكره الهيثمي في المجمع (١٩/٩)، وقال: "إسناده حسن". اهـ

(٢) انظر: المصباح المنير (ص١٩).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٩٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٣٧)، ومسلم (٢٥٢٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وأبت فادع الله عليهم فقال: «**اللهم اهد دوسًا وأت بهم**» فأسلموا. ودوسٌ قبيلة من اليمن من الأزْد وهو في النظم بالجر بدل من الكفار، وقوله: (وغيرهم) عطف على المجرور.

لم يَكُ فَحَّاشًا ولا لَعَّانًا ... ولا بَخيلاً لا ولا جبانا
يختارُ أيسر الأمور إذ ما ... خُيِّرَ إلا أن يكون إثمَا

قوله: (لم يك) أصله لم يكن حذفت النون تخفيفًا أي: لم يكن المصطفى بالفاحش في كلامه وفعاله، وقوله: (فحاشًا ولا لعانًا) من أبنية المبالغة لكن صيغة المبالغة فيها غير مرادة بل المراد نفي أصل الفعل، ولم يكن بخيلاً ولا جبانًا أي: ضعيف القلب عن القتال ونحوه، كان يختار أيسر الأمور أي: إذا خُيِّرَ بين أمرين أو أمور اختار أيسرها إلا أن يكون إثمًا فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه.

لم يُر ضاحكًا بملء فيه ... بل ضحكُهُ تَبسُّمًا يُبْديه

قوله: (لم ير) مبني للمفعول أي: كان لا يراه أحد وهو يضحك بملء فيه بل كان ضحكه تبسمًا يبديه، أي: يظهره. وفي خبر الترمذي: (ما كان ضحكه إلا تبسمًا)[1]. قالوا: أطلق النفي مع ثبوت أنه ضحك حتى بدت نواجذه إلحاقًا للقليل بالعدم فالمراد أن أغلب أحواله أنه كان جل ضحكه التبسم.

يَعْجَبُ مِمَّا يعجبُ الجليس ... منه فما بوجهه عُبُوسُ
أصحابه إذْ يتناشدونا ... بينهم الأشعار يضحكونا
ويذكرون جاهليَّة فمَا ... يزيد أن يشركهم تبسُّمَا

كان المصطفى يَعجب بفتح أوله مما يعجب جليسه منه، وفي خبر الترمذي عن علي: «يعجب مما يعجبون ويضحك مما يضحكون»، فما كان يرى بوجهه عبوس بضم عين عبوس يُقال: عبس عبوسًا قطَّب وجهه، فهو عابس وعبس اشتد فهو عبوس كرسول، وكان أصحابه حين يتناشدون فيما بينهم الأشعار بحضرته يضحكون ويذكرون أشياء من أمور الجاهلية فما يزيدهم على أن يشركهم تبسمًا في وجوههم

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٦٤٥) من حديث جابر بن سمرة ﷺ. وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٤٨٦١).

تلطفًا بِهم وإيناسًا لهم، فقوله: (يَعجب) بفتح أوله وثالثه والتعجب استحسان الشيء والإخبار عما يرضاه، وقوله: (يشركهم) بفتح أوله وثالثه.

قد وسع الناس ببسط الخُلُق ... فهم سواءٌ عنده في الحق
ما انتهَرَ الخادم قطٌّ فيما ... يأتيه أو يتركهُ مَلُومَا
في صُنْعِه للشيء لِمْ صنَعْتَهُ ... وتَرْكِه للشَّيء لِمْ تَرَكْتَهُ
يقولُ لوْ قُدِّرَ شيءٌ كانا ... سُبْحَانَ مَنْ كَمَّلَهُ سُبْحَانا

قد وسع حلم المصطفى جميع الناس في معاشرتِهم ببسط الخلق فهم عنده في الحق سواء، ما انتهر خادمًا قط فيما فعله أو تركه وما قال له في شيء صنعه لم صنعته، ولا في شيء تركه لم تركته، بل يقول لو قدر شيء أي: لو قدر الله فعل هذا الأمر أو الشيء لكان، فسبحان من كمل أوصافه الجميلة الجليلة.

وقوله: (ملومًا) بفتح الميم الأولى اسم مفعول من لامه يلومه عذله وهو نصب على الحال أي: ما انتهر حال لومه، وتكرير سبحان للتأكيد والمضاف إليه محذوف وتقديره سبحانه.

وفي الجلوس يَحتَبِي تواضُعَا ... ومرةً كالقُرْفُصَاء خاضعَا
مجلسه حلمٌ وصبرٌ وحَيَا ... يبدأ بالسَّلام مَنْ قَدْ لَقِيَا
ويؤثِرُ الداخلَ بالوسادةْ ... أو يبسطُ الثوب لهُ زيادةْ

كان المصطفى يحتبي في الجلوس ففي خبر أبي داود وغيره: «كان إذا جلس في مجلس احتبى بيديه»[1] فكان يفعل ذلك تواضعًا لله، وكان يجلسُ مرة القرفصاء بضم القاف والفاء كما في خبر الشمائل[2]، وكان أبدًا خاضعًا مجلسه مجلس حلم وصبر وحياء كما في خبر الشمائل أيضًا، يبدأ من لقيه بالسلام ويؤثر الداخل عليه بالوسادة كما في

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٤٦) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وصححه الألباني –رحمه الله– في صحيح الجامع (٤٧٠٢).

(٢) أخرجه الترمذي في الشمائل المحمدية ص (١١٨)، وأبو داود (٧٤٨٤) من حديث قيلة بنت مخرمة –رضي الله عنها– وضعفه الألباني –رحمه الله– في مختصر الشمائل برقم (١٠١) وقال في هامشه: وله شاهد من حديث أبي أمامة الحارثي مرفوعًا بلفظ: كان إذا جَلَس جلس القرفصاء. أخرجه أبو الشيخ ص(٢٤٧) بسند لا بأس به في الشواهد. اهـ وانظر: صحيح الجامع (٤٩١٤).

خبر أحمد، أو يبسط لـــه ثوبًا زيادة في إكرامه كما فعله مع جرير حين دخل عليه، وورد ذلك من طرق.

ليـــس يقـــول في الرضـــا والغضب   قطعًا سوى الـــحق فـــخُذْهُ واكتُب
يَعظُ بـــالـــجدِّ إذْ مـــا ذَكَّـــــرا   كـــأنَّـــه مُـــــنْذرُ جَـــيْشٍ حَذَّرا
ويـــــــستنيرُ وجهُـــــــهُ إنْ سُـــــرَّا   تَخالـــــهُ مـــــنْ السُّرور بَـــــدْرا

كان المصطفى لا يقول في حالة الرضا والغضب إلا الحق قطعًا لعصمته، وقوله: (فخذه) ضميره راجع إلى مصدر المضارع الذي هو يقول، أي: فاقبل قوله كله على أي حالة كان فهو حق واكتب عنه كل ما يقوله في حال الرضا والغضب فإنه معصوم لا ينطق إلا بالحق.

وكان يعظ الناس أي: يخطبهم بالجد والاجتهاد إذا ذكرهم بآيات الله وخوفهم من عقابه فكان إذا خطب احمرت عيناهُ وعلا صوته واشتد غضبه حتى كأنه منذرُ جيش أي: قوم يُصبّحهم عدوهم رواه مسلم وغيره[١].

وقوله: (حذرا) أي خوفهم من النار ليس له كبير فائدة هنا، وكان إذا سرَّ استنار وجهه حتى تخاله أي: تحسب وجهه من السرور بدراً أي: قمرًا كاملاً، وفـــي خبر الشيخين: (كان إذا سُرَّ استنار وجهه كأنّه قطعة قمر).

يَمنـــــعُ أن يَمْشـــــي خَلفــه أحد   بـــــل خلفـــه مـــلائكُ اللهِ الأحَدْ
وليس يَجْـــزي ســـيئًا بمثـــلـــه   لكـــنْ بعفـــو وبصفـــح فـــضلـــه

كان يمنع أن يمشي خلفه أحد بل يمشي خلفه ملائكة الله الواحد الأحد، وفي خبر أبي نعيم: «**امشوا أمامي وخلوا ظهري للملائكة**»[٢].

وقوله: (وليس يجزي) بفتح أولـــه ويضم، وسيِّئًا بفتح المهملة وشد التحتية أي لا يجازي الكلام والفعل القبيح بمثله، وفي الصحيح: «ولا يجزي بالسيئة مثلها»[٣].

---

(١) أخرجه مسلم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

(٢) أخرجه أبو نعيم في الحلية (١١٧/٧) من حديث جابر ﷺ. وصححه الألباني رحمه الله في صحيح الجامع (١٣٨٩).

(٣) أخرجه بهذا اللفظ أحمد في مسنده (٢٤٨٨٩) من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وأخرجه البخاري (٢١٢٥) من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- ولفظه: «ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر...» الحديث.

وقوله: (لكن بعفو) مجرور بالباء الموحدة أي: لكن يقابل بالعفو، وقوله: (وبصفح) مثله، وقوله: (فضله) بالجر بدل اشتمال من عفو أي: يعفو عنه تفضيلاً عليه مع القدرة، فمن ذلك عفوه عن اليهودية التي سمته، وعن اليهودي الذي تقاضاه دينه فأغلظ عليه، وعمن جذبه بردائه حتى أثرت حاشيته في عنقه، وقال: «هذه قسمةٌ ما أريد بها وجه الله»[١] إلى غير ذلك مما لا تسعه بطون الدفاتر.

كان يُحبُّ الفَألَ ممَّنْ ذَكَرَهْ *** وكانَ يَكْرَهُ اتِّباعَ الطِّيرهْ

كان يحب الفأل وهو أن يسمع كلامًا حسنًا فيتيمَّن به ممن ذكره كقوله وقد سمع رجلاً يقول يا خضرة حال خروجه لخيبر: اخرجوا بنا إلى خضرة: «أخذنا فالك من فيك» فما سل فيها سيف، وكان يكرهُ اتباع الطيرة وهي التشاؤم بالشيء يسمعه أو يراه، وقوله: (اتباع الطيرة) بمثناة فوقية مشددة والطيرة بكسر ففتح.

۞ ۞ ۞

باب ذكر خُلقه بضمتين في الطعام والشراب ومتعلقاتهما

ولمْ يَعِبْ قَطُّ طَعَامًا يَحْضُرُهْ *** يأكلُهُ إن يشتهي أوْ يَذَرُهْ
ولمْ يَكُنْ جُلُوسُهُ مُتكيَا *** في حالة الأكل ولكن مُقْعِيا

كان المصطفى لا يعيب طعامًا يحضر إليه قط بل إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه وفي الصحيحين[٢]: (ما عاب طعامًا قط إن اشتهاه أكله وإن كرهه تركه)، ولم يكن جلوسه متكيًا أي: معتمدًا على أحد شقيه أو على وطاء تحته حال الأكل لأنه فعل الشره النهم ولكنه يأكلُ مقعيًا بأن يجلس على وركيه مستوفزًا غير متمكن.

يُعجبه الذراعُ والدُّبَّاء *** والعسلُ المحبوبُ والحلواءُ
ويأكلُ البطيخ والقثَّاء *** برُطَب يَبْغي به الدَّواء
يقول يُطفِي بردُ ذَيْنِ حَرَّ ذا *** وكلُّ إرشادٍ فعنْهُ أُخِذا

---

(١) انظر: صحيح البخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (٣٥٦٣)، ومسلم (٢٠٦٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.

وكان يعجبه الذراع وفي الصحيحين[١]: «أنه كان أحب الشاة إليه الذراع»، والدباء أي: القرع، وفي الصحيحين[٢]: «أنه كان يتتبعه من حوالي القصعة، ويعجبه العسل والحلواء»، وفي الصحيحين[٣]: «كان يحب الحلواء والعسل».

قال الأزهري: (والحلواء اسم لمَا يؤكل من الطعام إذا كان معالجًا بحلاوة)، وكان يأكل البطيخ بكسر الباء والعامة تفتحها وهو خطأ والمراد أنه كان يأكل البطيخ بالرطب والقثاء بالرطب يبتغي بالجمع بينهما الدواء بالجمع بين حارّ وباردٍ ويقول: (يطفئ برد ذين) أي: البطيخ والقثاء، (حر ذا) أي: الرطب رواه الترمذي وغيره.

يأكلُ بالأصابع الثلاثة ... يلعقها لقصد ذي البَركة
يبدأ باسم الله ثم يَخْتمُ ... بالحمد في شُرب وأكل يطعمُ
يشربُ في ثلاثة أنفاسًا ... يمُصُّ فهو أهْنأُ اختلاسًا
لمْ يتنفس في الإنا إذْ يشربُ ... يُبينَهُ عنْ فيهِ فَهْوَ أطيبُ

كان يأكل بالأصابع أي: بأصابعه فأل فيه بدل من الضمير الثلاثة ويستعين بالرابعة كما في حديث عامر بن ربيعة، وكان يلعقها أي: الأصابع واحدة واحدة كما جاء هكذا في رواية مسلم، ويقول: «**لا أدري في أي الأصابع البركة**»[٤]، ويصح كون الضمير في يلعقها لغير مذكور لكونه معلومًا على حد ﴿**حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ**﴾ [ص: ٣٢]، وتقديره يلعق القصعة كما يشير إليه خبر البيهقي في الشعب[٥]: «**ولا يرفع القصعة حتى يلعقها فإن آخر الطعام فيه البركة**»، وإليه أشار الناظم بقوله: (لقصد ذي البركة) أي: يقصد تحصيلها.

وكان يبدأ بسم الله ثم يختم بالحمد أي: بحمد الله في وقت شرب وأكل، وفي الصحيح عن أبي أمامة كان إذا فرغ من طعامه قال: «**الحمدُ لله الذي كفانا وآوانا غير**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٥٣٧٩)، ومسلم (٢٠٤١) من حديث أنس ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري (٥٤٣١)، ومسلم (١٤٧٤) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٣٣) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.
(٥) انظر: شعب الإيمان (٥/٨١)، وانظر: صحيح الجامع (٣٧٩).

مكفي ولا مكفور»(١)، وكان يشربُ في ثلاثة أنفاس كما رواه الطبراني، وزاد: (وله فيها ثلاث تسميات، وفي آخرها ثلاث تحميدات). وقول الناظم: (أنفاسًا) بالنصب على التمييز.

وكان يمص الماء مصًّا ولا يعبه عبًّا فهو أهنا اختلاسًا والاختلاس أخذ الشيء بسرعة، وكان لا يتنفسُ حين يشرب بل يبينه أي: يبعده عن فيه إذا أراد التنفس فهو أطيب من العب نفسًا وأجدى.

يَشْرَب قاعدًا ومن قيام ... لِعَارض كزمزم الحرام
وشُرْبُهُ مِنْ قِرْبةٍ مُعَلَّقةْ ... دلَّ به للرُّخْصَةِ المُحقَّقةْ

كان يشرب قاعدًا في أكثر أحواله ويشرب من قيام لعارض كشربه من بئر زمزم التي بالمسجد الحرام فإنه كان للزحام، وقول الناظم: (وشربه) بالجر عطفٌ على زمزم وبالرفع مبتدأ خبره دل على إلخ.. أي: وشربه من قربة معلقة الذي رواه ابن ماجه وغيره كان لعارض، وقوله: (دل به) أي: بشربه قائمًا بيانًا لقوله: (للرخصة المحققة).

يُناولُ الأيْمَنَ قبلَ الأيسر ... إلا بإذْنه لِحَقِّ الأكبر

كان إذا شرب لبنًا أو غيره وحوله جماعة يناول سؤره من على جانبه الأيمن قبل الأيسر كما في البخاري وغيره(٢)، وعن أنس فكان يقدم الأيمن ولا يقدم الأيسر عليه إلا بإذنه أي: الأيمن، لِخَبر مسلم (٣) أنه أتي بشراب فشرب منه وعن يَمينه غلام وعن يساره الأشياخ فقال للغلام: «**أتأذنُ لي أن أعطي هؤلاء القوم**» فقال: لا أؤثر بنصيبي منك أحدًا، وإنَّما استأذنه لحق الأكبر أي: لرعاية حق الأكبر على الأصغر.

والبارد الحلو يحب شربه ... واللبن استزاد إذ أحبَّه
يقول زدنا منه فهو يُجزي ... عن الشَّراب والطعام المُجزي

---

(١) أخرجه البخاري (٥٤٥٩) من حديث أبي أمامة ﷺ.
(٢) أخرجه البخاري (٢٣٥٢)، ومسلم (٢٠٢٩) من حديث أنس ﷺ.
(٣) أخرجه البخاري (٥٦٢٠)، ومسلم (٢٠٣٠) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

وكان البارد من الحلو يشربه ويأكله يحب شربه وأكله لخبر الطبراني وغيره: «**أبردوا الطعام فإن الحار غير ذي بركة**»[١]، ولخبره أيضًا: «**كان أحب الشراب إليه الحلو البارد**»[٢].

وقول الناظم: (واللبن) مفعول مقدم لقوله استزاد تقديره واستزاد النبي من حب اللبن، وقوله: (إذ) للتعليل أي: لأنه أحبه، والسين في استزاد للطلب وكان إذا شرب لبنًا قال: «**اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه**» كما رواه الترمذي[٣].

وفي خبر: «**ليس شيء يجزي مكان الطعام والشراب إلا اللبن**»[٤]. والفاء في قوله: (فهو) سببية أو للتعليل أي لأنه يُجزي بضم الياء من الإجزاء، وقوله: المجزي بضم الميم.

۞ ۞ ۞

باب ذكر خُلُقه في اللباس

أي: ما يلبس.

يلبس ما من الثياب وَجَدَا	**مِنَ الإزار والقميص والرِّدا**
وبُرْدَة وشَمْلة وحبرَهْ	**وَجُبَّة أو فقُبَاء خَضِرَهْ**
لبس أيضًا حُلَّة حمراء	**فَزَادَهَا بحُسْنه بَهاء**
وربَّما ارتدى الكساء وحده	**ليس عليه غيره لم يعدهْ**
وربَّما كان الإزارُ وَحدهُ	**ليس عليه غيرهُ يَعقدَهُ**
وربَّما كان عليه مَرْطُ	**مُرَحَّلٌ يَقْنَعُ لا يَشْتَطُ**
وربَّما صَلَّى بثوبٍ وَاحدِ	**مُلْتَحفًا به بغير زَائد**

كان يلبس من الثياب ما وجده من إزار وقميص ورداء وبردة وشملة وحبرة بكسر ففتح ثوب أخضر مخطط من برود اليمن، وجُبَّة من صوف وقباء بالمد عربي من قبوت الشيء ضممته.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٦/٢٠٩) من حديث أبي هريرة ﷺ، والحاكم في المستدرك (٤/١٣٢) من حديث جابر ﷺ. وضعفه الألباني -رحمه الله- في ضعيف الجامع (٣٧).

(٢) أخرجه الترمذي (١٨٩٥) من حديث عائشة -رضي الله عنها-، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٤٦٢٧).

(٣) أخرجه أبو داود (٣٧٣٠)، والترمذي (٣٤٥٥)، وابن ماجه (٣٣٢٢) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-، وحسَّنه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٣٨١).

(٤) التخريج السابق نفسه.

وقول الناظم: (حضره) أي: يلبس ما حضره من ذلك كما كان يأكل ما حضر، ولبس أيضًا حلة حمراء وهي ثوبان من جنس واحد فلـمَّا لبس الحلة الحمراء زادها بحسنه بهاء إلى بهائها، وقوله: (وربما ارتدى الكساء) أي: بالكساء فحذف حرف الجر نحو: تمرون الديار أي: بالديار وحده ليس عليه شيءٌ غيره، ولم يعدُهُ بسكون العين أي: لم يجاوز الكساء إلى غيره، وربما كان يلبس الإزار وحده ليس عليه غيره، وقوله: (بعقدة) الباء حرف جر وعقدة -بضم العين- مجرور أي: يربطه بعقدة يعقد بها، وربَّما كان عليه مرط بكسر الميم كساء من صوف أو خز مرحل بحاء مهملة مفتوحة مشددة أي: نقش فيه تصاوير، وفي أبي داود: «خرج علينا رسول الله وعليه مرط مرحل من شعر أسود»[1].

وكان يتقنع بذلك ولا يشتط أي: لا يفرط بل يراعي الوسط المعتدل في خشونة الثياب ولينها ويستعمل ما حضر من غير تكلف، ورُبَّما صلى بثوب واحد أي فيه ملتحفًا به أي مشتملاً به بغير زائد عليه، وفي البخاري عن الزهري: الملتحف المتوشح، وهو المخالف بين طرفيه على عاتقه.

لا يُسْبِلُ القَميصَ والإزَارَا ... بل فَوقَ كعبيه هُما اقْتِصَارا
بل رُبَّما كانَا لنصفِ السَّاقِ ... تَواضُعًا لِرَبِّه الخَلاَّقِ

كان لا يُسبل القميص ولا الإزار أي: لا يرسلهما إلى الأرض إذا مشى لأن ذلك فعلُ المتكبرين بل يجعل الإزارَ والقميص فوق كعبيه، وقوله: (هما اقتصارا) أي: مقتصرًا على ذلك لا يزيد عليه، وفي خبر: «**ما جاوز الكعبين ففي النار**»[2] بل ربما كان إزاره وقميصه لنصف الساق، يفعل ذلك تواضعًا لربه الخلاق سبحانه.

يَلْبَسُ ثَوْبَهُ منَ الميامِنِ ... ونَزْعُهُ بالعَكْسِ للتَّيَامُنِ

---

(١) أخرجه مسلم (٢٠٨١)، وأبو داود (٤٠٣٢) من حديث عائشة -رضي الله عنها-، ولفظه: «خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مُرَحَّل من شَعْر أسود».

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٨٧) من حديث أبي هريرة ﷺ، ولفظه: «**ما أسفل الكعبين من الإزار ففي النار**».

كان إذا لبس ثوبه لبسه من ميامنه كما في الترمذي عن أبي هريرة[١]، وإذا نـزعه نـزعه بالعكس أي: ينـزعه من مياسره، وإنما كان يفعل ذلك رعاية للتيامن فإنه كان يحب التيامن في شأنه كله أي: مما هو من قبيل التكريم والتياسر في ضد ذلك، وفي خبر أبي الشيخ وغيره: «كان إذا لبس بدأ بالأيمن وإذا نـزع بدأ بالأيسر».

كانت لهُ مِلْحَفَةٌ مَصبُوغَة بزعفران أو بورْس يُنبَتُ

كانت له ملحفةٌ بكسر الميم مصبوغةٌ بزعفران أو بورس، وقوله: (ينبت) بالبناء للمفعول أي: هو نبت يُزرع باليمن، وفي أبي داود: (كانت له ملحفة مصبوغة بزعفران أو ورس يشتمل به).

يَقولُ عندَ اللُّبْسِ باللسَانِ الحمدُ لله الذي كَسَاني
ما يَستُرُ العَورَةَ مِنْ لِباس مَعَ التَّجَمُّل به في النَّاس

كان إذا لبس ثوبًا جديدًا يقول عند لبسه بلسانه: «**الحمد لله الذي كساني ما يستر عورتي**»[٢] من اللباس مع التجمل به في الناس، وفي خبر الترمذي: «**من لبس ثوبًا جديدًا فقال: الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي وأتجمل به في حياتي ثم عمد إلى الثوب الذي أخلق فتصدق به كان في كَنَف الله وفي حفظ الله وفي ستر الله حيًّا وميتًا**»[٣].

ويصعد المنبر إذْ يَشَاءُ برأسه عصابةٌ دسْمَاءُ

كان يصعد المنبر إذ يشاء أي: وقت شاء على أي حال تتيسر فربما صعده وبرأسه أي: عليها عصابة دسماء أي: لونها لون الدسم يعني سوداء وهذا مروي في البخاري وغيره[٤]، والمنبر بكسر الميم.

ونعله الكريمة المصونهْ طوبى لمن مسَّ بها جبينَهْ

---

(١) أخرجه الترمذي (١٧٦٦) من حديث أبي هريرة ﷺ، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٤٧٧٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٥٦٠)، وابن ماجه (٣٥٥٧) من حديث عمر ﷺ. وضعفه الألباني رحمه الله في ضعيف الجامع (٥٨٢٧).

(٣) التخريج السابق نفسه.

(٤) أخرجه البخاري (٣٦٢٨) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

لـــها قـــبــــالان بســـير وهُمـــا سبـــتيَّتَـــان سَبَتــوا شَعْرَهُمَـــا
وطـــولـــهـــا شـــــبرٌ وإصبعـــــان وعَرْضُهـــا مـــمَّا يـــلـــي الكعبان
سبـــعُ أصـــابع وبـــطنُ القـــدم خَمْسٌ وفَوقَ ذا فَـــستٌّ فـــاعلَم
ورأسُها مُحـــــددٌ وعـــرضُ مـــا بَينَ القبالَين إصـــبَعَان اضبطْهُمـــا
وهـــذه تـــمثالُ تـــلك النَّعْـــل ودورهَا أكْرَم بهـــا مـــن نَعْـــلِ

وأمَّا صفة نعله الكريـــمة المصونـــة عن الأدناس فهـــي التـــي تُسمى التاسومة طوبى لِمن مس بها جبينه، وكان لنعله قبالان كما في البخاري وغيره[1]، وهما تثنية قِبال بقاف مكسورة وهو الزمام الذي بين الأصبع الوسطى والتي تليها.

والباء في قول الناظم: (بسير) بمعنى من أي: القبال من سير وهما أي: النعلان سبتيتان مخصوفتان، أي: سبتوا شعرهما وقيل: كانت صفراء، والسبتية بالكسر جلود البقر المدبوغة سميت به لأن شعرها سبت أي: حلق وأزيل أو لأنَّها أسبتت بالدباغ أي: لانت، وكان طولـــها شبرًا وإصبعين وعرضها من جهة الكعبين سبع أصابع مستوية وبطن القدم منها خمس أصابع وفوق بطن القدم ست أصابع فاعلم هذه الحدود، ورأسها أي: رأس النعل محدودٌ.

قال السهيلي: جاء في صفة نعله أنـــها كانت معقبةً مخصرةً ملسنة محترمـــةً هو كالتحديد في مقدمـــها وكان عرض ما بين القبالتين إصبعين ملتصقين، وقولـــه: (اضبطهما) حشو كمل به الوزن، وكذا قوله قبله: (فاعلم)، وهذه الصفة التـــي ذكرها الناظم هي صفة تـــمثال لتلك النعل الشريفة وتحديد دورها فأكرم بـــها من نعل مباركة شريفة.

۞۞۞

(١) أخرجـــه البخاري (٥٨٥٧) من حديث أنس ﷺ.

باب ذكر صفة خاتمه

بفتح التاء وكسرها والكسر أفصح.

خاتمُهُ مِنْ فضَّةٍ وفَصُّهُ مِنهُ ونقشُهُ عليه نصُّهُ
محمدٌ سطرٌ رسولُ سطرُ اللهُ سَطْرٌ ليسَ فيه كَسْرُ
وفَصُّه لباطنٍ يختمُ بهْ وقالَ لا يُنْقَشْ عَليهِ يَشْتَبِهْ

كان خاتمه من فضة كله وفصه منه كما في خبر أبي داود[١]، وكان نص نقشه عليه (محمد رسول الله) محمد سطر ورسول سطر والله سطر.

قال الإسنوي شيخ الناظم: وفي حفظي أنّها كانت تقرأ من أسفل ليكون اسم الله من فوق الكل، وقوله: (ليس فيه كسر) أي كان كل سطر حروفه كاملة وهو حشو كمل به الوزن، وكان إذا لبسه جعل فصه بباطن كفه وكان يختم به على الكتب.

وفي الشمائل وغيرها، عن ابن عمر «أن النبي ﷺ اتخذ خاتمًا من فضة فكان يختم به ولا يلبسه»[٢]. وقوله: (وقال لا ينقش عليه) بالبناء للمفعول أي: ينهى أن يُنقش عليه أحد لئلا يشتبه خاتمه بخاتم غيره.

يلبسه كما روى البخاري في خنصرِ يَمين أو يسار
كلاهُما في مسلم ويُجمع بأنَّ ذا في حالتين يَقَعُ
أو خاتمين كل واحد بيد كَمَا بفصّ حَبَشيّ قَدْ وَرَد

وكان يلبس خاتمه كما رواه البخاري في صحيحه[٣] في خنصر يمينه، أو يساره أي يده اليمنى أو اليُسرى، وكلاهما أي التختم في اليمين واليسرى جاء في صحيح مسلم أيضًا[٤]، ويُجمع بين الحديثين بأن هذا كله كان في حالتين في حالة يتختم في يمينه وفي حالة في يساره بيانًا للجواز وأنه تختم في يمينه ثم حوله إلى يساره، قال البخاري:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٨٧٠)، وأبو داود (٤٢١٧) من حديث أنس ﷺ.
(٢) أخرجه النسائي (٥٢١٨)، والترمذي في الشمائل (ص٩٠) وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في مختصر الشمائل (٧٢) دون قوله: " ولا يلبسه" فهو شاذ.
(٣) أخرجه البخاري (٥٨٧٤) من حديث أنس ﷺ.
(٤) أخرجه مسلم (٢٠٩٥) من حديث أنس ﷺ.

(حديث التختم في اليمين أصح شيء في الباب)[١]، ويُجمع بأنه كان لـــه خاتمان كل واحد أي: كل خاتـــم بيد، كما أنه كان يتختم بخاتم بفص أي: له فص حبشي كما ورد في مسلم[٢] وتارة يتختم بخاتم فصه منه أو حبشي.

۞ ۞ ۞

باب ذكـــر فـــراشـــه

أي: كيفيته وهو بكسر الفاء وشين معجمـــة الـــمتاع يوضع تحت الإنسان لينام عليـــه يقـــي عنه البـــرد وأذى الـــحر.

فراشـــه مـــن أدم وحشـــوهُ ... لـــيفٌ فلا يُلْهـــي بعُجب زَهْوُهُ

وربَّمـــا نـــامَ عـــلـــى العبـــاءة ... بثَنْيَتَين عنـــدَ بعـــض النّســـوةِ

وربَّمـــا نَـــامَ علـــى الحَصيـــر ... ما تَحْتَـــهُ شيءٌ سوى الـــسَّريـــر

كان فراشه من أدَم بفتحتين جمع أديـــم وهو الجلد المدبوغ وحشوه ليف رواه الشيخان[٣]، وقوله: (فلا يُلهـــي) بضم أولـــه وكسر ثالثه، بعجب: بالتنوين، زهوه: أي حسن منظره أي: لا يؤدي بمنظره الحسن إلى عُجب وكبر بل يؤدي إلى تواضع، وربما نام على العباءة يثنيها ثنتين عند بعض نسائه أي تفرشُ له العباءة إذا نام طاقين تحته.

وفي التـــرمذي عن حفصـــة: «كان فراشه مسحًا يثنيه ثنيتين فينامُ عليه، فلـــما كان ذات ليلة قلت: لو ثنيته بأربع ثنيات كان أوطأ لك فثناهُ بأربع فلما أصبح أمر بردّه لـــحالتـــه الأولى»[٤]، وربما نام على الحصير ما تحته شيء غيره سوى السرير الذي ينام عليه كما جاء نومه على الحصير في الصحيحين وغيرهما[٥].

۞ ۞ ۞

---

(١) ذكر قول البخاري هذا الترمذي في سننه (١٧٤٤).

(٢) أخرجـــه مسلم (٢٠٩٤) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٦٤٥٦)، ومسلم (٢٠٨٢) من حديث عائشة ﷺ.

(٤) أخرجه الترمذي في الشمائل الـــمحمدية (ص٢٦١)، وقال الألباني -رحمه الله- في مختصر الشمائل (٢٨٣): ضعيف جدًّا.

(٥) أخرجه البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

باب ذكر طيبه الذي كان يتطيب به وكحله

الطيبُ والنساءُ حُبِّبا لـه	ويكرهُ الريحَ الكريه كُلَّه
وطيبهُ غاليةٌ ومسكُ	والمسكُ وحدهُ كذاك السُّكُّ
بُخورُهُ الكافورُ والعُودُ النَّدى	وعَينُهُ يَكْحُلُهَا بالإثمد
ثَلاثةً في العين للإيتار	ورُوِيَ اثنتين في اليسار

قوله: (الطيب والنساء) مبتدأ خبره قوله: (حبيا له) روى النسائي وغيره خبر: «حُبب إليّ من دنياكم ثلاث: النساء والطيب وجُعلَتْ قُرَّةُ عَيْني في الصلاة»[١].

وكان يكرهُ كل ما له ريح كريه، وكان طيبه الذي يتطيب به الغالية وهي مركبة من مسك وعنبر وعود وكافور، وكان يتطيبُ أيضًا بالمسك وحده، وكذاك السك بضم المهملة وشد الكاف وهو طيب معروف ويُضاف إليه غيره من الطيب.

وفي خبر الترمذي: (كان له سُكَّة يتطيبُ منها)[٢]، وكان بخوره الكافور والعود الند بفتح النون وأصله التشديد لكن خفف للوزن، والعود الند هو ما يتبخر به، وكان يكحل عينه بالإثمد وهو الكحل الأسود المعروف.

وقول الناظم: (ثلاثةً) بالنصب بدل، وقوله: (في العين) أي في كل عين لأجل الإيتار المحبوب المطلوب، وروي: (أنه كان يكتحلُ ثلاثًا في اليمين وثنتين في اليسرى)[٣] ليحصل الوتر في العينين معًا.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه النسائي (٣٩٤٠)، وأحمد (١٣٦٢٣) من حديث أنس ﷺ. دون قوله: "ثلاث"، وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٣١٢٤).

(٢) أخرجه أبو داود (٤١٦٢)، والترمذي في الشمائل من حديث أنس ﷺ. وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٤٨٣١).

(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٣٦٤/١٢)، وذكره الهيثمي في المجمع (٩٦/٥)، وقال: "فيه عقبة بن علي وهو ضعيف" اهـ.

باب ذكرُ شيء من معجزاتــه

جمع معجزة وهي أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي، وهو ﷺ أكثر الأنبياء معجزات فقد قيل: إنــها تبلغُ ألفًا، وقيل: ثلاثــة آلاف سوى القرآن فإن فيه ستين ألف معجزة تقريبًا.

قال الحلــيمي: وفيها مع كثرتــها معنــى آخر وهو أنه ليس في شيء من معجزات غيره ما ينحو نحو اختراق الأجسام وإنــما ذلك في معجزات نبيِّنا خاصة، وقد جمع له كل ما أوتيه الأنبياء من معجزات وخصائص وفضائل ولــم يجمع ذلك لغيره بل اختص كلٌّ بنوع.

أعظمهـــا مـــعـــجزةُ القـــرآن   تَبْقَـى عـــلى تعاقـــب الأزْمَان
كذا انشقاق البدر حـين انفَرَقَـــا   بفرقتـين رأي عـــين حُقِّقَـــا

ذكر الناظم للمصطفى معجزات:

الأولى: وهي أعظم معجزاته: القرآن الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فإنــها تبقى على تعاقب الأزمان، فإن القرآن معجزة باقية على تعاقب السنين فهو معجزة باقية إلى يوم القيامة ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها.

الثانية: انشقاق القمر ليلة البدر حتــى افترق فرقتين كما قال تعالى: ﴿**اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ**﴾ [القمر: ١]، وهذا كما أنه من معجزاته فهو من خصائصه أيضًا.

وقوله: (رأي العين) أي: وكان انشقاقه رأي العين المحقق حققه الجمع الغفير والعدد الكثير شاهدوه منشقًا فلقتين(١).

وقـــد زَوَى لـــه الإلــه حَقًّـــا   الأرض مغـــربًا لــها وشــرقَـا
وقـال مـــا زواه لـي سيبلُــغُ   إليــه مُلـــكُ أمَّتــي فبلـغُوا

الثالثة: أن الله زوى أي: جمع له الأرض كلها وضم بعضها لبعض حتــى رآها وشاهد مغاربــها ومشارقها وقال: «**إنَّ مُلكَ أمتــي سيبلغ ما زوي لــي منها**»(٢) وخص الــمغرب والــمشرق إشارة إلــى أن ملك أمته شملهما بخلاف الجهة الجنوبية والشمالية

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٦)، ومسلم (٢٨٠٠) من حديث ابن مسعود ﷺ.
(٢) أخرجه مسلم (٢٨٨٩) مطولاً، من حديث ثوبان ﷺ.

لـم يبلغ ملك الأمة الإسلامية منهما مبلغه من المغرب والمشرق.

وحـنَّ جذعُ النخل لـمَّا فارقه ... لِـمنْبَر إليـه حتَّـى اعتنقَهْ
ونبع الـمـاء فجـاش كثـره ... مـن بين إصبعيـه غـير مرَّهْ
وسبَّـح الـحصـا بـكفِّه بحقْ ... كـذا الطعـامُ عندهُ بـه نَطَقْ
وشَجَـرٌ وحَـجَرٌ قَـدْ سَلَّمـا ... عَلَيْـه نُطْقًا والـذِّراع كَلَّمـا
وقـد شَكَـا لـه البعيرُ إذ جُهِدْ ... وبالنُّبُـوَّة لـه الـذئبُ شَهِـدْ

الرابعة: حنين الجذع إليه لـما فارقه إلى الـمنبر فصار يخطب على المنبر بعدما كان يخطبُ إليه ولـم يسكن حتـى أتـى إليه فضمه واعتنقه لـما في البخاري: "كان في مسجد النـبي جذع في قبلته يقوم إليه فلما وضع المنبر سمعنا للجذع مثل أصوات العشائر"[1] أي: النوق الحوامل، وفي رواية: "فنـزل عليه فاحتضنه وسارَّه بشيء"، وفي رواية الترمذي: "فالتزمه وسكن"[2].

الخامـسة: نبع الماء من بين أصابعه ففي البخاري: "وضع النبي يده في ركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشربنا وتوضأنا"[3].

وقول الناظم: (فجاش) أي: ارتفعَ وفار كثيرًا من بين أصابعه، ووقع ذلك غير مرة ففي قصة الحديبية أيضًا مثل ما مرّ، قال ابنُ عبد السلام: وهذه كالتي قبلها لم يثبت لواحد من الأنبياء مثلهما فهما من خصائصه.

السادسة: تسبيح الحصى بكفه رواه ابن عساكر[4] من حديث أبي داود وغيره.

السابعة: تسبيح الطعام حين وضع عنده أي: بين يديه فنطق كما في البخاري عن ابن مسعود[5].

الثامنة: تسليم الحجر والشجر عليه بالنطق ففي دلائل النبوة لأبي نعيم عن عليّ: «كان

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٨٥) من حديث جابر ﷺ.
(٢) أخرجه الترمذي (٥٠٥) من حديث ابن عمر –رضي الله عنهما–.
(٣) أخرجه البخاري (٤١٥٢) من حديث جابر ﷺ.
(٤) أخرجه الأصبهاني في دلائل النبوة (ص٤٧)، والبزار في مسنده (٩/٤٣١، ٤٣٤).
(٥) أخرجه البخاري (٣٥٧٩) من حديث ابن مسعود ﷺ.

يَمضي إلى الشعاب وبطون الأودية فلم يمر بشجر ولا حجر إلا قال: السلامُ عليكَ يا رسول الله»[(١)].

التاسعة: تكليم الذراع له ففي البخاري لما أهدت زينب بنت الحارث له شاة مسمومة بخيبر فأكل ناسٌ من أصحابه منها منهم بشرٌ فتناول النبي ﷺ الكتف فقال: «**إنه يخبرني أنه مسموم**» فلم يقم بشر من مكانه حتى تغير لونه فمات.

العاشرة: أن البعير شكا إليه الجهد أي: المشقة، فقول الناظم: (إذ جهد) بضم الجيم مبني للمفعول، والجهد المشقة، ففي سنن أبي داود وغيرها[(٢)] عن ابن جعفر أنه أردفه النبي خلفه فدخل حائطًا لرجل من الأنصار فوجد بعيرًا فلما رآه حنَّ واغرورقت عيناهُ فمسح عليه فسكت، فنادى صاحبه أنه شكا إلي أنك تجيعه وتدئبه.

الحادية عشرة: شهادة الذئبُ له بالنبوة وروى الطبراني وأبو نعيم: «بينما راع يرعى إذ انتهز الذئب شاة فتبعه الراعي فحال بينه وبينها فقال له: ألا تتقي الله تحول بيني وبين رزق ساقه الله إليَّ، قال الراعي: العجب من ذئب مقع على ذنبه يكلمني، فقال الذئب: أعجب من هذا رسول الله بين الحرتين يدعو الناس إلى أنباء ما قد سبق»[(٣)].

تنبيه: عدَّ الجلال السيوطي وغيره من معجزاته إحياء الموتى وكلامهم وكلام الصبيان في المراضع وشهادتهم له بالنبوة وغير ذلك.

وجاء مرة قضاء الحاجة ... فلم يَجد سترًا سوى أشاءة

ومثلها لكن هُما بعدتا ... أمرَ كلاً منهما فأتتا

تخد الأرض ذي وذي حتَّى قضى ... حاجته أمر كلاً فمَضَى

الثانية عشر: أنه جاء إلى قضاء الحاجة ولم يجد شيئًا يستتر به سوى أشاءة بفتح الهمزة وشين معجمة والمد نخلة صغيرة.

وقول الناظم: (ومثلها) بالجر أي وأشاءة أخرى مثلها ولكن هما أي: الأشاءتان بعدتا أي: بعدت كل منهما عن الأخرى ثم أمر كلاً من الأشاءتين فأتتا إليه تخد أي: تشق الأرض، والخدة حديدة يشق بها الأرض فسترتا النبي حتى قضى حاجته، أمر كلا منهما

---

(١) أخرجه أبو نعيم في دلائل النبوة ص(٣٨٩)، والحاكم في المستدرك (٢/٦٢٠).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٥٤٩) من حديث عبد الله بن جعفر -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١١٣٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

بالمضي إلى مكانها فمضى، رواه الإمام أحمد والطبراني والبيهقي من عدة طرق[١].

وأزلفت إليه ست بُدْن لِلنَّحْرِ كُلٌّ سابقٌ للطَّعْنِ

الثالثة عشر: أنه أزلفت إليه أي: قربت منه ست بدن جمع بدنة وهي البعير للنحر كل واحدة منه تسبق للطعن أي: للذبح، روى أبو دارد والنسائي: «قُرِّبَ لرسول الله بدناتٌ خمسٌ أو ستٌ أو سبعٌ لينحرها يوم عيد فطفقن يزدلفن إليه بأيتهن يبدأ»[٢].

ونَدرت عين قتادة فرد تلك فكانت من صحيحة أحدْ

الرابعة عشر: أن عين قتادة بن النعمان الأنصاري ندرت بفتح النون أي: سقطت يوم أحد فردها، فكانت المردودة أحدّ من العين الصحيحة أي: أشد حدةً وأقوى نظرًا من السالمة رواه الحاكم[٣] وغيره من عدة طرق، وقال السهيلي: كانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى.

وبرأت عينُ عَليّ إذ تَفَلْ فيها لوقته وما عاد حَصَلْ

الخامسة عشر: أن عين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه برأت من الرمد حين تفل أي: بصق فيها لوقته وما عاد الرمدُ بعد ذلك أبدًا، ففي الصحيح أن عليًّا كان يوم خيبر أرمد فقال المصطفى: «**لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه**»[٤] فدعا عليًا وكان أرمد فتفل في عينيه، الحديث.

وابنُ عتيك رِجْلُهُ أصيبَتْ فهي بِمسحه سريعًا برأت

السادسة عشر: أن عبد الله بن عتيك الأنصاري أصيبت رجله حين نزل من درج إلى رافع بن أبي الحقيق لما قتله فمسحها بيديه الشريفة فبرأت كما في البخاري عنه[٥]، وقول الناظم: (فهي بِمسحه) جار ومجرور أي: بِمسح يده عليها.

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١١٤) من حديث يعلى بن مرة عن أبيه قال: "كنتُ مع النبي ﷺ في سفر فنزل منزلاً، فقال لي: «**ائت تلك الأشاءتين فقل لهما: إن رسول الله ﷺ يأمركما أن تجتمعا**»، فأتيتهما فقلتُ لهما ذلك، فوثبت إحداهما إلى الأخرى فاجتمعتا، فخرج النبي ﷺ فاستتر بهما فقضى حاجته، ثم وثبت كل واحدة منهما إلى مكانها".

(٢) أخرجه أبو داود (١٧٦٥) من حديث عبد الله بن قرط ﷺ.

(٣) انظر: مستدرك الحاكم (٣/٢٩٥).

(٤) أخرجه البخاري (٢٩٧٥)، ومسلم (١٨٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ.

(٥) أخرجه البخاري (٤٠٣٩).

وقال أقتل أبيَّ بْنَ خَلَفْ　　خَدَشَهُ خَدْشًا يسيرًا فانْحَتَفْ

السابعة عشر: أن أبيَّ بن خلف كان يلقى المصطفى فيقول: إن عندي قعودًا أعلفه كل يوم أقتلك عليه فيقول: «**بل أنا أقتلك إن شاء الله**» فطعنه يوم أحد في عنقه فخدشه غير كثير فقال: قتلني محمد!! فقالوا له: ليس بك بأس، قال إنه قال: «**أنا قاتلك**» فلو بصق عليّ لقتلني فمات بسرو[1]، وقول الناظم: (فانحتف) انفعل من حتفه الله إذا أماته.

كذاكُمْ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَف　　قُتِلَ كافرًا ببدر فوُفي

وعدَّ في بدر لهُمْ مَصَارعاً　　كُلٌّ بما سَمّى له قَدْ صُرِعَا

الثامنة عشر: أنه أخبر أمية بن خلف أنه يقتله فقتل كافرًا يوم بدر كما في البخاري عن ابن مسعود، عن سعد بن مُعاذ[2]، وقول الناظم: (فوفي) بضم الواو حشو كَمَّل به الوزن.

التاسعة عشر: أنه عدَّ لأصحابه في بدر مصارع الكفار فقال: هذا مصرعُ فلان غدًا ويضعُ يده على الأرض وهذا وهذا فكان كما وعد وما تجاوز أحدٌ منهم عن موضع يده كما في خبر أبي داود[3].

وقول الناظم: (وعدّ) بفتح العين وشد الدال، وقوله: (كل بما سمى) بفتح السين وشد الميم أي: في الموضع الذي سمى النبي أنه يصرع فيه، وقوله: (صُرِعا) مبني للمفعول.

وقال عن قوم سيركبُونا　　ثَبَجَ هذا البحر أي يغزونا

ومنهم أمُّ حَرَام ركبت　　البحر ثُمَّ في رجوعهم قَضَتْ

العشرون: أنه قال أي: أخبر عن طوائف من أمته أنهم سيركبون ثبج أي: وسط البحر أي: يغزون في البحر كالملوك على الأسرة ومنهم أم حرام الغميصاء أو الرميصاء بنت ملحان أخت أم سليم أم أنس فكان كما أخبر، فإنها خرجت مع زوجها عبادة بن الصامت أول ما ركب المسلمون البحر فلما قفلوا من غزوهم نزلوا إلى الشام فقدم إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت ودفنت بجزيرة قبرص وكان أمير الجيش معاوية، رواه البخاري وغيره[4].

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٣٥).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٣٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٧٧٩)، وأبو داود (٢٦٨١) من حديث أنس ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٨٩)، ومسلم (١٩١٢) من حديث أنس ﷺ.

وقوله: (ثبج) بمثلثة وموحدة وجيم مفتوحات أي: وسط البحر ومعظمه، وقوله: (يغزونا) بفتح أوله، وألف يركبون ويغزون للإطلاق، وقوله: (ومنهم) بضم الميم، وأم حرام بفتح المهملة، وقضت ماتت.

وقال في الحسن سبط نسبهْ ... يومًا لعلَّ اللهَ أنْ يُصلحَ بهْ
ما كان بينَ فئتين وهُما ... عظيمتان الكُلُّ ممَّنْ أسْلَما
فكان ذا وقال في عُثْمانا ... يُصيبُهُ بلوًى فَحَقًّا كانا

الحادية والعشرون: أنه قال في الحسن بن علي سبطه: «**إن ابني هذا سيد ولعل الله أن يُصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين**»، فكان كما قال فإنه لما توفي أبوه بايعه أربعونَ ألفًا على الموت فنزل عن الخلافة لمعاوية لا من قلة ولا من ذلة بل حقنًا لدم المسلمين كما رواه البخاري وغيره[1].

الثاني والعشرون: أنه أخبر في شأن عثمان ﷺ أنه ستصيبه بلوى شديدة يريد قتله، ففي البخاري من حديث أبي موسى فجاء عثمان فاستأذنَ له أبو موسى فقال: «**ائذن له وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه**»[2] فكان كما قال.

ومقتل الأسود في صنْعَا اليمن ... ذكره ليلة قَتْله ومنْ
قَتلَهُ كذاك كسرى أخبَرا ... بقتله فكان ذا بلا مِرَا

الثالثة والعشرون: أنه أخبر بمقتل الأسود العنسي واسمه غهله في صنعاء اليمن ذكر ذلك في الليلة التي قتل فيها في المدينة فجاء الخبر بما أخبر به كما ذكره ابن إسحاق وغيره، وقصة كيفية قتله مشهورة، وقول الناظم: (في صنعا) بالقصر للوزن إذ أصله المد.

الرابعة والعشرون: أنه أخبر بقتل كسرى كذلك في ليلة مقتله فجاء الخبر كما ذكر واسمه ابرويز بن هرمز، وفي الصحيح أنه لما جاءه كتاب المصطفى مزقه[3]، وسيَّر لعامله باليمن أن يرسل للمصطفى من يحضره له فأرسل إليه فأخبره أن الله قتل كسرى تلك الليلة فجاء الخبر بأن ولده قتله فيها بعينها.

وقال إخبارًا عن الشَّيْمَاء ... قد رُفعت في بغلة شهباء

---

(١) أخرجه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٧٤)، ومسلم (٢٤٠٣) من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٢٤) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

خِمــــارُهـــا أســـودُ حَتَّى أُخِــذَتْ عهد أبـــي بكر كمـــا قـــد وصفتْ

الــخامسة والعشرون: أنه أخبر عن الشيماء بفتح الشين المعجمة بنت الحارث السعدية أخت رسول الله ﷺ من الرضاعة أنها قد رفعت بضم الراء وكسر الفاء له في خمار أسود على بغلة شهباء أي: غلب بياضها سوادها، فكان كذلك. فإنها أخذت في عهد الصديق كما وصف.

روى أبو نعيم عن خُرَيم بن أوس أنه قال: قدمت على النبي منصرفه من تبوك فأسلمت فسمعته يقول: «**هذه الحيرة البيضاء قد رفعت لي وهذه الشيماء بنت نفيلة الأزدية على بغلة شهباء مُعتجرةً بخمار أسود**»[١]، فقلتُ: يا رسول الله إن دخلنا الحيرة فوجدناها كما تصف فهي لي قال: (**هي لك**) فلما دخلناها كانت أول من تلقانا.

وقول الناظم: (إخبارًا) بكسر الهمزة، وقوله: (خمارها) مبتدأ، وقوله: (عهد) منصوب بحذف حرف الجر أي في عهده.

وقـــدْ دعــــا لـــولـــد الخطاب بعـــزَّةِ الدّين بـــه أو بأبــــي
جهل أصـــابت عمـــرًا فأسلمــــا عَزَّ بـــه مَنْ كـــان أضْحَى مُسلـــمًا

السادسة والعشرون: أنه دعا لعمر بن الخطاب ﷺ بأن الله تعالى يعزُّ بـــه الإسلام أو بأبي جهل بن هشام فأصابت دعوته عمر فأصبح مسلمًا فعزّ بإسلامه كل من كان أضحى مسلمًا، ففي الترمذي خبر: «**اللهم أعز الإسلام بأحبِّ الرجلين إليك بأبـــي جهل أو بعمر**»[٢]، وصرف الناظم عمر للوزن.

ولعـــــليٍّ بـــذهـــاب الـــحَـــرّ والـــبَرْدِ لـــم يَكُـــنْ بـــذين يَدْري

السابعة والعشرون: أنـــه دعـــا لعلي كرم الله وجهه بذهاب الحر والبرد عنه فما كان علي يجد حرًا ولا بردًا فكان يلبس في الحر الشديد القباء المحشو الثخين وفي البرد الشديد ثوبين خفيفين، رواه البيهقي[٣].

ولابــــن عبـــاس بفقـــه الدين مع علــــمٍ بتـــأويل فَبَـــحْرًا اتَّسَعْ

---

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٥٤٠)، وذكر الحديث الهيثمي في المجمع (٦/٢٢٣)، وقال: "فيه جَماعة لم أعرفهم" اهـــ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦٨١)، وأحمد (٥٦٦٣) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-.

(٣) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤/٢١٣).

الثامنة والعشرون: أنه دعا لابن عباس بفقه الدين وعلم التأويل فقال كما في الصحيح وغيره: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[١] فصار بحرًا زخارًا واسعًا في العلم، فصار يُسمى البحر والحبر وترجمان القرآن.

وثابت بعيشه سعيدًا حَيَاتَهُ وموته شهيدا
فكان ذا وأنس بكثرة المال والوُلْد وطُول المُدَّة
في عمره فعاش نَحو المائة وكانَ يُؤتى نَخْلُهُ في السَّنَة
حِملين والوُلْدُ لصُلْب مائةُ من بعد عشرينَ ذُكُورًا أثبتُوا

التاسعة والعشرون: أنه دعا لثابت بن قيس بن شماس بأنه يعيش سعيدًا ويقتل شهيدًا هكذا رواه ابن عبد البر[٢] فكان كذلك عاش سعيدًا وقتل يوم اليمامة شهيدًا، وقول الناظم: (وثابت) بالجر أي: دعا لثابت، وقوله: (حياته) أي: في حياته، وقوله: (وموته) بالجر عطف على عيشه، ولو قال: وقتله كان أحسن.

الثلاثون: أنه دعا لأنس بن مالك خادمه بكثرة المال والوُلد بضم الواو وسكون اللام لغة في الولد بفتحتين وبطول المدة في عمره فقال: «**اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيه**»[٣]. فعاش نَحو مائة سنة إلا سنة، وكان له نخل يحمل في كل سنة حملين كما رواه أبو العالية. وكان ولده لصلبه مائةً وعشرين ولدًا ذكورًا.

وقول الناظم: (في عمْره) بسكون الميم تخفيفًا، وقوله: (يؤتى) بضم التحتية وكسر الفوقية بعد الواو، وقوله: (نخله) فاعل يؤتى، قوله: (وحملين) أي: حملتين، وقوله: (أثبتوا) بضم الهمزة وكسر الموحدة حشو كمل به الوزن.

وقال فيمن ادَّعى الإسلاما وقد غَزا معه العدا وحامَا
مع شدَّة القتال للكفَّار معهُ بأنه من أهل النار
فصدَّق الله مقالَ السَّيِّد بنحره لنفسه عمدَ اليد

الحادية والثلاثون: أنه قال في رجل ادعى الإسلام وغزا معه وأكثر قتال الكفار مع

---

(١) أخرجه البخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧) دون قوله: «وعلمه التأويل»، وهو في مسند أحمد (٢٣٩٣) بسند صحيح.

(٢) انظر: الاستيعاب لابن عبد البر (١٩٣/١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٣٣٤)، ومسلم (٦٦٠) من حديث أنس ﷺ.

المسلمين: «**إنه من أهل النار**»، فصدق الله مقالته فإنه أصابته جراحة فقتل نفسه بيده عمدًا كما في الصحيحين[١]، وقاتل نفسه في النار.

وقول الناظم: (معه) بسكون العين، والعدا بكسر العين الكفار، وقوله: (وحاما) أي: احتفلَ وانتصر له، وقوله: (عمد اليد) بنصب عمد أي: قتل نفسه بيده عمدًا.

وكان مِـن عتيبـةَ بن أبـي لَهَبْ أذًى لـهُ دَعَا عليـه فـوَجَبْ
فسلَّـطَ الله عليـه كَلْبَـا قَتَلَـهُ الأسَـدُ قَتْلاً صَعْبَـا

الثانيـة والثلاثون: كان بينه وبين عتيبة مصغرًا ابن أبي لهب أذى وذلك أنه بصق عليه فدعا عليه فوجب ما دعا به عليه، وذلك أنه سأل الله أن يسلط عليه كلبًا من كلابه فقتله الأسد قتلاً صعبًا بالزرقاء من أرض اليمامة كما روى قصته أبو نعيم وغيره[٢].

وقـد شكـا له قُحُوطَ الـمَطر شـاك أتـاهُ وهْوَ فوقَ الـمنبر
فرفـعَ اليـدين لله وَمَـا قزَعَةٌ ولاً سَحَـابٌ فـي السَّمـا
فطلعت سحابـةٌ وانتشـرت فـأمطروا جُمُعَـةً تـوَاتَرَتْ
حتـى شُكِـيَ لـهُ انقطاعُ السُّبُل فأقْلعَـتْ لـمَّا دَعَـا اللهَ العَلـي

الثالثة والثلاثون: أنـه لـما شكا إليه شاك قحوط المطر أي: حبسه وانقطاعه وهو فوق المنبر في خطبة الجمعة، فرفع يديه إلى الله ودعا وما في السماء قزعة بفتح الزاي أي: قطعة من الغيم ولا سحابٌ، فطلعت سحابة من ورائه مثل الترس حتى توسطت السماء فاتسعت وانتشرت فأمطروا جمعة من الجمعة إلى الجمعة، وتواترت بفتح المثناتين والراء يعني الأمطار حتى شكا الناس إليه انقطاع السبل فدعا الله وقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**»، فأقلعت أي: كفت وانقطعت، رواه الشيخان وغيرهما[٣].

وقول الناظم: (قحوط) مفعول مقدم، وقوله: (شكي) بالبناء للمفعول، وقوله: (انقطاع) برفعه نائب الفاعل، والسبل بضم الموحدة جمع سبيل.

وأطعـمَ الألـف زمانَ الـخَنْدَق مـنْ دون صَاع وبُهَيْمـة بَقـي

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٩٨)، ومسلم (١١٢) من حديث سهل بن سعد ﷺ.

(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٤٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٩٣٣)، ومسلم (٨٩٥) من حديث أنس ﷺ.

بَعْـــدَ انْصرافِـــهم عَـــنِ الطَّعَـــامِ أكْـــثرُ مِـــمَّا كَـــانَ مِنْ طَعَامِ
كَـــذَاكَ قَـــدْ أطعَمَـــهُمْ مِنْ تَمْرِ أتَتْ بِـــهِ جَـــارِيَةٌ فِـــي صُـــغْرِ

الرابعة والثلاثون: أنه أطعم الألف الذين كانوا معه في غزوة الـــخندق من صاع شعير أو دون صاع، وبُهيمة بضم الموحدة تصغير بهمة وهي ولد الضأن، فأكلوا وشربوا وانصرفوا وبقي بعد انصرافهم عن الطعام أكثر مما كان من الطعام كما في الصحيحين عن جابر(١). وقول الناظم: (وبقي) بسكون الباء وأصلها الفتح.

الخامسة والثلاثون: أنه أطعم أهل الـــخندق أيضًا من تَمر يسير جدًّا أتت به إليه جارية وهي بنت بشير بن سعد أخت النعمان بن بشير كما رواه عنه أبو نعيم(٢)، وقال: إنهم شبعوا منه جميعًا وكانوا ثلاثة آلاف.

قول الناظم: (في صغر) أي: الجارية صغيرة السن وهو إمّا حشو أو بَيَّنَ به أن التمر غاية في القلة بحيث تقلّه بنت صغيرة جدًّا.

وأمَـــرَ الفَـــاروقَ أن يُـــزَوِّدا مئـــينَ أرْبَعًـــا أتَـــوْا فَـــزَوَّدَا
والـــتمرُ كَـــانَ كالفَصِيلِ الرَّابِـــضِ كأنـــهُ مَـــا مَسَّـــه مِـــنْ قَـــابِـــضِ

السادسة والثلاثون: أنه أمـــر عمر الفاروق ﷺ أن يزود أربعمائة راكب أتوا إليه من تمر كان عنده فزودهم منه والتمر كان مقداره كالفصيل الرابض أي: الجالس، أي: أن الجراب الذي فيه التمر بمقدار الفصيل إذا جلس فزودهم جميعهم وكأنه ما مسه قابض أي: ما قبض أحد منه قبضة بيد، كما رواه أحمد وغيره عن دكين بن سعيد الخثعمي وقال فيه: (كأنه لَمْ يقبض منه تمرة واحدة)(٣).

كَـــذاكَ أقْـــراصُ شعـــيرٍ جُعِلَتْ مِـــن تَحـــت إبْط أنـــس فأكلَتْ
جَماعَـــةٌ منهـــا ثَمـــانُـــون وهـــم قد شبعوا وهو كمـــا أتـــي لـــهُمْ
وأطعَـــمَ الـــجيشَ فَـــكُـــلٌّ شَبِعـــا مِـــن مـــزود ومـــا بقي فيـــه دعا
لصاحب الـــمزود فيـــه فأكـــل منـــه حيـــاتَهُ إلـــى حين قُتِلْ

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).
(٢) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٤٩٩).
(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٧١٢٦).

عُثمـــان ضـــاعَ ورووا أنْ حَمْلا خمْسين وسقا منــــه لله عَـــــلا

السابعة والثلاثون: أنه أطعمَ جماعة من أقراص شعير قليلة بحيث جعلها أنس تحت إبطه لقلتها فأكل منها ثمانون رجلاً وشبعوا كلهم وهو كما أتى لهم كأنه لم يـمسسه أحد كما جاء في الصحيحين عن أنس(١)، وقول الناظم: (أكلت) بفتح الهمزة مبني للفاعل، وجماعة فاعل أكلت.

الثامنة والثلاثون: أنه أطعمَ الجيش حتى وصلوا إلى حد الشبع من مزود وهو وعاء التمر ورد ما بقي فيه لصاحبه أبي هريرة ودعا له بالبركة فأكل منه حياته أي: حياة النبي وأبي بكر وعمر وعثمان إلى حين قتل عثمان فضاع المزود لما نهب بيت أبي هريرة.

التاسعة والثلاثون: روى أهل السير من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة أنه يعني أبا هريرة حمل من ذلك المزود خمسين وسقا في سبيل الله ﷻ، أخرج البيهقي عنه قال: "أصبتُ بثلاث مصائب في الإسلام: موت النبي، وقتل عثمان، والمزود"(٢)، قيل: وما المزود فذكر نحو ما تقدم.

وقول الناظم: (المزود) بكسر الميم، وقوله: (بقِي) بكسر القاف وسكون الياء للضرورة، وألف حملا للإطلاق.

وفـــي بنـــائـــه بزينبْ أطْعَمَا خَلقًا كثيــرًا مــن طَعَام قُدِّمـــا
أهــــدَتْ لـــهُ أمُّ سُلَيْمٍ رُفِعَــــا مِنْ بينهم وهوَ كَمَا قـــدْ وُضِعـــا

الأربعون: أنه حين بنائه بزينب بنت جحش أطعمَ خلقًا كثيرًا من طعام قدم إليه في قصعة أهدتها إليه أم سليم سهلة بنت ملحان أم أنس، ثم رفع الطعام من بينهم وقد شبعوا وهو كما وضع أو أكثر كما رواه أبو نعيم(٣) عن أنس، والألف في قول الناظم: (أطعما) (وقدما) للإطلاق.

والجيـــش فـــي يوم حُنَيْن إذ رُموا منـــه بقبضَـــة تُــــرَابًا هُزموا
وأنْـــزَلَ الله بـــــه كتـــابَـــا وامتـــلأت أعيُنُهُمْ تُرَابـــا

---

(١) أخرجه البخاري (٣٥٧٨)، ومسلم (٢٠٤٠).
(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٦/١١٠).
(٣) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم (ص٥٥٨).

الحادية والأربعون: أنه في يوم غزوة حنين رمى الكفار بقبضة من تراب وقال: (شاهت الوجوه) فامتلأت أعينهم كلهم ترابًا وهزموا عن آخرهم، وأنزل الله تعالى في ذلك كتابًا أي: قرآنًا فقال: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]، كما رواه مسلم وغيره[1].

وقول الناظم: (والجيش) مبتدأ، وقوله: (ترابا) نصب على التمييز أو على حذف حرف الجر أي: بقبضة من تراب.

كـذا التُّراب فـي رءوس القـوم قَدْ ... وَضَعَـهُ ولـمْ يَـرَهْ منـهُمْ أَحَدْ
وكمْ لـهُ مـن مُعجـزات بَيِّنـهْ ... تَضيقُ عنْهَـا الكُتُـبُ الـمُدَوَّنـهْ

الثانيـة والأربعون: أنه لـما اجتمعتْ صناديدُ قريش في دار الندوة وأجمعوا على قتله وجاءوا إلى بابه ينتظرون خروجه فيضربونه بالسيوف ضربة رجل واحد، خرج عليهم ووضع التراب على رأس كل واحد منهم ولـم يره أحد كما مر.

وكم له من معجزات بينة ظاهرة كظهور الشمس في رابعة النـهار، ووقع الاقتصار علـى هذا المقدار لـما أنه تضيق عنها الكتب المدونة أي المجموعـة.



باب ذكـر خصائصـه

وهي كثيرة وفيها مؤلفات غزيرة شهيرة وذكرها جائز بمندوب بل قيل يجب، ثـم هي أربعة أضرب: **الأول**: الواجبات لزيادة ثوابها على مثلها نفلاً بسبعين درجة وإليها أشار الناظم بقوله:

خُـصَّ النـبيُّ بـوجوب عـدَّهْ ... الـوتْر والـسّوَاك والأضحيَّـهْ
كـذا الضُّحَـى لَوْ صَحَّ والـمُصابرهْ ... عـلى العَدُوّ وكـذا الـمُشاورهْ
والشـافعـي عَن الـوجوب صَرَفَهْ ... حكَاهُ عنـهُ البيهقي في الـمعرفـهْ

خُصَّ النبـي بوجوب عدة أمور فـهي فرض عليه وفي حق أمته نفل وحكمته زيادة الزلـفى والدرجات.

الأول: الوتر.

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٧٧).

الثاني: السواك لكل صـــلاة.

الثالث: الأضحيـــة.

الرابع: الضحى لو صح ما جزموا به من وجوبـــها عليه لكنه لَمْ يصح. قال البلقينـــي: لـــم يثبت أن الضحى واجبة عليه كما جزموا بـــه.

الخامس: المصابرة على قتال العدو وإن كثروا وزادوا على الضعف.

السادس: وجوب المشاورة للعقلاء عن المعظم لآية ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِـــي الأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، لكن الشافعي صرفه أي صرف الأمر بالمشاورة للندب فقال: هو كقولك البكر تستأمر، حكاه عنه البيهقي في كتاب المعرفة، وهل في الحرب ومكائد العدو فقط أو في أمر الدنيا أو في أمر الدين وجوه حكاها الـــماوردي.

كـــذا التَّهَجُّدُ ولَـــكِنْ خُفِّفَـــا نـــَسْخًـــا وقيلَ الـــوترُ ذا وَضُعِّفَا

السابع: التهجد وهو صلاة الليل فُرِضَ عليه وعلى أمته حولاً كاملاً، لكن خفف ذلك عنه وعن أمته ونسخ وجوبه بِما في آخر الـــمزمل، وقيل: إن الوتر هو التـــهجد وضعف هذا القول، والأصح أنـــه غيره وأن الوتر واجب عليه ولـــم ينسخ.

كـــذا قَضَـــاءُ دَيْـــنِ مَـــنْ مَاتَ وَلَمْ يَـــتْرُكْ وَفَـــاء قيـــلَ بَلْ هَذَا كَرَمْ

الثامن: قضاء دين من مات وعليه دين ولـــم يخلف وفاء أي: إن زاد ما عنده على مصالح الأحياء، وقيل: بل إنـــما كان الذي يقضيه كرمًا منه لا وجوبًا عليه، وعلى الأول الأصح فلا يجب علـــى الإمام بعده قضاؤه من المصالح.

ومن الواجبات عليه أيضًا أن يمون عيال من مات معسرًا ويؤدي الجنايات عمن لزمته وهو معسر، وكذلك الكفارات وغير ذلك.

كـــذاكَ تَخييـــرُ النّسَـــاء اللاتـــي مَعَـــــهُ فـــأمَّا فـــي الـــمُحرَّمَات

التاسع: تَخيير نسائه أي زوجاته اللاتي كن معه في عصمته بين مفارقته والمقام معه، ولا يشترط الجواب فورًا، وفي جوازه قبل مشاورتها وجهان؛ ثم من اختارت المقام معه فله طلاقها، ومن اختارت فراقه ولـــم تتراجع لزمه طلاقها.

ومن الواجبات عليه أيضًا راتبة الصبح لخبر في المستدرك وغيره[1]، وتغيير المنكر مطلقًا

---

(١) انظر: مستدرك الحاكم (١/٣٠٠).

وإن ظن أن فاعله فعله عنادًا خلافًا للغزالي، قيل: وغسل الجمعة لخبر فيه لكنه واه، وأربع عند الزوال، والوضوء لكل صلاة ثُمَّ نسخ بالوضوء كلما أحدث فلا يكلم أحدًا ولا يرد سلامه حتى يتوضأ ثم نسخ، ووجوب الوفاء بوعده كضمان غيره بخلاف سائر الأمة ذكره ابن الجوزي وغيره، والصبرُ على ما يكره، وصبر نفسه مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي، والرفق، وترك الغلظة، وإبلاغ كل ما أنزل إليه، وخطاب الناس بما يعقلون، والدعاء لمن أدّى صدقة ماله ذكره ابن رزين وغيره.

فَمَا أبيحَ لسواه حُرِّما ... عليه فهو مَدُّ عَيْنيه لمَا
قد مُتِّعَ الناسُ به من زهرة ... دُنْيهم كذاك من خائنَة
الأعيُن اعْدُدْهُ ونَزْعُهُ لمَا ... لبسَ من لأمة حَرْب حُرمَا
حتَّى يُلاقي العِدَا فَيَنْزِعا ... صَدَقةً فامْنَعْ ولو تَطَوُّعَا

الضربُ الثاني: المحرمات أي: مما أبيح فعله لغيره وحرم عليه هو خاصة وهي أمور:

الأول: مد عينيه إلى ما متع الناس به من زهرة الحياة الدنيا.

الثاني: خائنة الأعين بأن يومئ إلى مباح من ضرب أو قتل على خلاف ما يظهره، وقيل له خائنةٌ لأنه يشبه الخيانة من حيث إنه يخفى، ومثله في ذلك الأنبياء.

قال ابن القاص: ومثل ذلك أن يخدع في الحرب وخالف الجمهور.

الثالث: نزعه لما لبسه من لأمته أي: درعه وسلاحه عند دعاء الحاجة لذلك حتى يُلاقي العدو فيقاتل أو يحكم الله بينه وبين عدوه، وكذلك جميعُ الأنبياء.

قال أبو سعيد وابن سراقة: وكان لا يرجعُ إذا خرج إلى الحرب ولا ينهزمُ إذا لقي العدو وإن كثر.

الرابع: الصدقة فيحرم عليه قبولها ولو تطوعًا.

وقول الناظم: (حرما) بضم الحاء وشد الراء المكسورة، وقوله: (متع) بضم الميم وكسر التاء المشددة، و(زهرة) بفتح الزاي، وقوله: (اعدده) حشو كمل به الوزن، وقوله: (لما لبس) أي: لبسه من لأمة بهمزة ساكنة بعد اللام وتخفف، وقوله: (حرم) بضم الحاء وكسر الراء، و(العدا) بكسر العين، وقوله: (صدقة فامنع) في نسخة: (لصدقة امنع) وهو مفعول مقدم تقديره امنع حِل أكله الصدقة.

والشِّعْـرَ والـخَطَّ وقيـلَ يَمْنَعُ ثُـوْمٌ ونَحوهُ وأكـلٌ يَـقَعُ
مـع اتكـاء والنكـاح للأمـةْ مـع الكتـابيَّة غـير الـمُسْلمَة
كـذاك إمساكُ التـي قـدْ كرهَتْ نكاحه والـخُلْفُ فـي هـذا ثَبَتْ

الخامس: الشعر أي: إنشاؤه قال الماوردي: وكذا روايته والقراءة في الكتاب.

السادس: الخط أي: نقله قال البغوي في التهذيب: قيل: كان يحسن الخط ولا يكتب ويحسن الشعر ولا يقوله، والأصح أنه كان لا يحسنهما لكن كان يميز بين رديء الشعر وجيده. انتهى

السابع: أكل ما له ريح كريهٌ كثوم وبصل فإنه قيل إنه يمتنع عليه أكله.

الثامن: الاتكاء عند الأكل فإنه قيل بحرمته عليه أيضًا لكن الأصح في الروضة كراهتهما، وروى البيهقي وغيره[(١)]: أنه لَما خَيَّره الله فاختارَ أن يكون نبيًا عبدًا لم يأكل بعد ذلك متكئًا حتى لقي ربه.

وقول الناظم: (يمنع) مبني للمفعول، والثُوم بضم المثلثة.

التاسع: نكاحُ الأمة المسلمة لأنه إنَّما أجيز لأمّته بشروط منها خوف العنت وهو معصوم منه.

العاشر: نكاح الكتابية ولو حرةً لإخباره بأن زوجاته في الدنيا زوجاته في الجنة والجنة حرام على الكفار. وقول الناظم: (والنكاح) بالنصب عطفٌ على الخط والشعر والصدقة أي: وامنعه النكاح، وقوله: (غير المسلمة) حشو كمل به الوزن.

الحادي عشر: إمساكُ المرأة التي كرهت نكاحه، وقد تزوج ابنة الضحاك فلما هوي إليها ليقبلها قالت: أعوذ بالله منك، قال: «**قد استعذت بعظيم الحقـي بأهلك**»[(٢)].

وقول الناظم: (والخلف في هذا ثبت) أي: أن هذا ليس بمقطوع به بل ثبت فيه خلاف محقق، فقيل: إنما فارقها تكرمًا لا وجوبًا والأصح الأول، بل تحرم عليه مؤبدًا في أحد الوجهين.

وقَـدْ أبـاحَ ربُّـهُ الوصَالا لـهُ وفـي سَـاعَة القتـالا
بـمَكَّـة كـذا بـلا إحـرَام دُخولُـهـا وليـسَ بالـمَنَام

(١) انظر: سنن البيهقي (٧/٤٩)، وذكر الحديث الهيثمي في المجمع (٩/١٩)، وقال: "إسناده حسن". اهـ
(٢) أخرجه البخاري (٥٢٥٤) من حديث عائشة -رضي الله عنها-.

مُضطَجعًا نَقـضُ وضوئـه حَصَلْ كـذا اصْطفـاءُ الله مـالَهُ أحَلْ
من قَبْـل قسْمـةٍ كـذاكَ يَقْضِي لنفسـه ووُلْـدِهْ فيَمْضِـي

الضرب الثالث: الـمباحات لـه دون غيره وهي أمـور:

الأول: الوصال فإنه نهى عنه، فقيل له: إنك تواصل فقال: «**إنـي لست كأحدكم إنـي أبيت عند ربي يطعمنـي ويسقيني**»[1]، ويباح لـه أيضًا القبلة في الصوم.

الثاني: القتال بمكة ساعة من نهار لقوله في الصحيح: «**أحلت لـي ساعة من نهار وإنـها لـم تحل لأحد من بعدي**»[2] وله حَمْل السلاح فيها والقتل بها والقتل بعد الأمان.

الثالث: دخول مكة بغير إحرام لـخبر مسلم: "أنه دخل مكة وعليه عمامة سوداء بغير إحرام"[3]، فيباح له استمرار الطيب في الإحرام فيما ذكره المالكية.

الرابع: أن وضوءه لا ينتقض بالنوم مضطجعًا لأنه تنام عينه ولا ينامُ قلبه.

الخامس: اصطفاء أي: اختيار ما أحله الله له من الغنيمة من جارية وغيرها قبل القسمة وكذا من الفَيء، ذكره ابن كج في التجريد، وكان له الأنفال يفعل فيها ما يشاء.

السادس: أنه يقضي لنفسه ويَحكم لنفسه ولولده فيمضي حكمـه بذلك. وقول الناظم: (ووُلْده) بضم فسكون على وزان ما مر، وقوله: (فيمضي) بفتح الياء.

كـذا الشهادةُ كـذاكَ يَقبَلُ مـن شهـدوا له كذاك يفصلُ
في حُكْمـه بعلمه للعصمـة واختلفوا في غـيره للـرِّيبـة

السابع: أن له أن يشهد لنفسه وولده، وأن يقبل شهادة من شهد له.

الثامن: جواز الشهادة له بما ادعاه كما في قصة خزيمة ذكره في روضة الحكام.

التاسع: أن له أن يقضي ويحكم بعلمه ولنفسه ولولده ولغيره ولو في الحدود مطلقًا بغير شرط لعصمته، وأما غيره ففيه خلاف فمنعه بعضهم للريبة أي: التهمة والشك، والمجوز له شروط. وقول الناظم: (يَفصل) بفتح أوله وكسر ثالثه.

تنبيه: له أيضًا قبول الهدية مطلقًا بخلاف غيره من الحكام. وله إقطاع الأراضي قبل فتحها لأن الله ملكه الأرض، وأفتى حجة الإسلام بكفر من عارض أولاد تميم الداري فيما

(١) أخرجه البخاري (١٩٢٢)، ومسلم (١١٠٢) من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما-..
(٢) أخرجه البخاري (١٨٣٣)، ومسلم (١٣٥٣) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.
(٣) أخرجه مسلم (١٣٥٨) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

أقطعهم، وقال: كان يقطع أرض الجنة فالدنيا أولى.

كـذا له أنْ يَحْمي الـمَواتَا لنفسـه ويـأخـذَ الأقْوَاتَـا

وغيرَهـا مـن الطعـام مَهْمَا احْتَاجَ والـبَذْلَ فاوجبْ حَتْمـا

من مـالكٍ وإنْ يكـنْ مُحْتَاجَـا لكنَّـه لفعـل هـذا مـا جَا

العاشر: أن له أن يحمي الموات لنفسه ولا يحمي غيره من الأئمة لنفسه بل للمصالح العامة، ولا ينتقض ما حماه، ومن أخذ شيئًا مما حماه ضمن قيمته في الأصح بخلاف ما حماه غيره من الأئمة.

الحادي عشر: أن له أن يأخذ الأقوات وغيرها من نحو طعام وشراب متى احتاج لذلك، قال ابن رزين: واللباس كالآلات.

وقول الناظم: (والبذل) بالنصب أي ويجب على المالك البذل لما احتاج إليه وإن مالكه محتاجًا بل وإن هلك، ويفدي بمهجته مهجة رسول الله ﷺ، لكن ما جاء عنه أي: النبي أنه فعل هذا المباح ولا معظم المباحات بل كان يؤثر على نفسه.

والـخلفُ في النَّقضِ بلَمْس الـمرأة والـمُكث في الـمَسجد معْ جنابة

الثاني عشر: أنه لا ينتقض طهره بلمس المرأة بل يصلي بذلك الطهر في أحد وجهين، قال الجلال السيوطي في الخصائص: «إنه الأصح»، وليس الأمر كما قال.

الثالث عشر: أنه يحل له الـمكث في المسجد جنبًا كما في التلخيص[1] لـخبر فيه، لكن فيه أن عليًا مثله ولـم يقولوا به، قيل: وخص أيضًا بحل استقبال القبلة واستدبارها حال قضاء الحاجة، حكاه القشيري في شرح العمدة.

وجَـائزٌ نكـاحُـهُ لتسْعَـة وفَـوقَهَا وعَقْـدُهُ بالـهِبَة

فإنْ فلا بالعَقـد حَتـم مَهـره ولا الـدُّخولُ بـخلاف غَـيْره

الرابع عشر: أنه يُباح له نكاح تسع من النسوة وما فوق التسع بغير حصر، قال الجلال في الخصائص: وكذا الأنبياء[2].

الخامس عشر: أنه ينعقد نكاحه بلفظ الهبة وبلا مهر ابتداء وانتهاء وبصداق مجهول

(١) انظر: التلخيص الحبير، للحافظ ابن حجر (١٣٦/٣).

(٢) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٤٢٦/٢).

ذكره في البحر، فإن عقد بلفظ الْهِبَة لــم يجب عليه بالعقد ولا بالدخول مهر بـخلاف غيره فإنه إذا عقد بلا مهر ثم وطئ لزمه مهر المثل. وقول الناظم: (فإن فلا بالعقد حتم مهره) أي: لا يتحتم عليه مهر بعقد النكاح.

كَــذَا بِــلا وَلِيّ أو شُهود أو ... فــي حــال إحرام بخُلف قدْ حَكَوْا

ومَــن يَــرُمْ نكاحهــا لَزِمَهَا ... إجــابــةٌ وحــرُمَتْ خِطبَتُــهَا

ومَــنْ لَــها زوجٌ فَحَقًا وَجَبَــا ... طلاقُهــا كمــا جرَى لزينَبَــا

السادس عشر: أنه ينعقدُ نكاحه بلا ولي أو بلا شهود أو بلاهما جميعًا.

السابع عشر: أنه ينعقد نكاحه في حال الإحرام على خلاف فيه قد حكاه الشافعية والأصح عندهم الانعقاد.

الثامن عشر: أن من يروم أي: يرغب في نكاحها وهي خلية يلزمها إجابته على الصحيح وتُجبر، ويحرم على غيره خطبتها بـمجرد الرغبة وظهور الميل.

التاسع عشر: أن من يرغب في نكاحها ولــها زوج وجب عليه طلاقها لينكحها كمــا جرى في زينب بنت جحش[1]، قال الغزالي في الخلاصــة: (وله نكاحها من غير انقضاء عدة)، وفيه نظر. وله الخطبة أيضًا على خطبة غيره، ويُباحُ له أيضًا النظر إلى الأجنبية والخلوة بها وإردافها، وله تزويج من شاء لمن شاء بلا إذن من المرأة ولا وليها، وله تزويجها لنفسه، وتولى الطرفين بغير إذنها ولا إذن وليها، وله إجبار الصغيرة من غير بناته، وزوَّج ابنة حمزة مع وجود عمها العباس فقدم على الأقرب، وقال لأم سلمة: «**مري**

---

(١) ولَمْ يُطَلِّق زيدٌ زينَبَ -رضي الله عنها- لكي يتزوجها النبي ﷺ، ولَمْ يطلب منه النبي ﷺ ذلك، وإنَّما قَدَّر الله بينها وبين زيد ما اقتضى أن جاء زيد بن حارثة يستأذنُ النبي ﷺ في فراقها، فنصحه النبي ﷺ بإمساكها وعدم مفارقتها، وكان قد وقع في نفسه ﷺ أنْ لو طلقها زيد لتزوجها، ولكنه قدم مصلحة زيد على رغبته ﷺ. وكان الْهدفُ من هذه القصة هو القضاء على التبني وإبطاله، وقد كان زيد ﷺ يُدعى: "زيد بن محمد" حتى نزل قوله تعالى: ﴿**ادعوهم لآبائهم**﴾ فقيل له: "زيد بن حارثة"، فأراد الله أن يكون هذا الشرع قولاً من رسوله وفعلاً، وإذا أراد الله أمرًا؛ جعل له سببًا. انظر: "تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان" للعلامة السعدي (ص٦١٣). ط- مؤسسة الرسالـــة.

ابنك أن يزوجك»[١] فزوجها له وهو يومئذ صغير لم يبلغ، وزوَّجه الله زينب بغير عقد وكان كفؤًا لكل أحد، وإذا تزوج بولي فاسق أو أعمى أو أخرس جاز له، ذكره أبو سعد، وله جمع امرأة وأختها وعمتها وخالتها في أحد وجهين، وبين امرأة وابنتها في وجه حكاهُ الرافعي.

وفي وُجوب قَسْمِهِ بَيْنَ الإمَا وبَيْنَ زَوجاتٍ لَهُ خُلْفٌ نَمَا

الضربُ الرابع: ما اختص به من الواجبات عليه وهي أمور:

الأول: قَسمه بين إمائه وزوجاته على خُلف أي: خلاف فيه، وقول الناظم: (قسمه) بفتح القاف مصدر بمعنى القسمة، والإماء بكسر الهمزة، و(خلفٌ) بضم الخاء، و(نَما) أي: ظهر وانتشر.

تنبيه: قال ابن العربي في تحفة الأحوذي: خُصَّ النبي بأشياء منها أنه أعطي ساعة لا حق فيها لأزواجه حتى يدخل عليهن فيفعل بهن ما يُريد ولو لغير صاحبة النوبة، ولا يجبُ عليه نفقتهن كالمهر، ولا ينحصرُ طلاقه في الثلاث في وجه، والحاصلُ أن النكاح في حقه كالتسري في حقنا.

زَوْجَاتُهُ كُلٌّ مُحَرَمَاتُ هُنَّ لِذي الإيمان أُمهَاتُ
نكاحُهنَّ مَعْ عُقوقِهِنَّهْ مع الوجوب لاحترامهنَّهْ

الثاني: تحريم زوجاته التي توفي عنهن على غيره أبدًا، وفيمن فارقها في حياته أوجهٌ أصحها تحريمها، وفي الخصائص للجلال[٢]: يُحرم نكاح أمة وطئها، وصرح عياض بحرمة رؤية أشخاص أزواجه في الأُزُر وكشف وجوههن وأكفهن لشهادة أو غيرها وسؤالهن مشافهة وصلاقمن على ظهور البيوت. انتهى

الثالث: أن زوجاته هن أمهات المؤمنين فيحرم عليهم عقوقهن ويجب عليهم احترامهن، وقول الناظم: (نكاحهن) أي: يحرم نكاحهن مع تحريم عقوقهن ومع وجوب احترامهن، والهاء في عقوقهن واحترامهن للسكت.

لا نَظَرٌ وخُلْوةٌ بِهِنَّهْ ولا بتحريم بناتِهِنَّهْ

(١) انظر: سنن البيهقي (٧/١٣١).
(٢) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٤٣٨).

محل كونهن أمهات المؤمنين في الاحترام والإعظام لا في نظر الرجل إليهن ولا في الخلوة بهن فإن ذلك حرام، ولا في تحريم بناتهن فإنه لا يحرم على أحد من المسلمين نكاح بناتهن، والهاء في المصراعين للسكت.

مـــن دَخَلَتْ عليـــه أو قَدْ فُورِقَتْ أو مَـــاتَ عَنْهـــا أو تَكونُ سَبَقَتْ

أي: وسواء في تحريم أمهات المؤمنين من دخل بها وفارقها في حياته أو مات عنها، أو تكون سبقت بأن ماتت وهي في عصمته كخديجة فإنهن كلهن أمهات المؤمنين.

وهُنَّ أفْضَـــلُ نســـاء الأمَّـــة ضُعِّفْنَ فـــي الأجْرِ وفـــي العُقوبـــة

وهن أي: أمهات المؤمنين أفضل نساء هذه الأمة، وهن ضعفن في الأجر والعقوبة أي: يُضاعف ثوابهن في الأجر ويُضاعفُ عقابهن في الوزر، ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ**﴾ [الأحزاب: ٣٠].

أفضلهـــن مُطْلـــقًا خَديـــجـــةُ وبعدهـــا عائشـــة الصِّدِّيقَـــةُ

اختُلف في أي: نسائه أفضل، والصحيح أن أفضلهن مطلقًا خديجة وبعدها في الفضل عائشة الصديقة أي: بنت الصديق، لـما رواه أحمد والنسائي وغيرهما، عن ابن عباس مرفوعًا: «**أفضل نساء أهل الجنة خديجة وفاطمة ومريم وآسية**»[١]، قال الحافظ ابن حجر في الفتح[٢]: هذا نص صحيح صريح في تفضيل خديجة على عائشة لا يحتمل التأويل، قال السبكي: ونساؤه بعد خديجة وعائشة متساويات في الفضل.

وأنَّـــه خَـــاتَـــمُ الأنبيـــاء خَيْرُ الـــخلائـــقِ بـــلا مِرَاء

الرابع: مما اختص به أنه خاتم الأنبياء فلا نبي بعده أبدًا، وعيسى إنّما ينـزل بشرعه، وكما أنه خاتم الأنبياء فهو بالحقيقـة أول الأنبيـاء فقـد عدوا ممَّا خص بـه أنه أول النبيين خـلقًا[٣] وأن نبوتـه قـد تقـدمت الكل فكـان نبيًا، وآدم منجـدل

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٦٦٣) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-. وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (١١٣٥).

(٢) انظر: فتح الباري (١٣٥/٧).

(٣) لا يثبت حديث صحيح يؤيد هذا القول، أي: أنه ﷺ كان أول النبيين خلقًا، وكل ما ورد في ذلك من آثار فهو دائر بين الضعف والوضع، وهو معارض لصريح الأدلة الموضحة بأن آدم عليه السلام هو أول الخلق. والله أعلم

وقد أخرج الإمام أحمد في مسنده (٢٠٠٧٣) بإسناده عن ميسرة الفجر قال: قلتُ: يا رسول الله، متى كتبت نبيًّا؟، قال: «وآدم بين الروح والجسد» وهذا إسناد صحيح، وقد صحح الحديث =

في طينته[1]، كما أنه أول من أخذ الميثاق عليه وأول من قال: بلى، يوم ألست بربكم.

الخامس : أنه خير الخلائق أجمعين بلا مراء أي: بلا شك، فهو أفضل الأنبياء والرسل والملائكة عليهم الصلاة والسلام حتى أمين الوحي ﷺ خلافًا للزمخشري، كيف وجميع المخلوقات خلقت لأجله؛ وكتب اسمه الشريف على العرش وكل سماء والجنان وما فيها وسائر ما في الملكوت، وأخذ الميثاق على النبيين آدم فمن دونه أن يؤمنوا به وينصروه ويعظموه.

أمَّتُهُ في النَّاس أفضَلُ الأمَمْ معصومةٌ من الضلال بعصَمْ

السادس: أن أمته خير الأمم وأنَّها معصومة من الاجتماع على الضلال، وقول الناظم: (بعصم) بكسر العين وفتح الصاد المهملتين جمع عصمة من عصمه الله أي: حفظها ووقاها من الضلال بفضله.

قال بعضهم: ومن خواص نبينا أن الله لم يره في أمته شيئًا يسوءه حتى قبضه بخلاف سائر الأنبياء.

تتمة: من خواص أمته أيضًا أن اشتق لهم اسمان من أسمائه تعالى المسلمون والمؤمنون وسمي دينهم الإسلام ولم يوصف بهذا الوصف إلا الأنبياء دون أممهم، ورفع عنهم الأصر الذي كان على الأمم قبلهم، وأبيح لهم الكتر إذا أدوا زكاته، ولم يجعل عليهم في الدين من حرج، وأبيح لهم أكل الإبل والنعام والأوز والبط وجميع السمك والشحوم والدم غير المسفوح ككبد وطحال، ورفع عنهم المؤاخذة بالخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه وحديث النفس، ووضع عنهم قتل النفس في التوبة، وفقء العين من النظر إلى ما لا يحل، وقرض موضع النجاسة، وربع المال في الزكاة، وتحرير الأولاد بالتحصن، والرهبانية والسياحة وغير ذلك.

=

العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٤٥٨١)، وهذا لا دليل فيه على أوليَّة خلقه ﷺ؛ بل يدل على أن وصفه بالرسالة كان معلومًا في الوقت الذي لَمْ يتم فيه دخول الروح في جسد آدم عليه السلام. والله أعلم.

(١) أخرج الإمام أحمد في مسنده (١٦٧٠٠) من حديث العرباض بن سارية أن النبي ﷺ قال: «**إني عند الله في أم الكتاب لخاتمُ النبين، وإن آدم لَمُنجدل في طينته..**» الحديث. وهذا حديث ضعيف، وانظر: ضعيف الجامع للعلامة الألباني -رحمه الله- (٢٠٩١).

أصْحَابُهُ خَيرُ القـــرون فـــي الـــمَلا كِتَابُـــهُ الـــمحفـــوظُ أنْ يُبَـــدَّلا

السابع: أن أصحابه خير القرون في الملأ وهم أشراف الناس، قالوا: ومن خصائصه أنّهم أفضل العالمين إلا النبيين والمرسلين، ولِهذا قال: «**أصحابـــي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم**»[1].

الثامن: أن كتابه الذي هو القرآن محفوظ من التبديل والتحريف على ممر الدهور، ومشتملٌ على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة، وجامعٌ لكل شيء ومستغنٍ عن غيره وميسر للحفظ، وهو حجة إما لك أو عليك، وقراءته بكل حرف عشر حسنات، وقال الزركشي: وهذا كله من خصوصياته، قال في التحرير: وفضل القرآن على سائر الكتب المنـــزلة بثلاثين خصلة لـــم تكن في غيره، وفي شعب الإيمان للحليمي: «من عظيم قدر القرآن أن خص بأنه دعوة وحجة، فهو دعوة بمعانيه حجة بألفاظه وكفى بالحجة شرفًا أن لا تنفصلُ الدعوة عنها وكفى بالدعوة شرفًا أن تكون حجتها معها».

شرعَتُـــهُ قَـــدْ أُبِّـــدَتْ وَنَسَخَتْ كُـــلَّ الشَّرائع التـــي قَبـــلُ خَلَتْ

التاسع: أن شرعته بكسر الشين أي: شريعته قد أبدت بالموحدة أي: مؤبدة على الأبد لا تنسخها ملة، وقد نسخت كل الشرائع التي قبل بضم اللام أي: قبله خلت، أي: مضت وذهبت، ولو أدركه الأنبياء لوجب عليهم اتباعه.

والأرضُ مَسجـــدٌ لـــهُ طهـــورُ والـــرُّعْبُ شَهْرًا نَصـــرُهُ يَسيرُ

العاشر: أن الأرض كلها جعلت له مسجدًا وجعل له ترابها طهورًا وهو التيمم، ففي الخبر: «**جعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا**»[2] فحيث ما أدرك رجل من أمته الصلاة تطهر وسجد أي: صلى، ولـــم تكن الأمم تصلي إلا في البيع والكنائس.

ومما خص به أيضًا الوضوء على أحد القولين فلم يكن إلا للأنبياء دون أممهم، وعبارة ابن سراقة في الأعداد: خص بكمال الوضوء، والتيمم، ومسح الخف، وجعل الـــماء مزيلاً للنجاسة، وأن كثير الـــماء لا يؤثر فيه الخبث، والاستنجاء بالـــجامد ذكره كله أبو سعد النيسابوري في شرف المصطفى وابن سراقة في الأعداد.

---

(١) حديث ضعيف: ذكره الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير (٤/١٩٠)، وقال: أخرجه عبد بن حميد في مسنده من طريق حمزة النصيبي، عن نافع، عن ابن عمر، وحمزة ضعيف جدًا. اهـ

(٢) أخرجه البخاري (٣٣٥) من حديث جابر ﷺ.

وقالوا: ومن خصائصه أن مسجده أفضل المساجد، وبلده أفضل البلاد، وأن الصلوات الخمس لم تجمع لأحد قبله، وأهن كفارات لما بينهن، والأذان، والإقامة، وافتتاح الصلاة بالتكبير والتأمين وبالركوع كما ذكره.

الحادي عشر: أنه نصر بالرعب مسيرة شهر أمامه وشهر خلفه[١].

ومن خصائصه أيضًا أنه أوتي جوامع الكلم، ومفاتيح خزائن الأرض على فرس أبلق عليه قطيفة من سندس، وكلم بجميع أصناف الوحي ذكره ابن عبد السلام، قال في الإحياء: ومن خواصه أنه جمع له بين النبوة والسلطان وأوتي علم كل شيء إلا الخمس.

سَيِّدُ أولاد أبينا آدَمَا قَدْ حَلَّلَ اللهُ لَهُ الغَنَائِمَا

الثاني عشر: أنه سيد ولد أبينا آدم لخبر: «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[٢] أي: لا أقول فخرًا وادعاء للعظم بل تحدثًا بالنعمة، وخبر: «**آدم فمن دونه تحت لوائي**»[٣] وهو صريح في تفضيله على آدم.

الثالث عشر: أن الغنائم قد أحلها الله له ولأمته ولم تحل لأحد قبلهم بل كانوا يجمعونها فتأتي نارٌ من السماء فتحرقها.

أرْسِلَ للنَّاسِ جَمِيعًا أُعْطِيَا مَقامَهُ المَحمودَ حتَّى رَضِيَا

الرابع عشر: أن رسالته عامةٌ للأحمر، والأسود، قال السبكي: فأرسل لجميع الخلق كافة من لدن آدم إلى يوم القيامة، والأنبياء نوابه بعثوا بشرائع له مغيات، وأرسل إلى الجن إجماعًا معلومًا من الدين ضرورة، وإلى الملائكة في أحد القولين ورجحه السبكي، زاد البارزي وإلى الحيوان والجماد بعد جعله مدركًا، وفائدة الإرسال له تشريفه بدخوله تحت دعوته.

الخامس عشر: أنه أعطي المقام المحمود أي: أعطاه الله المقام الذي يحمد فيه الأولون والآخرون بقبول شفاعته في فصل القضاء، وقول الناظم: (مقامه) بالنصب.

تنبيه: قال بعضُ من جمع الخصائص خص بالمقام المحمود، بأن بيده لواء الحمد وآدم

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) وعند مسلم: «**ونصرتُ بالرعب بين يدي مسيرة شهر**».

(٢) أخرجه الترمذي (٣٦١٥)، وابن ماجه (٤٣٠٨) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ. وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (١٤٦٨).

(٣) أخرجه الترمذي (٣٦١٥) من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ.

فمن دونه تحت لوائه، وأنه إمام النبيين يومئذ وقائدهم وخطيبهم، وأول من يؤذن له في السجود، وأول من يرفع رأسه، وأول من ينظر إلى الله تعالى.

وفي تفسير ابن أبي حاتم عن سعيد بن أبي هلال أنه بلغه أن المقام المحمود أن رسول الله ﷺ يوم القيامة يكون بين الجبار وبين جبريل فيغبطه بمقامه ذلك أهل الجمع[1].

وخُـصَّ بـالشفَاعة العُظْمَى التـي ... يُحْجِمُ عَنْها كُـلُّ مَنْ لـها أُتـي

السادس عشر: أنه خص بالشفاعة العظمى في فصل القضاء وهي التي يحجم بضم الياء أي يُعرض عنها كل من أوتي لـها أي: دُعي إليها فإنهم يأتون آدم ثم نوحًا ثم الخليل، ثم موسى ثم عيسى، فكلٌّ يقول: لست لها نفسي نفسي حتى يأتوا إليه فيقول: «**أنا لها أنا لهـا**»[2].

وخُصَّ أيضًا بالشفاعة في إدخال قوم الجنة بغير حساب، وبالشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها، وبالشفاعة في رفع درجات ناس في الجنة، كما جوَّز النووي اختصاص هذه والتي قبلها به، ووردت فيه أخبارٌ، وصرح به عياض وابن دحية، وبالشفاعة في إخراج عموم أمته من النار حتى لا يبقى منهم أحد ذكره السبكي، وبالشفاعة لجماعة من صلحاء المؤمنين ليتجاوز عنهم في تقصيرهم في الطاعات ذكره القزويني في العروة الوثقى، وبالشفاعة في الموقف تخفيفًا عمن يحاسب، وبالشفاعة في أهل بيته أن لا يدخل النار أحدٌ.

أوَّلُ مَـنْ تَنْشَـقُ عَنْـهُ الأَرْضُ ... ولا يَنَـامُ قَلْبُـهُ بَـلْ غَمْضُ

السابع عشر: أنه أول من تنشق عنه الأرض، وأول من يفيق من الصعقة كما جاء في أخبار، وخص أيضًا بأنه يحشر في سبعين ألف ملك، وعلى البراق ويؤذن باسمه في الموقف، ويُكسى أعظم الحلل، ويقوم تحت عرش الرحمن.

الثامن عشر: أنه لا ينام قلبه بل عينيه، وقول الناظم: (بل غمض) أي: بل نومه غمض عينيه، وأما قلبه فيقظان أبدًا.

أوَّلُ مَـنْ يَقُـومُ للشَّفَاعَـة ... أوَّلُ مَـنْ يَقْرَعُ بَـابَ الجنَّـة

التاسع عشر: أنه أول شافع وأول مشفع، وأول من يقرع باب الجنة أي: من يطرقُ بابها

---

(١) ذكره الحافظ ابن حجر في فتح الباري (١١/٤٢٨) وهو حديث ضعيف مرسل.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس ﷺ.

وينقره، وأول من يفتح له، وأول من يدخلها، قال الجلال في الخصائص: وبعده ابنته[١].

أكْثَـــرُ الأنبيَـــاء حَقًّـــا تَبَعـــا ... يَـــرَى وَرَاءَهُ كَقُـــدَّامٍ مَعـــا

العشرون: أنه أكثـر الناس أتباعًا، وفي حديث الإسراء: «**أضحى النبي وما معه إلا الواحد والاثنان**»، وفيه: «**فإذا بسواد قد سد الأفق فقيل هذه أمتك**»[٢]. وفي الحديث الصحيح: «**لأرجو أن تكونوا نصف أهـل الجنـة**»[٣].

وقول الناظم: (أكثر الأنبياء) وصل همز القطع بالنقل، وقوله: (تبعًا) بالتحريك.

الحادي والعشرون: أنه كان يُبصرُ من وراء ظهره كما يبصرُ من أمامه، زاد ابن رزين: (وعن يمينه وعن شماله)، ويرى في الليل وفي الظلمة كما يرى بالنهار وفي الضوء، وقول الناظم: (كقدام) بالتنوين ويجوز الفتح بلا تنوين.

تتمة: عَدّوا من خصائصه أنه عُرض عليه أمته بأسرهم حتى رآهم، وعُرض عليه ما هو كائن في أمته حتى تقوم الساعة، قال الإسفراييني: وعُرض عليه الخلق كلهم آدم فمن بعده، كما علم أسماء كل شيء.

آتـــاه ربُّـــهُ جَوَامـــعَ الـــكَلِمْ ... قَـــرينُهُ أَسْلَمَ فَهْوَ قَـــدْ سَلِـــمْ

الثاني والعشرون: أن الله أعطاه جوامع الكلم يعنـي القرآن، وكان يتكلم بجوامع الكلم، أي: كلامه كثير المعانـي قليل الألفاظ، وهو في غاية الفصاحة.

الثالث والعشرون: أن قرينه أي: صاحبه من الجن أسلم، فهو قد سلم منه، ففي خبر مسلم: «**ما منكم من أحد إلا وقد وُكلَ به قرينه من الجن**»، قالوا: وإياك، قال: «**وإياي إلا أن الله أعانـي عليه فأسلم فلا يأمرنـي إلا بخير**»[٤].

صُفُوفُـــهُ والأُمَّـــةِ الـــمُبارَكَـــهْ ... كَصَفِّ عِنْدَ رَبِّهَـــا الـــملائكَـــهْ

الرابع والعشرون: أن صفوفه وصفوف أمته الـمباركة كصفوف الملائكة، أي: يصطفون في الصلاة كما تصف الملائكة عند ربها، أي: عند عرشه.

وقول الناظم: (الأمة) بالجر عطف على الضمير المجرور هو قليل، والأكثر لا يعطف عندهم

---

(١) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٣٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٢٥)، ومسلم (٢٢٠) من حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٢٨)، ومسلم (٢٢١) من حديث ابن مسعود ﷺ.

(٤) أخرجه مسلم (٢٨١٤) من حديث ابن مسعود ﷺ.

إلا بإعادة الجار وفصل بالظرف مع ما أضيفَ إليه بين المضاف والمضاف إليه.

قال جمع: ومن خصائصه أيضًا قوله: «**اللهم ربنا لك الحمد**» في الصلاة، وتحريم الكلام فيها، واستقبال الكعبة، وتحية الإسلام وهي تحية الملائكة وأهل الجنة، وجعل يوم الجمعة، وساعة الإجابة، وعيد الأضحى، ذكره النيسابوري وغيره، وصلاة الجماعة، وصلاة الليل، وصلاة العيدين، والكسوفين، والاستسقاء، والوتر، ذكره ابن سراقة.

ولاَ يَحِلُّ الرَّفْعُ فَـوْقَ صَوْتِـه ... ولا يُنَـادَى باسـمه بَلْ نَعْتـه

الخامس والعشرون: أنه لا يحل لأحد أن يرفع صوته فوق صوته لقوله تعالى: ﴿**لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ**﴾ [الحجرات: ٢]، فيحرم نداؤه من وراء الحجرات والصياح به من بعيد، وأن يقول له راعنا.

السادس والعشرون: أنه لا ينادى أي: لا يحل لأحد أن يناديه باسمه بأن يقول يا محمد، بل يناديه بنعته فيقول يا رسول الله، يا نبـي الله، وكره الشافعي -رحمه الله- أن تقول في حقه الرسول بل رسول الله؛ لأنه ليس فيه من التعظيم ما في الإضافة.

خوطبَ في الصَّـلاة بالسَّـلام ... عَلَيْـكَ دونَ سـائرِ الأنـام

السابع والعشرون: أنه خوطب في الصلاة بقولنا: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، ولا يجوز خطاب غيره من سائر الناس فيها بل تبطل به الصلاة، وقول الناظم: (بالسلام) أصله بضم الميم على الحكاية فانكسر للوزن.

تنبيه: ذكر الجلال السيوطي من خصائصه أنه ليس في القرآن ولا غيره صلاة من الله على غيره فهي خصيصة اختصه الله بها دون سائر الأنبياء، وأن الصلاة لـم تقصر بعذر السفر والمطر والمرض إلا له[1]، وأن صلاة الخوف لم تشرع لأحد من الأمم قبله، وأن صوم رمضان لم يشرع إلا له[2]، ذكره القونوي.

ومَنْ دعـاهُ فـي الصَّلاة وَجَبَتْ ... إجـابةٌ لَـهُ وفَـرضُهُ ثَبَتْ

الثامن والعشرون: أن من كان في صلاة ودعاه النبي وجب عليه إجابته لآية: ﴿**اسْتَجِيبُوا للهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ**﴾ [الأنفال: ٢٤]، ولا تبطل بذلك صلاته وإن كانت

---

(١) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٤٤٩).

(٢) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٣٥٨).

فرضًا، وهو مراد الناظم بقوله: (وفرضه ثبت)، ومثله في ذلك كما قال الجلال السيوطي[١] وغيره جميع الأنبياء، ومن تكلم وهو يخطب بطلت جمعته وكان يجب الاستماع والإنصات لقراءته إذا قرأ في جهريته وعند نزول الوحي.

وبَولُـــــهُ ودَمُـــــهُ إذ أُتِيَـــا ... تَبرُّكًـــا مـــن شـــارب ما نُهيا

التاسع والعشرون: أن من شرب بوله أو دمه للتبرك لا يُنهى عنه لأن فضلاته طاهرة عند جمع جمّ من الشافعية، وقد أقرّ[٢] ابن الزبير على شرب دمه، وأقرَّ على شرب بوله[٣].

وقول الناظم: (ودمه إذ) بسكون الذال أي: حين، وقوله: (اتيا) بضم الْهَمْزَة وكسرت الفوقية أي: حين شرب أو حين فعل ذلك، وقوله: (تبركًا) مفعول له أي: كان يشرب لأجل التبرك والشفا به، وقوله: (من شارب ما نَهيا) مبني للمفعول أي: ما نَهَاهُم رسول الله ﷺ عن شرب بوله ودمه بل أقرهم عليه.

يقبـــــل مـــا يُهدى لـــه فَحلٌ ... دونَ الـــوُلاة فَهْـــوَ لا يَحـــلُّ

الثلاثون: أنه يحل له قبول الْهَدِّيَة من العمال وغيرهم، بِخلاف غيره من الولاة فإنه لا يحل لـــهم قبول هدية عمالهم، فإنـــها في حقهم رشوة محرمة، وقول الناظم: (فحل) بكسر الحاء أي: فهو حلال لـــه.

فـــاتتْهُ ركعتـــان بعـــد الظهر ... صلاّهُمـــا ودام بعـــد العصر
ومـــا لنـــا دوامُ ذا بـــل يـــمتنعْ ... ومـــا ســـوى سببـــه فمُنْقَطِعْ
ونســـبٌ يـــوم القيامـــة ومَنْ ... رَآهُ نَـــوْمًا فَـــهْوَ قَـــدْ رآهُ لَنْ
يكون للشيطـــان مـــن تَمَثُّـــل ... بِصـــورَة النـــبي أو تَخَيُّـــل

الحادي والثلاثون: أن له قضاء الراتبة بعد صلاة العصر بِخلاف غيره، فقد فاتته الركعتان سنة الظهر البعدية فقضاهما بعد العصر وداوم على صلاتِهما بعده تركهما حتى لقي الله كما في البخاري[٤] عن عائشة –رضي الله عنها–، وأمّا نحن فليس لنا المداومة على

(١) انظر: الخصائص الكبرى للسيوطي (٢/٤٤٣).
(٢) يعنـــي النبي ﷺ.
(٣) أخرجه الطبراني في الكبير (٢٤/١٨٩) وذكره الهيثمي في المجمع (٨/٢٧١)، وقال: "رجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقة". اهـ
(٤) أخرجه البخاري (٥٩٠) من حديث عائشة –رضي الله عنها–.

الصلاة بعد العصر بل يمتنعُ لنا فعلها، كذلك لأجل الاقتداء به لأن ذلك من خصائصه.

الثاني والثلاثون: أن كل سبب ونسب منقطع يوم القيامة إلا سببه ونسبه كذا جاء في عدة أخبار ومعناه أن أمته ينسبون إليه، وأمم سائر الأنبياء لا ينسبون إليهم، وقيل: ينتفع يومئذ بالنسبة إليه ولا ينتفع بسائر الأنساب، ويكنى به آدم في الجنة تكريمًا له فيقال له أبو محمد.

الثالث والثلاثون: أن من رآه في النوم فقد رآه حقًا فإن الشيطان لا يتمثل بصورة النبي ﷺ ولا يتخيل به كما ورد في الصحيح من عدة طرق.

وكَذبٌ عليه لَيْسَ كَكَذِبْ عَلَى سواهُ فَهوَ أكبرُ الكذب

الرابع والثلاثون: أن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، فإن الكذب عليه أكبر الكذب أي: أفحشه وأعظمه جرمًا، وقد تواتر خبر: «**من كذب عليَّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار**»[1] فهو من أعظم الكبائر، بل قال الجويني: ردة، ومن كذب عليه لم تقبل روايته أبدًا، وإن تاب فيما ذكره جمع من أهل الأثر.

خاتمة: يكفر من استهان به أو زنا بحضرته أو تَمنى موته وكذا الأنبياء، ذكره المحاملي في الأوسط ويترتب عليه تَحريم إرثهم لئلا يتمناه وارثه فيكفر، ومن سبه قتل وكذا الأنبياء، والسب بالتعريض حقه كالتصريح، ولم تزن امرأة نبي قط، ومن قذف أزواجه فلا توبة له.

وفيه وفي المقنع لابن قدامة[2]: من قذف أمه قُتل ولو مسلمًا، وأولاد بناته ينسبون إليه وأولاد بنات بناته، وفي شرح التلخيص للشيخ أبي علي: لا يتزوج على بناته، ومن صاهره من الجانبين لم يدخل النار، ولا يجتهد في محرابه مطلقًا، ويجل منصبه عن الدعاء له بالرحمة كما ذكره جمع، ويحرم النقش على خاتمه، ولا يقول في الغضب والرضا إلا حقًا، ورؤياهُ وحي وكذا الأنبياء.

ولا يجوز على الأنبياء جنون، وله تخصيص من شاء بما شاء كجعله شهادة خزيمة باثنتين، وترخيصه في إرضاع سالم وهو كبير، وفي النياحة لخولة بنت حكيم، وفي تعجيل

---

(١) صحيح متواتر، وانظر: صحيح الجامع للعلامة الألباني -رحمه الله- (٦٥١٩).

(٢) انظر: المقنع لابن قدامة (ص٣٠٠).

صدقة عامين للعباس، وترك الإحداد لأسماء بنت عميس، والجمع بين اسمه وكنيته للولد الذي يولد لعلي، وفي المكث بالمسجد جنبًا لعلي، وفتح باب من داره للمسجد له، وفي لبس الحرير للزبير وابن عوف، ولبس خاتم الذهب للبراء، وفي إعادة امرأة أبي ركانة إليه بعد أن طلقها ثلاثًا بغير محلل، وأسلم رجل على أن لا يُصلي إلا صلاتين فقبل منه ذلك، وضرب لعثمان بسهم يوم بدر ولم يضرب لمن غاب غيره، وكان يواخي بين صحبه ويثبت بينهم التوارث وليس لغيره، وكان أنس يصوم من طلوع الشمس لا الفجر فلعلها خصوصية، وأصام أطفال أهل بيته وهم رُضَّعًا، وغير ذلك.

۞ ۞ ۞

باب ذكر حجه وعُمَرِه

بكسر الحاء، وعمره -بضم العين وفتح الميم- جمع عمرة.

قَدْ حَجَّ بَعْدَ هجرة لطيبه ... سَنَةَ عَشْرٍ قَطْ بغيرِ مريَه
واعتَمَرَ النبيُّ بعدَ الْهجرة ... أربعةً والكُلُّ في ذي القعدة
إلا التي في حَجَّةِ الوداع ... قَرَنَها لَمْ يَخْلُ بالنزاع

قد حج المصطفى بعد الهجرة من مكة إلى المدينة سنة عشر من الهجرة ولم يحج بعد الهجرة غيرها (قط بلا مرية) أي: شك، وفي البخاري[1]: حج رسول الله ﷺ بعدما هاجر حجة واحدة وتسمى حجة الوداع.

واعتمر بعد الهجرة عمرًا كلها في ذي القعدة إلا العمرة التي اعتمر بها في حجة الوداع فإنه قرنها أي قرن فيها بين الحج والعمرة معًا على خلاف فيه فقيل: حج قارنًا، وقيل: متمتعًا وهو الأصح، وقيل: بل مفردًا.

أوَّلها سَنَةَ ستٍّ صُدَّا ... فيها عن البيت فَحَلَّ قَصْدَا
كانتْ بهَا بَيْعَتُهُ المرضيَّهْ ... ثُمَّ تَليهَا عُمرَةُ القَضيَّهْ
سنةَ سَبْع بَعدَهَا الجعرانَهْ ... عَامَ ثَمان واعدُدَنْ قِرَانَهْ
ولم يَعُدَّ مالكٌ ذي الرَّابعهْ ... وقال حَجَّ مفردًا وتابَعَهْ
بعضهم وحجَّ قبلَ الْهجرة ... ثنتَين أو أكثر أو فَمَرَّة

---

(١) أخرجه البخاري (٤٤٠٤) من حديث زيد بن أرقم ﷺ.

ولَـمْ يصِـحَّ عـدَدُ الـحَجَّات من قبل هجـرة ولا الـعُمْرَات

أوَّل عمرة اعتمرها المصطفى عمرة الحديبية وكانت يوم الإثنين هلال ذي القعدة سنة ست من الهجرة –لـما أن صُدَّ– أي: صده المشركون فيها عن الوصول إلى البيت فتحلل عن العمرة بذبح هديه وحسبت له عمرة، ولـم تذكرهـا عائشـة –رضي الله عنها– في عمره، وكانت بها بيعة الرضوان.

ثُمَّ تليها العمرة الثانية وهي التـي تُسمى عمرة القضية وعمرة القضاء وعمرة القصاص حيث صالحوه من العام المقبل وكانت في ذي القعدة سنة سبع من الهجرة.

وبعدها العمرة الثالثة حين قسم غنائم حنين وكانت من الجعرانة وكانت عام ثمان من الهجرة، وقول الناظم: (واعددن قرانه) أي: واعدد أنت.

العمرة الرابعة عمرة قرانه بين العمرة و الحج على الصحيح، ولـم يعد مالك بن أنس في الموطأ هذه الرابعة وهي عمرته مع حجة الوداع مفردًا بالحج دون العمرة، وتابعه على مقالته هذه بعضهم كالشافعي في أحد قوليـه.

وأمّا عدد ما حجه المصطفى قبل الهجرة فقد قيل: إنه حج ثنتين لـما رواه الترمذي عن جابر: «حج النبي ﷺ ثلاث حجج ثنتين قبل أن يهاجر»[1]، وقيل: أكثر من ثنتين، وفي الإكليل عن جابر: «حج النبي ﷺ قبل أن يهاجر حججًا»، وقيل: مرة واحدة فقط، والراجح أنه لـم يصح عدد الحجات التـي حجها قبل الهجرة ولا عدد العمرات التي اعتمرها قبلها.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه الترمذي (٨١٥) من حديث جابر ﷺ وصححه العلامة الألباني –رحمه الله– في صحيح الترمذي (١٧٨/٣).

باب ذكر مغازيه

جمع مغزاة، والمغزاة الغزاة المرة الواحدة من الغزو، والفاعل غاز يُقال: غزوت العدو غزوًا، ويتعدى بالهمزة فيقال: أغزيته إذا بعثه يغزو، وإنّما يكون غزو العدو في بلاده كذا في المصباح وغيره[١].

سبعًا وعشرينَ اعْدُدَنْ أوَّلها وَدَّانُ وَهْيَ الأبْوَا

ذكر ابن سعد في طبقاته[٢] أنَّ غزوات المصطفى التي خرج فيها بنفسه سبعٌ وعشرون، وما في سيرة عبد الغني[٣] عن ابن إسحاق وغيره أنَّها خمس وعشرون اعترضوه، وفي جامع عبد الرزاق عن ابن المسيب بسند صحيح «أنها أربعٌ وعشرون»[٤]، وفي مسند أبي يعلى[٥] عن جابر بسند صحيح أنها إحدى وعشرون، ووراء ذلك أقوال أخر، والأول أولى.

فأولها غزوةُ وَدان[٦]: بفتح الواو وشدة الدال المهملة على وزن فعلان قرية جامعة من أمهات القرى وهي الأبواء بفتح الهمزة وسكون الموحدة التحتية والمد جبلٌ بين مكة والمدينة بقرب الجُحْفَة، بينها وبين وَدَّان ستة أميال وبينها وبين الجُحْفَة من جهة المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، سميت به لما كان فيها من الوباء، وهي على القلب وإلا لقيل: الأوباء، فخرجَ من المدينة في صفر على رأس اثني عشر شهرًا من مقدمه المدينة يتعرض لعير قريش ويريد بني ضمرة بن عبد مناف وبني بكر فوادعته بنو ضمرة وسيدهم مَخشى بن عمرو وكتب بينه وبينهم كتابًا أن لا يغزوهم ولا يغزوه ولا يكثروا عليه جمعًا ولا يعينوا عليه عدوًّا، ثم رجع للمدينة بغير قتال وكانت غيبته خمس عشرة ليلة.

ثُمَّ بُوَاطُ بَعْدُ فالعُشَيْرَا فَبَدرٌ الأولَى فَبَدْرُ الكُبْرَى

---

(١) انظر: المصباح المنير للفيومي (ص١٧٠).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٣/٢).

(٣) انظر: سيرة النبي ﷺ (ص٣٢).

(٤) أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٢٩٤/٥).

(٥) انظر: مسند أبي يعلى (١٦٧/٤)، وانظر: فتح الباري (٢٨٠/٧).

(٦) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٥٩١/١).

الثانية غزوة بُواط: بضم الموحدة التحتية وقد تفتح وبفتح الواو المخففة وآخره طاء مهملة على وزن فعال جبل من جبال جهينة من ناحية رَضوى بفتح الراء وسكون المعجمة مقصورًا وهو جبلٌ من جبال تِهامة من ينبع على يوم ومن المدينة على سبع مراحل ومن البحر على مرحلتين، غزاها في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرًا من هجرته، خرج في ثمانين من أصحابه يعترض عير قريش فيها أمية بن خلف ومائة رجل وألفان وخمسمائة بعير، وكان لواؤه أبيض حمله سعد بن أبي وقاص واستخلف على المدينة سعدَ بن مُعاذ أو غيره فلما بلغ بواط رجع ولــم يلق أحدًا.

الثالثة غزوة ذات العُشَيرة[1]: بضم العين المهملة وشين معجمة وقيل: مهملة مفتوحة بعدها مثناة تحتية وراء مهملة على لفظ التصغير، ويُقال بزيادة هاء في آخره وبعدمه نسبت إلى المكان الذي وصلوا إليه وهو موضع لبنــي مدلج (بناحية الينبع) وبين ينبع والمدينة تسعة برد، خرج إليها في جمادى الأولى وقيل الآخرة على رأس ستة عشر شهرًا من مهاجرته؛ وحمل لواءه وكان أبيض حمزة بن عبد المطلب.

خرج من المدينة في خمسين ومائة وقيل في مائتين من المهاجرين وثلاثين بعيرًا يعتقبونــها، ولــم يُكره أحدًا على الخروج فسلك ﷺ على نقب بني ذبيان فنــزل تحت شجرة ببطحاء ابن أزهر فصلى عندها فثم مسجده وصُنع له طعام فأكل هو وصحبه، فوضع الأثافي أي: حلقة في البرمة معلوم هناك، ثم ارتحل فهبط بليل فنــزل بمجتمعه واستقى له من بئر الضبوعة ثم سلك الفرش حتى لقي الطريق بصخيرات اليمام ثم اعتدل حتى نزل ذات العشيرة يعترض لعير قريش لما نزلت من الشام فوجدها مضت بأيام، فوادع بني مدلج ورجع ولم يلق حربًا، وأقام فيها أيامًا من جمادى الآخرة، وكنى فيها عليًا ﷺ بأبي تراب حين وجده نائمًا وعمار بن ياسر وقد علق به تراب فأيقظه برجله وقال: «**ما لك أبا تراب**» لما رأى عليه من التراب، ثم قال: «**ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والــذي يضربك يا علي على هــذه ووضع يده على قرنه حتى تبتل منها هذه وأخذ بلحيته**»[2].

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٥٩٨/١).

(٢) أخرجه أحمد في مسنده (١٧٨٥٧) من حديث عمار ﷺ، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٢٥٨٩).

وقول الناظم: (ثم بواط) أي: بعد غزوة الأبواء غزوة بواط، وقوله: (بعد) بضم الدال أي: وبعد بواط العشير.

الرابعة غزوة بدر الأولى[1]: عُرفت ببدر بن الحارث، وقيل سميت به لرؤية البدر فيها، قال ابن إسحاق: لـــم يقم بالمدينة حين قدم من العشيرة إلا ليالي قلائل نحو الأسبوع حتى أغار كرز بن جابر الفهري على سرح المدينـــة فخرج في طلبه حتـــى بلغ واديًا يُقال له سَفَوان بفتح السين والفاء من ناحية بدر فلم يدرك كرزًا، وحمل لواءه فيها علي المرتضى، واستعمل على المدينة زيد بن حارثة، قال ابن سعد: كانت على رأس ثلاثة عشر شهرًا من الهجرة.

الخامسة غزوة بدر الكبرى[2]: ويُقال لـــها: العظمى وهي التي أعز الله بها الإسلام وغفر لأهلها، وكانت في سابع عشر رمضان يوم الجمعة وقيل: الاثنين وهو شاذ، وذلك أن رسول الله سمعَ بأبي سفيان مقبلاً من الشام في عير لقريش عظيمة فيها أموال وتجارة وفيها ثلاثون أو أربعون أو سبعون رجلاً من قريش وألف بعير فبعث طلحة بن عبيد الله وسعيد بن زيد يتجسسان خبر العير وندب المسلمين، وقال: «**هذه عير قريش فيها أموالـــهم فاخرجوا لعل الله أن ينفلكموها**»[3] فانتدب الناس فخف بعضهم وثقل بعض لأنهم لـــم يظنوا أن رسول الله ﷺ يلقى حربًا، وكان أبو سفيان يتجسس بهملات الأخبار أي: يتتبعها بنفسه وبالجيم أي: يتفحص بغيره عن الأخبار حتى بلغه من بعض الركبان أن محمدًا سينفر لك ولعيرك فحذر واستأجر ضمضم بن عمرو فبعثه إلى مكة ليستنفرَ قريشًا إلى أموالـــهم وخبَّرهم بتعرض محمد لـــها في أصحابه، وكانت عاتكة بنت عبد المطلب قبل قدوم ضمضم بثلاث قالت لأخيها العباس: (رأيتُ رؤيا أفظعتنـــي وتخوفتُ أن يدخل على قومك منها شرف فاكتم عني ما أحدثك، رأيتُ راكبًا أقبل على بعير حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته ألا انفروا يا آل غدر لمصارعكم في ثلاث فأرى الناس اجتمعوا إليه، ثم مَثَلَ به بعيره على ظهر الكعبة فصرخ بمثلها، ثم مَثَلَ به على رأس أبي

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٨/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٦٠١/١).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٨/٢)، وسيرة ابن هشام (٦٠٦/١).

(٣) انظر: تاريخ الطبري (٢٣/٢).

قبيس فصرخ بـــمثلها، ثم اقتلع صخرة فأرسلها فأقبلت تهوي حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقي بيت من بيوت مكة إلا دخلها منه فلقة).

فقال العباس: اكتميها، ثم خرج فلقي الوليد بن عتبة وكان صديقه فذكرها له واستكتمه إياها فذكرها الوليد لأبيه ففشى الحديث، ثم غدا العباس ليطوف وأبو جهل في رهط من قريش يتحدثون برؤيا عاتكة، فلما رآه قال: يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا، فلما فرغ جلس معهم فقال أبو جهل: يا بني عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية، قال: وما ذاك؟ قال: الرؤيا التي رأت عاتكة ما رضيتم أن تتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم زعمت عاتكة أنه قال: انفروا في ثلاث فسنتربص بكم الثلاث فإن يكن حقًّا كما تقول فسيكون وإلا نكتب عليكم كتابًا أنكم أكذب العرب.

قال العباس: فما كان مني إليه كبير إلا أني جحدت أن تكون رأت، وقيل: بل قال له العباس: هل أنت منته فإن الكذب فيك وفي أهل بيتك، ولقي العباس من أخته أذى شديدًا حين أفشى سرها ولـــم تبق امرأة من بني المطلب إلا أتته فقالت: أقررتم بِهذا الفاسق الخبيث أن يقع في رجالكم ثم يتناول النساء وأنت تسمع ثم لم يكن عندك غيرة لشيء مما سمعت، قال: فقلت: وايم الله لأتعرض له فإن عاد لأكفيكنه، فغدوت في اليوم الثالث من الرؤيا وأنا مغضبٌ أرى أني قد فاتني منه أمر أحب أن أدركه فدخلتُ المسجد أتعرضه ليعود لبعض ما قال فأوقع به وكان رجلاً خفيفًا حديد اللسان حديد النظر إذا خرج نحو باب المسجد يشتد فقلت: ما له لعنه الله أكلُّ هذا فرق مني أن أشاتمه فإذا هو قد سمع ما لم أسمع صوت ضمضم وهو يصرخ ببطن الوادي واقفًا على بعيره قد جدع بعيره وحول رحله وشق قميصه وهو يقول: يا معشر قريش اللطيمة اللطيمة أموالكم تعرض لها محمد في أصحابه لا أرى أن تدركوها الغوثَ الغوثَ، فشغلني عنه وشغله عني ما جاء من الأمر، فتجهزوا سراعًا وقالوا: يظنُّ محمد وأصحابه أن تكون كعير ابن الحضرمي ليعلمن غير ذلك فكانوا بين رجلين إمَّا خارج وإمّا باعث مكانه رجلاً، وأرعبت قريش فلم يتخلف من أشرافها أحد إلا أبا لهب تخلف وبعث مكانه العاص بن هشام وكان قد لاط له بأربعة آلاف درهم فأفلس بها فاستأجره بِها.

وأجمعَ أمية بن خلف القعود لأن سعد بن معاذ كان قال له: سمعت محمدًا يقول: إنه قاتلك يا أمية، قال أمية: بِمكة؟! قال: لا أدري، ففزع لذلك فلما رجع لأهله أخبر

بذلك أم صفوان فقالت: ما يكذب محمد، فلمَّا جاء الصريخ قالت امرأته: هذا ما قال لك أخوك اليثربي، قال: لا أخرج، فألزمه أبو جهل بالخروج وأتاه عتبة بن أبي معيط وهو بالمسجد بمجمرة وقال: استجمر فإنَّما أنت من النساء، قال: قبحك الله، ثم تجهزوا وخرجوا في خمسين وتسعمائة مقاتل وساقوا مائة فرس، ثم خافوا كنانة لما بينهم فظهر لهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك فقال: أنا جار لكم من أن تأتيكم كنانة من خلفكم، وخرج رسول الله ﷺ بعد من أرسلهما بعشر ليال وضرب عسكره ببئر أبي عتبة فعرض أصحابه وردَّ من استصغر وخرج في ثلاثمائة رجل وخمسة نفر المهاجرون منهم أربعة وستون رجلاً وسائرهم من الأنصار يعتقبون سبعين بعيرًا، وخلف ثلاثة من المهاجرين عثمان بن عفان لمرض زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، وطلحة بن عبيد الله، وسعيد ابن زيد أرسلهما يتجسسان خبر العير قبله بعشرة أيام.

ومن الأنصار أبا لبابة خلّفه على المدينة، وعاصم بن عدي على أهل العالية، والحارث بن حاطب رده من الروحاء إلى بني عمرو بن عوف لشيء بلغه عنهم، وضرب رسول الله ﷺ للجميع بسهامهم وأجورهم.

وكان اللواء أبيض مع مصعب بن عمير، ورايتان سوداوان أمامه إحداهما مع علي والأخرى مع رجل من الأنصار، فلما كان بعرق الظبية لقوا رجلاً فسألوه فلم يجدوا عنده خبرًا، فلما كان بوادي ذَفِرَان بفتح المعجمة وكسر الفاء وفتح الراء أتاهُ الخبر عن قريش بمسيرهم ليمنعوا عيرهم فاستشار الناس فقام أبو بكر ثم عمر فقالا وأحسنا، ثم قام المقداد ابن عمرو فقال: «امض لما أمرك الله به فنحنُ معك والله لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا هاهنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنّا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى بَرْك الغِمَاد -بفتح الموحدة وسكون الراء والغماد بكسر الغين المعجمة وراء مكة بخمسة أيام وقيل المراد أقصى معمور الأرض- لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه».

فقال له رسول الله خيرًا ودعا له ثم قال: «أشيروا علي» فقال له سعد بن معاذ: لكأنك تريدنا؟، قال: «أجل». قال: قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا أن ما جئت به هو الحق وأعطيناك مواثيقنا على السمع والطاعة فامض لما أردت فنحنُ معك، لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناهُ معك ما تخلف منا رجل، وما نكره أن تلقى بنا عدونا إنا

لصبر في الحرب صدق في اللقاء، لعل الله يُرِيَكَ منَّا ما تقرُّ به عينك فَسر على بركة الله.

فسرَّ بذلك وقال: «**سيروا وأبشروا فإن الله وعدني إحدى الطائفتين، والله لكأني الآن أنظرُ إلى مصارع القوم**»، ثم نزل بقرب بدر وركب هو وأبو بكر حتى وقف على شيخ من العرب فسأله عن قريش وعن محمد وأصحابه فقال: لا أخبركما حتى تخبراني من أنتما فقال رسول الله ﷺ: «**إذا أخبرتنا أخبرناك**»، قال: ذاك بذلك، قال: «**نعم**»، قال: بلغني أن محمدًا وصحبه خرجوا يوم كذا فإن صدق المخبر فهم اليوم بمكان كذا للمكان الذي به رسول الله ﷺ وقال مثل ذلك عن قريش، ثم قال: ممن أنتما، قال رسول الله ﷺ: «**نحنُ من ماء**»، ثم انصرف والشيخ يقول: من ماء أمن ماء العراق، فلما أمسى رسول الله ﷺ بعث عليًا والزبير وسعد بن أبي وقاص ﷺ إلى ماء بدر يلتمسون له الخبر، فأصابوا راوية لقريش فيها أسلم غلام بني الحجاج وعريض غلام بني العاص فأتوا بهما ورسول الله ﷺ يصلي فقالا: نحنُ سقاة قريش بعثونا نسقي من الماء، فكره القوم خبرهما ورجوا أن يكونا لأبي سفيان حتى قالا: نحنُ لأبي سفيان فتركوهما فلما سلَّم رسول الله ﷺ قال: «**إذا صدقاكم ضربتموهما وإذا كذباكم تركتموهما، صدقا إنما هما لقريش أخبراني عنهم**» قالا: هم وراء هذا الكثيب الذي ترى بالعدوة القصوى والكثيب العقنقل، قال: «**كم القوم**»؟ قالا: كثير، قال: «**كم عددهم**»؟ قالا: لا ندري، قال: «**كم ينحرون كل يوم**»؟، قال: يومًا تسعًا ويومًا عشرًا، قال القوم: «**ما بين تسعمائة وألف**»، ثم قال: «**فمن فيهم من أشراف قريش**»؟ قالا: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو البختري بن هشام، وحكيم ابن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، وطُعيمة بن عدي، والنضر بن الحارث، وزمعة بن الأسود، وأبو جهل، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن عبدود فأقبل رسول الله ﷺ على الناس فقال: «**هذه مكة ألقت إليكم أفلاذ كبدها**».

ثم إن أبا سفيان صرف وجه العير عن بدر بساحل ورأى أنه قد أحرز عيره وأرسل إلى قريش: (إنّما خرجتم لتمنعوا عيركم ورجالكم وأموالكم قد نجاها الله فارجعوا)، فقال أبو جهل: لا نرجع حتى نرد بدرًا فنقيمُ عليها ثلاثًا فننحر الجزور ونطعم الطعام ونشربُ الخمر وتسمع العرب بمسيرنا وجمعنا فلا يزالوا يهابوننا أبدًا، وكان جهيم بن الصلت بن مخرمة بن عبد المطلب بن عبد مناف رأى لما نزلوا الجحفة وأنه بين النائم واليقظان رجلاً

من قريش أقبل علي حتى وقف ومعه بعيره ثم قال: قُتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم بن هشام، وأمية بن خلف، وفلان وفلان فعد رجالاً ممن قتل يوم بدر من الأشراف، ثم ضرب في لبة بعيره ثم أرسله في العسكر فما بقي خباء من أخبيتهم إلا أصابه نضح من دمه، فقال أبو جهل: وهذا نبي آخر من بني المطلب سيعلم اليوم من المقتول إن نحنُ التقينا، ورجع الأخنس بن شريق ببني زهرة وكان حليفًا لـــهم وقد قال لهم: (قد نجىَّ الله لكم أموالكم وخلَّص صاحبكم مخرمة بن نوفل وإنَّما نفرتُم لتمنعوه وماله فاجعلوا خبيها فيَّ وارجعوا)، فأطاعوهُ ورجع طالب بن أبي طالب لمحاورة كانت بينه وبين بعض قريش لما قالوا: (قد علمنا أن هواكم لَمَع محمد).

ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي وبعث الله السماء فأمطرت مطرًا لبَّد الأرض لرسوله ومنع قريشًا من الارتحال فبادرهم رسول الله ﷺ إلى الـــماء حتى جاء أدنى ماء من بدر فنـــزل بِها فقال الخباب بن المنذر: يا رسول الله هذا المنـــزل منـــزل أنزلكه الله أم هو الرأي والمكيدة؟ فقال: «**بل الرأي والمكيدة**»، قال: ارحلوا حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننـــزله ثم نغور ما وراءه من القليب ثم نبني عليه حوضًا فنملأه فنشرب ولا يشربون، فقال: «**أشرت بالرأي**»، ففعل ما قال.

ثُمَّ قال سعد بن معاذ: يا نبي الله نبنـــي لك عريشًا تكون فيه ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا فإن أظهرنا الله كان ما أحببنا وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا فقد تَخلف عنك أقوام ما نحنُ بأشد لك حبًا منهم ولو ظنوا أنك تلقى حربًا ما تخلفوا، فدعا له ثم بنى له العريش فكان فيه، ولـــما رأى رسول الله ﷺ القوم تصوب قال: «**اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتنـــي اللهم أحِنْهم**» -بفتح الهمزة وكسر المهملة وسكون النون- أمر من الحين أي: أهلكهم الغداة، وكانت قريش قالت لخفاف بن ايماء بن رحضة حين بعث إليهم بالجزائر وسألـــهم أن يمدهم بالسلاح: (لئن كنا إنّما نقاتل الناس ما بنا ضعف عنهم وإن كنا إنّما نقاتلُ الله كما يزعم محمد فما لأحد بالله من طاقة).

ثم أقبل نفر من قريش فيهم حكيم بن حـــزام حتى وردوا حـــوض رسول الله ﷺ فقال: «**دعوهم**»، فلم يشرب منه رجل منهم إلا قتل غير حكيم، ثم قالوا لعمير بن وهب: احرز لنا أصحاب محمد فجال بفرسه حول العسكر ثُمَّ قال: ثلاثمائة رجل يزيدون قليلاً أو

ينقصون، ثم قال: حتى أنظر للقوم كمينًا أو مددًا، فضرب في بطن الوادي فلم ير شيئًا فرجع فقال: لم أر لكن رأيتُ البلايا تحمل الموت الناقع قوم ليس لـــهم منعة ولا ملجأ إلا سيوفهم والله ما أرى أن يقتـــل رجـــل منهم حتى يقتل رجـــلاً منكم فإذا أصابوا منكم أعدادهم فما خير العيش بعد فروا رأيكم، فمشى حكيم بن حزام في الناس فأتى عتبة بن ربيعة فكلمه في الرجوع بالناس وقال: (يا أبا الوليد أنت كبير قريش وسيدها المطاع هل لك إلى أن لا تزال تذكر فيها بخير إلى آخر الأبد، ترجع الناس وتحمل أمر حليفك عمرو ابن الحضرمي قال: قد فعلت إنما هو حليفي فعلي عقله وما أصيب من ماله فأت ابن الحنظلية يعني أبا جهل فإني لا أخشى أن يسخر من الناس غيره، وكان رسول الله حين رأى عتبة على جمل أحمر، قال: «**إن يكن في القوم خير فعند صاحب الجمل الأحمر إن يطيعوه يرشدوا**»(١) فقام عتبة خطيبًا، فقال:

يا معشر قريش إنكم ما تصعنون بأن تلقوا محمدًا وصحبه شيئًا لئن أصبتموه لا يزال رجل ينظر في وجه رجل يكره النظر إليه قتل ابن عمه وابن خاله ورجلاً من عشيرته فارجعوا وخلوا بين محمد وسائر العرب فإن أصابوه فذاك الذي أردتم، وإن كان غير ذلك ألفاكم و لم تعرضوا ما ليس تريدون، فانطلق حكيم حتى جاء أبا جهل فوجده انتثل درعًا له من جرابها فقلت: يا أبا الحكم إن عتبة أرسلني إليك بكذا، فقال: انتفخ سحره بفتح السين وسكون الحاء المهملتين أي: رئته حين رأى محمدًا وصحبه كلا لا نرجعُ حتى يحكم الله بيننا، لكنه قد رأى محمدًا وصحبه أكلة جزور وفيهم ابنه أبو حذيفة فقد تخوفكم عليه.

ثم بعث إلى عامر بن الحضرمي فقال: هذا حليفك يريد أن يرجع بالناس وقد رأيت ثأرك بعينك فقم فانشد مقتل أخيك فقام فاكتشف ثم صرخ واعمراه فحميت الحرب وحقب أمر الناس فلما بلغ عتبة قول أبي جهل قال: سيعلم مُصَفِّر أسته من انتفخ سَحره، وقال بعض المنافقين: غرَّ هؤلاء دينهم لما رأوا من قلتهم فنـــزل: ﴿**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ**﴾ [الأنفال: ٤٩] الآية، وخرج الأسود بن عبد الأسد الـــمخزومي فقال: أعاهد الله لأشربن من حوضهم ولأهدمنه أو لأموتن دونه فخرج إليه حمزة فضربه

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٩٥١) من حديث عليٍّ ﷺ.

فأطن قدمه بنصف ساقه دون الحوض فوقع على ظهره تشخب رجله دمًا فحبَا إلى الحوض فاقتحمه يزعم أنـــه يبر بيمينه فضربه حمزة في الحوض فقتله فيه.

ثم خرج عتبة وشيبة ابنا ربيعة والوليد بن عتبة ودعوا للمبارزة فخرج فتية من الأنصار فقالوا: من أنتم؟ قالوا: من الأنصار، قالوا: ما لنا بكم من حاجة، ثم نادى مناديهم: يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا، فقال: **«قم يا عبيدة بن الحارث ويا حمزة ويا علي»**، فلما قاموا ودنوا منهم قالوا: من أنتم فعرفوهم فقالوا: اكفاءٌ كرامٌ، فبارز عبيدة وكان أسن القوم عتبة، وحمزة شيبة، وعلي الوليد، فأمّا حمزة وعلي فلم يمهلا صاحبيهما أن قتلاهما واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين كلاهما أثبت صاحبه وكرَّ علي وحمزة بأسيافهما على عتبة فذففا عليه واحتملا صاحبهما فحازاه إلى أصحابه ثم تزاحف الناس وقد أمر رسول الله ﷺ أصحابه أن لا يحملوا حتى يأمرهم وقال: **«إن اكتنفكم القوم فانضحوا عنكم بالنبل»**، وهو في العريش معه أبو بكر وكان حين سوَّى الصفوف بقدح في يده رأى سواد بن غزية مستنسلاً من الصف فطعنَ في بطنه بالقدح، وقال: **«استو يا سواد»** فقال: أوجعتني وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدني، فكشف عن بطنه فقال: **«استقد»** فاعتنقه وقبل بطنه فقال: **«ما حملك على هذا»**؟ قال: حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يَمس جلدي جلدك، فدعا له ثم رجع إلى العريش يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول: **«اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تُعبد»** وأبو بكر ﷺ يقول: سل كل بعض مناشدتك ربك إن الله منجز لك ما وعدك، فكان المصطفى في مقام الخوف وهو هنا أعلى، والصديق في مقام الرجاء وهو هنا دونه، وخفق رسول الله خفقة ثم انتبه، فقال: **«أبشر يا أبا بكر أتاك نصر الله»** قال: **«هذا جبريل آخذٌ بعنان فرسه يقوده»**، وكان قد هبت ثلاث رياح في الأولى جبريل في ألف من الملائكة مع المصطفى، والثانية ميكائيل في ألف عن ميمنته، والثالثة إسرافيل في ألف عن ميسرته.

وقاتلت الملائكة يومئذ ولم تقاتل في غيره، وكانت مددًا وعددًا فقد كان رجل يشتد خلف رجل كافر إذ سمع ضربة سوط وصوت الفارس يقول اقدم حيزوم فنظر إلى الكافر خرَّ أمامه فإذا هو حطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، والأخبار في ذلك كثيرة، وكان شعار الملائكة يومئذ (أحد أحد) وعليهم عمائم بيض وعلى جبريل عمامة صفراء أرسلها من خلفه.

وعن ابن عباس، عن رجل من غفار أنه صعد في جبل هو وابن عمه يشرف على بدر إذ دنت سحابة فسمعنا فيها حمحمة الخيل فسمعت قائلاً: «اقدم حيزوم»[(١)] وهو اسم فرس جبريل، فأمَّا صاحبي فانكشف قناع قلبه فمات، وأما أنا فتماسكت.

ثم كان أول من قتل من المسلمين مهجع مولى عمر، ثم حارثة بن سراقة أصابه سهمٌ وهو يشرب فقتله، وخرج رسول الله ﷺ إلى الناس فحرضهم وقال: «**لا يقاتلهم رجل فيقتل إلا دخل الجنة**» فقال عمير بن الحُمام وبيده تمرات يأكلهن: بخٍ بخٍ فما بيني وبين الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ثم قذفها من يده وقاتل حتى قُتل[(٢)]، وكان أبو جهل حين دنا الناس قال: اللهم أقطعنا الرحم وأتانا بما لا نعرف اللهم فأحنه الغداة فكان هو المستفتح.

وعن عبد الرحمن بن عوف: (إني لواقف يوم بدر في الصف وإذا أنا بين غلامين من الأنصار حديثة أسنانهما فتمنيتُ لو كنتُ بين أضلع منهما فغمزني فقال أحدهما: هل تعرف أبا جهل؟ قلتُ: نعم فما حاجتك، قال: بلغني أنه يسب رسول الله لئن رأيته لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا، فغمزني الآخر فقال مثلها، فلم أنشب أن نظرت أبا جهل يجول في الناس فقلت: هذا صاحبكما فابتدراه بسيفيهما حتى قتلاه ثم انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراهُ وقال كلٌّ منهما: أنا قتلته، قال: «**هل مسحتما سيفيكما**» قالا: لا، فنظر فيهما فقال: «**كلاكما قتله**»، وقضى بسلبه لمعاذ بن عمرو بن الجموح وهما معاذ بن عمرو ومعاذ بن عفراء رواه مسلم[(٣)].

وذكر أبو الربيع أن أول من لقيه معاذ بن عمرو وقال: سمعتُ القوم يقولون أبو الحكم لا يخلص إليه فلما سمعتها جعلته من شأني فصمدت نحوه فلما أمكنني ضربته ضربة أطنت قدمه بنصف ساقه، فضربني ابنه عكرمة على عاتقي فطرح يدي فتعلقت بجلدة وأجهضني القتال عنه فقاتلت عامة يومي وإني لأسحبها خلفي فلما آذتني وضعت عليها قدمي ثم تمطيت بِها عليها حتى طرحتها، وعاش بعد ذلك إلى خلافة عثمان ﷺ.

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٦٣).

(٢) أخرجه مسلم (١٩٠١) من حديث أنس ﷺ.

(٣) أخرجه البخاري (٣١٤١)، ومسلم (١٧٥٢).

ومر ابن مسعود عليه حين أمر المصطفى بالتماسه في القتلى وهو عقير بآخر رمق فوضع رجله على عنقه وكان قد آذاه مرة بمكة ثم قال: هل أخزاك الله يا عدو الله، قال: وبم أخزاني لمن يكون الدين؟ قلت: لله ورسوله، ويُقال إنه قال: قد ارتقيت مرتقى صعبًا يا رُويعي الغنم، قال: إني قاتلك، قال: ما أنت بأول عبد قتل سيده أما إن أشد شيء لقيته اليوم قتلك إياي، وفي رواية البخاري: «فلو غيرك قتلني»[1].

فاحتز رأسه ثم جاء به لرسول الله ﷺ فقال: هذا رأس عدو الله، فقال: **«والله الذي لا إله غيره؟»** وكانت يمينه فقال: نعم والله الذي لا إله غيره، قال: ثم ألقيته بين يديه فحمد الله.

وذكر ابن عقبة أن المصطفى وقف على القتلى فالتمس أبا جهل فلم يجده فاغتم حتى عرف ذلك في وجهه فقال: **«اللهم لا يعجزك فرعون هذه الأمة»**، فسعى له الرجال حتى وجده ابن مسعود مصروعًا بينه وبين المعركة غير كثير متقنعًا بالحديد واضعًا سيفه على فخذه ليس به جرح لا يستطيع أن يحرك منه عضوًا وهو مكبٌّ ينظر إلى الأرض، فلما رآه طاف حوله ليقتله وهو خائف أن يتعاليه فلما دنا منه وأبصره لا يتحرك ظن أنه مثبت جراحًا، فأراد أن يضربه بسيفه فخاف أن لا ينفد، فأتاه من ورائه فتناول قائم سيف أبي جهل فاستله ثم رفع سابغة البيضة عن قفاه فضربه فوقع رأسه بين يدين ثم سلبه، فلما نظر إليه هو ليس به جراح فأتى ابن مسعود النبي ﷺ فأخبره بقتله.

وروى البيهقي أنه استحلفه ثلاثًا فخرَّ المصطفى ساجدًا وأخذ رسول الله ﷺ حفنة من الحصباء فاستقبل بها قريشًا ثم قال: **«شاهت الوجوه»**، ثم نفخهم بها وقال لأصحابه: **«شدوا»** فكانت الهزيمة، وقتل الله منهم سبعين من صناديد قريش وأسر سبعين ولم يبق منهم رجل إلا دخل في عينه التراب، وسعد بن معاذ قائم على رأس العريش متوشح السيف في نفر من الأنصار يحرسون المصطفى، وشاور أبا بكر وعمر في الأسارى فقال أبو بكر: (هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان أرى أن نأخذ منهم الفدية لتكون قوة لنا على الكفار وعسى أن يهديهم الله)، وقال عمر: (ما أرى ذلك أرى أن تمكنني من فلان -قريب لعمر- فأضرب عنقه، وتمكن عليًا من عقيل فيضرب عنقه، وحمزة من فلان أخيه فيضرب عنقه حتى يعلم الله أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين).

---

(١) أخرجه البخاري (٤٠٢٠)، ومسلم (١٨٠٠).

فهوى المصطفى ما قال أبو بكر ﷺ وأخذ الفداء فلما كان من الغد رأى عمر رسول الله وأبا بكر يبكيان وقال النبي ﷺ: «**لقد عرض علي عذابكم أدنى من هذه الشجرة فيما أخذتم من الفداء**»، فأنزل الله: ﴿لَوْلاَ كِتَابٌ مِنَ اللهِ سَبَقَ﴾ [الأنفال: ٦٨] الآية(١).

وشبه أبو بكر بإبراهيم وعيسى وعمر بنوح وموسى، وكان رسول الله ﷺ قال: «**إن رجالاً من بني هاشم أخرجوا كرهًا لا حاجة لـهم بقتال فمن لقي أبا البختري بن هشام فلا يقتله**»؛ لأنه كان يؤذيه ولا يبلغه عنه ما يكره، وكان ممَّن قام في نقض الصحيفة، ومن لقي العباس لا يقتله فقال أبو حذيفة: أيقتل آباؤنا وإخواننا وأخواتنا ونترك العباس لئن لقيته لألجمنه السيف، فبلغ رسول الله ﷺ فقال لعمر ﷺ: «**أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف**»، فقال عمر: دعني أضرب عنقه فقد نافق، فكان أبو حذيفة يقول: ما أنا بآمن من تلك الكلمة ولا أزالُ خائفًا منها إلا أن يكفر عني بالشهادة، فقتل يوم اليمامة شهيدًا..

فلقي المجذر أبا البختري فأخبره بما قال رسول الله ﷺ فأبى أن يستأسر إلا أن يترك زميله وقاتل فقتل.

وكان عبد الرحمن بن عوف مارًّا ومعه أدراع استلبها فلقيه أمية بن خلف ومعه ابنه علي فقال: (هل لك فيَّ فأنا خيرٌ لك من هذه الأدراع)، فطرح الأدراع وأخذها، فقال: (من الرجل منكم المعلم بريش نعامة في صدره)؟ قال: قال: (ذاك حمزة)، قال: (ذاك الذي فعل بنا الأفاعيل)، قال: فوالله إني لأقودهما إذا رآه بلال معي وكان هو الذي يعذبه بمكة فقال: «رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوتُ إن نجا»(٢)، ثم صرخ بأعلى صوته: يا أنصار الله فقلت: اسمع يا ابن السوداء، فقال: لا نجوتُ إن نجا، ثم صرخ كالأول فأحاطوا بنا حتى جعلونا كالمسكة فأخلف رجل السيف فضرب رجل ابنه فوقع، وصاح أمية صيحة ما سمعتُ بمثلها قط، فقلت: انج بنفسك، ولا نجاة فما أغني عنك، فهبروهما بالسيوف فيرحم الله بلالاً ذهبت أدراعي وفجعني بأسيري.

وقاتل عكاشة بن محصن حتى انقطعَ سيفه فأعطاهُ رسول الله ﷺ جذلاً من حطب

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٦٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٠١).

فهزه فعاد في يده سيفًا، وأمر رسول الله ﷺ بالقتلى أن يطرحوا في القليب فطرحوا فيه إلا أمية بن خلف انتفخ في أدراعه فذهبوا ليحركوه فتزابل فلموه في مكانه وكانت عدتهم بضعة وعشرين رجلاً، ووقف رسول الله ﷺ فقال: «**يا أهل القليب بئس عشيرة النبي كنتم لنبيكم كذبتموني وصدقني الناس، وأخرجتموني وآواني الناس، وقاتلتموني ونصرني الناس، يا أهل القليب هل وجدتم ما وعد ربكم حقًا فإني وجدت ما وعدني ربي حقًا**»، فقال له صحبه: أتكلم قومًا موتى، قال: «**لقد علموا أن ما وعدهم ربهم حقًا**»، وفي حديث أنهم قالوا: أتنادي قومًا قد جيفوا فقال: «**ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يستطيعون أن يجيبوا**»[1].

ثم ارتحل عن بدر وجمع الغنيمة وبعث عبد الله بن رواحة بشيرًا إلى أهل العالية، وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة ثم أقبل إلى المدينة ومعه الأسارى فلما خرج من مضيق الصّفراء قسَّم النّفل الذي أفاء الله على المسلمين على السواء، وكان في ذلك صلاح ذات البين فإنهم اختلفوا في ذلك وساءت أخلاقهم، ثم لقيه المسلمون بالروحاء يهنئونه.

وقُتِلَ النضر بن الحارث بالصفراء قتله علي، وقتل عقبة بن أبي معيط بعرق الظبية فقال: ما للصبية يا محمد؟ قال: «النار» قيل قتله عاصم بن أبي الأفلح، وقيل علي.

ودخل المدينة قبل الأسرى بيوم ثم لم يلبث أهل مكة أن جاءهم الحلسمان الخزاعي فقالوا: ما وراءك؟ قال: قتل عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وأبو الحكم، وزمعة بن الأسود، وأمية بن خلف، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج، وأبو البختري، فلما جعل يُعَدّد أشراف قريش قال صفوان بن أمية وهو قاعد بالحجر: والله إن يعقل هذا سلوه عني، قالوا: ما فعل صفوان؟ قال: هاهو وقد رأيت أباه وأخاه حين قتلا.

ثم قدم أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب فقال أبو لهب: هلم إليّ فعندك لعمري الخبر فجلس إليه والناس قيام عليه فقال: ما هو إلا أن لقينا القوم منحناهم أكتافنا يقتلونا ويأسرونا كيف شاءوا وأيم الله ما لمت الناس رأيت رجالاً بيضًا على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء، قال أبو رافع مولى رسول الله وكان للعباس وهو جالسٌ مع أم الفضل: (تلك الملائكة)، فضرب أبو لهب وجهي ثم احتملني وضرب بي الأرض وكنت

---

(١) أخرجه البخاري (٣٩٧٦)، ومسلم (٢٨٧٥) من حديث أنس ﷺ.

ضعيفًا، وقامت أم الفضل إلى عمود فضربته به فشجته شجة منكرة وقالت: أستضعفته إن غاب سيده، فقام موليًا ذليلاً فما عاش إلا سبع ليال حتى أتاه الله بالعدسة فقتله وبقي بعد يومه ثلاثة لا تقرب جنازته ولا يحاول دفنه فلما خافوا السبة حفروا له ثم دفعوه في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه.

ثم أرسلت قريش في فداء الأسرى ومنهم سهيل بن عمرو، وكان قام خطيبًا في جمع قريش لحرب رسول الله ﷺ فقال عمر ﷺ: (دعني أدلع لسانه فلا يقوم خطيبًا عليك في موطن أبدًا)، فقال: «**عسى أن يقوم مقامًا لا تذمه**»، فقام في تثبيت أهل مكة في موت المصطفى مقامًا يأتي ذكره، وأبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت المصطفى وكان يثني عليه في صهره خيرًا وهو ابن أخت خديجة، وكانت قريش بذلت له الرَّغائب أن يفارق زينب فأبى وكان من المعدودين مالاً وتجارة وأمانًا فبعث في فداء زوجها بمال وبقلادة، وكانت خديجة أدخلتها بها عليه فلما رآها رسول الله ﷺ رق لـــها وقال: «**إن رأيتم أن تطلقوا لَهَا أسيرها وتردوا عليها مالَهَا**» ففعلوا وشرط عليه رسول الله ﷺ أن يخلي سبيل ابنته ففعل، وأرسل زيد بن حارثة إلى بطن ناجح وخرج بها من مكة كنانة بن الربيع أخو زوجها نَهارًا فخرج في طلبها رجال من قريش فأدركوها بذي طوى وكان أولـــهم هبار ابن الأسود فروَّعها بالرمح فأجهضت فنثر حموها كنانته وقال: لا يدنو مني رجل إلا وضعتُ فيه سهمًا فانْهَزموا، وأتى أبو سفيان في جملـــة من قريش وكلمه في العود بها وإخراجها ليلاً لئلا يظن بهم الضعف والوهن ففعل وأسلمها زيدًا فأحضرها وقالت هند بنت عتبة للذين خرجوا إلى زينب:

أفي السلم أعيارا جفـــــاء وغلظـــــة وفي الحرب أشبـــاه النساء العوارك

وأمر المصطفى بتحريق هبار ورفيقه، ثُمَّ رأى أنه لا يعذب بالنار إلا الله فقال: «**فإن وجدتموهما فاقتلوهما**».

ثم خرج أبو العاص في تجارة فلقيه المسلمون فغنموا ما معه وفر إلى المدينة فدخل إلى زينب فأجارته فلما خرج رسول الله ﷺ إلى الصبح صرخت زينب: أيها المسلمون إني أجرت أبا العاص فلما سلَّم المصطفى قال: «**هل سمعتم ما سمعت**»؟ قالوا: نعم، قال: «**أما والله ما علمت بشيء حتى سمعت ما سمعتم أنه يجير على المسلمين أدناهم**» ثم قال لها: «**أكرمي مثواه ولا يخلصن إليك فإنك لا تحلين له**» وبعث إلى السرية الذين أصابوا ماله:

«هذا الرجل منا حيث علمتم وقد أصبتم ماله فإن تحسنوا وتردوا عليه فإنا نحب ذلك وإن أبيتم فهو فيء أفاءه الله عليكم فأنتم أحق به»، فردوه بأسره فاحتمله إلى مكة فأدَّى كل ذي مال ماله ثم قال: «يا معشر قريش هل يبقى لأحد منكم عندي شيء» قالوا: لا، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ما منعني من الإسلام عنده إلا أن تظنوا إني أردت أكل أموالكم، ثم قدم المدينة فرد عليه زوجته قيل: بالنكاح الأول، وقيل: بجديد، ومنَّ المصطفى على نفر من قريش فأطلقهم بغير فداء منهم أبو عزة ثم كان من شأنه ما يأتي في حمراء الأسد.

واستشهد من المسلمين ببدر أربعة عشر رجلاً ستة من المهاجرين وثَمانية من الأنصار.

فقيْنُقَاعٌ والسَّويق غَطْفَانْ وهي فَذُو أمَرَّ فَغَزْوُ بَحْرَانْ

السادسة غزوة بني قينقاع(١): بتثليث النون بطن من يهود المدينة وكانوا أول يهود نقضوا ما بينهم وبين رسول الله ﷺ وكانت هذه الغزوة يوم السبت نصف شوال على رأس عشرين شهرًا من الْهجرة، وذلك أن رسول الله ﷺ جمعهم في سوق بني قينقاع وقال: «**يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة وأسلموا فإنكم عرفتم أني نبي مرسلٌ تجدونَ ذلك في كتابكم وعهد الله إليكم**» قالوا: يا محمد لو حاربتنا لتعلمن أنا نَحنُ الناس فنزل فيهم: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٢] الآيات.

وقال ابن سعد(٢): كانوا قومًا من يهود حلفاء عبد الله بن أبي، وكانوا أشجع يهود، فوادعوا رسول الله ﷺ، فلما كانت وقعة بدر أظهروا البغي والحسد وتركوا العهد والذمة، وذلك أن امرأةً من العرب جلست إلى صائغ منهم بسوق بني قينقاع فراودها على كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فقامت فانكشفت سوءتها فضحكوا فوثب مسلم على الصائغ فقتله فقتلته اليهود، فغضب المسلمون، فسار المصطفى إليهم وحمل لواءه حمزة وكان أبيض ولم تكن الرايات يومئذ، وخلف على المدينة أبا لبابة الأنصاري، وحاصرهم خمس عشرة ليلة فنزلوا على حكمه فحكم بأن له

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٢١)، السيرة النبوية لابن هشام (٢/٤٧).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٢١).

أموالهم ولهم النساء والذرية، فنزلوا فكتفوا واستعمل على أكتافهم المنذر بن قدامة السلمي فكلم ابن أبيّ فيهم رسول الله ﷺ وألح وقال: موالي أربعمائة حاسر وثلاثمائة درّاع منعونا من الأسود والأحمر تحصدهم في غداة واحدة إني والله أخشى الدوائر فقال: «**خلوهم لعنهم الله ولعنه معهم**»، وأمر أن يجلوا من المدينة فلحقوا بأذرعات، ولما رأى ذلك عبادة بن الصامت وكان له من حلفهم كالذي لابن أبيّ فتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم فأنزل الله في ذلك: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارى أَوْلِيَاءَ**﴾ [المائدة: ٥١] الآيات من المائدة، وولّى قبض أموالهم محمد بن مسلمة وإخراجهم عبادة بن الصامت، ووجدوا بحصنهم سلاحًا كثيرًا فأخذ المصطفى الخمس ثم قضى بالبقية على صحبه.

السابعة غزوة السَّويق: بفتح السين المهملة، وسببها أنه لما رجع الكفار من بدر إلى مكة نذر أبو سفيان أن لا يمس رأسه ماء من جنابة ولا يقرب النساء ولا الدهن حتى يغزو محمدًا، فخرج في مائتي راكب ليبرَّ في قَسَمه، فسلك النجدية حتى نزل على نحو بريد من المدينة، ثم خرج ليلاً حتى أتى بني النضير فضرب على حيي بن أخطب بابه فأبى أن يفتح له فانصرف إلى سلام بن مشكم وكان سيدهم فأذن له وقراه وسقاه، فاستخبره خبر المصطفى ثم رجع من ليلته حتى أتى أصحابه، فبعث رجالاً فأتوا ناحية العريض بضم العين المهملة وضاد معجمة -واد على ثلاثة أميال من المدينة- فحرقوا من النخيل وقتلوا رجلين من الأنصار ورأى أن يَمينه قد انحلت، فبلغ المصطفى فخرج في طلبه في مائتين من المهاجرين والأنصار لِخمس خلون من ذي الحجة على رأس اثنين وعشرين شهرًا من هجرته ففاته أبو سفيان وجعل يتخفف للهرب، فألقى جرب السويق وهي عامة زادهم فأخذها المسلمون فسميت به، ولم يلحقهم وغاب خمسة أيام ثم عاد إلى المدينة.

الثامنة غزوة غطفان: بفتح المعجمة -قبيلة بناحية نَجد- وقول الناظم: (وهي فذو أمر) أي: وهي غزوة ذي أمر بفتح الهمزة والميم وشدة الراء أفعل من المرارة -موضعٌ بنجد عند واسط الذي بالبادية بناحية النخيل- فخرج رسول الله ﷺ من المدينة لاثنتي عشرة ليلة من ربيع الأول على رأس خَمسة وعشرين شهرًا من هجرته واستعمل عليها عثمان، وذلك أنه بلغه أن جمعًا من ثعلبة ومَحارب قد تجمعوا يريدون أن يصيبوا من أطراف المدينة جمعهم دعثور بن الحارث المحاربي، فندب المسلمين وخرج في أربعمائة وخمسين رجلاً وهبط عليهم فهربوا إلى رءوس الجبال فلم يلحق منهم أحدًا لكنه ينظر

إليهم في رءوس الجبال، وأصابه مطر فنـــزع ثوبيه ونشرهما على شجرة ليجفّا واضطجع تحتهما، فأبصره دعثور فأقبل عليه حتى قام على رأسه ومعه سيفٌ فقال: من يمنعك مني؟ قال: «الله» فسقط السيف من يده فأخذه المصطفى وقال: «**من يمنعك مني**»؟، قال: لا أحد[١]، وأسلم فنـــزلت: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ**﴾ [المائدة: ١١] الآية. وكانت غيبته إحدى عشرة ليلة أو أكثر.

التاسعة غزوة بَحران[٢]: أي: غزوة بني سليم بناحية بحران بضم الموحدة وفتحها وسكون الحاء المهملة، من ناحية الفرع بفتحتين، خرج على رأس سبعة وعشرين شهرًا من الهجرة لست خلون من جمادى الأولى في ثلاثمائة رجل لجمع من بني سليم، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم فوجدهم تفرقوا فرجع ولَمْ يلق كيدًا، وغاب عشر ليال وجعلها ابن عبد البر بعد قينقاع.

وأُحُـــدٌ بَعْـــدُ فَحَمْـــراءُ الأسَدْ ... ثُمَّ بنـــو النَّضيرِ ثُـــم فـــي العَدَدْ
ذَاتُ الرِّقَاعِ ثُمَّ بَـــدرُ الـــمَوْعِـــد ... قَدُومَةٌ فالـــخَنْدَقَ اذْكُرْ واعْـــدُدُ

العاشرة غزوة أحد[٣]: بضم الهمزة والحاء المهملة، جبل مشهور بقرب المدينة به قبر هارون، فإن موسى وهارون مرّا به حاجين أو معتمرين فمات به، وكان من حديث أحد أنه لما قتل الله كفار قريش ببدر ورجع أبو سفيان بالعير مشى عبد الله بن أبي ربيعة وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية في قوم ممن أصيب آباؤهم وأبناؤهم وأهلهم وكلموا أبا سفيان وقالوا: إن محمدًا وَتَرَكُم وقتل خياركم فأعينونا بالمال على حربه لعلنا ندرك ثأرًا.

وقال ابن سعد: كانت العير موقوفة بدار الندوة فمشت أشراف قريش إلى أبي سفيان فقالوا: جهزوا بهذه العير -وكانت ألف بعير- جيشًا إلى محمد، فأجابَ، واجتمعت قريش ومن أطاعها من القبائل ومن تبعها من كنانة وأهل تِهامة، وكتب العباس إلى المصطفى بخبرهم، فخرج أبو سفيان قائد الناس بهند بنت عتبة، وقال جبير بن مطعم لغلامه وحشي الحبشي: إن قتلت حمزة عم محمد بعمي طعيمة فأنت عتيق، فكانت هند

(١) انظر: صحيح البخاري (٤١٣٩)، ومسلم (٨٤٣).
(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٢٧).
(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٢٨)، والسيرة النبوية (٢/٦٠)، وفتح الباري (٧/٣٤٥).

إذا رأته يقول: ويها أبا دسمه اشف واشتف؛ فأقبلوا حتى نزلوا بعينين تثنية عين جبل ببطن السبخة مقابل المدينة، فلما سمع بهم المصطفى قال: «**إني رأيتُ والله خيرًا رأيتُ بقرًا تُذبح، ورأيتُ في ذباب سيفي ثلمًا، فأما البقر فناسٌ من أصحابي يقتلون، وأمّا الثلم فرجل من أهل بيتي يقتل، ورأيتُ أني أدخلت يدي في درع حصينة فأولتها المدينة، فإن رأيتم أن تقيموا بِها وتدعوهم حيث نزلوا فإن أقاموا أقاموا بشر مقام وإن دخلوا علينا قاتلناهم فيها**»(١)، وكان المصطفى يكره الخروج وابن أبيّ يرى رأيه فقال رجال من المسلمين: اخرج بنا إلى أعدائنا لا يرون أنا جبنا وقال ابن أبيّ: لا تخرج فما خرجنا منها إلى عدو قط إلا أصاب منا ولا دخلها علينا إلا أصبنا منه، فلم يزل برسول الله من أحب لقاء العدو حتى دخل فلبس لأمته بعد صلاة الجمعة وقد ندم الناس، فقالوا: استكرهناك ولَمْ يكن ذلك لنا فإن شئت فاقعد فقال: «**ما ينبغي للنبي إذا لبس لأمته أن يضعها حتى يقاتل**»(٢) فخرج في ألف حتى إذا كانوا بين المدينة وأحد تحرك عبد الله بن أبيّ ينكث الناس: وقال: أطاعهم وعصاني ما ندري عَلاَمَ نقتل أنفسنا، فرجع بمن تبعه من أهل النفاق ومضى رسول الله ﷺ حتى سلك في حرة بني حارثة فذب فرس بذنبه فأصاب كلاّب سيف فاستله فقال المصطفى وكان يحب الفأل ولا يعتاف أي: لا يتطير: «**يا صاحب السيف شم سيفك فإني أرى السيوف ستسل اليوم**»، ثم قال: «**من رجل يخرج بنا على القوم من كثب**» أي: قرب، «**لا يمر بنا عليهم**» فقال أبو خيثمة: أنا فنفذ به في حرة بني حارثة حتى نزل الشعب من أحد فجعل ظهره وعنقه إليه وقال: «**لا يقاتل أحد حتى آمره بالقتال**»، وتعبأ للقتال وهو في سبعمائة وأمر على الرماة عبد الله بن جبير وهو معلم بثياب بيض وهم خمسون فقالوا: (انضح الخيل عنا لا يأتوننا من خلف إن كان لنا وعلينا فاثبت مكانك لا نؤتين من قبلك)، فظاهر المصطفى بين درعين ودفع اللواء إلى مصعب بن عمير، ولم يكن مع المسلمين فرس إلى فرس رسول الله ﷺ وفرس أبي بردة، ولواء الخزرج بيد الحباب بن المنذر أو سعد بن عبادة، وخرج السعدان أمامه يعدوان دارعين، وتعبأت قريش وهم ثلاثة آلاف معهم مائتا

---

(١) انظر: مسند أحمد (٢٤٤١) و(١٤٣٧٣).

(٢) انظر: مسند أحمد (١٤٣٧٣)، وسنن الدارمي (٢١٥٩)، والحديث ضعفه العلامة الألباني -رحمه الله- في ضعيف الجامع (٢٠٧٥).

فرس قد جنبوها فجعلوا على ميمنة الخيل خالد بن الوليد وميسرتها عكرمة بن أبي جهل وعلى القلب صفوان بن أمية أو عمرو بن العاص وعلى الرماة عبد الله بن ربيعة.

وقال أبو سفيان لأصحاب اللواء من بني عبد الدار يحرضهم: إنكم قد وليتم يوم بدر فأصابنا ما رأيتم وإنما يؤتى الناس من قبل راياتهم، فاقتتلوا حتى حمي الحرب وقال المصطفى لسيف عنده: «**من يأخذه بحقه**» فقام إليه رجال منهم الزبير فأمسكه حتى قام أبو دجانة فقال: **ما حقه**؟ قال: «**أن يضرب به حتى ينحني**»[1] قال: أنا، فأعطاهُ إياه، قال الزبير: وجدتُ نفسي حين منعني وأعطاه إياه وأنا ابن عمته ومن قريش، فقلت: لأنظرن ما يصنعُ فتبعته فأخرج عصابة حمراء فعصب رأسه فقال الأنصار: أخرج عصابة الأنصار فخرج يقول:

أنـــا الـــذي عـــاهدني خليلي ونَحـــنُ بالسفــح لــدى النخيل
أن لا أقوم الدهـــر في الكيـــول أضـــرب بسيف الله والرســـول

فجعل لا يلقى أحدًا إلا قتله وكان من المشركين رجل لا يدع جريحًا إلا ذفف عليه، فجعل كل منهما يدنو لصاحبه فالتقيا فاختلفا ضربتين فضربه أبو دجانة فقتله، ثم حمل السيف على مفرق هند بنت عتبة ثُمَّ عدل عنها، وقاتل حمزة حتى قتل أحد الذين يحملون اللواء.

قال وحشي: رأيتُ حمزة في عرض الناس كالجمل الأورق يهد الناس بسيفه هدًّا ما يقوم له شيء، فإني لأتهيأ له أريده وأستتر منه بشجر أو حجر ليدنو مني إذ تقدم إليه سباع ابن عبد العزى فلما رآه حمزة قال: هلم إلي يا ابن مقطّعة البظور وكانت أمه ختانة، فضربه فكأنما أخطأت رأسه قال: فهززت حربتي حتى إذا رضيت منها دفعتها إليه فوقعت في ثنته حتى خرجت من بين رجليه، وذهب لينوء نحوي فتركته وإياها حتى مات، ثم أتيته ولم يكن لي بغيره حاجة إنما قتلته لأعتق، ثم كان من أمره أن خرج بعد الفتح إلى الطائف ثم وفد على المصطفى بعد أن أعيته المذاهب فلم يشعر به إلا على رأسه يتشهد شهادة الحق، فسأله كيف قتل حمزة ثم قال: «**ويحك غيّب وجهك عني**» فكان يتنكبه إذا رآه، فلما كان وقعة مسيلمة الكذاب رماه بالحربة التي ضرب بها حمزة وضربه رجل من

(١) انظر: صحيح مسلم (٢٤٧٠).

الأنصار بالسيف فربك أعلم أيهما قتله، وكان لا يزال يحد في الخمر حتى خلع من الديون، فقال عمر: قد علمت أن الله لم يكن ليدع قاتل حمزة وقاتل مصعب بن عمير حتى قتله ابن قمئة وهو يظن أنه رسول الله ﷺ فقال: قتلت محمدًا.

وأعطى المصطفى اللواء عليًا وجلس لما اشتد القتال تحت راية الأنصار، وأرسل إلى علي أن قدم الراية فتقدم فقال: أنا أبو القصم، فناداه أبو سعد بن أبي طلحة: هل لك يا أبا القصم في البراز قال: نعم، فبرزا به في الصفين فاختلفا ضربتين فضربه علي فصرعه ثم انصرف، ولم يجهز عليه لكونه استقبله بسوأته قال: فعطفتني عليه الرحمة فعلمت أن الله قتله، ويقال إنه طلب البراز مرارًا فلم يخرج له أحد فقال: زعمتم يا أصحاب محمد أن قتلاكم في الجنة وقتلانا في النار كذبتم واللات، لو تعلمون ذلك حقًا لخرج إلى بعضكم، فخرج له علي فقتله، وقيل: قتله سعد بن أبي وقاص، وقيل: عاصم بن أبي الأفلح، فتأتي أمه فتضع رأسه في حجرها فتقول: يا بني من أصابك؟ فيقول: سمعتُ رجلاً حين رماني يقول: خذها وأنا ابن أبي الأفلح فنذرت إن أمكنها الله من رأسه أن تشرب فيه الخمر، وكان عاصم عاهد الله أن لا يَمس مشركًا ولا يَمسه فتمم له ذلك حيًا وميتًا كما يأتي، واستعلى حنظلة بن الغسيل يومئذ أبا سفيان فضربه شداد بن أوس فقتله، وكان خرج جنبًا حين سمع الهائعة فرأى المصطفى الملائكة تغسله.

ثم أنزل الله نصره على المسلمين فحسوهم بالسيف حتى كشفوهم، وكانت خيل المشركين قد حملت ثلاث مرات كل ذلك تنضح بالنبل فترجع مغلولة، وكانت الهزيمة لا شك فيها، فلما أبصر الرماة ذلك قالوا: ما نجلس هنا لشي وقد أهلك الله العدو فتركوا منازلهم التي عهد إليهم رسول الله ﷺ وتنازعوا وفشلوا وعصوا الرسول، قال الزبير: لقد رأيتني أنظرُ إلى خدم هند بنت عتبة وصواحبها منكشفات هوارب ما دون أخذهن قليل ولا كثير إلى أن مالت الرماة على العسكر وخلوا ظهورنا للخيل، فأوتينا من خلفنا وصرخ صارخ: ألا إن محمدًا قد قتل، فانكفأنا وانكفأ علينا القوم بعد أن أصبنا أصحاب اللواء فانكشف المسلمون وكان يوم بلاء وتمحيص أكرم الله من أكرم فيه بالشهادة، حتى خلص العدو إلى رسول الله فقذف بالحجارة حتى وقع لشقه فأصيبت رباعيته وكلمت شفته وشج في وجهه فجعل الدم يسيل على وجهه وهو يَمسحه ويقول: «**كيف يُفلح قومٌ خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربِّهم**» فأنزل الله: ﴿**لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ**﴾ [آل

عمران: ١٢٨][1]، والذي كسر رباعيته وشج وجهه عتبة بن أبي وقاص وشجه عبد الله بن شهاب الزهري في جبهته وجرح ابن قمئة وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها، ووقع في حفر القوم التي عملها أبو عامر ليقع فيها المسلمون، فأخذ علي بيده ورفعه طلحة حتى استوى قائمًا، ومص مالك والد أبي سعيد الخدري الدم من وجهه ثم ازدرده فقال المصطفى: «**من مس دمه دمي لم تصبه النار، ومن أحب أن ينظر إلى شهيد يمشي فلينظر إلى طلحة**»[2]، ونزع أبو عبيدة إحدى الحلقتين من وجهه فسقطت ثنيته ثم نزع الأخرى فسقطت الأخرى، وكان سعد بن أبي وقاص يقول: ما حرصتُ على قتل رجل كحرصي على قتل عتبة أخي، وقال المصطفى: «**اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله**»[3]، وقال حين غشيه القوم: «**من رجل يشتري لنا نفسه**» فقام زياد أو عمارة بن السكن في خمسة من الأنصار فقاتلوا دونه حتى قُتلوا رجلاً رجلاً آخرهم زياد أو عمارة فقاتل حتى أثبتته الجراح، فجاءت فئة من المسلمين فأزالوهم، فقال رسول الله ﷺ: «**أدنوه مني**» فأدنوه وخده على قدم رسول الله ﷺ، وقاتلت أم عمارة يومئذ عنه هي ومصعب بن عمير حتى بلغت منها الجراح.

وتترس دون رسول الله أبو دجانة بنفسه يقع النبل في ظهره وهو منحن عليه، ورمى سعد دون رسول الله ﷺ وهو يناوله النبل وهو يقول: «**ارم فداك أبي وأمي**»[4]، وأصيبت عين قتادة بن النعمان فردها رسول الله ﷺ فكانت أحسن عينيه، ورمى أبو رهم الغفاري كلثوم بن الحصين بسهم فوقع في نحره فجاء رسول الله ﷺ فبصق عليه فبرأ، وانتهى أنس بن النضر إلى عمر بن الخطاب وطلحة في رجال من المهاجرين والأنصار وقد ألقوا بأيديهم فقالوا: ما يجلسكم؟ قالوا: قتل محمد، قال: فما تصنعون بالحياة بعده قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، فوجدوا به بضعًا وثَمانين جراحة وكان غاب عن بدر فقال: إن أشهدني الله قتالاً ليرين الله كيف أصنع،

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٩١) من حديث أنس ﷺ.

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٣٩)، وابن ماجه (١٢٥) من حديث جابر ﷺ دون قوله: «من مس دمه دمي لم تصبه النار». وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٣٩١٥، ٥٩٦٢)

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٧٦) من حديث ابن عباس ﷺ.

(٤) أخرجه البخاري (٤٠٥٥)، ومسلم (٢٤١٢).

فلما انكشف المسلمون قال: اللهم إني أبرأ إليك مِمَّا جاء بـــه هؤلاء، يعني المشركين، وأعتذرُ إليك مما صنع هؤلاء يعني المسلمين، فلقيه سعد بن معاذ فقال: أي سعد والذي نفسي بيده إني لأجد ريح الجنة واهًا لريحها، وكان أول من عرف رسول الله بعد الهزيمة، والحديث عن قتله كعب بن مالك قال: عرفتُ عينيه تزهران تحت المغفر فناديت بأعلى صوتي يا معشر المسلمين أبشروا هذا رسول الله، فأشار إليَّ أن انصت، فلما عرفه المسلمون نَهضوا به ونَهض بِهم نَحو الشعب معه أبو بكر وعمر وعلي وطلحة والزبير والحارث بن الصمة ورهط من المسلمين، فلما اشتد في الشعب أدركه أُبيٌّ بن خلف وهو يقول: أين محمد لا نجوت إن نجا، فقال القوم: أيعطف عليه رجل منا، فقال: «**دعوه**» فلما دنا تناول رسول الله ﷺ الحربة من الحارث وانتفض بها انتفاضة تطايرنا من حوله تطاير الشعر من ظهر البعير إذا انتفض، ثم طعنه في عنقه طعنة تدلى منها عن فرسه مرارًا، فرجع وقد احتقن الدم وقال: قتلني محمد، قالوا: ذهب والله فؤادك إنه ليس بك بأس، قال: قد كان قال لي بمكة: «**أنا أقتلك**» فلو بصق علي لقتلني، وذلك أنه كان إذا لقي النبي بمكة يقول: عندي فرس أعلفه أقتلك عليه فيقول: «**أنا أقتلك إن شاء الله**» فمات بسرف وهم قافلون.

وقال المصطفى: «**اشتد غضب الله على رجل قتل نبيًّا أو قتله نبي فسحقًا لأصحاب السعير**»[١]، ثم ملأ عليٌّ درقته من المهراس فجاء بِها إلى المصطفى ليشرب منـــه فوجـــد لـــه رِيحًا فعافه فلم يشرب وغسل عن وجهه الدم وهو يقول: «**اشتد غضب الله على من أدمى وجه رسول الله**»[٢].

فبينا رسول الله بالشعب في أولئك النفر علت عالية من قريش الجبل فقال: «**اللهم إنه لا ينبغي لهم أن يعلونا**»[٣]، فقاتل عمر ورهط معه حتى أهبطوهم من الجبل ونَهض رسول الله ﷺ إلى صخرة فلم يستطع أن يعلوها وكان قد بَدن بفتح الموحدة والمهملة وشدها أي أسن وظاهر بين درعين فجلس تحته طلحة حتى نَهض به واستوى عليها فقال: «**أوجب طلحة**» وصلى الظهر قاعدًا من الجراح والمسلمون خلفه قعودًا.

وكان من خبر مخيريق يومئذ وكان من أحبار يهود أنه قال لَهم: علمتم أن نصر

(١) أخرجه البخاري (٤٠٧٦) بنحوه، وأحمد (٣٨٥٨).

(٢) تقدم تـــخريـــجه.

(٣) انظر: مسند أحمد (٢٦٠٤).

محمد عليكم لحق فتعللوا عليه بأنه يوم السبت فقال لَهم: لا سبت لكم وأخذ سيفه وعدته فلحق به وقاتل حتى قتل بعد أن قال: إن أصبت فأموالي لمحمد يصنع فيها ما شاء، وفيها قال المصطفى: «**مخيريق خير يهود**»[1]، وغدر الحارث بن سويد وكان منافقًا لما التقى المسلمون والكفار بالمجذر لأنه قتل أباه في الجاهلية، وبقيس بن زيد وفر إلى الكفار، ثم رجع إلى قومه بالمدينة، فنـــزل جبريل على المصطفى فأخبره بقدومه وأمره أن ينهض إليه ويقتص منه لمن قتله، فنهض المصطفى إلى قباء فخرج إليه أهلها في جماعتهم وفيهم الحارث وعليه ثوب مورس وأمر عويم بن ساعدة بضرب عنقه ففعل، وعاد ولم ينـــزل عندهم. ومثلت هند بالقتلى فاتخذت من أنوفهم وآذانهم قلائد.

ثم إن أبا سفيان حين أراد الانصراف صعد صخرة ثم صرخ بأعلى صوته انعمت فقال: إن الحرب سجال يوم بيوم بدر بأحد، أعل هبل فقال المصطفى: «**قل له يا عمر: الله أعلى وأجل لا سواء فقتلانا في الجنة وقتلاكم في النار**».

وفي الصحيح[2] أن أبا سفيان قال: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي: «**قولوا الله مولانا ولا مولى لكم**»، فقال: أفي القوم محمد، فقال: «**لا تُجيبُوه**»، فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة، أفي القوم ابن الخطاب فلما لم يجبه أحد قال: إن هؤلاء قتلوا فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يَمْلك عمر نفسه فقال: كذبت يا عدو الله قد أبقى الله لك ما يخزيك، قال: هلم يا عمر فقال المصطفى: «**ائته فانظر ما شأنه**» فجاءه فقال: أنشدك الله أقتلنا محمدًا قال: اللهم لا والله إنه ليسمع كلامك، قال: أنت أصدق من ابن قمئة، ثم نادى أبو سفيان أنه كان في قتلاكم مثل والله ما رضيت وما سخطت وما أمرت وما نهيت وموعدكم بدر العام القابل، فقال المصطفى لرجل: «**قل: نعم**»، ثم بعث عليًا فقال: «**اخرج في آثارهم فانظر ما يصنعون فإن كانوا جنبوا الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة، وإن ركبوا الخيل وساقوا الإبل فإنهم يريدون المدينة، ولئن أرادوها لأسيرن إليهم فيها ثم لأناجزنّهم**» فرآهم جنبوا الخيل ووجهوا إلى مكة، وفزع الناس لقتلاهم فلم يجدوا قتيلاً إلا ومثلوا به غير حنظلة فإن أباه كان مع الكفار فقال المصطفى: «**من رجل ينظر ما فعل**

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/٧٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٩) من حديث البراء بن عازب ﷺ.

سعد بن الربيع في الأحياء أم في الأموات»، فقال رجل أنصاري: انظر، فوجده جريحًا في القتلى به رمق، فقال: أبلغ رسول الله مني السلام وقل له: يقول لك سعد جزاك الله عنا خيرًا، وأبلغ قومك السلام وقل لهم يقول لكم سعد لا عذر لكم عند الله إن خلص إلى نبيكم وفيكم عين تطرف ثم مات، وخرج المصطفى يلتمس حمزة ﷺ فوجده بقر بطنه عن كبده وكانت هند أكلتها فلم تسغها، ومثل به فجدع أنفه وأذناه فقال عليه الصلاة والسلام: «لولا أن تحزن صفية وتكون سنة من بعدي تركته حتى يكون في بطون السباع وحواصل الطير، ولئن أظهرني الله على قريش لأمثلن بسبعين منهم» فلما رأى المسلمون حزنه وغيظه على ما فعل بعمه قالوا: لنمثلن بهم إن أظهرنا الله عليهم مثلة ما مثل بها أحد فأنزل الله: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾ [النحل: ١٢٦] الآية.

فعفا وصبر وكفّر عن يمينه ونهى عن المثلة وقال حين وقف عليه: «لن أصاب بمثلك أبدًا ما وقفت موقفًا قط أغيظ إليّ من هذا رحمة الله عليك قد كنت علمتك فعولاً للخير وصولاً للرحم» ثم أمر فسجي ببرده، ثم صلى عليه فكبر سبعًا، ثم أتي بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه اثنين وسبعين صلاة ودفن؛ ويُقال إنه دفن معه في قبره عبد الله بن جحش وكان قد مثل به، ثم رجع رسول الله ﷺ إلى المدينة من يومه آخر النهار.

وذكر مالك في الموطأ[1] أن السيل حفر قبر عمرو بن الجموح وعبد الله بن عمرو ابن حرام وكان المصطفى دفنهما بقبر واحد لمصافاة بينهما فوجدا لَمْ يتغيرا كأنهما ماتا بالأمس، وكان أحدهما وضع يده على جرحه فدفن كذلك فأميطت عنه ثم أرسلت فرجعت كما كانت، وكان ذلك بعد الوقعة بست وأربعين سنة.

وحين سمع المصطفى البكاء على القتلى بكى وقال: «لكن حمزة لا بواكي له» فأمر سعد بن معاذ، وأسيد بن حضير نساءهما أن يتحزمن ثم يذهبن فيبكين عليه فلما سمع بكاءهن عليه قال: «رحم الله الأنصار فإن المواساة منهم ما علمت لقديمة مروهن فلينصرفن»[2]، ومر بامرأة أصيب زوجها وأخوها وابنها معه بأحد فلما نعوا لها قالت: ما فعل رسول الله،

---

(١) أخرجه مالك في الموطأ (١٠٢٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٥٩١)، وأحمد في المسند (٤٩٦٤) من حديث ابن عمر ﷺ.

قالوا: خيرًا هو كما تحبين قالت: كل مصيبة بعده جللٌ، ونادى مناد بين السماء والأرض لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي، وهو سيف رسول الله ﷺ أمر فاطمة أن تغسله ذلك الدم وقال: لقد صدقني اليوم وقال لعلي: «**لا يصيب المشركون منا مثلها حتى يفتح الله علينا**».

وكان يوم أحد يوم بلاء أكرم الله فيه من أراد كرامته بالشهادة، ونزل من القرآن في شأن أحد ستون آية من آل عمران.

واستشهد يومئذ خمسة وستون رجلاً أربعة من المهاجرين وباقيهم من الأنصار، وقتل من الكفار اثنان وعشرون رجلاً، وقال ابن كثير: أكثر، فإن حمزة لم يُقتل حتى قتل أحد وثلاثين، وقاتل أبو دجانة وعلي وسهل بن حنيف والحارث بن الصمة، ورمى طلحة وسعد بين يديه فما سقط لهما سهم إلا أصاب كافرًا، وأنس بن النضر وسعد بن الربيع لم يُقتلا حتى قتلا خلقًا، فربك أعلم بعددهم. انتهى

الحادية عشرة غزوة حَمْراء الأسد[1]: تأنيث أحمر مضافة إلى الأسد موضع على ثمانية أميال من المدينة عن يسار الطريق إذا أردت الحليفة، سار النبي ثاني يوم أحد ونادى مناديه بطلب العدو وأن لا يَخرج معنا أحد إلا من حضر يومنا بالأمس، وأذن لجابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام فخرج وكان تخلف عن أحد لوصية أبيه له، واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم وسار حتى وصل بِحمراء الأسد ودفع لواءه وهو معقود لَمْ يحل إلى علي أو إلى أبي بكر إظهارًا للقوة وإرهابًا للعدو ولئلا يظنوا بالمسلمين الوهن، فأقام بِها ثلاثًا وكان يوقد كل ليلة خمسمائة نار حتى تُرى من البعد، وذهب صوب معسكرهم ونيرانهم في كل وجه، وغاب خمسًا ثم رجع إلى المدينة يوم الجمعة ومر به هناك معبد بن أبي معبد الخزاعي، وكانت خزاعة مسلمهم وكافرهم عيبة نصح رسول الله ﷺ وهو أي: معبد مشرك يومئذ قال: يا محمد قد عز علينا ما أصابك في أصحابك وودنا أن الله عافاك فيهم، وتوجه فلقي أبا سفيان ومن معه بالروحاء وقد أجمعوا الرجعة إلى المسلمين فقالوا: ما وراءك قال: مُحَمَّد خرج في أصحابه يطلبكم في جمع لَمْ أر مثله قط يتحرقون عليكم تحرقًا اجتمع معه من كان تخلف عنه في يومكم وندموا وبِهم من الحنق عليكم ما لم أر مثله، قال: لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصل بقيتهم قال: فإني أنْهَاك فلا أرى أن ترحل حتى ترى نواصي الخيل، فثنى ذلك أبا سفيان عن الرجعة ورجع.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٣٧/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (١٠١/٢).

الثانية عشر غزوة بني النضير[1]: بوزن أمير حي من يهود خيبر، وكانت في ربيع الأول سنة أربع على رأس سبعة وثلاثين شهرًا من هجرته خرج فصلى بقباء ومعه نفر من المهاجرين والأنصار، ثم أتاهم ليعينوه في دية العامريين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري في رجوعه من بئر معونة فأجابوه، وكان بينهم وبين المصطفى وبين بني عامر عهد فخلا بعضهم ببعض وهموا بالغدر فقالوا: اجلس يا محمد حتى تطعم وترجع بحاجتك فجلس وأصحابه إلى ظل جدار من بيوتهم ينتظرون أن يصلحوا أمرهم، فابتدر عمرو بن جحاش ليلقي عليهم صخرة من أعلى الدار فنهاه ابن مشكم وقال: إنه لنقض للعهد، فأخبر بذلك من السماء فقام راجعًا إلى المدينة فلما استبطأه أصحابه قاموا في طلبه حتى انتهوا إليه فأخبرهم الخبر وأرسل إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره، وبعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويعدونهم النصر وبعثوا إلى المصطفى أنهم لا يخرجون ولئن قاتلهم ليقاتلونه، فأمر بالتأهب لحربهم واستعمل ابن أم مكتوم على المدينة وسافر وعلي يحمل رايته فحاصرهم خمسة عشر يومًا وتحصنوا بالحصون فقطع نخيلهم وحرقها وخرب بيوتهم، وكان بعض المنافقين أرسلوا يعدونهم بالقتال معهم فكف الله أيديهم وأيدي المنافقين وقذف في قلوبهم الرعب، فسألوا الجلاء والكف عن الدماء على أن لهم ما حملت الإبل من مالهم إلا الحلقة أي السلاح، فأجابهم فحملوا حتى كان الرجل يهدم بيته بيده فيأخذ بابه فيضعه على ظهر بعيره، فخرجوا إلى خيبر منهم ابن أبي الحقيق وحيي ابن أخطب.

ومنهم من ذهب إلى الشام وتركوا مالهم لرسول الله خاصة ولم يسلم منهم سوى يامين بن عمير وأبي سعد بن وهب فأحرزا مالهما، وفي بني النضير نزلت سورة الحشر، وقبض ما فيها من السلاح خمسين درعًا وخمسين بيضة وثلاثمائة وأربعين سيفًا، وخرجوا على ستمائة بعير وقسمها بين المهاجرين بعد أن ذكر أن ذلك للأنصار، وخيَّرهم بين قسمتها بينهم جميعًا أو تخصيص المهاجرين ويردوا عليهم أموالهم فرضوا به، ورد المهاجرون على الأنصار ما كانوا شارطوهم عليه من أموالـــهم، وأعطى رجلين منهما سهل بن حنيف وأبا دجانة لأنهما ذكرا فقرًا، وأعطى سعد بن معاذ سيف ابن أبي الحقيق وكان سيف له ذِكر.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٤٣/٢)، وتاريخ الطبري (٨٣/٢).

وقدم حيي بن أخطب مكة يستنفرهم على رسول الله، وهنا نذكر قصة عمرو بن سعدى القرظي وذلك أنه مر على ديار بني النضير وهي بباب خراب ليس بِها داع ولا مجيب، فرجعَ إلى بني قريظة فوجدهم بالكنيسة فنفخ في بوقهم فاجتمعوا فقال له الزبير بن باطا: أين كنت وكان يعهده لا يفارق الكنيسة قال: رأيتُ اليوم عِبرًا اعتبرت بِها، رأيتُ منازل إخواننا خالية بعد ذلك العز والجلد والشرف الفاضل والعقل البارع تركوا أموالهم وملكها غيرهم وخرجوا خروج ذل، والتوراة ما سلط الله هذا على قوم قط لله بهم حاجة، وقد أوقعَ قبل ذلك بابن الأشرف وببني قينقاع فأجلاهم وكانوا أهل عدة وسلاح، يا قوم قد رأيتم ما رأيتم فأطيعوني وتعالوا نتبعه فإنكم تعلمون أنه نبي وبشرنا به نبينا، وأسكتوا فلم يتكلم منهم متكلم، ثم أعاد الكلام وخوَّفهم بالحرب والجلاء فقال كعب بن أسد: ما تطيبُ نفسي أن أصـــير تابعًا، فأسلم هو.

الثالثة عشرة غزوة ذات الرقاع(١): بكسر الراء جبل سميت به لأن فيه بقعًا حمرًا وسوادًا أو لترقيعهم راياتهم أو لكونهم لفوا أرجلهم بالخرق أو لأن صلاة الخوف كانت بِها فسميت به لترقيع الصلاة فيها على ستة عشر نوعًا، وسببها أنه بلغه أن ثعلبة وأنمارًا جمعوا الجموع، فخرج إليهم في أربعمائة أو سبعمائة واستخلف عثمان وأبا ذر في عشر خلون من المحرم سنة أربع، فوصلها فلم يجد إلا نسوة فأخذهن وهرب الرجال في رءوس الجبال، وحضرته الصلاة فخاف المسلمون إغارة الكفار عليهم فصلى بِهم صلاة الخوف، وغاب خمسة عشر ليلة وعاد للمدينة، وقد اختلف في ترتيب هذه الغزوة وما قبلها فابن إسحاق وابن عبد البر على ما ذكره الناظم، وقَدَّم بعضهم بدر الموعد عليها.

الرابعة عشر غزوة بدر الموعد(٢): وهي غزوة بدر الصغرى، وسببها قول أبي سفيان لَمَّا تفرقوا من أحد: الموعد ببدر رأس الحول فخرج المصطفى في ألف وخمسمائة ومعه عشرة أفراس وحمل لواءه علي المرتضى واستعمل على المدينة ابن رواحة، وخرجوا ببضائع وتجارات فسار حتى نزل بدرًا في هلال ذي القعدة وكان بِها سوق يُقام من استهلاله إلى ثامنه، فأقام بِها ثمان ليال ينتظر أبا سفيان وباعوا تجارتهم وربحوا للدرهم درهمًا، وخرج

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٤٦/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٠٣/٢).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٤٥/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٠٩/٢).

أبو سفيان من مكة في ألفين حتى نزل بمر الظهران ويُقال: عسفان ومعه خمسون فرسًا ثم بدا له فرجع زاعمًا أنه عام جدب ولا يصلحهم إلا الخصب، وسماهم أهل مكة جيش السويق وقالوا: إنما خرجتم تشربون السويق، وأنزل الله في حق المؤمنين: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤]، قال الدمياطي: الفضل ما ربحوا في تجارتهم.

الخامسة عشر غزوة دومة الجَنْدَل[١]: -بضم الدال وتفتح-، وهي ما بين الحجاز والشام وغزوتها أول غزوات الشام وهي على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق واثني عشر من مصر، سميت بدومى بن إسماعيل كان نزلها، خرج إليها لخمس ليال من ربيع الأول على تسعة وأربعين شهرًا من هجرته، وذلك أنه بلغه أن بها جمعًا كثيرًا يظلمون من مر بهم ويريدون المدينة فندبَ الناس واستخلف على المدينة سباع ابن عرفطة وخرج في ألف يسير الليل ويكمن النهار، فنزل بساحتهم فوجدوهم تفرقوا وهربوا ووجد النَّعم فأصاب منها وبث السرايا فلم يصب أحدًا غير رجل واحد وأسلم وأقام أيامًا ثم رجع، ودخل المدينة في العشرين من ربيع الأول وفيها وادع عيينة بن حصن.

السادسة عشرة غزوة الخندق[٢]: وتسمى غزوة الأحزاب وكانت في شوال أو في ذي القعدة، وذلك أنه لما جلا بني النضير خرج نفرٌ من وجوههم إلى مكة منهم سلام بن مشكم وابن أبي الحقيق وابن أخطب وغيرهم من اليهود، فأتوا قريشًا ودعوهم إلى حرب المصطفى وعاهدوهم على قتاله وقالوا: نكون معكم عليه حتى نستأصله، ونشَّطوا قريشًا بزعمهم أن دينهم خير من دين محمد لما أقسم عليهم أبو سفيان أي الدينين خير فاجتمعوا، ثم جاءوا غطفان فكلموهم ووعدوهم بنصف تمر خيبر كل عام فخرجت قريش في أربعة آلاف وعقدت اللواء بدار الندوة وحمله عثمان بن طلحة ومعهم ثلاثمائة فرس وألف وخمسمائة بعير يقودهم أبو سفيان، ووافقهم بنو سليم بمر الظهران في سبعمائة يقودهم سفيان بن عبد شمس وهو أبو أبي الأعور السلمي الذي كان مع معاوية بصفين، وخرجت بنو أسد يقودهم طليحة بن خويلد، وغطفان في فزارة فأوعبت وهم ألف يقودهم عيينة بن حصن، وأشجع وهم أربعمائة يقودهم مسعود بن رخيلة، وبنو مرة وهم أربعمائة يقودهم الحارث بن عوف، وخرج معهم غيرهم فكانوا عشرة آلاف وهم ثلاثة عساكر وعناج

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٤٧)، وسيرة ابن هشام (٢/٢١٣).
(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٥٠)، وسيرة ابن هشام (٢/٢١٤).

الأمر أي: ملاكه إلى أبي سفيان، فبلغ رسول الله ﷺ فندب المسلمين وشاورهم فأشار سلمان بالخندق ولم يكن من شأن العرب بل من مكائد الفرس، فعسكر بِهم رسول الله إلى سفح سلع وكانوا ثلاثة آلاف واستخلف ابن أم مكتوم ثم خندق على المدينة وعمل فيه بيده بضع عشرة ليلة وقيل أربعًا وعشرين.

وكان فيه من أعلام النبوة قصة الكدية التي شكوها إليه فتفل في ماء ونضحه عليها فعادت كالكثيب لا ترد فيها فأسًا ولا مسحاةً.

وفيها قصة الحفنة التي جاءت بِها بنت بشير بن سعد لأبيها وخالها ابن رواحة فقال لَهَا: هاتيه فصبته في كفه فما ملأه، ثم أمر بثوب فبسط ثم صرخ في أهل الخندق أن هلموا إلى الغداء فصدروا عنه وأنه ليسقط من أطراف الثوب.

وفيها قصة شويهة جابر حين دعا إليها المصطفى وحده فأمر صارخًا فصرخ أن انصرفوا إلى بيت جابر، فسمى الله ثم أكل وتواردها الناس كلما فرغ قوم أكل آخرون حتى صدر أهل الخندق عنها [١].

وفيها قصة سلمان حين غلظت عليه ناحية من الخندق فأخذ المصطفى المعول فضرب به ضربة لمعت تحت المعول برقة ثم أخرى فلمعت أخرى ثم الثالثة برقة ثم أخرى فلمعت أخرى فسأله سلمان فقال: «**أما الأولى ففتح علي بِها اليمن، وأما الثانية فالشام والمغرب، وأما الثالثة فالمشرق**»[٢].

فلما فرغ من الخندق أقبلت قريش فنـــزلت بمجتمع الأسيال وجعل رسول الله ﷺ النساء والذراري في الآطام وجعل ظهر عسكره إلى سلع والخندق بينه وبين عدوه، ولواء المهاجرين بيد زيد بن حارثة والأنصار بيد سعد بن عبادة، فلا زالوا يتناوشون القتال، ثم مشى حيي بن أخطب إلى قريظة ولا زال بكعب بن أسد يفتل في الذروة والغارب وهو يقول له: إنك امرؤ مشئومٌ جئت والله بذل الدهر وجهام قد أهريق ماؤه يرعد ويبرق وليس فيه شيء ويحك ما حيي دعني وما أنا عليه فإني لم أر من محمد إلا صدقًا ووفاء، فلا زال به حتى أعطاه عهدًا أن يدخله في حصنه إذا رجعت قريش وغطفان ولم يصيبوا محمدًا

---

(١) انظر: البخاري (٤١٠١)، ومسلم (٢٠٣٩).

(٢) انظر: سنن النسائي (٣١٧٦).

حتى يصيبه ما أصابه، فنقض كعب العهد وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ فأرسل سعد بن معاذ سيد الأوس وسعد بن عبادة سيد الخزرج وابن رواحة وخوات بن جبير وقال: «**انظروا أحق ما بلغنا عنهم فإن كان حقًّا فالحنوا إليّ لحنًا أعرفه ولا تفتوا في أعضاد الناس، وإن كانوا على الوفاء فاجهروا به للناس**».

فوجدوهم على أخبث ما بلغهم عنهم، وشاتمه أحد السعدين فقال له الآخر: دع هذا فما بيننا وبينهم أربى من المشاتمة، فأتوا المصطفى فقالوا: عضل والقارة أي: غدر وكفر، فقال المصطفى: «**الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين**».

فعند ذلك عظم البلاء واشتد الخوف وأتاهم عدوهم من فوقهم ومن أسفل منهم ونجم النفاق حتى قال قائل: كان محمد يعدنا بكنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليوم لا يأمن أن يذهب إلى الغائط، وأقام الكفار بضعًا وعشرين ليلة لا حرب بينهم إلا الرمي بالنبل والحصا، وأراد نوفل بن عبد الله بن المغيرة أن يوثب فرسه الخندق فوقع وقتله الله، فكبر ذلك على المشركين ودفعوا في جثته ليدفنوه عشرة آلاف فرده إليهم المصطفى وقال: «**إنه خبيث الدية لعنه الله ولعن ديته**»، ولبست فوارس من قريش للقتال منهم عمرو بن عبد ود وعكرمة وضرار بن الخطاب فاقتحموا مضيقًا من الخندق فجالت خيلهم بين الخندق وبين سلع وخرج علي في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الثغرة التي اقتحموا منها فقال عمرو: من يبـــارز؟ فقال علي: أنا، فأعطاه المصطفى سيفه وعممه وقال: «**اللهم أعنه عليه**»، ويُقال: دعاه إلى الإسلام أو البراز فقال: لـــم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك، فقال علي: لكني أحب أن أقتلك، فحمى عمرو عند ذلك فاقتحم عن فرسه فعقره، ثم أقبل على علي فتناولا وتجاولا فقتله علي.

وفي غير هذه الرواية أنه طلب البراز وهو مقنع في الحديد فقال علي: أنا له يا رسول الله فقال: «**اجلس إنه عمرو**» ثم كرر عمرو النداء وجعل يوبخهم ويقول: أين جنتكم التي زعمتم، قال علي: أنا له يا رسول الله، قال: «**اجلس إنه عمرو**» ثم نادى الثالثة فقال علي: أنا له يا رسول الله، وإن كان عمرًا، فأذن له فمشى إليه فقال عمرو: من أنت؟ قال: علي، قال: ابن عبد مناف، قال: ابن أبي طالب، قال: غيرك يا ابن أخي من أعمامك من هو أسن منك فإني أكره أن أهريق دمك، قال: لكني ما أكره أن أهريق دمك، فغضب ونزل وسل سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو علي مغضبًا ثم التقيا فاستقبله

علي بدرقته فضربه عمرو فَقَدَّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجه، وضربه علي ﷺ على حبل عاتقه فسقط وثار العجاج، وسمع المصطفى التكبير فعرف أن عليًا قتله، وكان شعار الصحابة (حم لا ينصرون)، وكانت عائشة في حصن بني حارثة ومعها أم سعد بن معاذ فمر سعد وعليه درعٌ مقلصة وفي يده حربةٌ يرفل بها ويقول:

لبـــث قليـــلاً يشهد الْهَيْجَا حمل   لا بـــأس بالموت إذا حان الأجل

فقالت له أمه: الحق يا بني، فقالت عائشة: يا أم سعد لوددت أن درع سعد كان أسبع مما هي، فرمي بسهم فقطع منه الأكحل رماه به ابن العرقة، وقال: خذها وأنا ابن العرقة، قال: عرق الله وجهك في النار، ثم قال: اللهم إن كنت أبقيت من حرب قريش شيئًا فأبقني لها فإنه لا قوم أحب إلي أن أجاهدهم من قوم كذبوا رسولك وأخرجوه، اللهم إن كنت قد وضعت الحرب بيننا وبينهم فاجعلها لي شهادة ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة، وشغل رسول الله ﷺ عن العصرين والعشاءين فأقام لكل صلاة إقامة وقال: «**شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله قبورهم نارًا**»[1]. ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعًا.

ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أسلمتُ ولـــم يعلم قومي بإسلامي فمرني بما شئت قال: «**إنما أنت فينا رجل واحد فخذ عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة**».

فأتى بني قريظة وكان لهم نديمًا فقال: قد عرفتم ودي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم قالوا: صدقت، قال: إن قريشًا وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم وبه مالكم ونساؤكم وأبناؤكم لا تقدرون أن تتحولوا منه، وقريش وغطفان بلدهم ونساءهم بغيره فإن رأوا نهزة أصابوها وإلا لحقوا ببلادهم وخلوا بينكم وبين الرجل ولا طاقة لكم به إن خلا بكم، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهنًا من أشرافهم قالوا: أشرت بالرأي.

ثم أتى قريشًا فقال لأبي سفيان ومن معه: عرفتم ودي لكم وقد بلغني أمر رأيت أن أبلغكموه نصحًا لكم فاكتموا، تعلمون أن معشر يهود ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد وأرسلوا إليه إنا ندمنا أفيرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان رجالاً من أشرافهم فنعطيكهم فنضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم، فلا تدفعوا لليهود رجلاً

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣١)، ومسلم (٦٢٧) من حديث عليٍّ ﷺ.

واحدًا، ثم أتى غطفان فقال: إنكم أصلي وعشيرتي ولا أراكم تتهموني، ثم ذكر مثل ما قال لقريش وحذرهم، فأرسل أبو سفيان ورءوس غطفان إلى بني قريظة: إنا لسنا بدار مُقام هلك الخف والحافر فأعدوا للقتال لنناجز محمدًا قالوا: اليوم السبت ولا نعمل فيه ومع ذلك لا نقاتل حتى تعطونا رهنًا من رجالكم فإنا نخشى إن أضرمتم الحرب أن تشمروا إلى بلادكم وتتركونا والرجل ببلادنا ولا طاقة لنا به، فقالوا: صَدقنا نعيم فردوا إليهم: لا نعطيكم من رجالنا أبدًا فاخرجوا معنا وإلا فلا عهد بيننا وبينكم، فقال بنو قريظة: صَدَقَ نعيم، وخذل الله بينهم وبعث الله ريحًا عاصفًا فجعلت تقلب آنيتهم وتكفئ قدورهم ليلاً، فلما وصل إلى رسول الله ﷺ اختلافهم بعث حذيفة بن اليمان ليلاً ليأتيه بخبرهم فشق عليه ذلك حتى قال المصطفى: «**قم يحفظك الله من أمامك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك حتى ترجع إلينا**».

فأتاهم واستتر في غمارهم وسمع أبا سفيان يقول: ليتعرف كل منكم جليسه قال حذيفة: فأخذت بيد جليسي فقلت: من أنت؟ قال: فلان، ثم قال أبو سفيان: يا معشر قريش ما أصبحتم بدار مُقام وقد هلك الكراع والخف وأخلفتنا بنو قريظة وبلغنا عنهم ما نكره ولقينا من هذه الريح ما ترون لا يثبت لنا قِدْرٌ ولا تقوم لنا نار فارتحلوا فإني مرتحل، ووثب على جمله فما حلَّ عقاله إلا وهو قائم، قال حذيفة: ولولا عهد رسول الله ﷺ إليَّ أن لا أحدث شيئًا لقتلته بسهم، ثم أتيته فوجدته قائمًا يصلي فأدخلني إلى رحله وطرح علي المرط فأخبرته لما سلم فحمد الله؛ وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين.

وأقام المصطفى بالخندق أربعة أو خمسة عشر يومًا ورجع إلى المدينة لسبع بقين من ذي القعدة وقال: «**لن يغزوكم قريش بعد عامهم هذا ولكنكم تغزونهم**» فكان كذلك.

قُرَيْظَةٌ لِحَيَانُ ثُمَّ ذُو قَرَدْ ثُمَّ المُرَيْسِيعُ على القَوْلِ الأَسَدْ

السابعة عشرة غزوة بني قريظة[1]: بضم القاف وفتح الراء وبعد التحتية الساكنة ظاء معجمة، وكان من خبرهم أن المصطفى لما انصرف من الخندق إلى بيته وأصحابه وقد غمهم الحصار فوضعوا السلاح فأتاهم جبريل فقال: غفر الله لك إن الملائكة لم تضع

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٥٧/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٣٣/٢).

السلاح بعد، وإن الله يأمرك بالمسير إلى بني قريظة فإني عامد إليهم فمزلزل بِهم، فأذَّن بلال في الناس: (من كان سامعًا مطيعًا فلا يصلين العصر إلا ببني قريظة)، وسار إليهم في ثلاثة آلاف يوم الأربعاء لسبع بقين من ذي القعدة، وقدم عليًّا برايته إليهم فابتدرهم الناس فسار حتى دنا من الحصون فقال: يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته، قالوا: يا أبا القاسم فما كنت جهولاً، وتلاحق الناس وحاصرهم خمسًا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار، وكان حيي بن أخطب دخل معهم حصنهم وفاءً بما عاهد عليه كعب ابن أسد، فلمّا أيقنوا بأن المصطفى مناجزهم أشار عليهم باتباعه لأنه النبي الذي يجدونه في كتابهم فيأمنون على دمائهم وأموالـــهم فأبوا وقالوا: لا نفارق حكم التوراة، قال: فإذا أبيتم على هذه فهلم نقتل أبناءنا ونساءنا ونخرج إليهم لئلا يكون وراءنا ما نخاف عليه فأبوا وقالوا: لا خير في العيش بعدهم.

فقال: الليلة ليلة السبت وهم آمنون نخرج إليهم لنصيب منهم غرة فأبوا وقالوا: لا نحدث في سبتنا ما لـــم يحدث فيه من قبلنا، ثم طلبوا من المصطفى أبا لبابة ليستشيروه فأرسله فلما رأوه قام إليه الرجال وجمعوا إليه النساء والأطفال يبكون في وجهه فَرَقَّ لـــهم، فقالوا: أترى أن ننـــزل على حكم محمد، قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه إنه الذبح، فقال أبو لبابة: فما زالت قدماي حتى عرفت أني خنت الله ورسوله، ثم انطلق حتى ربط نفسه بسارية في المسجد، وقال: لا أبرح حتى يتوب الله علي، وأقام كذلك تأتيه امرأته فتحله للصلاة ثم تربطه وأقام ست ليال لا يأكلُ ولا يشرب حتى نزلت توبته، ولمّا بلغ المصطفى قال: «**لو جاءني استغفرت له لكن حيث فعل يصبر حتى يتوب الله عليه**» فلما نـــزلت توبته ببيت أم سلمة سمعت رسول الله ﷺ من السحر يضحك قلت: مم تضحك، قال: «**تاب الله على أبي لبابة**»، فقامت على باب حجرتها فقالت: أبشر يا أبا لبابة فقد تاب الله عليك فثار الناس يبشرونه وأرادوا إطلاقه فأبى إلا أن يحله المصطفى فحله لـــما خرج للصبح.

ثم نزلوا على حكم رسول الله ﷺ فتواثب الأوس فقالوا: يا رسول الله إنهم موالينا دون الخزرج وقد فعلت قريش في موالي إخواننا بالأمس ما علمت يعنون بني قينقاع حيث وهبهم لعبد الله بن أبيّ لما سأله فيهم فقال المصطفى: «**ألا ترضون أن يحكم فيهم رجل منكم سعد بن معاذ**» وكان جعله في خيمة بالمسجد ليعوده من قرب فأتاهُ قومه فحملوه على حمار ووطئووا له بوسادة من أدم وكان جسيمًا ثم أقبلوا معه إلى رسول الله ﷺ وهم

. يقولون: أحسن في مواليك فإن رسول الله إنَّما ولاك ذلك لتحسن فيهم، فلما أكثروا قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم، فرجع بعض من معه إلى بني عبد الأشهل يبتغي رجال قريظة قبل أن يصل إليهم سعد لما سمع ذلك، فلما انتهى سعد إليهم قال المصطفى: «**قوموا إلى سيدكم**» فقاموا إليه وقالوا: قد ولاك أمر مواليك لتحكم فيهم، فقال سعد: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيكم ما حكمت، قالوا: نعم، قال: وعلى من هنا في الناحية التي فيها المصطفى وهو معرض عنه إجلالاً له فقال المصطفى: «**نعم**»، قال: فإني أحكم فيكم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسبى النساء والأطفال، وفي بعض الطرق أنه حكم بالديار للمهاجرين، فقال الأنصار: إخواننا كنا معهم، قال: أردت أن يكتفوا عنكم فقال المصطفى: «**حكمتَ بحكم الله من فوق سبعة أرقعة**»[1].

وقيل: إن عليًا لـمَّا حمل على الحصن والزبير وقال: والله لأذوقن ما ذاق حمزة أو لأفتحن الحصن، فقالوا: ننزل على حكم سعد فخندق لهم موضعًا هو سوق المدينة اليوم وخرج بِهم أرسالاً فضربت أعناقهم في تلك الخنادق، وأتي بحيي بن أخطب فضربت عنقه، وكانت ستمائة أو ثمانمائة، ووجدوا فيها ألفين وخمسمائة سيف وثلاثمائة درع وألفي رمح وخمسمائة ترس، ثم خمست الغنائم ثم قسمت للفارس ثلاثة أسهم وللراجل سهم وهو أول فيء وقعت فيه السهمان وخمس وعلى سنته مضت قسمة الغنائم، وأسلم تلك الليلة ثعلبة بن سعية بالتحتية وقيل: بالنون، وأسيد بفتح الهمزة بن سعية وأسيد بن عبيد وهم من هدل لا من قريظة ولا من النضير فأحرزوا دمائهم وأموالهم، وضربت رقبة امرأة من قريظة وهي التي طرحت الرحا على خلاد بن سويد فقتلته، فلما انقضى شأنهم انفجر لسعد ابن معاذ جرحه فمات واهتز العرش فرحًا بصعود روحه[2]، وفيه قيل:

وما اهتز عرش الرحمن من موت هالك ... سَمعنـا بـه إلا لسعد أبي عمرو

ونزلت سورة الأحزاب في شأن الخندق وبني قريظة، وكان الزَّبير -بفتح الزاي- ابن باطا قد منَّ على ثابت بن قيس في الجاهلية فجاءه ثابت فقال: أتعرفني، قال: وهل يجهل مثلي مثلك، قال: أردتُ أن أجازيكَ بيدك عندي، قال: إن الكريم يجزي الكريم، ثم

(١) انظر: البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) من حديث جابر بن عبد الله -رضي الله عنهما-.

ذكر ذلك ثابت للمصطفى فوهبه له فأتاهُ فأخبره فقال: شيخ كبير لا أهل له ولا ولد فما يصنعُ بالحياة، فاستوهبَ ثابت من المصطفى امرأته فوهبه فأخبره فقال: أهل بيت بالحجاز لا مال لهم فما بقاؤهم، فوهب رسول الله ﷺ لثابت ماله فأخبره فقال: ما فعل الذي كان وجهه مرآة مضيئة تتراءى فيها عذارى الحي كعب بن أسد، قال: قتل، قال: فما فعل سيد الحاضر والبادي حيي بن أخطب، قال: قتل، قال: فما فعل مقدمتنا إذا شددنا وحاميتنا إذا فررنا عزال بن سموال، قال: قتل، قال: فما فعل المجلسان يعني بني كعب بن قريظة وبني عمرو بن قريظة، قال: قتلوا، قال: فإني أسألكَ بيدي عنك إلا ألحقتني بالقوم فما في العيش بعدهم من خير فقدمه فضرب عنقه، وبعث رسول الله ﷺ سعد بن زيد الأنصاري بسبايا من بني قريظة إلى نجد فابتاع بِهم خيلاً وسلاحًا، واصطفى المصطفى لنفسه من نسائِهم ريحانة بنت زيد وكانت في ملكه حتى مات عنها فاختارت بقاءها في ملكه على العتق والنكاح وقالت: هو أخف علي وعليك وقد توقفت في الإسلام، فوجد في نفسه من ذلك وعزلها فبينا هو مع صحبه إذ سمع صوت نعلين خلفه فقال: «**إن هذا لثعلبة يبشرني بإسلام رَيْحَانة**»[1]، فكان كذلك، فلما أسلمت سُرَّ بذلك.

الثامنة عشرة غزوة بـــني لحيان[2]: بكسر اللام وفتحها، أرخها ابن سعد في ربيع الأول سنة ست، وابن إسحاق في جمادى الأولى على رأس ستة أشهر من فتح بني قريظة، وذلك أن المصطفى وجد على أهل الرجيع خبيب بن عدي وعاصم بن ثابت وأصحابِهما المقتولين بالرجيع وجدًا شديدًا، فأظهرَ أنه يريد الشام ليصيب من القوم غرةً وخرج في مائتي راكب حتى انتهى إلى منازلــهم بقرب عسفان فوجدهم حذروا وتمنعوا في رءوس الجبال فلم يقدر منهم على أحد، فلما أخطأه من غرتهم ما أراد قال: «**لو أنا هبطنا عسفان لرأى أهل مكة أنا قد جئنا مكة**» فجاء حتى نزل عسفان، ثم بعث أبا بكر في عشرة فوارس حتى بلغوا كراع الغميم ثم كروا فلم يلقوا أحدًا، وراح رسول الله ﷺ قافلاً إلى المدينة بعد غيبته أربعة عشر ليلة فسمعه جابر وهو يقول: «**آيبون تائبون لربنا حامدون، أعوذ بالله من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر في الأهل والمال**»[3].

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (١٠٣/٢)، وسيرة ابن هشام (٢٠٦/٤).

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٦٠/٢)، والسيرة النبوية لابن هشام (٢٧٩/٢)، وتاريخ الطبري (١٠٥/٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٠٨٥) من حديث أنس ﷺ.

التاسعة عشرة غزوة ذي قَرَد[1]: بفتح القاف والراء وحكى السهيلي ضمهما، على بريد من المدينة في طريق الشام، وذلك أن المصطفى لما قدم من بني لحيان لم يقم إلا ليالي قلائل حتى أغار عيينة بن حصن في أربعين فارسًا من غطفان على لقاح المصطفى بالغابة وكانت عشرين وفيها أبو ذر ورجل من غفار وامرأته فقتلوا الرجل وأخذوا المرأة واللقاح.

وكان أول من نذر بكسر المعجمة أي: علم بهم سلمة بن الأكوع غدا يريد الغابة متوشحًا قَوسه، وسيفه، ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى خيولهم فصرخ: واصباحاه وهي كلمة يقولها المستغيث، ثم خرج يشتد في آثار القوم وكان كالسبع حتى لحقهم فجعل يرميهم بالنبل ويقول إذا رمى:

خذها وأنا ابن الأكوع   واليوم يوم الرضع[2]

أي: يوم هلاك الرضع وهم اللئام، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هاربًا ثم عارضهم فإذا أمكنه الرمي رمى وقال: خذها وأنا ابن الأكوع إلخ.. فيقول قائلهم: أويكعنا هو أول النهار؛ بلغ رسول الله ﷺ صياح ابن الأكوع فصرخ بالمدينة: «**الفزع يا خيل الله اركبي**» وخرج مقنعًا بالحديد فترامت الخيل إليه فكان أول من انتهى إليه من الفرسان المقداد بن الأسود، ثم عباد بن بشر، ثم سعد بن زيد الأشهليان، وفرسان، فلما اجتمعوا أمر عليهم سعد بن زيد هذا هو الأصح وقيل: المقداد، وقال: اخرج في طلبهم حتى ألحقك بالناس، وقال لأبي عياش الزرقي: لو أعطيت هذا الفرس أفرس منك يلحق، فقال: أنا أفرس الناس فضرب فما جرى سوى خمسين ذراعًا حتى طرحه، فعجب فأعطاهُ غيره، وكان أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة ويُقال له: قمير فقتل ولم يقتل من المسلمين غيره، وقيل: قتل معه وقاص المدلجي، ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة حبيب بن عيينة بن حصن وغشاه ببردته، وقال الدمياطي: إنما قتله المقداد، وقتل أبو قتادة مسعدة الفزاري رئيس المسلمين؛ ثم أقبل رسول الله ﷺ في المسلمين فلما رأوا القتيل مغشى بالبردة استرجع الناس وقالوا: قتل أبو قتادة، فقال المصطفى: «**ليس به لكنه قتيل له وضع عليه بردته لتعلموا أنه صاحبه**».

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٦٢/٢)، وتاريخ الطبري (١٠٥/٢).

(٢) انظر: البخاري (٤١٩٤)، ومسلم (١٨٠٦).

وأدرك عكاشة بن محصن أوبارًا وسماه ابن سعد أوثارًا بمثلثة وابن عائذ إبارًا -بكسر الهمزة- وابنه عمرو بن أوبار على بعير فانتظمهما بالرمح فقتلهما واستنقذوا بعض اللقاح، وفي صحيح مسلم[1] جميعها، وفيه عن سلمة بن الأكوع أنه طردهم وقال: ما زلت أرميهم فأعقرهم فإذا رجع إليّ فارس أتيت شجرة فجلست فيها ثم رميته فعقرت به، حتى إذا تضايق الجبل رميتهم بالحجارة فما زلتُ كذلك أتبعهم حتى ما خلق الله من بعير من ظهور رسول الله ﷺ إلا خلفته وراء ظهري، ثم أتبعهم أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين بردة يستخفون فما برحت مكاني حتى رأيت فوارس رسول الله أولهم الأخرم الأسدي على إثره أبو قتادة الأنصاري وعلى إثره المقداد فأخذت بعنان الأخرم فقلت: احذرهم لا يقتطعونك حتى يلحقك الناس، فقال: إن كنت تؤمن بالله وتعلم أن الجنة والنار حق فلا تحل بيني وبين الشهادة، فالتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة بن حصن فنفر بعبد الرحمن فرسه وطعنه عبد الرحمن فقتله، وتحول على فرسه فلحق أبو قتادة بعبد الرحمن فطعنه، وسار المصطفى حتى نزل بالجبل من ذي قرد.

قال سلمة: فجئته وهو على الماء وإذا بلال قد نحر ناقة ويشوي للمصطفى من كبدها وسنامها، فقلتُ: يا رسول الله خلني انتخب من القوم مائة فأتبع القوم فلا يبقى منهم مخبرٌ إلا قتلته، فضحك حتى بدت نواجذه في ضوء النهار وقال: «**أتراك كنت فاعلاً**» قلت: نعم والذي أكرمك بالنبوة، قال: «**إنهم الآن يقرون بأرض غطفان**» وأقام يومًا وليلة يتجسس الخبر وصلى بهم صلاة الخوف وقسم في كل مائة من صحبه جزورًا ينحرونها وكانوا خمسمائة وقيل: سبعمائة، واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم وخلّف سعد ابن عبادة في ثلاثمائة يحرسون المدينة وبعث إلى رسول الله ﷺ بأحمال التمر وعشر جزائر فوافته بذي قرد وقال المصطفى: «**خير فرساننا اليوم أبو قتادة وخير رَجَّالَتِنا سلمة**»[2].

ورجع قافلاً وأردفَ سلمة خلفه على العضباء، وأقبلت امرأة الغفاري على ناقة من إبل المصطفى فأخبرته الخبر وأنّها نذرت إن نجاها الله عليها أن تنحرها فتبسم وقال: «**بئسما جزيتيها**»، وأخبرها بأنه لا نذر في معصية ولا فيما لا تملك، وأخذ ناقته وقال: «**ارجعي إلى أهلك**»[3].

---

(١) أخرجه مسلم (١٨٠٦).
(٢) انظر: صحيح مسلم (١٨٠٧).
(٣) انظر: صحيح مسلم (١٦٤١).

وذكر الزبير هنا معجزة وهو أن المصطفى نزل في هذه الغزوة على ماء فسأل عن اسمه فقيل: بيسان وهو مالح، فقال: «**بل هو نعمان وهو طيب**» فغير رسول الله الاسم وغير الله الماء فاشتراه طلحة بن عبيد الله ثم تصدق به، وقال المصطفى: «**ما أنت يا طلحة إلا فياض**» فسمي طلحة الفياض.

العشرون غزوة المريسيع وهي غزوة بني المصطلق[1]: والمريسيع ماء لخزاعة من قولهم: رسعت عين الرجل إذا دمعت من الفساد، والمصطلق مفتعل من الصلق وهو: رفع الصوت، بينها وبين الفرع نحو يوم وبين الفرع والمدينة ثمانية برد، وهم بنو جذيمة بن سعد بطنٌ من خزاعة.

وسببها أن رئيسهم الحارث بن أبي ضرار سار في قومه ومن أمكنه من العرب فدعاهم إلى حرب المصطفى فأجابوه وتهيئوا للمسير معه، فبعث المصطفى بريدة بن الحصيب يعلم علم ذلك فلقي الحارث بن أبي ضرار وكلمه ورجع إلى المصطفى فأخبره، فأسرع الخروج إليهم وخرج معهم نفر كثير من المنافقين لم يخرجوا في غزوة قبلها، واستخلف على المدينة زيد بن حارثة وكان معه فرسان لزاز والظرب، وبلغ الحارث ومن معه سيره فخافوا وتفرق من معهم، وانتهى المصطفى إلى المريسيع وهو الماء فضرب عليه قبته ومعه عائشة وأم سلمة، فتأهبوا للقتال وصف الرسول أصحابه ودفع راية المهاجرين لأبي بكر والأنصار لسعد بن عبادة فتراموا بالنبل ساعة ثم أمر أصحابه فحملوا حملة رجل واحد فما أفلت منهم إنسان.

وقتل عشرة منهم وأسر بقيتهم وسبي الرجال والنساء والذرية والنعم والشاء، و لم يقتل من المسلمين إلا رجل واحد فاحتبسوا على طلب الماء فنزلت آية التيمم، وغاب المصطفى ثمانية وعشرين يومًا، وكان شعار المسلمين يومئذ: يا منصور أمت أمت، وأصاب يومئذ رجل من الأنصار مسلمًا من بني كلب فقتله ظانًّا أنه من العدو، وازدحم في الواردة جهجاه الغفاري أجير لعمر وسنان بن وبر حليف الخزرج فاقتتلا فصرخ أحدهما: يا معشر الأنصار، والآخر يا معشر المهاجرين، فغضب ابن أبيّ رأس المنافقين وقال: أوَ قَد فعلوها نافرونا وكاثرونا في بلادنا ما أحدنا وجلابيب قريش هؤلاء إلا كما قال الأول: «سمن كلبك يأكلك» لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، ثم أقبل

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٢٨٩).

على من حضره من قومه وفيهم زيد بن الأرقم ذو الأذن الواعية غلام حدثٌ فقال: هذا ما فعلتم بأنفسكم أحللتموهم بلادكم وقاسمتموهم أموالكم، أما لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم، فمشى زيد إلى المصطفى فأخبره فقال عمر: مر به عباد ابن بشر فليقتله، قال: «**كيف إذا تحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه**»[1].

لكن أذّن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن ليرتحل فيها، ومشى ابن أبيّ إلى المصطفى فحلف ما قلت وكان في قومه شريفًا عظيمًا فقال من حضر من الأنصار: عسى أن يكون الغلام أوهم في حديثه حدبًا على ابن أبيّ ودفعًا عنه، وجاء أسيد بن حضير فحيى رسول الله ﷺ بتحية النبوة وقال: يا نبي الله رحت في ساعة منكرة ما كنت تروح في مثلها قال: «**أما سمعت ما قال صاحبكم زعم أنه إذا رجع إلى المدينة أخرج الأعز الأذل**»، قال: أنت تُخرجه إن شئت هو والله الذليل وأنت العزيز ثم قال: ارفق به صلى الله عليك فوالله لقد جاءنا الله بك وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه فإنه ليرى أن قد استلبته ملكًا، ثم مشى رسول الله ﷺ بالناس وسار بهم يومَهم وليلتهم فأصبحوا سائرين حتى آذتهم الشمس فهبت ريح شديدة وخافوها، فأخبر المصطفى أنّها لموت عظيم من الكفار فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة بن زيد من عظماء يهود بني قينقاع وكان كهفًا للمنافقين قد مات.

ونزلت سورة المنافقين التي فيها ابن أبيّ ومن على مثل أمره، فأخذ المصطفى بأذن زيد بن أرقم فقال: «**هذا الذي أوفى الله بأذنه**» وبلغ عبد الله بن عبد الله بن أبيّ فأتى وقال: يا رسول الله بلغني أنك تريدُ قتل أبي فيما بلغك عنه فإن كنت فاعلاً فمرني أحمل إليك رأسه فلقد علمت الخزرج ما بها أبر بوالده مني إني أخشى أن تأمر غيري فيقتله فلا تدعني نفسي أنظر إلى قاتله يمشي في الناس فأقتله فأقتل مؤمنًا بكافر فأدخل النار، فقال: «**بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقي معنا**» فلما أراد دخول المدينة وقف عبد الله لأبيه وقال: لا تدخلها حتى تقرَّ أنك الذليل ورسول الله ﷺ العزيز ويأذن لك رسول الله ﷺ في الدخول، فأذن فدخل فجعل بعد ذلك إذا أحدث أمرًا كان قومه الذين يعاتبونه ويعنفونه، فقال المصطفى حين بلغه ذلك من شأنهم لعمر: «**أما والله لو قتلته يوم قلت لي أقتله لأرعدت له أنف**» فقال عمر: قد علمت ولأمر رسول الله أعظم بركة.

---

(١) انظر: البخاري (٤٩٠٤، ٤٩٠٥)، ومسلم (٢٥٨٤، ٢٧٧٢).

وفيها سئل عن العزل فقال: «**ما عليكم أن لا تعزلوا ما من نسمة كائنة إلا وهي كائنة**»[١] ثُمَّ أمر بالأسارى فكتفوا واستعمل عليهم بريدة، وجمعت الغنائم واستعمل عليها شقران مولاه، وجمع الذرية ناحيته، وكانت الإبل ألفين والشاء خمسة آلاف والسبي مائتين.

وفي هذه الغزوة كـــان حديث الإفك[٢] في حق أم المؤمنين الحصان الرزان عائشـــة -رضي الله عنها-، وأصله أن المصطفى لما قرب إلى المدينة نزل منـــزلاً بات فيه بعض الليل ثم أذن بالرحيل فخرجت عائشة لحاجتها وفي جيدها عقد فيه جزع فانسل ولا تدري، فلما رجعت فقدته فذهبت تطلبه فشدوا هودجها على بعير لا يشكّون أنها فيه، وانطلقوا فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب فتلففت بجلبابها واضطجعت إذ مر صفوان بن المعطل السلمي فوقف عليها فقال: إنا لله ظعينة رسول الله، ولم تكلمه فقرب بعيره فقال: اركبي فركبته وأخذ برأسه فما أدرك العسكر حتى نزلوا فقال أهل الإفك ما قالوا.

وارتج العسكر وهي لا تعلم بشيء، فلما قدموا المدينة شكت وانتهى الخبر إلى رسول الله ﷺ وأبويها وأنكرت من المصطفى ما كانت تعهده من لطفه بها، وكان إذا دخل يقول: «**كيف تيكم**» ولا يزيد، فاستأذنته أن تمرض عند أمها فأذن، فلما نقهت بعد عشرين يومًا خرجت لحاجتها ومعها أم مسطح فعثرت في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقالت عائشة: بئس لعمر الله ما قلت، قالت: أو ما بلغك الخبر، فأخبرتها بما قال أهل الإفك، فما زالت تبكي حتى كاد البكاء يصدع كبدها فقالت أمها: أي بنية خففي عنك فقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها ولـــها ضرائر إلا أكثرن القول فيها.

وخطب رسول الله ﷺ الناس فحمد الله وقال: «**يا أيها الناس ما بال رجال يؤذونـــي في أهلي ويقولون غير الحق والله ما علمتُ عليهم إلا خيرًا ويقولون ذلك لرجل ما علمت منه إلا خيرًا وما يدخلُ بيتًا من بيوتي إلا وهو معي**»، وكان كبر ذلك عند عبد الله بن أبيّ في رجال من الخزرج مع الذي قال مسطح وحمنة بنت جحش لمكان أختها

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٣٨)، ومسلم (١٤٣٨).

(٢) انظر القصة في: البخاري (٢٦٦١) وغير موضع، ومسلم (٢٧٧٠).

عند رسول الله ﷺ فقال أسيد بن حضير: يا رسول الله إن يكونوا من الأوس نكفكهم أو من إخواننا الخزرج فمرنا بأمرك فإنهم لأهلٌ لأن تضرب أعناقهم، فقام سعد بن عبادة فكانت بينهما مقاولة حتى كاد يكون بين الحيّين شر، هذا هو الصحيح لا ما ذُكِرَ أنه سعد بن معاذ فإنه كان مات.

ونزل المصطفى فدعا عليًّا وأسامة فاستشارهما فأثنى أسامة خيرًا وقال: هذا كذبٌ وباطل، وقال علي: النساء كثير وسل الجارية فإنها تصدقك، فدعا المصطفى بريرة وقام علي يضربها ضربًا شديدًا ويقول: اصدقي رسول الله فتقول: لا أعلمُ إلا خيرًا ولا أعيب عليها إلا أني كنت أعجنُ عجيني فآمرها أن تحفظه فتنام فتأتي الداجن فتأكله، ثم دخل رسول الله ﷺ عليها فقال: «**يا عائشة إن كنت ألممت بذنب فتوبي إلى الله فإنه يقبل التوبة عن عباده**».

قالت: فما هو إلا أن قال ذلك وقلص دمعي وانتظرت أبوي أن يجيبا فلم يتكلما، وايْمُ الله لأنا كنت أحقر في نفسي من أنْ يُنـــزل الله فيَّ قرآنًا يُقرأ به ويصلى به، وكنتُ أرجو أن يرى المصطفى في منامه ما فيه براءتي، وما أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبي بكر في تلك الأيام، فما برح رسول الله مجلسه حتى تغشاه ما كان يتغشاه فسجي بثوبه، ثم سرى عنه فجلس وأنه ليتحدر منه مثل الجمان في يوم شات فجعل يمسح العرق ويقول: «**أبشري يا عائشة قد أنزل الله براءتك**»، قلت: بحمد الله لا بحمد أحد غيره.

وفي الطبراني[1] أن أبا بكر دخل وعندها رسول الله ﷺ فقال: ما تنتظر بِهذه التي خانتك وفضحتني فما كان غير يسير حتى نزل الوحي وجاء عذرها من السماء، ثم خرج إلى الناس فخطبهم وتلا عليهم ما نزل من القرآن، ثم أمر بمسطح وحمنة وحسان بن ثابت وكان ممن أفصح بالفاحشة فحدوا، ولـــما نزلت الآيات حلف أبو بكر أن لا يُنفق على مسطح ولا ينفعه أبدًا فأنزل الله: ﴿**وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُم**﴾ [النور: ٢٢] الآية فرجع إليه نفقته، ثم ظهر أن ابن المعطل كان حصورًا لا يأتي النساء ومات شهيدًا. انتهى.

ثم هذا القول من كون قريظة بعد الخندق ثم لحيان ثم ذو قرد ثم المريسيع، هو القول الأقوى الأسد الأصح من أقوال أهل السير، ووراء ذلك أقوال أخر لا يليق إيرادها بِهذا المجموع الموجز المختصر.

---

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٧١/٦).

ثُمَّ تَلِيهَا عُمْرَةُ الحُدَيْبِيَهْ فَخَيْبَرٌ فَعُمْرَةُ القَضِيَّهْ

الحادية والعشرون عمرة الحديبية(١): وهي تلي المصطلق عدها بعضهم من الغزوات، خرج إليها في ذي القعدة سنة ست معتمرًا لا يريد حربًا واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادي وهو يخشى من قريش أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت، فخرج بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق بهم من العرب وساق الهدي وأحرم بالعمرة ليأمن الناس في حربه وليعلم الناس أنه خرج زائرًا للبيت معظمًا له، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي فقال: قريش سمعت بك فخرجوا معهم العوذ المطافل قد لبسوا جلود النمور ونزلوا بذي طوى وتعاهدوا أن لا تدخلها عليهم أبدًا، وهذا خالد ابن الوليد في خيلهم قدموها إلى كراع الغميم، فقال المصطفى: «**يا ويح قريش قد أكلتهم الحرب ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين العرب فإن أصابوني كان الذي أرادوا وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين أو قاتلوا وبهم قوة، فما تطلب قريش فوالله لا زلت أجاهد على ما بعثت به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة**»(٢).

فسار حتى إذا سلك ثنية المراد بركت ناقته فقالت الناس خلأت فقال: «**ما خلأت وما هو لها بخلق لكن حبسها حابس الفيل عن مكة لا تدعوني قريش اليوم إلى خطة يسألونني فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها**»(٣).

فلما اطمأن أتاه بديل بن ورقاء في رجال من خزاعة فسألوه ما جاء به، فأخبرهم أنه لم يأت لحرب بل زائرًا فرجعوا لقريش فقالوا: إنكم تعجلون على محمد إنه لم يأت لقتال فاتهموهم وجبهوهم وقالوا: وإن كان لا يريدُ قتالاً لا يدخلها عنوة أبدًا، ثم بعثوا إليه بكرز بن حفص أخي بني عامر فلما رآه مقبلاً قال: «**هذا رجل غادر**» فكلمه فقال له نحوًا مما قاله لبديل فرجع إلى قريش فأخبرهم، ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان سيد الأحابيش فلما رآه قال: «**هذا من قوم يتباهون فابعثوا الهدي في وجهه ليراه**» فلما رآه في قلائده رجع إلى قريش و لم يصل إلى المصطفى إعظامًا لما رأى فقال لهم ذلك فقالوا

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٧٢)، وسيرة ابن هشام (٢/٣٠٨)، وتاريخ الطبري (٢/١١٥).

(٢) انظر: مسند أحمد (١٨٤٣١).

(٣) انظر: صحيح البخاري (٢٧٣٤).

له: اجلس إنما أنت أعربي لا علم لك، فغضب فقال: ما على هذا حالفناكم ولا عليه عاهدناكم أيصد عن بيت الله من جاء معظمًا له والذي نفسي بيده لتخلن بين محمد وبين ما جاء به أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد فقالوا: كف عنا حتى نأخذ لأنفسنا ما ترضى به.

ثم بعثوا عروة بن مسعود الثقفي فأتاه فقال: يا محمد جمعت أوباش الناس ثم جئت إلى بيضتك لتفضها بهم إنها قريش لبسوا جلود النمور متعاهدين لا تدخلها عنوة أبدًا، وأيم الله كأني بهؤلاء قد انكشفوا عنك فرد عليه أبو بكر وقال: أنحنُ ننكشف عنه، ثم جعل عروة يتناول لحية المصطفى وهو يكلمه والمغيرة بن شعبة واقف على رأسه في الحديد فجعل يقرع يده ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا نصل إليك فيقول عروة: ما أفظك وأغلظك، فتبسم المصطفى فقال: من هذا يا محمد قال: «**ابن أخيك المغيرة**»، قال: أي غدر وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس يريد أن المغيرة كان قد قتل قبل إسلامه ثلاثة عشر رجلاً من ثقيف فتهايج الحيان من ثقيف رهط المقتولين والأحلاف رهط المغيرة فودي عروة المقتولين ثلاث عشرة دية وأصلح الأمر، وكلم رسول الله ﷺ عروة بنحو ما كلم أصحابه فقام من عنده وقد رأى ما يصنع به أصحابه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه ولا يبصق بصاقًا إلا ابتدروه ولا تسقطُ منه شعرة إلا أخذوها، فرجع فقال: يا معشر قريش جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه فما رأيتُ ملكًا قط كمحمد في أصحابه.

رأيتُ قـــومًا لا يسلمونه أبدًا فرُوا رأيكم، ودعـــا رسول الله ﷺ خراش بن أمية الخزاعي فحمله على بعير وبعثه لقريش يبلغ أشرافهم ما جاء به، فعقروا بعيره وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش، وبعث قريش خمسين رجلاً طافوا بالعسكر ليصيبوا منهم أحدًا فأخذوا فخلى المصطفى سبيلهم، ثم دعا عمر ليبعثه إلى مكة فقال: أخاف قريشًا على نفسي وليس بمكة من بني عدي أحد يمنعني وقد عرفت قريشًا عداوتي إياها وغلظتي عليها، وأدلك على رجل أعز بها مني عثمان، فبعثه فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة فجعله بين يديه ثم أجاره، وقال: أقبل وأدبر ولا تخف بنو سعيد أعزة الحرم.

فأتى عظماء قريش فبلغهم الرسالة فقالوا: إن شئت أن تطوف فطف، قال: ما أفعل حتى يطوف رسول الله، فاحتبسته قريش عندها، فبلغ المصطفى أنه قتل فقال: «**لا نبرحُ**

حتى نناجز القوم» ودعا الناس إلى البيعة فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة فبايعهم على الموت، ثم بان أن قتل عثمان باطل، ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو فلما رآه مقبلاً قال: «**قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا**» فتكلم فأطالَ وتراجعا ثم جرى الصلح على أن يرجع عنهم عامهم، فوثب عمر ﷺ حتى أتى أبا بكر ﷺ فقال: أليس برسول الله؟ قال: بلى قال: ألسنا بالمسلمين وهم بالمشركين؟ قال: بلى، قال: فعلام نعطي الدنية في ديننا، قال: يا عمر الزم غرزه فأنا أشهد أنه رسول الله، قال: وأنا، ثم أتى رسول الله ﷺ وقال له ذلك فقال: «**أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره**» ثم دعا عليًّا، فقال: «**اكتب بسم الله الرحمن الرحيم**» فقال سهيل: لا أعرف الرحمن اكتب باسمك اللهم فقال المصطفى: «**اكتب**» فكتبها ثم قال: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله**» قال: لو شهدنا أنك رسول الله لم نقاتلك اكتب اسمك واسم أبيك قال: «**اكتب هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو**».

واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين على أنه من أتى محمدًا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشًا ممن مع محمد لم يردوه عليه، ومن أحب أن يدخل في عهد محمد دخل، ومن أحب أن يدخل في عهد قريش دخل، فتواثبت خزاعة فقالوا: نحن في عقد محمد، وبنو بكر فقالوا: نحن في عقد قريش وإن ترجع عنا عامك فإذا كان عام قابل خرجنا فدخلتها بصحبك فأقمت بها ثلاثًا معك سلاح الراكب السيوف في القرب لا تدخلها بغيرها، وقد كان الصحابة خرجوا وهم لا يشكون في الفتح لرؤية رآها المصطفى فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع دخلهم أمر عظيم حتى كادوا يهلكون، فقام المصطفى إلى هديه فنحره ثم حلق رأسه وأهدى عامئذ في هداياه جملاً لأبي جهل في أنفه برة من فضة ليغيظ المشركين، فلما رآه الناس نحر وحلق فعلوا كذلك فكان صلح الحديبية فتحًا قريبًا أمن الناس بعضهم بعضًا والتقوا وتفاوضوا الحديث فدخل الإسلام في تلك السنتين مثلما كان فيه قبل أو أكثر بدليل أنه خرج إلى الحديبية في ألف وأربعمائة، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بعامين في عشرة آلاف ونزل في شأن ذلك سورة الفتح بين الحرمين، والقصة فيها طول وفي هذا القدر كفاية.

الثانية والعشرون غزوة خيبر[1]: لما قدم من الحديبية مكث بالمدينة ذي الحجة وبعض المحرم سنة سبع، ثم خرج فيه إلى خيبر غازيًا وهي بلد بينها وبين المدينة ثلاثة أيام، ذات حصون أعظمها يُسمى القموص وهو الذي فتحه علي وخلع بابه فدفع اللواء إلى علي وسار حتى نزل بساحتهم ليلاً فلم يصح لهم تلك الليلة ديك، وكان إذا غزا قومًا لم يغز عليهم حتى يصبح فإن سمع أذانًا أمسك وإلا أغار، فبات فلم يسمع أذانًا فركب فخرج عمال خيبر بمساحيهم ومكاتلهم فلما رأوا الجيش قالوا:

محمد والخميس، سمي الجيش خميسًا لأنه خمسة أقسام: ميمنة وميسرة ومقدمة ومؤخرة، وقلب، ثم أدبروا هرابًا فقال المصطفى: «**الله أكبر خربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين**» وفرَّق الرايات ولم تكن إلا يومئذ وإنَّما كانت الأولوية وكانت رايته سوداء من برد لعائشة، وتحصنوا في الحصون فدنا رسول الله ﷺ يفتتحها حصنًا حصنًا فكان أول حصونِها افتتح حصن ناعم وعنده قتل محمود بن مسلمة ألقيت عليه منه صخرة، ثم القموص حصن ابن أبي الحقيق وأصاب منهم سبايا منهم صفية بنت حيي بن أخطب فاصطفاها لنفسه، وكان بلال هو الذي جاء بِها وبأخرى معها، فمر بِهما على القتلى فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها فقالت لبلال: أنزعت منك الرحمة حين تمر بِهما على قتلى رجالهما، وكانت صفية رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع أن قمرًا وقع في حجرها فذكرته لزوجها فقال: ما هذا إلا أنك تتمنين ملك الحجاز محمد ولطمها.

وعرَّس المصطفى بِها في الطريق في قبة فبات أبو أيوب الأنصاري متوشحًا السيف يحرسه فلما أصبح رآه المصطفى فقال: «**ما لك؟**» قال: خفت عليك من امرأة قتلت أباها وزوجها وقومها وهي حديثة عهد بكفر، وأتي بكنانة بن الربيع وكان عنده كنز ليهود بني النضير فسأله فجحده فقال للزبير بن العوام: عذبه وكان يقدح بزند في صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله لمحمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين فنهاهم عن أكل الحمر الأهلية وعن إتيان الحبالى وقال: «**لا يحل لامرء يؤمن بالله أن يسقي ماءه زرع غيره**».

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٨١)، وفتح الباري (٧/٤٦٣).

ثم انتهى إلى حصنهم الوطيح والسلالم وكانا آخر الحصون افتتاحًا فحاصرهم بضع عشرة ليلة وخرج مرحب من حصنهم قد جمع سلاحه ونادى: من يبارز، ويرتجز:

قد علمت خيبرُ أني مرحب شاكي السلاح بطلٌ مُجرَّب

أطعن أحيانًا وحينًا أضرب إذا الليوث أقبلت تلهب

فقال المصطفى: «**من لهذا؟**»، قال محمد بن مسلمة: أنا، قال: «**قم إليه اللهم أعنه عليه**» فبرز كل منهما لصاحبه فحمل مرحب على محمد فاتقاه بدرقته فرفع سيفه فيها وضربه محمد فقتله، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر وقال: من يبارز، فخرج إليه الزبير فقالت أمه: يقتل ابني يا رسول الله قال: «**بل ابنك يقتله إن شاء الله**» فقتله، ثم اشتد الحصار فقال المصطفى: «**لأعطين الراية غدًا رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح على يديه ليس بفرار**» فدعا عليًّا وهو أرمد فتفل في عينيه ثم قال: «**خذ هذه الراية فامض حتى يفتح الله على يديك**»[1] فخرج يهرول حتى ركزها تحت الحصن فاطلع يهودي فقال: من أنت؟ قال: علي، قال: علوتم وما أنزل على موسى، فخرج إليه أهله فقاتلهم فضربه يهودي فطرح ترسه من يديه فتناول بابًا عند الحصن فتترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه، فاجتمع ثمانية نفر على أن يقلبوا ذلك الباب فما أمكنهم، ثم حاصر أهل الوطيح والسلالم حتى إذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم ففعل، فسمع بذلك أهل فدك فسألوه في ذلك ففعل، فلما نزل أهل خيبر على ذلك سألوه أن يعاملهم في الأموال على النصف فصالحهم عليه على أنَّا إذا شئنا إخراجكم أخرجناكم، فكانت خيبر فيئًا للمسلمين وكانت فدك خالصة للمصطفى لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب.

فلما اطمأن أهدت له زينب امرأة سلام بن مشكم شاة مصلية وسمتها فلاك منها قطعة و لم يسغها ومعه بشر بن البراء فلاك مضغة فأساغها، ثم قال المصطفى: «**إن هذا العظم يخبرني أنه مسموم**»[2] ثم دعا بها فاعترفت وقالت: قلت: إن كان ملِكًا استرحنا منه وإن

(١) أخرجه البخاري (٤٢٠٩)، ومسلم (٢٤٠٧) من حديث سلمة بن الأكوع ﷺ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٥١٢) من حديث أبي هريرة ﷺ وصححه العلامة الألباني -رحمه الله- في فقه السيرة (ص٣٤٧).

كان نبيًّا فستخبره فتجاوز عنها، ومات بشر، واحتجم المصطفى يومئذ على كاهله ثم بقي بعدها ثلاث سنين حتى كان وجعه الذي توفي فيه قال: «**هذا أوان انقطاع أبْهري من ذلك السم**»[1] فكانوا يرون أنه مات شهيدًا مع ما أكرمه الله من النبوة.

ولَمَّا فرغ من خيبر انصرف إلى وادي القرى فحاصر أهله ليالي ثم رجع إلى المدينة.

الثالثة والعشرون غزوة القضية[2]: وتُسمى عمرة القضاء وعمرة الصلح وعمرة الأمن، وذكرت في الغزوات لتضمنها ذكر الصلح مع المسلمين، فخرج في ذي القعدة مستهل الشهر الذي صده فيه المشركون فهي سنة سبع ولم يتخلف ممن شهد الحديبية أحد، فلما سمع به أهل مكة نفرت أشرافهم إلى البوادي كراهة أن ينظروا إليه غيظًا وحنقًا ونفاسة، وتحدث قريش أن محمدًا وصحبه في جهد وشدة وصفوا عند دار الندوة لينظروا إليهم فاضطبع المصطفى بردائه وأخرج عضده اليمنى وقال: «**رحم الله امرءًا أراهم اليوم من نفسه قوةً**» ثم استلم الحجر ثم هرول حتى إذا واراه البيت منهم مشى حتى استلم الركن، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ومشى في سائرها ودخل مكة وابن رواحة يرتجز بين يديه:

خلوا بني الكفار عن سبيله ... خلوا فكل الخير في رسوله

يا رب إني مؤمنٌ بقيله ... أعرف حق الله في قبوله

وكان بعث بين يديه جعفر بن أبي طالب يخطب ميمونة بنت الحارث الهلالية فجعلت أمرها إلى العباس فزوجها منه، ثم قضى نسكه وأقام بمكة ثلاث ليال فلما أصبح الرابع أتاه سهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى وقالا: نناشدك الله والعقد إلا خرجت من أرضنا فقال سعد بن عبادة: كذبتَ ليست بأرضك ولا أرض أبيك لا يخرج إلا راضيًا، قال المصطفى: «**ويحك يا سعد لا تؤذ قومًا زارونا في رحالنا**»، ثم قال: «**وما عليكم لو تركتموني فأعرستُ بين أظهركم وصنعتُ لكم طعامًا**» قالوا: لا حاجة لنا بطعامك اخرج عنا، فأذن بالرحيل وخلف أبا رافع على ميمونة حتى أتاه بِها بسرف وقد لقيت ومن معها عناءً وأذى من سفهاء الكفار وصبيانِهم، فبنى بِها بسرف ثم أدلج فسار حتى قدم المدينة.

---

(١) التخريج السابق نفسه.

(٢) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٩٢)، وفتح الباري (٧/٤٩٩).

فَفَتْحُ مَكَّةَ حُنَيْنٌ وَتَلا غزاةُ طائف تبوكٌ قاتلا
منهَا بتسع أُحدٍ والخَنْدق بَدر بني قريظة المصطلق
خَيْبَرَ والفتح حُنين طائف وقد حَكَوا عن قول بعض السلف
بأنهُ قاتلَ في النَّضير وغَابَة وادي القرى المشهور

الرابعة والعشرون فتح مكة[1]: في رمضان سنة ثَمان، وسبب ذلك نقض قريش بإعانتهم بني بكر الذين دخلوا في عقدهم وعهدهم على خزاعة الذين دخلوا في عهد المصطفى وعقده، فناصروهم سرًا حتى قتلوا منهم رجالاً فجاء عمرو بن سالِم الخزاعي وبديل بن ورقاء إلى المدينة وأخبراه بِمظاهرة قريش بني بكر عليهم وإجابتهم إلى مناصرتهم، ثم قدم أبو سفيان المدينة ليشد العقد ويزيد في المدة فدخل على بنته أم حبيبة فذهب ليجلس على الفراش فطوته فقال: يا بنية أرغبت بي عن هذا الفراش أم رغبت به عني؟ قالت: هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك نجسٌ، فقال: لقد أصابك بعدي شر، ثم خرج فلقي المصطفى فكلمه فلم يرد عليه، فكلم أبا بكر أن يكلم المصطفى فقال: ما أنا بفاعل، فكلم عمر فقال: أنا أشفعُ لكم!! والله لو لم أجد إلا الدرة لجاهدتكم بِها، فدخل على علي وعنده فاطمة وابنها حسن فقال: يا علي أنت أمسّ القوم بي رحمًا جئت في حاجة وذكرها قال: لقد عزم رسول الله على أمر ما نستطيع أن نكلمه، فقال: يا بنت محمد هل لك أن تأمري بنيك هذا فيجير بين الناس فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر قالت: ما بلغ ابني أن يجير، قال: يا أبا الحسن قد اشتد الأمر فانصحني قال: ما أعلم شيئًا يغني عنك لكنك سيد بني كنانة فقم فأجر بين الناس ثم الحق بأرضك، فقام فقال: أيها الناس قد أجرت بين الناس، ثم ركب بعيره وانطلق، فلما قدم مكة أخبرهم قالوا: فهل أجاز لك محمد؟ قال: لا، قالوا: فما يغني عنك ما قلت، قال: ما وجدت غير ذلك.

وأمر المصطفى الناس بالجهاز وأمر أهله أن يجهزوه فدخل أبو بكر على عائشة وهي تحرك تصلح بعض الجهاز، قال: أين ترينه يريد؟ قالت: لا أدري، ثم أعلم الناس أنه قاصد مكة وأمرهم بالجد ثم قال: «**اللهم خذ الأخبار والعيون عن قريش**»، ثم خرج في عشرة آلاف وقيل: في اثني عشر حتى نزل بمر الظهران، وعميت أخباره على قريش فلا يأتيهم

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١٠٢/٢)، وفتح الباري (٥١٩/٧).

عنه خبر، وخرج في تلك الليلة أبو سفيان وحكيم بن حزام يتجسسان الأخبار وكان العباس لقي المصطفى بالطريق مهاجرًا بعياله من مكة إلى المدينة قال العباس: فلما نزل مر الظهران قلت: واصباح قريش إن دخل مكة عنوة قبل أن يستأمنوه إنه لهلاكهم إلى آخر الدهر، فجلس على بغلة رسول الله ﷺ البيضاء وخرج لعله يجد بعض الحطابة تأتي مكة فيخبرهم وإذا هو يسمع كلام أبي سفيان وبديل بن ورقاء خرجا وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول: ما رأيت كالليلة نيرانًا قط، فقال العباس: أبا حنظلة قال: يا أبا الفضل ما لك؟ قلت: هذا رسول الله واصباح قريش، قال: فما الحيلة، قلت: إن ظفر بك ليضربن عنقك فاركب على عجز هذه البغلة لآتي بك رسول الله ﷺ فأستأمنه لك، فركب فجئت به كلما مرَّ بنار قالوا: من هذا؟ فإذا رأوا البغلة قالوا: عم رسول الله على بغلته، حتى مررت بنار عمر فلما رأى أبا سفيان قال: عدو الله الحمد لله الذي أمكن منك بغير عقد ولا عهد، ثم خرج يشتد نَحو رسول الله ﷺ وركضت البغلة فسبقته بما تسبق الدواب الرجل، فدخلت عليه ودخل عمر فقال: هذا أبو سفيان اضرب عنقه، قلت: يا رسول الله إني أجرته، فقال: «**اذهب به إلى رحلك فإذا أصبحت فائتني به**» فغدوت به فلما رآه قال: «**ويحك يا أبا سفيان ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله**»، قال: لقد ظننت أنه لو كان مع الله إلهٌ غيره لقد أغنى شيئًا بعد، قال: «**ألم يأن لك أن تعلم أني رسول الله**» قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمكَ أما هذه ففي نفسي منها شيء حتى الآن فقال له العباس: أسلم قبل أن يضرب عنقك فأسلم، فقال العباس: يا رسول الله إنه رجل يحب الفخر فاجعل له شيئًا قال: «**من دخل دار أبي سفيان فهو آمن، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن، ومن دخل المسجد فهو آمن**» فذهب لينصرف فقال المصطفى: «**يا عباس احبسه بمضيق الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها**» ففعل فمرت به القبائل على راياتها كلما مرت قبيلة قال: يا عباس من هذه؟ فيقول: سليم، فيقول: ما لي ولسليم، ثم تمر قبيلة فيقول: من هذه؟ فيقول: مزينة، فيقول: ما لي ولمزينة، حتى نفدت القبائل فمر المصطفى في كتيبته الخضراء فيها المهاجرون والأنصار لا يُرى منهم إلا الحدق من الحديد، قال: من هؤلاء؟ قال: رسول الله في المهاجرين والأنصار، قال: يا أبا الفضل قد أصبح ملك ابن أخيك عظيمًا، قال: إنها النبوة، قال: فنعم إذًا الحق إلى قومك، فجاء فصرخ بأعلى صوته: هذا محمد جاءكم فيما لا قِبَلَ لكم به فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن، فقامت إليه هند بنت عتبة فأخذت

بلحيته وقالت: اقتلوا الشيخ الحميت الدسم الأحمس قبح من طليعة قوم، قال: لا تغرنكم هذه من أنفسكم، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد، ولما انتهى المصطفى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجرًا بشقة بردة حمراء وأنه ليضع رأسه تواضعًا لله حين رأى ما أكرمه به من الفتح حتى إن عثنونه يكاد يمس واسط الرحل، فلما دخل مكة دخل المسجد فأتاهُ أبو بكر بأبيه يقوده فقال: «**هلا تركت الشيخ في بيته حتى آتيه**» فقال: هو أحق أن يمشي إليك، فمسح صدره وقال له: «**أسلم**» فأسلم، ورأى كأن رأسه ثغامة فقال: «**غيروا هذه بشيء**»(١).

وأمر رسول الله ﷺ حين فرّق جيشه من ذي طوى الزبير أن يدخل بمن معه من كدى، وكان على المجنبة اليسرى، وأمر سعد بن عبادة أن يدخل من كدى فذكروا أن سعدًا قال: اليوم يوم الملحمة اليوم تستحل الحرمة، فسمعها عمر وغيره فقالوا: يا رسول الله ما نأمن أن يكون لسعد في قريش صولة فقال لعلي: «**خذ الراية فادخل بها**»، وأمر رسول الله ﷺ خالد بن الوليد وكان على الميمنة فدخل من أسفل مكة فلقيه بنو بكر فقاتلوه فقتل منهم نحو عشرين وانهزموا، وارتفعت طائفة على الجبل وتبعهم المسلمون بالسيوف، ولما علا المصطفى بنفسه كدى نظر إلى البارقة على الجبل مع فضض المشركين فقال: «**ألم أنه عن القتال؟**».

فقال المهاجرون: نظن أن خالدًا قوتل وبُدئ بالقتال فلم يكن بُدٌّ من أن يُقاتل من قاتله وما كان ليعصيك، وكان المصطفى عهد إلى أمرائه أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم لكنه أمر بقتل نفر سماهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة منهم عبد الله بن أبي سرح وكان أسلم وكتب الوحي ثم ارتد، ففر إلى عثمان وكان أخاه من الرضاع فغيبه حتى أتى به المصطفى فاستأمنه له فسكت طويلاً ثم قال: «**نعم**»، فلما انصرف قال لمن حوله: «**لقد صمتُّ ليقوم عليه أحدكم فيضرب عنقه؟**» قالوا له: هلا أومأت لنا قال: «**إن النبي لا ينبغي أن يكون له خائنة الأعين**»(٢)، ومنهم عبد الله بن خطل كان مسلمًا فارتد فقال: «**اقتلوه وإن تعلق بأستار الكعبة**» فقتلوه، ومنهم الحويرث بن نفيل كان يؤذي المصطفى بمكة،

---

(١) انظر: مسند أحمد (٢٦٤١٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٥٩)، والنسائي (٤٠٦٧)، وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٢٤٢٦).

ولما حمل العباس فاطمة وأم كلثوم ابنتي المصطفى من مكة يريد بِهما المدينة نخس بِهما الحويرث فرمى بِهما إلى الأرض فقتله علي يوم الفتح، ولما أتاه خالد قال له: «**قد نهيتك عن القتال؟**» قال: هم بدءونا ووضعوا فينا السلاح وقد كففت يدي ما استطعت قال: «**قضاء الله خير**».

وفر صفوان بن أمية عامدًا للبحر وعكرمة بن أبي جهل عامدًا لليمن فقال عمير بن وهب: يا نبي الله صفوان سيد قومه وقد خرج ليقذف نفسه في البحر فأمّنه فإنك أمّنت الأحمر والأسود قال: «**أدرك ابن عمك فهو آمن**»، فأدركه قال: هذا أمان قد جئتك به قال: اغرب عني لا تكلمني، قال: أي صفوان ابن عمك عزه من عزك وشرفه من شرفك قال: أخافه على نفسي قال: هو أحلم من ذلك، فرجع معه إليه فقال صفوان: هذا يزعم أنك أمنتني قال: «**صدق**»، قال: فاجعلني فيه بالخيار شهرين قال: «**أربعة أشهر**» وأقبلت زوجة عكرمة بن أبي جهل وهي مسلمة يومئذ فاستأمنته له فأمنه فأقبل معها فأسلم، فوثب به رسول الله ﷺ فرحًا به، وأتته أم هانئ أخت علي وهو بأعلى مكة فوجدته يغتسل من جفنة فيها أثر العجين وفاطمة بنته تستره بثوبه، فلما اغتسل صلى ثمان ركعات من الضحى ثم قال: «**مرحبًا وأهلاً بأم هانئ ما جاء بك؟**» فقالت: نفر إلي رجلان من أحمائي فقال أخي لأقتلنهما فقال: «**أجرنا من أجرت يا أم هانئ**»[1].

فلما اطمأن الناس جاء البيت فطاف سبعًا على راحلته يستلم الحجر بمحجنه، فلما قضى طوافه دعا عثمان بن طلحة فأخذ منه مفتاح الكعبة ففتح فدخلها ثم وقف على بابِها فقال: «**لا إله إلا الله صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده، ألا كل مأثرةٍ أو دمٍ أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج، يا معشر قريش إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعاظمها بالآباء الناس لآدم وآدم من تراب**»[2] ثم تلا: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**﴾ [الحجرات: ١٣] الآية.

ثم قال: «**يا معشر قريش ما ترون أني فاعلٌ فيكم؟**» قالوا: خيرًا أخ كريم وابن أخ كريم قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء**» ثم جلس بالمسجد فقام علي بن أبي طالب ومفتاح

(١) أخرجه البخاري (٣١٧١)، ومسلم (٣٣٦).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٦١).

الكعبة بيده فقال: اجمع لنا الحجابة مع السقاية فقال: «**أين عثمان بن طلحة**» فجاء فقال: «**هذا مفتاحك اليوم يوم وفاء وبر**»[١]، وكان حول البيت أصنام مشدودة بالرصاص فلما طاف جعل يشير بقضيب في يده إليها وهو يقول: «**جاء الحق وزهق الباطل**» فما أشار لصنم إلا وقع لقفاه، ولما دخل الكعبة أمر بلالاً أن يؤذن وكان دخل معه وأبو سفيان وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة وقال عتاب: قد أكرم الله أسيدًا أن لا يكون سمع هذا، وقال الحارث: أما والله لو أعلم أنه محق ما تبعته، وقال أبو سفيان: لا أقول شيئًا لو تكلمت لأخبرت عني هذه الحصاة، فخرج إليهم المصطفى فقال: «**علمت ما قلتم**» ثم ذكر لهم ذلك فقال الحارث وعتاب: نشهد أنك رسول الله ما اطلع على هذا أحد، ثم قام على الصفا يدعو وقد أحدقت به الأنصار فقالوا فيما بينهم: أترونَ إذا فتح الله عليه بلده يقيم بها، فلما فرغ قال: «**ما قلتم؟**» قالوا: لا شيء فلم يزل حتى أخبروه، فقال: «**معاذ الله المحيا محياكم والممات مماتكم**»[٢]، ثم أقام بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة وكان فتحها صلحًا عند الشافعي وعنوةً عند أبي حنيفة، وقيل: أعلاها كان صلحًا وأسفلها كان عنوة.

الخامسة والعشرون غزوة حنين[٣]: واد بقرب الطائف بينه وبين مكة ثلاث ليال أو غير ذلك، والأغلب عليه التذكير لأنه اسم ماء وربما أنثوه نظراً إلى أنه اسم للبقعة، سمي بحنين بن قانية بن مهلايل.

وسببها أنه لما سمعت هوازن بفتح مكة جمعها مالك بن عوف النصري واجتمع عليه مع هوازن ثقيف كلها واجتمعت مضر وجشم وسعد بن بكر وناس من بني هلال، وفي جشم دريد بن الصمة شيخ كبير لا شيء فيه إلا التيمن برأيه ومعرفته، وجماع الناس إلى مالك بن عوف، فلما أجمع السير إلى المصطفى حط مع الناس مالهم ونساءهم وأطفالهم، فلما نزلوا بأوطاس وفيهم دريد في شجار له تقاد به قال: بأي واد أنتم، قالوا: بأوطاس، قال: نعم مجال الخيل لا حزن ضرس ولا سهل دهس ما لي أسمع رغاء البعير

(١) ذكره ابن كثير في تفسيره (١/٥١٧) وعزاه لابن إسحاق.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٥/٨٠).

(٣) انظر: طبقات ابن سعد (٢/١١٤)، وسيرة ابن هشام (٢/٤٣٧).

ونهاق الحمير وبكاء الصغير، قالوا: ساق مالك مع الناس ذلك، فقال: أين مالك؟ فدعى له فقال: إنك أصبحت رئيس قومك وهذا يوم له ما بعده ما لي أسمع رغاء البعير إلخ، قال: اجعل خلف كل رجل أهله وماله ليقاتل عنهم، قال: وهل يرد المنهزم شيء إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه أو عليك، فضحت في أهلك ومالك يا مالك، إنك لم تصنع بتقديم بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئًا، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعلى قومهم ثم ألق الصبا على متون الخيل فإن كان ذلك لحق بك شيء من وراءك أو عليك ألفاك ذلك وقد أحرزت أهلك ومالك، قال: لا أفعل إنك كبرت وخرفت لتطيعني يا معشر هوازن أو لأتكئنَّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري، وكره أن يكون لدريد فيها ذكر أو رأي فأطاعوه، فقال دريد: هذا يوم لم أشهده يا ليتني فيها جذع، ثم قال مالك للناس: إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ثم احملوا حملة رجل واحد.

ثم لما أجمع المصطفى السير إليهم ذكر له أن عند صفوان أدراعًا وسلاحًا وهو يومئذ كافر فقال: «**يا أبا أمية أعرنا سلاحك**»، فقال: أغصبًا يا محمد؟ قال: «**بل عارية مضمونة**»[1] فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح، فسأله المصطفى أن يكفيه حملها ففعل، ثم خرج عامدًا لحنين معه ألفان من أهل مكة وعشرة آلاف من الذين فتح الله بهم، وذُكر أن المصطفى قال حين رأى كثرة من معه من جنود الله: «**لن نغلب اليوم من قلة**»، واستعمل المصطفى على مكة عتاب بن أسيد أميرًا على من تخلف من الناس، فلما خرج خرج معه أهل مكة ركبانًا ومشاة حتى النساء على غير دين نظارًا يرجون الغنائم ولا يكرهون أن تكون الصدمة بالمصطفى وصحبه، فاستقبلوا وادي حنين في عماية الصبح وكان القوم سبقوهم إليه فكمنوا في شعابه وأجنابه ومضايقه حتى تأهبوا فخرجوا عليه وقد شدوا شدة رجل واحد، فانشمر المسلمون راجعين لا يلوي أحد على أحد، وانحاز المصطفى ذات اليمين ثم قال: «**أيها الناس هلموا إليّ أنا رسول الله ابن عبد المطلب**» فانطلق الناس إلا أنه بقي مع المصطفى نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته منهم أبو بكر وعمر وعلي والعباس وابن عمه أبو سفيان بن الحارث الذي أسلم قبيل دخول المصطفى للفتح والفضل بن عباس وربيعة بن الحارث وأسامة.

---

(١) انظر: مسند أحمد (٢٧٠٨٩).

فلمَّا انْهَزَمَ الناس ورأى من كان مع المصطفى من جفاة أهل مكة الهزيمة تكلموا بما في أنفسهم من الطعن فقال بعضهم: لا تنتهي هزيمتهم دون البحر وإن الأزلام معه في كنانته، وقال بعضهم: ألا بطل السحر اليوم، فقال له صفوان وهو يومئذ كافر: اسكت فضَّ الله فاك فلأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن، وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة أخو بني عبد الدار وكان أبوه قتل يوم أحد: اليوم أدرك ثأري أقتل محمدًا قال: فأردت قتله فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي فلم أطق ذلك فعلمتُ أني ممنوع منه.

فقال المصطفى[1] وهو على بغلته البيضاء للعباس وهو آخذ بلجامها يسعى في ركابه وكان جسيمًا شديد الصوت: «**اصرخ: يا معشر الأنصار**» فأجابوا لبيك لبيك، قال فيذهب الرجل ليثني بعيره فلا يقدر عليه فيأخذ درعه فيقذفها في عنقه ويأخذ سيفه وترسه ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله فيؤم الصوت حتى اجتمع إليه منهم مائة استقبلوا الناس، فاقتتلوا فكانت الدعوى أول ما كانت (يا للأنصار) ثم خلصت أخرى (يا للخزرج) وكانوا صبرًا عند الحرب، فأشرف المصطفى في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم فقال: «**الآن حَمِيَ الوطيس**» فما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند المصطفى والتفت إلى أبي سفيان بن الحارث وكان ممن صبر معه يومئذ وهو آخذ بثغر بغلته فقال: «**من هذا؟**» قال: ابن عمك يا رسول الله، وقبض قبضة من الحصا فحصب بِها وجوه المشركين، وقال: «**شاهت الوجوه**» فهُزموا من كل ناحية وتبعهم المسلمون يقتلونهم وغنموا نسائهم وذراريهم وشاءهم وإبلهم، وفر مالك بن عوف فدخل حصن الطائف في ناس من أشراف قومه، وأسلم عند ذلك ناس كثير من أهل مكة وغيرهم حين رأوا نصر الله ورسوله، ورأى المصطفى أم سليم بنت ملحان، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها ببرد لها وإنها لحامل ومعها خنجر فقال المصطفى: «**أم سليم**» قالت: نعم اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما نقتل الذين يقاتلونك فإنهم لذلك أهل قال: «**أو يكفي الله يا أم سليم**» وقال لها زوجها: ما هذا الخنجر؟ قالت: إن دنا مني مشرك بعجته به، واستلب أبو طلحة وحده عشرين رجلاً.

---

(١) انظر: صحيح مسلم (١٧٧٥).

ولما انهزمت هوازن استحر القتل في ثقيف فقتل منهم سبعون تحت رايتهم، وأدرك ربيعة بن رفيع دريد بن الصمة فأخذ بخطام جمله وهو يظنه امرأة فأناخ به فإذا شيخ كبير فقال دريد: ما تريد؟، قال: أقتلك، قال: من أنت؟ قال: ربيعة بن رفيع، ثم ضربه بسيفه فلم يغن شيئًا، قال: بئس ما سلحتك أمك خذ سيفي من مؤخر الرحل ثم اضرب به وارفع عن العظام واخفض عن الدماغ فإني كذلك كنت أضرب الرقاب، فإذا أتيت أمك فأخبرها بأنك قتلت ابن الصمة فرب يوم قد منعت فيه نساءك، ثم بعث المصطفى في آثار من فرَّ منهم أقوامًا.

وأنزل الله في يوم حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾ [التوبة: ٢٥] الآيات، ثم جمعت سبايا حنين وأموالـــها فأمر بحبسها في الجعرانة حتى ينصرف عن الطائف.

السادسة والعشرون غزوة الطائف[1]: فلمّا فرَّ ثقيف إلى الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها وصنعوا الصنائع للقتال، فتوجه إليهم المصطفى في شوال سنة ثمان فحاصرهم بضعًا وعشرين ليلة وتراموا بالنبل وقاتلهم قتالاً شديدًا وقاتل فيها بنفسه ورماهم بالمنجنيق وقطع أعناقهم و لم يقدر منهم على شيء، وقال المصطفى لأبي بكر وهو محاصرهم: «**رأيتُ أني أهديت إليَّ قصعة مملوءة ثريدًا فنقرها ديك فأهراق ما فيها**»[2]، فقال: ما أظن ذلك أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد؟ فقال المصطفى: «**وأنا لا أرى ذلك**» فأذن بالرحيل واستشهد من الصحابة اثنا عشر رجلاً، ثم انصرف عن الطائف حتى نزل الجعرانة وفيها كان قدم سبي هوازن وأموالهم، وقال له رجل يوم ظعن عن ثقيف: ادع عليهم، قال: «**اللهم اهد ثقيفًا وائت بهم**»، ثم أتاه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا وكان معهم من سبيهم ستة آلاف من الذراري والنساء ومن الإبل والشاء ما لا يدري عدته إلا الله تعالى.

فقالوا: يا رسول الله إنا أهلٌ وعشيرة وقد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا، وقال رجل من سعد بن بكر: يا رسول الله إنما في الحظائر عماتك وخالاتك

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/١٢٠)، وتاريخ الطبري (٢/١٧١).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٧٢).

وحواضنك اللاتي كن يكفلنك ولو إنا منحنا للحارث بن أبي شمر أو النعمان بن المنذر ثم نزل منا بمثل ما نزلت به رجونا عطفه علينا وأنت خير المكفولين، فقال المصطفى: «**أحب الحديث إليَّ أصدقه، ومعي من ترون أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم**» قالوا: خيَّرتنا بين أموالنا وأحسابنا بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا فهو أحب إلينا، فقال: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فهو لكم، وإذا أنا صليتُ الظهر بالناس فقوموا فقولوا: إنا نتشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله في أبنائنا ونسائنا فسأعطيكم عند ذلك**».

ففعلوا فقال المصطفى: «**أما ما كان لي ولبني عبد المطلب فلكم**» فقال المهاجرون: ما لنا فهو لرسول الله، وقالت الأنصار: ما لنا فهو لرسول الله، فقال الأقرع بن حابس: أما أنا وبنو تميم فلا، وقال عيينة بن حصن: أما أنا وفزارة فلا، وقال العباس بن مرداس: أما أنا وبنو سليم فلا، فقالت بنو سليم: ما كان لنا فهو لرسول الله ﷺ، فقال العباس: وهنتموني، فقال المصطفى: «**أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبي فله بكل إنسان ست فرائض من أول سبي أصيبه فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم**»، وسألهم المصطفى: «**ما فعل عوف بن مالك**»؛ قالوا: بالطائف، قال: «**أخبروه أنه إن أتاني مسلمًا رددتُ إليه أهله وماله وأعطيته مائة من الإبل**» فأخبروه فأدركه بالجعرانة أو بمكة فرد عليه ماله وأهله وأعطاهُ مائة من الإبل وأسلم فحسن إسلامه، فاستعمله على من أسلم من قومه فكان يقاتل بِهم ثقيفًا لا يَخرجُ لـــهم سرح إلا أغار عليه حتى ضيق عليهم.

ولَمَّا رد السبايا إلى أهلها ركب واتبعه الناس يقولون: اقسم علينا فيئنا حتى ألجئوه إلى شجرة فاختطفت عنه رداءه فقال: «**ردوا عليَّ ردائي أيها الناس لو كان لكم بعدد شجر تِهامة نعَمٌ لقسمته عليكم ثم ما ألفيتموني بخيلاً ولا جبانًا ولا كذوبًا**» ثم قام فأخذ وبرة من سنام بعير فقال: «**أيها الناس ما لي من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخُمُس والخمس مردود عليكم فأدوا الخياط والمخيط فإن الغلول على أهله عارٌ وشنار يوم القيامة**».

ثم أعطى المؤلفة وكانوا أشرافًا يتألف بِهم قومهم فأعطى أبا سفيان بن حرب وابنه معاوية، وحكيم بن حزام، والحارث بن كلدة، والحارث بن هشام، وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزى، وصفوان بن أمية، كل هؤلاء من أشراف قريش، والأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري ومالك بن عوف، كل واحد مائة بعير، وأعطى

رجالاً دون المائــة، وأعطى العباس بن مرداس أباعر فسخطها وعاتبه بقصيدة فقــال: «**اقطعوا عني لسانه**» فأعطوه حتى رضي، ويُقال: أتي به إلى الغنائم فقيل له: خذ منها ما شئت فقال: إنما أراد رسول الله أن يقطع لساني بالعطاء بعد أن تكلمت فتكرم أن يأخذ منها شيئًا فبعث إليه المصطفى بحلة فقبلها، وقيل له: أعطيتَ عيينة والأقرع مائــة مائة وتركت جعيل بن سراقة الضمري فقال: «**أما والله لجعيل خير من طلاع الأرض كلهم مثل عيينة والأقرع لكني تألفتها ليسلما ووكلته إلى إسلامه**»، وجاءه ذو الخويصرة التميمي وهو يعطي الناس فقال: يا محمد قد رأيتُ ما صنعتَ لم أرك عَدَلت، فغضبَ وقال: «**ويحك إذا لم يكن العدل عندي فعند من يكون؟**» فقال عمر: ألا أقتله؟ قال: «**لا**»[1].

ولما أعطى قبائل العرب و لم يُعط الأنصار شيئًا وجدوا في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة وحتى قال قائلهم: لقي والله قومه، فدخل سعد بن عبادة عليه فقال: إن الأنصار قد وجدوا عليك أعطيت عطايا عظامًا و لم تعطهم فقال: «**أين أنت من ذلك**»؟ قال: ما أنا إلا من قومي، قال: «**فاجمعهم لي**» فجمعهم في حظيرة فأتاهم المصطفى فحمد الله ثم قال: «**يا معشر الأنصار مقالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها عليَّ في أنفسكم، ألم تكونوا ضلالاً فهداكم الله وعالةً فأغناكم الله وأعداء فألف بين قلوبكم؟**» قالوا: بلى، لله ولرسوله المنُّ والفضل، ثم قال: «**ألا تجيبوني؟**» قالوا: بماذا نجيب؟ قال: «**أما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم أتيتنا مكذبًا فصدقناك ومخذولاً فنصرناك وطريدًا فآويناك وعائلاً فواسيناك، أوجدتم في أنفسكم في لعاعةٍ من الدنيا تألفت بها قومًا ليسلموا ووكلتكم إلى إسلامكم أما ترضون أن تذهب الناس بالشاة والبعير وترجعون برسول الله إلى رحالكم، فوالذي نفسي بيده لو سلك الناس شعبًا وسلكت الأنصار شبعًا لسلكتُ شعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار**»[2].

فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم قالوا: رضينا بك قسمًا وحظًّا، ثم خرجوا فاعتمر ثم انصرف راجعًا إلى المدينة وخلف عتاب بن أسيد على مكة ورزقه في كل يوم درهمًا فقام خطيبًا فقال: أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم رزقني رسول الله ﷺ درهمًا كل يوم فلا حاجة بي إلى أحد.

---

(١) انظر: البخاري (٣٦١٠)، ومسلم (١٠٦٣).

(٢) انظر: مسند أحمد (١١٣٢٢).

السابعة والعشرون غزوة تبوك[1]: وتسمى العسرة والفاضحة، بينها وبين مكة أربع عشرة مرحلة وبينها وبين دمشق إحدى عشرة وهي آخر غزوة غزاها بنفسه، وسببها أن الروم تجمعت بالشام مع هِرَقْلَ فأمر أصحابه بالتأهب لغزوهم وكان ذلك في شدة الحر وجدب من البلاد، وكان كلما يخرج لغزوة إلا ورَّى عنها إلا هذه فإنه بيَّنها للناس لبعد المشقة وكثرة العدو وليتأهب الناس لذلك أهبته، فقال وهو في جهازه للجد بن قيس: «**هل لك العام في جلاد بني الأصفر**» فقال: يا رسول الله أوَلاَ تأذن لي ولا تفتني فلقد عرف قومي أنه ما من رجل أشد عجبًا بالنساء مني وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر أن لا أصبر، فأعرض عنه وقال: «**أذنت لك**» فنـــزلت: ﴿**وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَن لِيّ وَلاَ تَفْتِنِّي أَلاَ فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا**﴾ [التوبة: ٤٩]، أي: وإن كان إنّما خاف الفتنة من النساء وليس ذلك به فما سقط فيه من الفتنة أكبر لتخلفه عن رسول الله ﷺ والرغبة بنفسه عنه، وقال بعض المنافقين لبعضهم: لا تنفروا في الحر، زهادةً في الجهاد وشكًّا في الحق وإرهاجًا بالرسول فنـــزل فيهم: ﴿**وَقَالُوا لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ**﴾ [التوبة: ٨١] الآية.

ثم إنه جَدَّ في سفره وحضَّ أهل الغنى على النفقة والحمل في سبيل الله فحمل رجالٌ من الأغنياء وأنفق عثمان نفقةً عظيمة لم ينفق أحد مثلها، فلمّا خرج ضرب عسكره على ثنية الوداع وضرب عبد الله بن أبيّ معه وعلى حدة العسكر أسفل منه نحور باب، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين فلما سار رسول الله تخلف عنه عبد الله بن أبيّ فيمن تخلف من أهل الريب، وخلف عليًّا على أهله وأمره بالإقامة فقال المنافقون: ما خلفه إلا استثقالاً وتخفيفًا منه فأتاهُ فأخبره، فقال: «**كذبوا لكن خلفتك لِمَا تركت ورائي فارجع فأخلفني في أهلي، أما ترضى أن تكون مني بمنـــزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي**»[2].

ومضى على سفره ولما مر بالحجر سجى ثوبه على وجهه واستحث راحلته ثم قال: «**لا تدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون خوفًا من أن يصيبكم ما أصابهم**»[3]، وقال: «**لا تشربوا من ماء بئرهم ولا تتوضؤوا منه، وما من عجين عجنتموه فاعلفوه الناضح ولا**

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/١٢٥)، وسيرة ابن هشام (٢/٥١٥).

(٢) انظر: البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤١٩)، ومسلم (٢٩٨٠).

تأكلوا منه»[1] فأصبح الناس لا ماء معهم فأرسلَ الله سحابة فأمطرت حتى ارتووا وحملوا، ثم ضلت ناقته فخرج صحبه في طلبها فقال بعضُ المنافقين: أليس يزعم أنه نبي ويخبركم عن خبر السماء وهو لا يدري أين ناقته، فأطلعه الله على ذلك فقال: «**إن رجلاً قال كذا وأني والله لا أعلمُ إلا ما علمني الله، وقد دلني الله عليها وهي بالوادي من شعب كذا حبستها شجرة بزمامها**».

فانطلقوا فوجدوها كذلك، وجعل يتخلف عنه الرجل فيقال له: تخلّف فلان فيقول: «**دعوه فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بكم، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه**».

ولما انتهى إلى تبوك أتاه يحنة بن رؤبة صاحب إيلة فصالحه وأعطى الجزية، وأتاه أهل جرباء وأذرح فأعطوها وكتب لـهم كتابًا بالأمان، ثم بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة وهو رجل من كندة كان ملكًا عليها وكان نصرانيًا فقال لخالد: «**تجده يتصيد البقر**» فخرج حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين وفي ليلة مقمرة وهو على سطحه ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت امرأته: ما رأيت مثل هذا قط، قال: فمن يترك هذه، فأمر بفرسه فأسرج فركب معه نفرٌ من أهل بيته منهم أخوه حسان وخرجوا بطارقته فلقيهم خيل المصطفى فأخذوه وقتلوا أخاه، وكان عليه قباء ديباج مخوص بذهب فاستلبه خالد فبعث به إلى المصطفى فجعل المسلمون يلمسونه ويتعجبون منه فقال المصطفى: «**أتعجبون منه لمناديلُ سعد بن معاذ في الجنة أحسن منه**»[2]، ثم قدم خالد على رسول الله بأكيدر فحقن دمه وصالحه على الجزية فرجع إلى قومه، فأقام رسول الله بتبوك بضع عشرة ليلة ولم يتجاوزها ثم انصرف قافلاً إلى المدينة، والقصة فيها طول جدًّا فليراجعها من المطولات من أراد.

فهذه سبع وعشرون غزوة غزاها المصطفى بنفسه قاتل منها في سبع: أحد، والخندق، وبدر، وبني قريظة، والمصطلق، وخيبر، والطائف، وحكى أهلُ السير عن بعض السلف أنه قاتل في بني النضير، وغابة، ووادي القرى المشهور بذي قرد وهو قول الواقدي، والصحيح المشهور الذي عليه الجمهور أنه إنَّما قاتل في تلك السبع فقط.

۞ ۞ ۞

---

(١) انظر: البخاري (٣٣٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦١٦)، ومسلم (٢٤٦٩).

باب ذكر بعوثه وسراياه إلى الملوك والبلاد

البعوث جمع بعث وهو كما في المصباح[١] وغيره: الجيش تسمية بالمصدر، والسرايا جمع سرية وهي القطعة من الجيش يبلغ أقصاه أربعمائة سموا به لأنَّهم خلاصة العسكر، والسري الشريف.

عِـــدَّتُهَا مِـــنْ بَعْثٍ أو سَـــرِيَّة ستـــونَ فـــالأولُ بَعْثُ حَمْزَهْ
لِنَحْوِ سيفِ البَحــــرِ من ناحيـــة الـــعيص لـــمْ يَقْتَتِلوا في الـــجُملَــة

عدة بعوثه وسراياه ستون على ما ذكره السهيلي عن المسعودي، وقيل: سبع وأربعون، وقيل: ثَمان وأربعون.

الأول: بعث حمزة بن عبد المطلب، فعقد لــه لــواء أبيض وهو أول لواء عقده المصطفى فكان أول من غزا في سبيل الله وأول من عقد له راية الإسلام، وذلك في رمضان على رأس سبعة أشهر من مهاجرته، وقيل: في جمادى الأولى في ثلاثين من المهاجرين يعترض عيرًا لقريش جاءت من الشام فيها أبو جهل في ثلاثمائة رجل، فبلغوا إلى نحو سيف البحر وهو بكسر السين ساحله من ناحية العيص بكسر العين وسكون التحتية وصاد مهملة موضع ببلاد سليم، فالتقوا واصطفوا للقتال وحجز بينهم مجدي بن عمرو الجهني وكان حليفًا للفريقين فانصرفوا ولَمْ يقتتلوا بالجملة الكافية أصلاً، هذا معنى كلام الناظم، والإنصاف أن قوله (بالجملة) حشو كمل به الوزن.

فَبَعْثُـــهُ عُـــبَيْدَةَ بـــن الـــحارث لرابـــغ أو قـــبْلَ ذا أو ثـــالث
بـــأنَّـــهُ شَيَّـــعَ كُـــلاًّ منهُما مَعًا لـــذا أشْكَـــلَ ذا وأُبْهِمَـــا
وكـــانَ رَمْيٌ بَيْنَهُمْ لَـــمْ يَعْـــدُ أولُ مَنْ رَمَى بسَهْـــمٍ سَعْـــدُ

الثاني: بعثة عبيدة بفتح العين بن الحارث بن المطلب بن عبد مناف لرابغ بكسر الباء وبغين معجمة موضع بين المدينة والجحفة وهو من منازل خزاعة، خرج إليها في شوال على رأس ثمانية أشهر من الهجرة في ستين أو ثمانين من المهاجرين فلقي بهما جمعًا عظيمًا من قريش عليهم عكرمة بن أبي جهل وأبو سفيان بن حرب فكان بينهم الرمي ولم يسلوا السيوف، أو كان بعث عبيدة قبل بعث ذا أي: قبل بعث حمزة وهو قول ابن إسحاق،

---

(١) انظر: المصباح المنير (ص٢١).

وقول ثالث أنه شيع كلاً منهما معًا ولذا أشكل الأمر على الناس وأبهم والأصح الأول، وكان بين المسلمين والكفار رمي بالسهام لم يعد بسكون العين أي: لم يجاوزوا الرمي إلى سل السيوف و لم يصطفوا للقتال، إلا أن سعد بن أبي وقاص رمى يومئذ بسهم فكان أول من رمى بسهم في سبيل الله سعد، وفرَّ من المشركين إلى المسلمين المقداد بن عمرو وعتبة ابن غزوان وكانا مسلمين لكنهما خرجا ليتوصلا بالكفار، وكان لواءه أبيض حمله مسطح ابن أثاثة بن عباد بن المطلب.

فَبَعْثُـــــهُ سَـــــعْدًا إلـــى الـــخَــرَّار للعــــــير فَــــاتتْ رَجعــوا للدَّار

الثالث: بعثه سعد بن أبي وقاص إلى الخرار بفتح المعجمة وراءين مهملتين الأولى مشددة على وزن فعال ماء لبني زهير أو واد بالحجاز يصب على الجحفة، خرج في ذي القعدة على رأس تسعة أشهر من الهجرة، وعقد لواء أبيض حمله المقداد بن عمرو وخرج في عشرين من المهاجرين يعترضون العير بكسر العين الإبل تحمل ميرة قريش، فخرجوا على أقدامهم يكمنون بالنهار ويمشون بالليل فصبحوها صبح خامسة فوجدوا العير مرت بالأمس، فرجعوا للدار أي: إلى الدار يعني المدينة.

بَعْـــــثُ ابـــن جَحْش بَعَدهُ أوْ أوَّلُ لنَخْلـــــــة فَـــغَنمـــوا وَقَتَلُـــوا

فــــي سَلْـــــخ شَهْرِ رَجَب إنْسَانَــا وَأَنْـــــزَلَ اللهُ بــــــه قُــــــرآنَــا

أيْ يسألونَكَ أزالـــــتْ كُرَبَـــــــا وبــأمـــــير الــمُؤمنـــين لــــقبَــا

الرابع: بعث عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي في سرية بعد بعث سعد، وهو أول البعوث قولان والثاني هو قول أبي نعيم، (لنخلة) بفتح النون وسكون الخاء المعجمة على لفظ نخلة واحدة النخل موضع على ليلة من مكة وهي التي يُنسب إليها بطن نخلة، ويُقال: إنَّها بستان بني عامر، فمرت به عير لقريش تحملُ تجارة ومعها جماعة منهم فحاربوهم وغنموا ما معهم وقتلوا عمرو بن الحضرمي قتله واقد بن عبد الله، وأسروا عثمان بن عبد الله، والحكم بن كيسان، واستاقوا العير وما عليها، وهي أول غنيمة في الإسلام وأول قتيل بأيدي المسلمين وأول أسر فيه، وكان ذلك في سلخ رجب رأس سبعة عشر شهرًا وقالت قريش: سفك محمد الدم وأخذ المال في شهر حرام، وقالت اليهود: يقتل عمرو بن الحضرمي حضرت الحرب ويقتله واقدٌ وقدت الحرب، وأنزل الله به أي: فيه قرآنًا وهو: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧] الآية فأزالت الآية الكرب

الحاصل للمسلمين بما قال الكفار فيهم، وفي هذه السرية لقب عبد الله بن جحش بأمير المؤمنين وقول الناظم: (كربا) بضم الكاف وفتح الراء جمع كربة.

فَبَعْثُـــهُ عُـــمَيْرًا الـــخَطْمِيَّـــا لِقَتْــــلِ عَصْمَـــا هَجَـــت النَّبِيَّا

الخامس: بعثه عمير بن عدي بن حرشة الخطمي بفتح الخاء المعجمة القارئ إمام بني خطمة، أرسله لقتل عصماء بفتح العين وسكون الصاد بنت مروان من بني أمية بن زيد، وكانت تعيبُ الإسلام وهجت المصطفى وحرضت عليه، فجهز إليها عميرًا في رمضان فدخل عليها بيتها في الليل وحولها ولدها نيام منهم من ترضعه، فجسها بيده وكان ضريرًا فنحى الصبي ووضع سيفه على صدرها حتى أنفذه من ظهرها ثم جاء فصلى الصبح مع المصطفى فأخبره فقال: «**لا ينتطح فيها عنـــزان**»، وهو مَثَلٌ لـــم يتمثل به أحد قبله.

فَبَعْثُ سَالِـــــمٍ إلـــى أبـــي عَفَكْ وقَتْلِــــهِ آذَى النَّبِـــيَّ وَأَفَـــكْ

السادس: بعث سالم بن عمير بن ثابت الأنصاري إلى أبي عفك بفتح العين المهملة والفاء وآخره كاف، كان في بني عمرو بن عوف يهوديًا بلغ عشرين ومائة سنة، وكان يؤذي النبي ويحرض عليه ويقول فيه الشعر، وأفك بفتح الهمزة والفاء أي: كذب على المصطفى، فأقبل سالم إليه ليلاً فوضع السيف على كبده ثم أنفذه من ظهره، وكان ذلك في شوال على رأس عشرين شهرًا من الهجرة.

فبعثـــه مُحمـــــد بـــن مسلمةْ فــــي رفقة لقتل كعب الـــمَلأَمَـــةْ
جـــاءوا برأســــه فــــاقدَمُـــوهُ قالَ لَهُمْ أفْلَـــحَت الـــوجُـــوهُ

السابع: بعث محمد بن مسلمة الأوسي في رفقة من الأوس منهم عباد بن بشر والحارث بن أوس، وأبو عبس بن جبر، لقتل كعب بن الأشرف اليهودي، وكان شاعرًا يهجو المصطفى وأصحابه فقال: «**اللهم اكفني ابن الأشرف**»، وفي الصحيح[1] قال: «**من لي بكعب بن الأشرف فإنه آذى الله ورسوله**» فذهب إليه المذكورون فقتلوه وجاءوا إليه برأسه فرموا به بين يديه فحمدَ الله وقال لهم: «**أفلحت الوجوه**»، فقالوا: وجهك يا رسول الله، وكانت رجل الحارث قد أصابها سيف أحدهم فتفل عليها رسول الله ﷺ فلم تؤذه؟.

---

(١) أخرجه البخاري (٣٠٣١)، ومسلم (١٨٠١).

وقول الناظم: (الملأمة) بفتح الميم والهمزة الثانية هو الذي يفعل ما يلام عليه وهو صفة لكعب كمل به الوزن، وقوله: (فأقدموه) أي: أقدموا رأسه على المصطفى.

فبَعثُــــهُ زيــــدًا إلــــى القــرَدَة مَــــاء بنجــــد بقـــريب غَمْرة
فَحَصَّلُــــوا مــــائَةَ ألْــف مَــغْنمًا وأسَروا فُــراتَ ثُــــمَّ أسْــلَمَــا

الثامن: بعثه زيد بن حارثة في مائه راكب إلى القَرَدة بفتح القاف والراء على الأشهر وضبطه الدمياطي بفاء مفتوحة وراء ساكنة، والبكري بفتح القاف وسكون الراء ماءٌ من مياه نجد بقرب غمرة بفتح الغين المعجمة وسكون الميم موضع بين نجد وتهامة من طريق الكوفة، وكانت لهلال جمادى الآخرة على رأس ثمانية وعشرين شهرًا من هجرته، فخرج يعترض عيرًا لقريش فيها صفوان بن أمية، وحويطب بن عبد العزى، ومعهم مال كثير منه فضة نحو ثلاثين ألف درهم فحصلوها وأصابوا العير، وقيل: إنها كانت مائة ألف مغنمًا فخمَّسها فبلغ الخُمس عشرين ألف درهم وقسم الباقي بين أهل السرية، وأسروا فرات بضم الفاء العجلي دليل قريش فأتوا به إلى المصطفى فأمر بقتله فأسلم فتركه وحسن إسلامـــه.

فبعــدَهُ بَــعْثُ ابــن عَــبْد الأسَد لقَطَـــنٍ لــــوَلَـــدَيْ خُــوَيْلد
طُلَيْحــَة مَــعَ أخيــــه سَلَمَــــةْ قَدْ جَمَعَا حَــرْبَ نَبِيّ الــمَرْحَمَــةْ
فلَــم يَصِـــلْ حتَّــى تَفَرَّقَ الــمَلا وغَنمُـــوا شَـــاءً لــهُمْ وإبــلا

التاسع: بعث أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي إلى قطن بفتح القاف والطاء المهملة جبل بناحية نجد في بلاد بني أسد على يمينك إذا فارقت الحجاز، وقال ابن إسحاق[1]: (ماءٌ من مياه بني أسد بنجد)، وعقد له لواء وخرج في مائه وخمسين رجلاً من المهاجرين والأنصار لولدي خويلد هما طليحة مع أخيه سلمة من بني أسد، لأنه قد بلغه أنهما جمعا جمعًا إلى حرب المصطفى نبي المرحمة فلم يصل الجيش إليهم حتى تفرقوا في كل ناحية، وغنموا شاء جمع شاة لـــهم وإبلاً كثيرًا و لم يلقوا كيدًا وانحدر أبو سلمة بذلك إلى المدينة، وذكر ابن عبد البر أن مسعود بن عروة قتل في هذه السرية.

يليــــه بعـــث ابـــن أنيـــس العامد لقتـــل سُفيـــان هوَ ابـــنُ خَالد

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/٦١٢).

ابن نُبيح كان صوبَ عُرنَهْ يَجْمَعُ للنبي فلمّا أمْكَنَهْ
احتزَّ رأسهُ فلمَّا أحضرهْ دَعَا له وخصَّه بمخصَرهْ

العاشر: أي: يلي هذا البعث البعث العاشر وهو بعث عبد الله بن أنيس الجهني الأنصاري. وقول الناظم: (العامد) أي: الذي عمد بإذن المصطفى إلى قتل سفيان بن خالد ابن نُبيح مصغرًا الهذلي اللحياني وكان صوب عرنة بضم العين المهملة وفتح الراء بعدها نون وهاء التأنيث وهو وادي عرنة.

قال في المعجم: والفقهاء يقولونه بضم الراء وهو خطأ، وسببه أنه بلغه أنه جمع الجموع لحرب النبي، فذهب إليه لخمس خلون من المحرم على رأس خمسة وثلاثين شهرًا من الهجرة فوجده ببطن عرنة يمشي ومعه أصحابه فعرفه فقال له سفيان: ممن الرجل؟ قال له: من خزاعة سمعتُ بجمعك لمحمد فجئتك لأكون معك قال: أجل إني لأجمع له فمشى معه يحدثه وتفرق أصحابه، فلما هدأ الناس وناموا وأمكنه قتله قام عليه فاحتز رأسه ثم دخل غارًا في الجبل وضرب العنكبوت عليه فجاء الطلبة فلم يجدوا شيئًا فانصرفوا، فخرج يكمن النهار ويسير الليل حتى أتى المدينة، فلمَّا أحضره بين يدي المصطفى دعا له وخصه بمخصرة بكسر الميم وسكون الخاء وصاد مهملة ما يختصره الإنسان بيده فيمسكه من نحو عصى أو عكاز دفع إليه عصًا، وقال: «تَخصر بهذه في الجنة»[1] فكانت عنده، فلما احتضر أوصى بإدراجها في كفنه فجعلوها بين جلده وكفنه، وكانت غيبته ثماني عشرة ليلة.

فَبَعثُهُ المُنذر والقُرَّا إلى بئر معونة فطابُوا نُزلاَ
فاستشهد السبعون إلا كعبا هُوَ ابنُ زيد كان رُثثًا صَعْبا
ووجد النبي حُزْنًا حتَّى قَنَتَ شهرًا في الصلاة بَحْتَا
يَدْعو على القُتَّال حتى أنْزلا ﴿لَيْسَ لَكَ﴾ الآية ربُّنا عَلا

الحادي عشر: بعثه المنذر بن عمرو الأنصاري الخزرجي وبعث القراء من الأنصار معه وكانوا سبعين لا أربعين على الأصح، إلى بئر معونة بالنون ماءٌ لبني عامر بن صعصعة، في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا من هجرته.

---

(١) انظر: حلية الأولياء لأبي نعيم (٥/٢)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٥١/٢).

وسببه أن ملاعب الأسنة الكلابي قدم المدينة فعرض عليه المصطفى الإسلام فلم يُسلم ولم يبعد وقال: لو بعثت معي رجالاً إلى أهل نجد رجوت أن يجيبوا، قال: «**أخشى عليهم**» قال: أنا لـهم جار، وكان شباب من الأنصار يسمون القراء يصلون بالليل ويقرءون بالنهار، فبعثهم وكانوا سبعين كما تقرر حتى نزلوا بئر معونة فطابوا فيها نزلاً بضم النون والزاي، وبعثوا حرام بن ملحان بكتاب المصطفى إلى عامر بن الطفيل فلم ينظر في كتابه وقتل الرجل ثم استصرخ عليهم بني عامر فأبوا أن يجيبوه وقالوا لن نخفر جوار ملاعب الأسنة، فاستصرخ عليهم قبائل من سليم عصية وذكوان وغيرهما فنفروا معه حتى أحاطوا بالقوم في رحالـهم، فلما رأوهم أخذوا سيوفهم ثم قاتلوهم حتى استشهد السبعون إلا كعب بن زيد بن قيس الأنصاري فتركوه وبه رمق فعاش حتى قتل يوم الخندق، وذلك لأنه (كان رُثًّا صعبا) بضم الراء وسكون المثناة فوق ثم همزة أي: شديد القوة صعبًا، وقدم عمرو بن أمية على المصطفى فأخبره فوجد أي حزن عليهم حزنًا شديدًا حتى من شدة حزنه قنت شهرًا في الصلاة أي: صلاة الصبح قيل وغيرها بحتًا بفتح الموحدة وسكون الحاء المهملة ثم مثناة أي: خالصًا يدعو على القبائل الذين قتلوا القراء حتى أنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

وبعْثُـهُ إلـى الرَّجيـع مُـرْثدَا ... أو عـاصـم بـنَ ثابت وأسْنَدَا

هـذا البُخـاريُّ وفيـه خـانَا ... بسبعَـة منهُـم بَنُـو لـحْيَانَا

وأَسَـروا زيْـدًا خُبَيْبًا بيـعَا ... وقَتَلـواْ ابنَ طـارق صَـريعَا

ثـم الـذي ابتـاعَ خُبَيْبًا قَتَلَهْ ... كـذَا بـزيـد مُشْتريـه فَعَلَـهْ

وقَصَـدَتْ هـذَيْـلُ رأسَ عَاصِمِ ... حَـمَتْـهُ دَبـرٌ ثمَّ سَيْـلُ عَاصِـمِ

الثاني عشر: بعثه في صفر على رأس ستة وثلاثين شهرًا إلى الرجيع بفتح الراء وكسر الجيم وبعين مهملة ماء لهذيل بين مكة وعسفان، وأمَّر عليهم مرثد بن أبي مرثد الغنوي كذا في الطبقات لابن سعد[1]، لكن في غيرها[2] أنهم كانوا عشرةً، وأن أميرهم

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٧٤٠٢) من حديث أبي هريرة ﷺ.

عاصم بن ثابت الأوسي وهذا هو الذي أسنده البخاري في كتاب التوحيد وغيره[١]، وفي هذا البعث خان أي: غدر بسبعة منهم على رواية البخاري[٢] وعليه جرى الناظم.

وقيل: ستة فقط وجزم به بعضهم، وذلك أنه خرج إليهم بنو لحيان قريب من مائة رام فأحاطوا بِهم فقتلوا عاصمًا وستة معه وأسروا زيد بن الدثنة الخزرجي، وخبيب بن عدي الأنصاري وبيعا بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبًا عقبة بن الحارث فقتله بابنه وكان ممن قتل ببدر، وابتاع زيدًا صفوان بن أمية فقتله بأبيه، وقتلوا عبد الله بن طارق وتركوه صريعًا، وقصدت بنو هذيل أخذ رأس عاصم لكونه كان قتل يوم أحد أخوين من بني عبد الدار أمهما سلافة بنت سعد فنذرت إن أمكنها الله منه لتشربن في رأسه الخمر وجعلت لمن جاء به مائة ناقة، فتسارع بنو هذيل إلى أخذه ليبيعوه لسلافة فحمته دبر بفتح الدال وسكون الموحدة أي: نحل أوزنابير أرسلها الله ﷻ عليه مثل الظلة، ثم جاءه سيل جار عاصم من أخذه وذلك أنهم قالوا: الدبر يذهب ليلاً فنأخذه فأرسل الله سيلاً فاحتمله فذهب به فلم يقفوا لجثته ولا لرأسه على خبر، وكان نذر أن لا يمس مشركًا فبرَّ الله قسمه فلم يروه أصلاً ولا عرفوا له محلاً.

فَبعثُـــــــهُ مُحمـــــد بـــن مَسْلَمهْ للقُرَطَا أصــــابَ منهـــم مَغْنَمهْ
شـــاء لـــهُم ونَعَمًـــا أصــــابُوا بَعضَهُـــــمُ وبَـــعضُهُمْ هُـــرَّابُ
لَـــمْ يَعرضـــوا للظُّعــن أمْرٌ رَامَهْ أمــــيرُهُــم وأسَـــرُوا ثُـــمَامَـــهْ

الثالث عشر: بعثة محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي الأوسي إلى القَرَطَا بضم القاف بعدها راء مفتوحة وظاء معجمة جمع قرظ قبيلة على سبع ليال من المدينة تزوج المصطفى منهم عمرة، فخرج إليهم لعشر خلون من المحرم على رأس تسعة وخمسين شهرًا من الهجرة وثلاثين راكبًا، فأغارَ عليهم وقتل وأصاب منهم مغنمة أي: غنيمة شاء جمع شاة لَهم ونَعمًا النَّعم مائة وخمسون والغنم ثلاثة آلاف، وأصابوا من القوم فقتلوا بعضهم وبعضهم هراب جمع هارب ولم يَعرضوا بفتح المثناة التحتية وضاد معجمة مخففة للظُّعن بضم الظاء المعجمة وسكون العين سكنت تخفيفًا وهم النساء جمع ظعينة سُميت به لأنَّها

---

(١) انظر: التخريج السابق.

(٢) أخرجه البخاري (٤٠٨٦).

تظعن مع زوجها حيث ظعن، وهو أمر رامه أي: طلبه أميرهم محمد بن مسلمة، وأسروا ثمامة بمثلثة مضمومة بن أثال بضم الهمزة الحنفي وانحدر إلى المدينة وغاب سبعة عشرة ليلة وقدم آخر المحرم.

فبعثــه عُكاشــة بــن مُحصن لغَمْــر مــرزوق مُويه لبَــني
أسد على يَومــين أيْ مــن فَيْــد فَهَربوا ومــا لقــوا مــن كَيْد

الرابع عشر: بعثه عكاشة -بضم العين وتخفيف الكاف وتشدد- ابن محصن الأسدي إلى غَمر بفتح المعجمة وسكون الميم بعدها راء مهملة مرزوق وهو مُوَيه تصغير ماء أي: هو ماء لبني أسد، وهو على يومين من فيد بفتح الفاء وسكون التحتية ويُقال: بالنون، وكان في ربيع الأول سنة ست من الهجرة وكان معه أربعون رجلاً فعلم به القوم فهربوا، ووجدوا رجلاً فأمَّنوه فدلهم على نَعم لبني عم له فاستاقوها وهي مائتا بعير وما لقوا في سير لهم من كيد وهو المكر والخديعة، وصغر الناظم لفظ ما وزاد أي التفسيرية للوزن.

وبعثُــهُ أيضًا إلــى ذي القَصَّــة مُحمــدًا إلــى بــني ثَعْلَــبة
فــي عَشَرَة فــأحْدَقَ الأعْــرابُ بِهم وكــانوا مائــة أصابــوا
كلَّهُمُ قتْلاً سِوَى ابــن مَسْلَمــهْ جُرِحَ جُرْحًا ســالمًا ما أسْلَمَــهْ

الخامس عشر: بعثه إلى ذي القَصة بفتح القاف وشد الصاد المهملة موضع في طريق العراق من المدينة بينها وبين المدينة أربعة وعشرون ميلاً، سمي به لقصة في أرضه أي: حصن، وقيل: هي على بريد من المدينة إلى بني ثعلبة، في عشرة رجال وكان في ربيع الأول سنة ست فوردوا عليهم ليلاً فأحدق بِهم الأعراب وكانوا مائة فترامو ساعة ثم حملت الأعراب عليهم فقتلوهم إلا محمد بن مسلمة فإنه جرح جرحًا سالِمًا ما أسلمه من جرح، ورجع إلى المدينة.

وقول الناظم: (فأصابوا) أي: أصابوهم كلهم وهو بالرفع توكيد للضمير المرفوع، وقوله: (ما أسلمه) حشو كمل به الوزن.

فبعثــه لَهُــم أبــا عبيــدة لَــم يَجِـد القوم وحادوا حَيْدَهْ
لكن أصابــوا رجــلاً فأسلمَا وغَنِموا شاء لَــهُمْ ونَعَمَــا

السادس عشر: بعثه لهم أي: إلى ذي القصة لبني ثعلبة الذين قتلوا العشرة أبا عبيدة عامر بن الجراح في ربيع الآخر سنة ست، فخرج إليهم في أربعين رجلاً فهربوا فلم يجد

منهم أحدًا، وحادوا عن مكانهم حيده أي: تنحوا عنه وصعدوا في الجبال، لكن أصابوا منهم رجلاً فأسلم فتركوه، وغنموا شاء بالمد ونَعمًا من نعمهم فَخَمَّسَهَا رسول الله وقسم البقية عليهم.

فَبعث زيد لبني سليم وهُمْ ببطن نَخْل بالجَموم
وقد أصابوا نَعَمًا وشاءَ وأسَروا ما الله منهم شَاءَ

السابع عشر: بعثه في ربيع الأول سنة ست زيد بن حارثة لبني سليم ببطن نخل عن المدينة بأربعة برد، وهم بالجموم بفتح الجيم وضم الميم الأولى على بناء فعول بلد بأرض بني سليم عن يسار بطن نخل ويُقال: الجموح بالحاء، فأصابوا امرأة مزنية تسمى حليمة فدلتهم عليهم فأصابوا نعمًا وشاء وأسروا من شاء الله منهم، وكان فيمن أسر زوج حليمة التي دلتهم فوهب المصطفى للمزنية نفسها وزوجها.

فبعثه للعيص حتى أخذوا عيرَ قُريش كُلَّها ونَفَذُوا
وفضَّة كثيرة وأسْرى مِمَّنْ مَعَ العير أتَوْا والصهرا
صهرَ النبي زوج زينب استَجارْ بها أجارت وهو أهْلٌ أنْ يُجَارْ

الثامن عشر: بعثه إلى زيد بن حارثة أيضًا إلى العيص بكسر العين وصاد مهملة من ناحية ذي المروة على ساحل البحر بطريق قريش إلى الشام على أربعة أميال من المدينة، فخرج في جمادى الأولى سنة ست لما بلغه أن عير قريش قدمت من الشام، فبعثه في سبعين ومائة راكب لاعتراضها حتى وافوها، وكانت لصفوان بن أمية كلها فأخذوها وما فيها ونفذوا أي: ذهبوا بِها إلى المدينة وأخذوا فضة كثيرة وأسرى ممن كان معهم ومنهم صهر النبي أبو العاص بن الربيع زوج زينب وهو ابن أخت خديجة واسمه على الأصح لقيط، فاستجار بِها أي: بزوجته فأجارته وهو أهل أن يُجار من الأسر، وردوا عليه جميع ماله المأخوذ.

فبعثه رابعة إلى الطرفْ ماء قريب من مراض فانصَرَفْ
إلى بَني ثَعلبة أصَابُوا أنعَامَهُمْ وهَرَبَ الأعْرَابُ

التاسع عشر: بعثه زيد بن حارثة مرة رابعة إلى الطرف بفتح الطاء والراء وهو ماء قريب من المراض دون النخيل على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة في جمادى الأولى سنة ست، فانصرف إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً فأصابوا أنعامهم وشياههم وهرب الأعراب،

وأصبح زيد بالنَّعم في المدينة وهي عشرون بعيرًا و لم يلق كيدًا، وغاب أربع ليال.

فبعثه خامسةً لحِسْمَى ... إلى جُذام فأتاهُمْ هَجْمَا
صُبْحًا على القوم أصابوا العارضَا ... وأبَهْ هُنيدًا المعارضَا
في قومه لدحيةَ الكلبي ... فقطَعُوا طريقَهُ بالقيّ
وكان زيدٌ معه خمسمائةْ ... فأخذوا الأنعَامَ والسَّبيَ فئةْ
مائةَ النساء والصبيانَا ... فجاءَ زيدٌ من جُذام كائنًا
مَعْهُ كتابُ المصطفى إذا سَلَّمَا ... له وللقوم فسالَ المغْنَمَا
أموالُهُمْ معَ حريمِهِمْ فَرَدْ ... كلاًّ إليهم وافيًا بما عَهَدْ

العشرون: بعثه أيضًا مرة خامسة إلى حَسْمى بكسر الحاء المهملة وسكون السين المهملة والقصر على بناء فعلى موضع من أرض جذام وراء وادي القرى، إلى قوم من جذام بضم الجيم قبيلة من اليمن في جمادى الأولى سنة ست، فخرج في خمسمائة رجل فأتاهم فهجم عليهم هجمًا على غفلة في وقت الصبح فقتل منهم العارض بعين مهملة وضاد معجمة، و(أبه) أي: وأباه هنيدًا بضم الهاء مصغرًا وهو المعارض في قومه لدحية الكلبي، وذلك أن دحية أقبل من عند قيصر وقد أجازه وكساء فلقيه الهنيد وابنه في ناس من جذام بحسمى فقطعوا عليه الطريق بالقيِّ بكسر القاف وشدة الياء، وهي الأرض الخالية، وأخذوا متاعه.

فقدم على المصطفى فأخبره فبعث زيدًا أمير هذه السرية ومعه خمسمائة رجل فهجموا عليهم فقتلوا منهم الهنيد وابنه وأخذوا ألف بعير ومعه خمسة آلاف شاة وأخذوا السبي وكان فيه مائة من النساء والصبيان، فجاء زيد بن رفاعة الجذامي في نفر من قومه إلى النبي وذلك بأنه كان معه كتاب المصطفى إليهم كتبه لهم ليالي قدم عليهم فأسلم واستعذر للقوم عما وقع منهم في حق دحية.

فسأل المصطفى أن يرد عليهم المغنم وهو أموالهم مع حريمهم فقال: يا رسول الله لا تحرم علينا حلالاً ولا تحل لنا حرامًا فقال: «**كيف أصنع بالقتلى؟**» قال أبو يزيد: أطلق لنا من كان حيًّا ومن قتل فهو تحت قدمي هاتين، فبعث معهم عليًّا إلى زيد يأمره برد مالهم وحريمهم إليهم فرد الكل إليهم وافيًا بما عهد إليه المصطفى، ووقع هنا زيد بن

رفاعة وعند ابن إسحاق[1]: رفاعة بن زيد بن وهب الجذامي وهو الصحيح، وقول الناظم: (وأبه) على لغة النقص كقوله:

بأبه اقتدى عدي في الكرم .. ..

فبعثُهُ أيضًا لَهُ مُؤَمَّرَا سَادسَةً لوجْهَة وادي القرَى

بهِ أصيبَ المسلمون قَتْلا وارتُثَّ زيدٌ مِنْ خَليط القَتْلى

الحادي والعشرون: بعثه لزيد أيضًا مؤمّرًا له على سرية سادسة، وقوله: (لوجهة) بكسر الواو وتنوين آخره أي: لجهة ثم فسرها بقوله: (وادي القرى) من أعمال المدينة، في رجب سنة ست وأصيب المسلمون يومئذ قتلاً ذريعًا، وارتثّ بضم المثناة الفوقية وشدة المثلثة مبني للمجهول أي: حمل من المعركة قد أثخنته الجراح، والرث والرثيث الثوب الخَلِقُ الذي فيه بقية، وقوله: (من خليط القتلى) جمع قتيل، أي: من وسط القتلى المختلطين، فآلى زيد به أي: أقسم أن لا يمس رأسه غسل جنابة حتى يغزو بني فزارة فلما استبل من جراحته غزاهم وسيجيء.

بعث ابن عوف بعدهُ لكلب بدُومة الجُندل فازَ الكَلْبي

أميرهم أصبغ بالإسلام ومعهُ ناسٌ من الأقوام

وأمرَ النبيُّ أنْ يُصاهِرَا نَكَحَ ذاك ابْنَةَ ذا تَمَاضرَا

الثاني والعشرون: بعث عبد الرحمن بن عوف الزهري أحد العشرة في سرية بعده أي بعد زيد لكلب أي: إلى بني كلب وهم بدومة بضم الدال وفتحها لكن أنكر ابن دريد الفتح، الجندل من بلاد الشام بقرب تبوك في شعبان سنة ست، دعاه المصطفى فأقعده بين يديه وعممه بيده وأسدلَ عمامته بين كتفيه قدر شبر وكانت سوداء وقال: «**اغز باسم الله وفي سبيل الله قاتل من كفر بالله لا تغدر ولا تقتل وليدًا**» فذهب فدعاهم إلى الإسلام ثلاثة أيام فأسلم الكلبي أميرهم واسمه الأصبغ بن عمرو وكان نصرانيًا وأسلم معه ناس من قومه ومن بقي على دينه بذل الجزية، وأمر النبي عبد الرحمن أن يصاهر الأصبغ إذا استجابوا له فنكح ذاك يعني عبد الرحمن ابنة ذا أي الأصبغ واسمها تماضر بفتح المثناة فوق وتخفيف الميم وضاد معجمة مكسورة وقدم بها المدينة وهي أم أبي سلمة بنت عبد الرحمن التابعي الجليل.

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٦١٥).

فبعثه لفدك عليًّا ... إلى بَني سَعْد بن بَكر أحْيَا
الليل سيرًا وكمنْ نَهَارَا ... حتَّى أتَاهُم غَفْلَةً أغارَا
فَهَربوا إذْ جاءهُمْ بالظُّعَنِ ... واستَاقَ أنْعَامَهُمُ غَيْرَ وَني

الثالث والعشرون: بعثه علي بن أبي طالب إلى فدك بفتح الفاء والدال بينها وبين المدينة يومان وحصنها يقال له: الشموخ إلى بني سعد بن بكر في شعبان سنة ست لما بلغه أنهم جمعوا جمعًا يريدون إمداد يهود خيبر، فسار علي إليهم في مائة رجل يحيون الليل سيرًا ويكمنون نهارًا حتى انتهوا إلى ماء بين خيبر وفدك فوجدوا رجلاً فأمّنوه فدلهم عليه حتى أتاهم غفلة فأغاروا عليهم فهربوا بالظعن بضم الظاء النساء، واستاق أنعامهم وكانت خمسمائة بعير وألفي شاة فقدموا بها إلى المدينة ولم يلقوا كيدًا. وقول الناظم: (غير وني) بفتح الواو اسم فاعل من الونا وهو الضعف كمل به الوزن.

فبعثه زيدًا لأم قِرْفَة ... سابعةً فقُتلَتْ بعَسْفَة
وصَحَّ في مُسلم الطَّريقُ ... بأنَّمَا أميرهـا الصِّديقُ

الرابع والعشرون: بعثه زيد إلى أم قرفة بكسر القاف وسكون الراء واسمها فاطمة بنت ربيعة بناحية وادي القرى في رمضان سنة ست بسبب ما مر، وهذه غزوة سابعة لزيد فاجتاز قرفة فقُتلت بالبناء للمفعول بعسفة أي: قتلها قيس بن المحسر وهي عجوز قتلاً عسفًا، أي: بعنف ربط برجلها حبلاً وربطها بين بعيرين وزجرهما فذهبا فقطعاها وذلك لأنها سبت النبي ﷺ، وأخذ سلمة بن الأكوع بنتها حارثة بنت مالك.

وسميت أم قرفة لأنها كانت تعلق في بيتها خمسون سيفًا لخمسين رجلاً كلهم لها ذو محرم، وما ذكر من أن زيدًا هو أمير هذه السرية هو ما جاء في طريق لكن صح في صحيح مسلم[1] الطريق من رواية إياس بن سلمة بن الأكوع، عن أبيه بأن أميرها إنما هو الصديق.

فبعثهُ لابن عتيك مَعَهُ ... قَوْمٌ من الخَزْرج كي تَمْنَعَهُ
لخيبر لابن أبي الحُقَيْق ... لقتله أعينَ بالتوفيق
واختَلفُوا فقيلَ ذا في السَّادسة ... أو ثالث أو رابع أو خامسة

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٥٥).

الخامس والعشرون: بعثه عبد الله بن عتيك وأرسل معه قومًا من الخزرج وكانوا أربعة: مسعود بن سنان، وعبد الله بن أنيس، وأبو قتادة، وخزاعي بن أسود كي تمنعه أي: تمنع هذه الأربعة ابن عتيك من أن يصل إليه أحد، فساروا لخيبر لأجل قتل أبي رافع عبد الله بن أبي الـحُقيق مصغرًا اليهودي وكان ممن حزب الأحزاب وآذى رسول الله ﷺ، فخرجوا حتى أتوا خيبر ليلاً فجعلوا لا يمرون بباب إلا أغلقوه فلما انتهوا إلى منـزله صعدوا إليه وقدموا ابن عتيك لأنه كان يتكلم باليهودية، فاستأذنوا فخرجت امرأته قال: من أنتم؟، قالوا: من العرب نلتمسُ الميرة، فلما دخلوا أغلقوا عليها وعليهم الباب فأرادت الصياح فأشاروا إليها بالسيف فسكتت، فابتدروه بالسيوف فقتلوه في فراشه وما دَلَّهُم عليه في سواد الليل إلا بياضه، وتحامل عليه ابن أنيس بسيفه في بطنه حتى أنفذه، وكان ابن عتيك ضعيف البصر فوقع من الدرجة فأصيبت رجله فحملوه وكمنوا به يومين وخرج في طلبهم ثلاثة آلاف فلم يروهم فرجعوا، ثم قدموا على المصطفى فأخبروه فقال: «**أفلحت الوجوه**».

واختلفوا في قتله فكل يدعيه فنظر المصطفى إلى أسيافهم فإذا أثر الطعام في ذباب سيف ابن أنيس فقال: «**هذا قتله**».

وفي البخاري[1] أن ابن عتيك قتله وأنه دخل إليه وحده وصحبه خارج الدار، واختُلف في أي وقت كانت هذه السرية فقيل: في السنة السادسة من الهجرة، وقيل: الثالثة، وقيل: الرابعة، وقيل: الخامسة، وقيل غير ذلك.

فَبَعْـــدَهُ بَعْـثٌ ثَـلاثُونَ رجُـــلْ	**أَميرُ ذاكَ ابــنُ رواحَــةَ البَطَـــلْ**
لـــخَيـــبر فَقَتَلـــوا أســـيرا	**ابــنَ رزام لا أصَـــابَ خَيْـــرًا**
ومخرشٌ مـــن شَوْحَط كــان مَعَهْ	**فَشَجَّ عَبدَ الله لَمَّـــا صَرَعَـــهْ**
فَبَصَــقَ النــبيُّ فـــي شجَّتـــه	**فلمْ تَكـــنْ تُؤذيـــه حتَّـــى مَوْته**

السادس والعشرون: بعث بالتنوين وهم ثلاثون رجل بالوقف وأصله رجلاً لَكِنَه سُكِّن للضرورة، وكان أمير ذلك البعث عبد الله بن رواحة الأنصاري الرجل البطل أي: الشجاع إلى أسير بن رزام اليهودي بخيبر في شوال سنة ست، وذلك أنه لما قتل ابن أبي الحقيق أمّرت اليهود عليها أسيرًا فصار يحزب على المصطفى فساروا حتى قتلوا أسيرًا بضم

(١) انظر: البخاري (٤٠٣٧).

الهمزة مصغرًا وهو ابن رزام بكسر الراء وتخفيف الزاي لا أصاب خيرًا، وذلك أنهم ساروا إليه وأمَّنوه وأمَّنهم وقالوا: بعثنا النبي إليك ليستعملك على خيبر فطمع فخرج في ثلاثين يهوديًا حتى إذا كانوا بالطريق أهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس فقال: اغدر، فضربه بالسيف فسقط من بعيره وبيده مخرشٌ بكسر فسكون عصًى معوجة الرأس من شوحط بفتح المعجمة شجر يتخذ منه القسي فشج رأس عبد الله لما صرعه، ثم مالت السرية على أصحابه فقتلوهم غير واحد، ثم قدموا على المصطفى فأراهُ عبد الله الضربة فبصق النبي في شجته فلم تكن تؤذيه حتى مات.

فبعثُهُ كُرْزَ بْنَ جَابرٍ إلى العُرَنيينَ الذينَ مَثَّلا
بِهِمْ رسول الله في القتل كَمَا قدْ فعَلوا هُمْ في الرُّعاة مثْلَ ما
وما روَاهُ ابنُ جريرٍ كَوْنَا جَريرِ المرسلِ فَارْدُدْ وَهْنَا

السابع والعشرون: بعثه كرزًا بضم الكاف بن جابر الفهري إلى العرنيين بضم العين وفتح الراء سموا به لأن أكثرهم من عرينة بطن من بجيلة، وفي الصحيحين[1] أنهم كانوا ثَمانية نفر وهم الذين مَثَّل بِهم رسول الله ﷺ في القتل كما مَثَّلوا هم أي: فعل بِهم مثل ما فعلوه في الرعاة بضم الرعاء جمع راع، فإنهم قتلوا رعاء لقاح النبي ﷺ أو الصدقة ومثلوا بِهم وذلك لأنَّهم قدموا على النبي ﷺ مضرورين فأنزلهم فلما أصبحوا قتلوا رعاء اللقاح وأخذوا عامدين إلى أرضهم فأحضروا إليه فقطع أيديهم، وأرجلهم وسمَّل أعينهم وجعلوا يقولون: الماء فيقول: «**النار**».

وأما ما رواه محمد بن جرير بفتح الجيم الطبري بسنده من كون المرسل إليهم هو جرير بن عبد الله فاردده وهنًا بسكون الهاء أي لضعفه جدًّا لأن في روايته أن السرية كانت في سنة ست وإسلام جرير في العاشرة هذا ما وَجَّهُوا به الرد، لكن صار بعضهم إلى الجمع بأن كرزًا كان أمير السرية وكان جابر إذ ذاك كافرًا وكانت الكفار تقاتل مع المصطفى حمية فحضر معهم.

فبعثُ عمرو بنِ أميَّةَ إلى قَتلِ أبي سفيانَ فيما فَعَلا
منْ كونهِ جَهَّزَ أعْرابيًّا بخنجرٍ ليقتُلَ النَّبيَّا
فَلَمْ يطقْ فأسلمَ الأعْرابيْ فَرَاحَ عَمْروٌ مَعَهُ صَحَابي

---

(١) أخرجه البخاري (٤١٩٢)، ومسلم (١٦٧١).

جَبَّارٌ أو سَلمَةُ بْنُ أَسْلَمَا وقَدَّر الله لهُ أنْ يَسْلَمَا
فَلَمْ يُطيقَا قتلَهُ وقَتَلا عَمروٌ ثلاثةً وأسْرَى رَجُلا

الثامن والعشرون: بعث عمرو بن أمية الضَّمري بفتح الضاد المعجمة إلى قتل أبي سفيان بن حرب أفضل قريش رأيًا في الجاهلية بسبب ما فعل من كونه جهز أعرابيًا بخنجر بكسر الخاء المعجمة ليقتل به النبي فلم يطق، وذلك أنه جاءه وهو بمسجد بني عبد الأشهل فذهب ليجني على المصطفى فجذبه أسيد بن حضير بداخلة إزاره فإذا بالخنجر سقط من يده فقال المصطفى: «**اصدقني**».

قال: وأنا آمن؟، قال: «**نعم**» فأخبره فخلى سبيله فأسلم، فحينئذ أرسل المصطفى عمرًا وما راح وحده بل راح ومعه صحابي قيل: هو جبار بن صخر الأنصاري، وقيل: سلمة بن أسلم الأنصاري، وقال: «**إن أصبتما منه غرةً فاقتلاه**» فدخلا مكة ومضى عمرو يطوف بالبيت فرآه معاوية فعرفه فأخبر قريشًا فخافوه وطلبوه، وكان فاتكًا في الجاهلية فقالوا: لم يأت بخير فحشدوا له فهرب ولم يجتمع بأبي سفيان، وقدَّر الله أن يَسلَم بفتح أوله وثالثه، ولَم يُطق الضمري ورفيقه قتله، وقتل عمرو في الطريق ثلاثة رجال لقي عبد الله بن مالك فقتله، وقتل آخر من بني الديل سمعه يقول:

ولستَ بمسلم ما دمت حيًا ولستُ أدين دينَ المسلمينا

وأسر رجلاً فقدم به المدينة.

بَعْثُ أبانَ بن سَعيد نَجْدَا من بَعْد فتح خَيْبر قدْ عُدَّا

التاسع والعشرون: بعث أبان بن سعيد بن العاص الأموي إلى نجد وذلك البعث وقع من بعد فتح خيبر، وقوله: (قد عُدَّا) بضم العين أي: قد عد بعض أهل السير هذه السرية من جملة البعوث، ويحتمل أن المراد قد عد بعد فتح خيبر.

ثُمَّ إلى تُربة بَعْثُ عُمَر نَحوَ هَوازن أتَاهُمُ الخَبَرْ
فهربوا لَم يلقَ منهم أحدَا وَعَادَ راجعًا لنَحْو أحْمَدَا

الثلاثون: بعثه عمر بن الخطاب في شعبان سنة سبع في ثلاثين رجلاً إلى تربة بضم المثناة وفتح الراء ثم باء موحدة بوزن فعلة موضع في بلاد بني عامر وقيل: واد بقرب مكة قريب من هوازن فأتاهم الخبر فهربوا وجاء عمر فلم يلق منهم أحدًا وعاد عمر راجعًا إلى النبي أحمد.

بَعْـثُ أبـي بكـر إلى كلاب يَعْقُبُـهُ وَمَرَّ فـي كتـابـي
بـأنَّ بعثَـهُ إلـى فـزَارَة في مُسلم قدْ صَحَّ مَـعْ زيـادَة

الحادي والثلاثون: بعث أبي بكر الصديق ﷺ إلى بني كلاب بكسر الكاف والتخفيف قبيلة بنجد، وكان بعثه في شعبان سنة سبع يعقب بعث عمر فقتل ناسًا من المشركين، وكان شعارهم أمت أمت.

وقول الناظم: (ومر في كتابي) أي: في هذه الأرجوزة المسماة بنظم الدرر السنية في سيرة خير البريـة في البعث الرابع والعشرين أن بعث أبي بكر إلى بني فزارة في صحيح مسلم قد صح مع زيادة في الحديث.

فبعثُـهُ بشـيرًا الأنصـاري لفُـدك فَسَاقَ فـي انـحـدار
شاء لـهُمْ وَنَعمًـا فـأدْرَكُوا أَصحابَهُ فَقَتَلُـوا وسَفَكـوا
وأخَذُوا أمـوالـهُـمْ وسَلمَـا من بَعْدِ مـا ارْتُثَّ بشيرٌ قَدَمـا

الثاني والثلاثون: بعث بشيرًا بفتح الموحدة الأنصاري البدري والد النعمان إلى فدك بالتحريك في شعبان سنة سبع إلى بني مرة ومعه ثلاثون رجلاً، فلقي رعاء الغنم فسأل عن الناس فقالوا في بواديهم فساق النعم والشياه وانحدر بها نحو المدينة فخرج الصريخ إلى أصحابها فأدركوا بشيرًا فتراموا بالنبل ففنِيَ أصحاب بشير فقتلوهم وسفكوا دماءهم وساقوا أموالـهم وسَلِمَ بشيرٌ من بعد ما ارْتُثَّ بضم التاء كما تقدم.

فبعثـه الليـثـيَّ غَـالبًا إلـى ميفعَـة من أرض نَجد قَتَـلا
قَومًـا وسَـاقَ نَعَمًـا وشَـاءَ لَـهُمْ ولَـمْ يستأسِرنْ مَنْ جَاءَ
قيـلَ بِهـا أُسـامَةُ بـنُ زيد قَتَـلَ مَـنْ نَـطَقَ بالتوحيـد
قالَـه لَـه النبيُّ هَلاَّ قَلبَـهْ شَقَقْتَ عَنْهُ هـلْ تُحـسُّ كَـذِبَهْ
وفـي الـبُخـاريْ بَعثُـهُ أُسامـهْ للحُرقَـات سَـاقَ ذا تَمَامَـهْ
وسيجـيءُ ذكـرُ هذي الوَاقعهْ من بعد ذكـرى لبعـوث عشرهْ

الثالث والثلاثون: بعثه غالب بن عبد الله الليثي إلى الميفعة بفتح أوله وفاء مفتوحة بعدها عين مهملة قرية أو موضع وراء بطن نخل من أرض نجد في رمضان سنة سبع، وكان في مائة وثلاثين رجلاً وهجموا عليهم فقتلوا قومًا وساق نَعَمًا وشاءً ولم يستأسرن بفتح الراء قبل نون التوكيد الخفيفة من جاء منهم.

وقيل كان بهذه الغزوة أسامة بن زيد قَتَلَ فيها من أسلم وهو نهيك بن مرداس وكان نطق بكلمة التوحيد فقال: لا إله إلا الله فلما قدم قال له النبي: «**أقتلتهُ بعد أن قالها؟**» قال: إنّما قالها خوفًا من السيف، قال: «**هلاً شققت عن قلبه هل تحس كذبه؟**»[(١)] -بكسر الذال- أي: هل تعلم أنه صادق أو كاذب، قال أسامة: فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أسلم إلا يومئذ، وبوب في البخاري على هذه السرية (باب بعث أسامة للحُرَقات).

قال ابن الكلبي: بضم المهملة وفتح الراء، ثم قال نسبة إلى الحرقة من جهينة واسمه جهيش بن عامر، وساق البخاري هذا الحديث بتمامه، وسيجيء ذكر هذه الواقعة بعد ذكر عشرة بعوث وهو البعث الرابع والأربعون. وقوله: (عشرة) بسكون الشين للوزن.

فبعثـــــهُ بشـــــيرًا الأنصـــــاري ثَانيــــةً ليَمَـــنَ والـجَبَـــار
لغَطَفَانَ هَرَبــــوا وقـــدْ هَجَـــمْ أرْضَهُمُ فَلَمْ يَجـــدْ إلا النَّعَـــمْ
فَسَـــاقَهَـــا وَرَجُلَيْـــن أُســـرَا فأسْلَمــا وأرْسَـــلا إذ حَضَـــرَا

الرابع والثلاثون: بعثه أيضًا بشيرًا الأنصاري إلى يمن بفتح المثناة التحتية موضع بقرب مكة، وقيل: هو بضم أوله، وقيل: بزيادة همزة مفتوحة أوله والميم ساكنة في الكل للوزن ثم نون آخره أرض لغطفان أو لبني فزارة، والجبار بفتح الجيم وباء موحدة مخففة بعدها ألف وراء اسم موضع بقرب خيبر، أو ماءٌ بقرب وادي القرى، أو أرض لفزارة وعذرة، أو بين فزارة وكلب، وكانت في شوال سنة سبع فلما قدم عليهم هربوا وهجم على أرضهم فلم يجد إلا النَّعم فساقها وأسر رجلين فأسلما حين أحضرا إلى المصطفى.

يَليـــــه بَعْــــثُ ابن أبي العوْجَـــاء وهـــوَ بُعَيْــــدَ عُمــــرة القَضَـــاء
إلـــــى سُــلَيْم جَاءَهُمْ عَيْنٌ لَهُـــــمْ فَجَاءهُمْ وَقَـــدْ أعَــــدّوا نَبْلَهُمْ
ثُمَّ تَرامُــــوا سَـــاعَةً فَقُتـــــلا أصحابُهُ وهـــوَ قَـــدْ تَحَامَـــلا
من بعد جُرحــــه إلـــى أنْ قَـــدِمَا علـــى النـبي سالـــمًا مُسَلِّمَـــا

الخامس والثلاثون: بعث ابن أبي العوجاء بعد بعث بشير واسمه الأخرم بخاء معجمة وراء السلمي، والعوجاء بفتح العين المهملة وسكون الواو ثم جيم، وهذا البعث هو بُعيد

(١) انظر: البخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).

بالتصغير أي: بعد عمرة القضاء بأيام قليلة، وعمرة القضاء في ذي الحجة سنة سبع، وكان بعثه إلى بني سُليم مصغرًا فخرج إليهم في خمسين رجلاً وتقدمه عين أي: طليعة لهم فحذرهم، فجاءهم الأخرم ومن معه وقد أعدوا للحرب بنبلهم فدعاهم إلى الإسلام، فقالوا: لا حاجة لنا فيما دعوتنا إليه، ثم تراموا بالنبل ساعة وأتت الأمداد من كل ناحية فقاتلهم الأخرم قتالاً شديدًا فقتل عامة أصحابه وأصيبَ هو جريحًا مع القتلى فتحامل أي: تكلف المشي على مشقة من بعد جرحه إلى أن قدم على النبي سالمًا من القتل.

فَبَعثُ غالب إلى الكديد … إلى بَني المُلَوِّح الرُّقود
شَنَّ عليهم غارَةً فاسْتَاقَا … نَعَمَهُمْ وأدْرَكُوا اللحَاقَا
به فَجَاءَ الله بالسَّيْل فَمَا … قَدَّرَهُمْ أنْ يَسْتردوا النَعَمَا

السادس والثلاثون: بعث غالب بن عبد الله الليثي إلى الكديد بفتح الكاف ودالين أولاهما مكسورة وبينهما مثناة تحتية موضع بين مكة والمدينة، فيه عين جارية عليها نخل كثير بين قديد وعسفان، إلى بني الملوح بكسر الواو المشددة وهم من بني ليث، وكان معه بضعة عشر رجلاً فشن عليهم الغارة في وجه السَّحر فاستاق نَعَمهم وقتل منهم جماعة كثيرة، وخرج صريخ القوم فأدركوا غالبًا وأصحابه ولحقوا به بسرعة وجاء معهم ما لا قِبَلَ به لهم فقربوا منهم وما بقي بينهما إلا الوادي، فجاء الله بسيل عظيم فحال بينهما و لم يقدروا أن يستردوا نَعَمهم وهم ينظرونَ إليها عيانًا مع كثرتهم.

وقول الناظم: (الرقود) أي: في بيوتهم حشو كمل به الوزن.

فبعثه ثالثةً إلى فَدَكْ … أجْلَ مُصَاب مَنْ بهَا قَبْلُ هَلَكْ
مع بشير فأصابوا النَّعَمَا … وقَتَلُوا في الله قَتْلى لُوَمَا

السابع والثلاثون: بعثه غالب بن عبد الله مرة ثالثة إلى فدك في صفر سنة ثمان من أجل من أصيب بها من الصحابة وهلك بالقتل مع بشير الأنصاري في البعث المار، فخرج في مائتي رجل منهم أسامة بن زيد فأغاروا عليهم وقت الصبح فأصابوا منهم نَعما وقتلوا منهم قتلاً ذريعًا في الله تعالى ولا يخافون لومة لائم.

بعثُ شُجاع بعدَهُ إلى بَني … عَامر بالسيء إلى هُوَازن
يَسيرُ ليلاً يَكْمُنُ النَّهَارا … فَسَارَ حَتَّى صَبَّحَ الدِّيَارا
أصَابَ مِنهُمْ نَعمًا وشَاء … وخَمَّسُوا وقَسَمُوا مَا جَاء

الثامن والثلاثون: بعث شجاع بن وهب الأسدي إلى بني عامر بالسيء بكسر السين المهملة وبالهمز اسم موضع على خمس ليال من المدينة في ربيع الأول سنة ثمان في أربعة وعشرين رجلاً إلى جمع من هوازن، فكان يسير ليلاً ويكمن نهارًا حتى صبَّحهم على غفلة فأصابَ منهم نَعمًا كثيرًا وشاء فقدموا بها المدينة فخمَّسوها واقتسموا، فكانت سهامهم خمسة عشر بعيرًا وغابوا خمس عشر ليلة.

فبَعثُ كَعب بن عُمَيْر بن غفَارْ ... لذَات إطلاح فَحَلُّوا بالديَارْ

فوَجَدوا الجَمْعَ كثيرًا قَاتَلوا ... من أعظم القتال حتى قُتلوا

إلا الأميرَ ابنَ عُمَيْر كَعْبَا ... نَجَا جريحًا كانَ رزأ صَعْبَا

التاسع والثلاثون: بعث كعب بن عمير الغفاري إلى ذات إطلاح وهي وراء وادي القرى وقيل: هو أرض الشام في ربيع سنة ثمان في خمسة عشر رجلاً، فساروا حتى حلوا بِها فوجدوا جمعًا كثيرًا فدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ورموهم بالنبل ثم قاتلوا قتالاً شديدًا حتى قُتلوا وما نجا منهم إلا أميرهم فإنه انفلت منهم وهو جريح، وكان رزأ صعبًا على المسلمين شق على المصطفى وهم بالبعث إليهم فارتحلوا فتركهم.

فبعثُ عمرو وهوَ ابنُ العاص ... إلى قُضَاعة بمرمى قاصي

ذات السُّلاسل وكان مَنْ مَعَهْ ... عُدَّ ثلاثمائة مجتمعة

فبلغ ابن العاص كثر الجمع ... أرسلَ يستمد قدرَ الوُسع

أرسلَ له أبا عُبيدة ورَدْ ... في مائتين منهما شيخَا الرَّشَد

العُمران يَلْحَقَان عُمَرا ... فلَحقُوهُ ثُم سَاروا طُرّا

حتى لقوا جمعًا من الكفار ... فَهَرب الكفَّارُ للأدْبَار

الأربعون: بعث عمرو بن العاص إلى قضاعة بذات السلاسل بضم السين الأولى وقيل: بفتحها وكسر الثانية ماءٌ بأرض جذام على عشرة أيام من المدينة، وقيل: بِها الماء اسمه سلسل فسميت به الغزوة ذات السلاسل، فخرج في جمادى الآخرة سنة ثمان في ثلاثمائة من وجوه المهاجرين والأنصار فسار الليل وكمن النهار حتى دنا منهم فبلغه كثرة الجمع فأرسل إلى المصطفى يستمده فأمده بأبي عبيدة بن الجراح في مائتين منهم الشيخان أبو بكر وعمر، فلحقوا بِهم ثم ساروا جميعًا فلحقوا جمعًا كثيرًا من الكفار فحمل عليهم المسلمون فهربوا وتفرقوا.

فبعثـــهُ أيضًـــا أبـــا عُبَيْدَة ... فـــي عـــدَّة وهـــم ثلثُمائـــة
وهو الذي تعريفـــهُ جيشُ الـــخَبَطْ ... يَلقُـــونَ عـــيرًا لقريـــش فَفَرَطْ
وكـــان زادُهُـــم جـــرابُ تَمْر ... فأكلـــوا الـــخبطَ بَعْـــدَ التَّمْر
وفيـــه ألْقَـــى البَـــحْرُ حُوتًا مَيّتَا ... يَـــدعونَـــهُ الـــعَنْبَرَ حـــتى ثَبَتَا
شَهْرًا عليـــه الجيشُ حتَّى سَمنـــوا ... من أكلـــه وحملـــوا وادَّهَنُـــوا
وفيـــه قَيسٌ بـــنُ سَعْـــد نَحَرَا ... جزائرًا للجيـــش حتَّـــى ائْتَمَـــرا
عُمَـــرُ مَـــعْ أمـــيرهـــم فمَنَعًـــا ... وجَـــاءَ سعدٌ فاشتَكى مَنْ مَنَعـــا

الحادي والأربعون: بعثه أيضًا أبا عبيدة في رجب سنة ثمان في ثلاثمائة رجل من المهاجرين والأنصار ومنهم عمر إلى حي من جهينة مما يلي ساحل البحر على خمس ليال من المدينة، وهذا هو المعروف بجيش الخبط لأنَّهم أصابَهم في الطريق جوعٌ شديد فأكلوا الخبط وذلك لأنه بعثهم يلقون عيرًا لقريش فسبقهم و لم يلقوا كيدًا، وكان زادهم جراب تمر ففرغ فأكلوا الخبط بعده، فألقى البحر لـــهم حوتًا عظيمًا ميتًا يُسمى العنبر فأكلوا منه شهرًا حتى ثابت إليهم أبدانهم حتى سمنوا وادهنوا من ودكه.

ولـــما جاع الجيش في هذا البعث وكان فيهم قيس بن سعد بن عبادة فقال: من يشتري مني تمرًا بجزور يوفني الجزور هنا وأوفيه التمر بالمدينة فجعل عمر يقول: واعجباه لغلام لا مال له يدين في مال غيره، فباعه رجل من جهينة خمس جزائر فنحر لـــهم ثلاثًا في ثلاثة أيام كل يوم واحدة، فلـــما كان في اليوم الرابع ائتمر عمر وأمير الجيش أبو عبيدة فمنعاهُ وقالا: عزمنا عليك أن لا تنحر، فلما قفلوا اشتكى سعد إلى أبيه ممن منعه فلامه ووفى للجهني حقه وحمله وكساهُ فبلغ النبي فعل قيس فقال: «**إنه في قلبه جود**».

بَعْـــثُ أبـــي قَتَـــادَةَ الأنصَاري ... بَعـــدُ إلـــى خُضـــرَةَ للـــمغَار
علـــى مُحـــارب بنَجـــد سَـــارَا ... ليلاً بهـــم وكَمَن النَّهَـــارا
فَقَتَلُـــوا مَنْ جـــاءَ واستاقُوا النَّعَمْ ... وأخْـــرَجَ الـــخُمْسَ الأمـــيرُ وَقَسَمْ

الثاني والأربعون: بعث أبي قتادة بن ربعي الأنصاري إلى خضرة بضم الخاء وهي أرض محارب بنجد في شعبان سنة ثمان ومعه خمسة عشر رجلاً إلى غطفان، وأمره أن يشن عليهم الغارة فسار الليل وكمن النهار فهجم عليهم وقتل من أشرافهم من جاء إليهم واستاقوا النَّعم وكانت الإبل مائتي بعير والغنم ألفي شاة وسبوا سبيًا كثيرًا، وجمعوا الغنيمة فأخرج

الأمير الخمس وقسم الباقي فأصابَ كل واحد اثني عشر بعيرًا، وغابوا خمس عشرة ليلة.

فَبَعْثُـــهُ أيضًـــا إلــــى بَطْنِ إضَمْ حـــينَ أرادَ غَـــزْوَ مَكَّـــة وَهَمْ
وكـــانَ فـــي البَعْـث مُحَلِّمٌ قَتَلْ عامرَ أشجَـــعَ وبئسَ مـــا فَعَـلْ
حَيَّـاهُـمُ تَحيَّـــــة الإســــلام قتلَــــهُ فَبَــــاءَ بالآثــــام
ونَــزَلَتْ ﴿وَلاَ تَقُولُوا﴾ الآيــــا ثُم لَقُـــوا النـبيَّ عنـــدَ السُّقْيَا
ولابــن إسحـــاق بــأنْ ذي القصَّةْ لابــن أبــي حَــدْرَد وهُــوَ غزْوَةْ
بَعَثَـــهُ مـــعْ رجلــين نَحْـوا رفاعَة جَـاءَ يريـــدُ غــزْوا
للمُسلمين معَ بطن مـــن جشَـــمْ قَتَلَـــهُ عُـــروةُ واستَاقَ النَّعَمْ

الثالث والأربعون: بعثه أبا قتادة أيضًا في ثمانية رجال في رمضان سنة ثمان إلى بطن إضم بكسر الهمزة وفتح الضاد المعجمة واد دون المدينة قاله الطوسي.

وقال ابن الأعرابي: جبل لأشجع وجهينة، وقيل: واد لهم، وقيل: بين ذي خشب وذي مروة على ثلاثة برد من المدينة، وكان في البعث محلم بن جثامة الليثي فمر عامر بن الأضبط الأشجعي فسلم بتحية الإسلام فأمسكَ عنه القوم وحمل عليه محلم فقتله وسلبه متاعه وبعيره فلما لحقوا بالنبي نزل بِهم: ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤] الآيات، فمضوا و لم يلقوا جمعًا فانصرفوا حتى انتهوا إلى ذي خشب، فبلغهم أن النبي توجه إلى مكة فلحقوه بالسقيا.

وهذه القصة وهي الغزوة نسبها ابن إسحاق[1] إلى ابن أبي حدرد وهو عروة الأسلمي فإنه نكح امرأة وجاء إلى النبي يستعينه على نكاحها فقال: «**ما عندي ما أعينك به**» فمكث أيامًا، وأقبل رجل من بني جشم يُقال له رفاعة بن قيس في بطن عظيم من بني جشم حتى نزل بِهم بالغابة يريد أن يجمع قيسًا على حرب المصطفى فدعاه المصطفى وأرسل معه رجلين فقال: «**اخرجوا حتى تأتوا بخبر هذا الرجل**» فخرجوا فكمن له عروة ليلاً حتى أمكن منه فنفحه بسهم فوقع في فؤاده فلم يتكلم فاحتز رأسه وكبر في ناحية العسكر فهربوا، واستاق عروة وصاحباه النعم وهي ثلاثة عشر بعيرًا.

فَبَعْثُـــــهُ أسَامَـــةَ بـــنَ زَيْـد للحُرَقَــــات وَهْوَ ذو تَرديــــــد

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/٦٢٦).

هَلْ كانَ في السَّبْع كَما قـدْ مَـرَّا أو فـي الثَّمَان كـانَ وهْوَ أحْرى
وفيـه قتلُهُ لـمَنْ قـد ذَكَـرا كلمةَ التَّوْحيـد حتَّـى أنْكَـرَا

الرابع والأربعون: بعثه أسامة بن زيد إلى الحرقات وهو وقع فيه تردد هل كان في سنة سبع أو في سنة ثمان، والثاني أحرى أي: أحق بالاعتماد، وفي هذا البعث قتل أسامة من نطق بكلمة الشهادة فأنكر عليه النبي ﷺ ذلك كما مر.

فبعـث خالـد لـهدم العُـزَّى فحَزَّهَـا بـاثنَين حَـزًّا حَزَّا

الخامس والأربعون: بعث خالد بن الوليد إلى هدم العزى أعظم أصنام قريش وبني كنانة وكانت بنخلة، فخرج لخمس بقين من رمضان سنة ثمان في ثلاثين فارسًا فهدمها ثم رجع إلى المصطفى فأخبره فقال: «**هل رأيت شيئًا؟**» قال: لا، قال: «**إنك لم تهدمها فارجع فاهدمها**» فرجع وهو متغيظ فجرد سيفه فخرجت امرأة عريانة سوداء ناشزة الرأس فضربها خالد فحزها باثنتين أي: قطعها قطعتين ورجع إلى المصطفى فأخبره فقال: «**تلك العزى وقد أيست أن تعبد أبدًا**».

فبعثُ عَمْـرو ثانيًـا فَهَدَمها سَواعَ والسَّادنُ أضحَى مسْلـمَا

السادس والأربعون: بعث عمرو بن العاص في رمضان سنة ثمان إلى سواع صنم لهذيل لهدمه فانتهى إليه وعنده السادان فقال: لا تقدر على هدمهم، فقال: حتى الآن وأنت على الباطل، ثم كسره وهدم بيت خزانته فلم ير ما يضر، فقال للسادن: كيف رأيت، قال: أسلمت لله.

فبعثَ سَعْـد وهْوَ ابن زيـد هَدَمَ مَنَاتَهُمْ عَلـى قَـديـد

السابع والأربعون: بعث سعد بن زيد الأشهلي في رمضان سنة ثمان إلى مناة وكانت بالمشلل على قديد للأوس والخزرج وغسان، فخرج في عشرين فارسًا فوصلها وعندها السادن فخرجت امرأة عريانةٌ سوداء ثائرة الرأس تولول وتضرب صدرها فقال السادن: مناة دونك بعض عصاتك، فقتلها سعدٌ وكسر الصنم ثم رجع ولم يجد بأسًا.

فبعـثُ خـالـد إلـى جُذَيْمَة ثَـانيةً يَدْعُـو لـخـير ملَّة
ليـس مقـاتلاً وكـانوا أسْلَموا قـالوا صَبَأنا وَهْوَ لفـظٌ منـهُمُ
أمـرهم خـالـدٌ أن يُـقَتّلاَ كـلٌّ أسـيرهُ فَبَعْـضٌ قَتَـلاَ
وبَعْضُهـم أمـسَكَ كَابـن عُمَرا وصحبه لـم يَقتُلوا مـن أُسـرَا
قـالَ النبيُّ إذ أتَـاهُ الـوَارِدُ أبـرأ مـمَّا قـد أتَـاهُ خالدُ

وَذَى لَهُم قَتْلاهُمُ النَّبِيُّ ذهب بِهَا إليهم عليٌّ

الثامن والأربعون: بعثه خالد بن الوليد إلى بني جذيمة من كنانة ناحية يلملم بأسفل مكة في شوال سنة ثمان داعيًا إلى الإسلام ولم يبعثه مقاتلاً، فخرج في ثلاثمائة وخمسين فانتهى إليهم فقال: ما أنتم؟ قالوا: صبأنا وهو لفظ يُفهم الإسلام عندهم، ثم صرحوا به فقالوا: مسلمون آمنا بمحمد وصلينا وبنينا المساجد في ساحاتنا وأذنًا فيها، قال: فما بالُ السلاح عليكم؟، قالوا: بيننا وبين قوم من العرب عداوةٌ فخفنا أن تكونوا هم، قال: ضعوا السلاح فوضعوه قال: استأسروا فاستأسروا فأمر بعضهم فكتف بعضًا وفرقهم في أصحابه، ثم نادى في السَّحر من كان معه أسير فليقتله فبعضهم قتل من بيده وبعضهم أمسك عن قتله كابن عمر -رضي الله عنهما- وأصحابه، ثم أتوا المصطفى فأخبروه فتبرأ مما فعله خالد ثم جهز لهم ديات من قُتل منهم مع علي ﷺ.

فبعثهُ طُفَيلاً الدَّوسيَّا لذي الكفينَ صَنَمًا فَهَيَّا
نارًا لهُ ومُنشدًا في ذَلكَا يا ذا الكَفَين لستُ من عُبَّادكَا
ميلادُنا أقْدَمُ منْ ميلادكا إنِّي حَشَوْتُ النَّارَ في فُؤادكا

التاسع والأربعون: بعثه الطفيل بن عمرو الدَّوسي في شوال سنة ثمان إلى هدم ذي الكفين صنم لعمرو بن حممة الدوسي، فخرج سريعًا فهيأ له نارًا فحرقه بها وجعل يرتجز ويقول: (يا ذا الكفين لست من عبادكا) إلخ. ما في النظم ثم رجع فوافى المصطفى بالطائف في أربعمائة من قومه.

فبعثُ قيس وهو ابن سَعْد إلى صداء أمروا بالرَّد
لمَّا أتى أخو صَدَاء التَزَامَا بقومه أتى بجمع أسْلَمَا

الْخَمْسُون: بعثه قيس بن سعد بن عبادة إلى قبيلة صداء بالمد، فأتى واحد منهم إلى المصطفى والتزم بإسلام قومه أجمعين فأمر المصطفى برد البعث ثم وفىَّ بما التزم.

فبعثه ضَحَّاكًا الكلابي لقومه وهُمْ بَنو كِلاَب

الحادي والخمسون: بعثه الضحاك بن سفيان الكلابي ومعه جيش إلى قومه بني كلاب في ربيع الأول سنة تسع فلقوهم بالسرح فدعوهم إلى الإسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم.

فبعثهُ عُيَيْنَةَ الفَزَاري إلى تَميم أجْلَ أخْذ الثَّار

إذ مَنَعُوا مُصَدّقَ الرَّسُول | من أخذ ما أمرَ بالفضول
يسيرُ ليلاً يكمنُ النَّهارَا | صَبَّحْهُمْ فَهَرَبُوا فرارَا
أسرَ منهم فوق خمسين قدم | على النَّبيِّ بِهِمُ كَمَا عُلِمْ
فجاء عشرٌ للنبي منهُمُ | من رؤساء قومهم فقدَّموا
عُطَارِدًا خطبَ ثُمَّ كَلّما | ردَّ لهم أسرَاهُمُ والمَغْنَمَا
ونزلت ﴿إِنَّ الَّذِينَ﴾ المَنْزِلُ | في الحُجُرَات فيهم ليعقلوا

الثاني والخمسون: بعثه عيينة بن حصن الفزاري إلى بني تميم في محرم سنة تسع في خمسين فارسًا ليس فيهم مهاجري ولا أنصاري لأجل أخذ الثأر من بني تميم لكونهم امتنعوا من دفع الزكاة للمصدق وهو الساعي الذي بعثه المصطفى لأخذها، فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم فهربوا فأخذ منهم أحد عشر رجلاً وإحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيًّا فجلبهم إلى المصطفى فأمر المصطفى بحبسهم، فقدم عشرة من رؤسائهم وقدموا منهم عطارد بن حاجب فتكلم وخطب فأمر المصطفى ثابت بن قيس فأجاهم فرد عليهم المصطفى الأسرى والغنيمة ونزل فيهم قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾ [الحجرات: ٤] الآية.

فبعثُ قُطْبَةَ هُوَ ابنُ عَامر | لخَثْعَم ببيشَة في صفَر
سنةَ تسع أن يشُنّوا الغارةْ | فَفَعلوا وأوقعُوهُمْ غَارَةْ
فَكَثُرَ القَتْلَى وسَاقُوا النَّعَمَا | مَعَ نسَاءهم فكَانَ مَغْنَمَا

الثالث والخمسون: بعث قطبة بن عامر بن حديدة إلى خَثْعَم بفتح الخاء المعجمة وسكون المثلثة وفتح العين المهملة، اسم جبل بناحية بيشة بكسر الموحدة التحتية وسكون المثناة التحتية وفتح الشين المعجمة واد من أودية تهامة من أعمال مكة، وحذف الأحوص في شعره الهاء وأتى بها على التذكير، وكان في صفر سنة تسع في عشرين رجلاً وأمره المصطفى أن يشن الغارة عليهم، فخرجوا على عشرة أبعرة يعتقبونها فأخذوا رجلاً فسألوهُ فاستعجم وجعل يصيح بالحاضرة ويحذرهم فضربوا عنقه ثم أقاموا حتى نام الحاضر فأغاروا عليهم فاقتتلوا قتالاً شديدًا حتى كَثُرَ الجرحى والقتلى في الفريقين، ثم ساق قطبة النَّعم الشاء والنساء إلى المدينة فكانت مغنمًا وافرًا فخمَّس وقسم.

فابنُ مُجزّز والاسْمُ عَلْقَمَهْ | وابنُ حُذافةَ ببعث يَمَّمَهْ

للجيش في جزيرة في البحر فهَربوا وفيه بدؤ أمْر
ابن حُذَافَة لمن كان معه أن يقعُوا في النَّار ثمَّ منَعَهْ
وقال كنتُ مازحًا فأخبروا بذلك النَّبي قال منكرًا
لا تسمعوا ولا تطيعوهُم في مَعْصية بلْ ذاكَ في المَعْرُوف

الخامس والخمسون[1]: بعثه علقمة بن مجزز المدلجي في ثلاثمائة منهم عبد الله بن حذافة السهمي إلى ناس من الحبشة في جزيرة في البحر بناحية جدة قصدهم فخاض إليهم البحر فهربوا منه، فلمّا رجع تعجل بعض القوم إلى أهليهم فأذن لهم وأمَّر عليهم ابن حذافة وكانت فيه دعابةٌ فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا نارًا يصطلون عليها فقال: عزمت عليكم أن تقعوا فيها فتحجزوا حتى ظن أنهم واقعون، قال: اجلسوا إنّما كنتُ مازحًا معكم، فلمّا قدموا أخبروا النبي بذلك فقال منكرًا عليهم إطاعتهم لأميرهم في الوثوب في النار: «من أمركم بمعصية فلا تطيعوه إنّما الطاعة في المعروف»[2].

بَعْثُ عَلي بَعدَه لِيهدمَا الفلسَ بالفاء وكان صَنَمَا
لطيء فشَنَّ غَارَةً على حُلَّة آل حاتم حَتّى مَلا
أيديهم سبيًا وشاءً ونَعَمْ وخرَّب الفَلْسَ جميعًا وغَنَمْ
أدراعه ثلاثةً ومَخذمَا مع اليماني ورسُوبَ مَغْنَما
وقسم السَّبي وآل حاتم عزلهُم لصاحب المراحم
قامت له سفانةٌ فاستأمنَتْ محمدًا فحينَ منَّ أسْلَمَت
سافرت الشَّام إلى عدي بشورها جاءَ إلى النبي
وذَكَرَ ابنُ سَعْد أن المُرسَلا في البعث خالدٌ كما قد نُقلا

السادس والخمسون: بعثه علي بن أبي طالب ﷺ في خمسين ومائة من الأنصار إلى الفلس بالفاء المفتوحة وسكون اللام وكان صنمًا لطي، فشن الغارة على حلة آل حاتم مع الفجر فهدموا الفلس وحرقوه وملؤوا أيديهم من السبي والنَّعم والشاء ووجدوا في خزانة الفلس ثلاثة أدرع وثلاثة أسياف المخذم واليماني والرسوب كانوا يسموها بذلك

(١) كذا في الأصل، والصواب: الرابع والخمسون، فأثبتنا ما في الأصل كما هو، ولِيُتنبه لاضطراب العدد.
(٢) أخرجه البخاري (٤٣٤٠)، ومسلم (١٨٤٠).

فصار ذلك كله مغنمًا، فلـما نزلوا ركك عزل للمصطفى الخمس والمخذم والرسوب وقسم السبي على من كان معه، وأمّا آل حاتم فلم يقسمهم بل عزلهم لصاحب المراحم وهو المصطفى فقدم بهم عليه فقامت له سَفَانة بفتح السين والفاء أخت عدي بن حاتم فاستأمنت أي: طلبت أن يؤمّنها ففعل فحين مَنَّ عليها بالعتق أسلمت، وخرجت إلى الشام إلى أخيها عدي بن حاتم فأشارت عليه بالقدوم على المصطفى ﷺ فقدم وأسلم بشورها أي: بإشارتها.

وذكر الحافظ محمد بن سعد[1] في حديث هشام بن محمد أن المرسل في البعث المذكور إنّما هو خالد بن الوليد كما نقله عنه قطب الحلبي في السيرة.

فبعثه عكاشة بن محصن ثانيةً إلى الجباب مَوطن
لغَطَفَانَ أوْ بَلِيْ وعذرَةْ أوْ بَيْنَ كلب وبني فزارَةْ

السابع والخمسون: بعثه عُكاشة بضم أوله ابن محصن بكسر أوله مرة ثانية في ربيع الآخر سنة تسع إلى الجباب بكسر الجيم وقيل: بل بضمها ثم موحدتين تحتيتين بينهما ألف، ويقال: الجبابة بالهاء والجباب موطن أي: أرض لغطفان، أو لبلي بفتح الموحدة وكسر اللام وعذرة بفتح فسكون أو هو مكان بين ديار كلب وبني فزارة خلاف.

فبعثُهُ إلى أُكيْدرْ دُومة ابن الوليد خالدًا في فئة
وقَالَ يا خَالدُ سَوْفَ تَجدُهْ وهو يريد بقرًا يصيدهْ
فأرسلت بقرُ وحش حكت قُرونَهَا حائطَهُ في لَيْلَة
نشَّطهُ ذاكَ يصيدُ البَقَرا شَدَّتْ عليه خَيْلهُ فاستأسَرا
أجارَهُ خالد ثُمَّ صالَحَهْ عَلَى رَقيق وَدُرُوع صالحَهْ
مع رماح وجَمال ورَحَلْ مَعْهُ إلى النبي بعدمَا فصلْ

الثامن والخمسون: بعثه أي: المصطفى خالد بن الوليد إلى أكيدر بن عبد الملك صاحب دومة الجَندل بضم الدال رجل من كندة كان ملكًا عليها وكان نصرانيًا، ودومة على عشر مراحل من المدينة وعشر من الكوفة وثمان من دمشق واثني عشر من

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/١٢٤).

مصر، سميت بدومان بن إسماعيل كان نزلــها، فبعث إليه خالد بن الوليد في رجب سنة تسع ومعه أربعمائة وعشرون فارسًا فقال له المصطفى: «**يا خالد سوف تجده يريد يصيد بقر وحش**»[1]. فأتاه خالد ليلاً وقرب من حصنه فأرسل الله بقر وحش حكت بقرونها حائط قصره في ليلة مقمرة فنشطه ذلك لأن يصيده، فخرج فشدت عليه خيل خالد فاستأسر خالد أكيدر وأجاره من القتل ثم صالحه على ثمانمائة رأس من الرقيق وأربعمائة درع صالحة للقتال بِها وأربعمائة رمح وألفي بعير وفُتحَ له الحصن وقَبضَ ذلك منه، فعزل للمصطفى صفية ثم قسم الباقي، ورحل أكيدر معه إلى النبي فقدما بعدما انفصل أمر الصلح فصالحه المصطفى على الجزية وخلى سبيله وحقن دمه ودم أخيه وكتب لــهم كتابًا بالأمان.

وقول الناظم: (يصيده) بفتح المثناة التحتية أوله وصاد وياء مشددتين أي: يصيدها، وقوله: (فأرسلت) مبنيٌّ للمفعول ونائب الفاعل بقر، وفصل بفتح الفاء والصاد.

فبعثــــه أيضًــــا إلى عبد الــمَدان ... أو لبــــني الــحارث نَحْوَ نَجْرَان

أتاهــــم فــأسلمــــوا وأقبلــــوا ... مَعْهُ إلى النبــــي حتــــى وصلُــوا

التاسع والخمسون: بعث خالد بن الوليد أيضًا في ربيع الأول سنة عشر إلى بني عبد الــمَدان بفتح الميم والدال أو إلى بني الحارث بن كعب نحو نجران بفتح النون وسكون الجيم، مدينةٌ بالحجاز من شق اليمن، سميت بنجران بن زيد بن يشجب بن يعرب أول من نزلها، قالوا: وهي من أطيب بلاد الحجاز، فأتاهم ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا وأقبلوا معه إلى النبي ﷺ حتى وصلوا إليه فأقاموا عنده مدة ثم رجعوا إلى بلادهم.

بَعــــثُ عَــليّ بعــده إلــى اليمن ... وهــي بـــلادُ مــــذحج فَفَرَّقَنْ

أصحابــــه جــــاءوه بالنســــاء ... وولــــدهم ونَعَــم وشــــاء

ثم دعاهُــــم لــــم يُجيبــوا فَقَتَلْ ... منهم رجــــالاً نَحــو عشرين رجل

فانهزمــــوا فكفَّ ثُــمّ إذْ دَعَــــا ... ثانيــــة أجابَ بعضٌ مُسْرعَــــا

فــأسْلَمُــوا وجَمَــعَ الغَنَائمَــا ... خمَّسَهَــــا الله ثُــمَّ قَسَمــــا

الستون: بعثه علي بن أبي طالب إلى اليمن وكان ذلك بعد بعث خالد إلى بني عبد

---

(١) انظر: تاريخ الطبري (٢/١٨٥).

المدان في رمضان سنة عشر وعقد له لواء وعممه بيده، وقال له: «**امض ولا تلتفت ولا تقاتلهم حتى يُقاتلوك**» فخرج في ثلاثمائة فارس وهي أول خيل دخلت تلك البلاد وهي بلاد مَذحج بفتح الميم، وسكون الذال المعجمة وكسر الحاء المهملة ففرق أصحابه فيهم فغابوا ثم جاءوهم بنسائهم وأولادهم ونَعمهم وشائهم، ثم لقي جمعهم فدعاهم إلى الإسلام فلم يجيبوا ورَموه بالنبل فحمل عليهم فقتل منهم نحو عشرين رجلاً فانهزموا فكف عن طلبهم، ثم دعاهم إلى الإسلام مرة ثانية فأجاب بعض رؤسائهم مسرعًا فتبعوه فأسلموا، فجمع الغنائم وقسمها فأخرج خُمسها لله ولرسوله ثم قسم البقية على من معه، ثم قفل فوافى المصطفى بِمكة وقد قدمها للحج.

وقول الناظم: (ففرقن) بتخفيف نون التوكيد، وولدهم بضم فسكون ونعم ورجل بالوقف بلغة ربيعة.

بَعْثُ بَنِي عبس وكانوا وفدوا ... له إلى عير قُريش فَهُدُوا

آخرُ من بعثه أسامه ... لأهل أبْنَى لم يَرِمْ مَقَامه

حتى قضى النبي قبل سفره ... ردّ أسامةُ بجمع عَسْكَره

بعثهُ الصديق حتى أرْهَقَا ... قَاتِل زيد وسبَا وَحَرَّقا

الحادي والستون: بعث بني عبس بفتح فسكون وذكر ابن سعد[1] في الوفود أنَّهم كانوا وفدوا له فهداهم الله إلى الإسلام فبايعوه وهم تسعة أنفس فبعثهم إلى عير قريش التي تحمل ميرتَهُم.

وقول الناظم: (فهدوا) بالبناء للمفعول أي: فهداهم الله إلى الإسلام.

وقوله: (آخر) بالرفع مبتدأ أي: آخر من بعثه المصطفى على سرية أسامة بن زيد بعثه لأهل أبنى بضم الهمزة وسكون الموحدة التحتية ونون وألف مقصورة موضع بناحية البلقاء من الشام في صفر سنة إحدى عشرة، فخرج إلى الجرف وعسكر به، فبدأ بالمصطفى وجعه وثقل فجعل يقول: «**أنفذوا بعث أسامة**»[2] فلم يرم بفتح فكسر أي: لم يبرح من مقامه بالجرف حتى قضى النبي نحبه.

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٢٢٥).

(٢) انظر: تاريخ الطبري (٢/٢٤٤).

فلما بويع للصديق بعثه فسار إليهم فشن عليهم الغارة وقتل من أشرف له حتى أرهق دماءهم وقتل أسامة قاتل أبيه زيد وسبا من قدر عليه منهم وحرق، ثم رحل فقدم المدينة ولـم يصب من المسلمين أحد. وقول الناظم: (زيد) بالجر بدل من الهاء.

واختلفوا في عدّها فالأكثر عنْ قدر مَا عَدَدْتُ منْهَا قَصَّروا
ولابن نَصْر عالم جليل بَلْ فَوقَ سَبْعينَ وفي الإكليل
أنّ البعوثَ عدّها فوقَ المائة ولم أجد ذا لسواهُ ابْتداهْ

اختلف أهل السير في عدد البعوث والسرايا فالأكثر منهم عن قدر ما عُدَّ في النظم منها وهو أحد وستون قصروا بالتشديد أي: لم يزيدوا عليها بل نقصوا، وقال محمد بن نصر: بل هي فوق السبعين.

وفي كتاب الإكليل للحاكم أن عددها فوق مائة، وذكر الناظم أنه لم يجد هذا القول لغيره بل هو ابتداه لكن تبعه عليه بعضهم.

۞ ۞ ۞

باب ذكر كُتَّابه -عليه السلام-

جَمع كاتب أي الذين كتبوا له.

كُتَّابُهُ اثنان وأربَعُونا زيدُ بن ثابت وكان حينَا
كاتبه وبعده مُعاوية ابنُ أبي سفيان كان واعيةْ
كذا أبو بكر كذا عليُّ عُمَرُ عُثْمَانُ كَذَا أُبَيُّ
وابنُ سعيد خالدٌ حنظلة كذا شُرحبيل أمُّهُ حَسَنَةُ
وعامر وثابت بن قَيْس كَذَا ابنُ أرقم بغير لَبْس
واقتصرَ المزّيُّ معْ عَبْد الغَني منهم على ذا العدد المُبين
وردْتُ من مُفْتَرقَات السِّيَر جَمْعًا كثيرًا فاضْبطَنْهُ واحْصُر

كتابه اثنان وأربعون رجلاً زيد بن ثابت الأنصاري أحد فقهاء الصحابة، وقول الناظم: (وكان حينا كاتبه) بنصب كاتبه خبر كان، وبعده معاوية بن أبي سفيان وكان واعية أي: كثير الحفظ، وأبو بكر الصديق، وعلي بن أبي طالب كان كاتب العهود والصلح، وعمر بن الخطاب، وعثمان بن عفان، وأُبيّ بن كعب كان هو وزيد يكتبان

الوحي، وخالد بن سعيد بن العاص الأموي، وحنظلة بن ربيع بن صيفي ابن أخي أكثم ابن صيفي حكيم العرب، وشرحبيل -بضم الشين- بن عبد الله بن المطاع الكندي، وتعرف أمه بحسنة وينسب إليها فيقال شرحبيل ابن حسنة، وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر، وثابت بن قيس بن شماس، وعبد الله بن الأرقم القرشي الزهري، وعلى هذا العدد وهو ثلاثة عشر اقتصر الحافظ جمال الدين المزي بكسر الميم والحافظ عبد الغني المقدسي في سيرتيهما[1]، وزاد الناظم عليهما من مفرقات السير جمعًا كثيرًا وبلغت اثنين وأربعين وهي المذكورة في قوله:

طلحـــة والزبـــير وابن الحضرمي	وابن رواحـــــة وجهــمًا فاضْمُم
وابن الوليد خالــــدًا وحـــــاطبًا	هو ابـــنُ عَمْرو وكــــذا حويطبًا
حُـــذيفـــةً بُرَيــــدةً أبَانـــا	ابنَ سعيـــــد وأبـــا سفيانـــا
كـــذا ابنــه يزيد بعض مسلمةْ	الفتـــح مـــع مُحمد بن مسلمةْ
عمـــرو هــو ابنُ العاص مع مغيرة	كـــذا السجـــل مــع أبي سلمة
كـــذا أبـــو أيُّوب الأنْصَــاري	كـذا معيقيبٌ هـــو الدَّوســـي
وابـــنَ أبـــي الأرْقَم أرْقَمَ اعدُدْ	فيهـــم كذاك ابن سلول الـــمُهتدي
كـذا ابنُ زيـــد واسـمُه عبدُ الله	والجدُّ عَبْـــدُ ربـــه بــلا اشتباه
واعـدُدْ جُهَيمًا العـــلا بن عُتبـة	كـــذا حصـين بــن نُمَير أثبــت
وذكروا ثلاثـــة قـــــد كتبـــوا	وارْتَدَّ كُــلٌّ منهـــم وانقلبـــوا
ابــنُ أبي ســـرح مـــع ابن خطَل	وآخـــر أبْهــمَ لــمْ يُســَمَّ لــي
ولــمْ يَعُـــد منهـــم إلى الدين سوَى	ابن أبي ســـرح وباقيهـــم غَوَى

من كتَّابه طلحة بن عبيد الله أحد العشرة كما ذكره ابن مسكويه في كتاب تجارب الأمم، والزبير بن العوام ذكره ابن عبد البر وغيره[2]، والعلاء بن الحضرمي ذكره النيسابوري وغيره، وعبد الله بن رواحة الأنصاري ذكره ابن عبد البر، وجهم بن سعد ذكره القرطبي في الأعلام، وخالد بن الوليد ذكره ابن عساكر وغيره، وحاطب بن عمرو

---

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ لعبد الغني (ص٣٣).

(٢) انظر: عيون الأثر (٢/٣٨٣).

الأوسي وحويطب العامري ذكرهما ابن سيد الناس[١]، وحذيفة بن اليمان ذكره الثعالبي، وبريدة بن الحصيب الأسلمي ذكره هلال، وأبان بن سعيد بن العاص ذكره ابن عبد البر، وأبو سفيان بن حرب وابنه يزيد ذكرهما ابن سيد الناس[٢] عنه.

وقول الناظم: (بعض مسلمة الفتح) أي: يزيد هو بعض من أسلم يوم فتح مكة ذكره ابن حزم، ومحمد بن مسلمة الأوسي وعمرو بن العاص ذكرهما ابن عبد البر، والمغيرة بن شعبة الثقفي والسجل بكسر السين المهملة والجيم ذكرهما ابن الأثير وغيره[٣]، وأبو سلمة عبد الله المخزومي وأبو أيوب الأنصاري واسمه زيد بن سهل ذكرهما اليعمري[٤]، ومعيقيب الدوسي والأرقم بن أبي الأرقم ذكرهما ابن عساكر، وعبد الله بن عبد الله بن أبيّ بن سلول.

وزاد الناظم قوله: (المهتدي) إشارة إلى أن المراد الابن لا الأب الذي هو رأس المنافقين، وعبد الله بن زيد بن عبد ربه صاحب الأذان ذكره ابن سعد[٥]، وجهيمٌ مصغرًا المطلبي ذكره ابن الأثير وغيره، والعلاء بن أبي عتيبة ذكره ابن عساكر، وحصين بن نمير مصغرًا ذكره القرطبي.

وذكر أهل السير ثلاثة كتبوا للنبي وارتد كل منهم عن الإسلام وانقلبوا إلى الكفر وهم عبد الله بن أبي سرح وابن خطل وكاتب آخر مبهم ذكره ابن دحية، ولـم يَعُد من هؤلاء الثلاثة إلى الإسلام إلا ابن أبي سرح وباقيهم الاثنان الآخران ابن خطل والرجل المبهم غوى بفتح الواو أي: مات كل منهم (على الكفر).

۞ ۞ ۞

(١)انظر: عيون الأثر (٢/٣٨٣).
(٢)انظر: عيون الأثر (٢/٣٨٣).
(٣)انظر: الإصابة للحافظ ابن حجر (٢/١٥)، وعيون الأثر (٢/٣٨٣).
(٤)انظر: عيون الأثر (٢/٣٨٣).
(٥) انظر: طبقات ابن سعد (٣/٤٠٦).

باب ذكر رُسله عليه الصلاة والسلام إلى الملوك

أَوَّل مَــنْ أرْسَلَــهُ النَّبِــيُّ لِمَلِك عَمْرٌو هُــوَ الــضَّمْرِيُّ
إلــى النَّجَاشِــيّ فَلَمَّــا قَدِمَا نَزَلَ عَــنْ فِرَاشِــه فَأَسْلَمَــا
وأرْكَــبَ الــمُهَاجرِينَ الــبَحْرَا إلَيْــه فــي سفــينتيْن طُرَّا
زَوَّجَــهُ رَمْــلَــةَ عَمْرٌو قَبْلَــهْ لَــهُ وَمَهْرَهَــا النَّجَاشي بَــذَلَهْ

أول من أرسل المصطفى لملك من الملوك عمرو بن أمية الضمري أرسله إلى النجاشي أصحمة ملك الحبشة فلَمَّا قدم عليه بالكتاب نزل عن فراشه أدبًا مع الكتاب فأسلم وحسن إسلامه، وأركب النجاشي الـــمهاجرين البحر وساروا إلى النبي ﷺ في سفينتين مع عمرو بن أمية طرًّا أي: جميعًا، وزوَّج النجاشي للنبي أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان وكانت هاجرت مع زوجها عبد الله بن جحش فمات هناك، وقيل: عمرو بن أمية عقد النكاح للنبي.

وقول الناظم: (مهرها) بفتح الميم مع سكون الهاء وفتح الراء مع الهاء أي: دفع النجاشي المهر من عنده بدل النبي وهو أربعة آلاف درهم.

وَدِحْيَــةٌ أرْسَلَــهُ لقيــصَرَا وَهْــوَ هِــرَقْلٌ فَعَصَــى واسْتَكْبَــرَا
وابن حُذافــةَ مَضَــى لكسْرَى فَــمَزَّقَ الكتَــاب بَــغْيًا نُكْرَا

وأرسل المصطفى دحية الكلبي لقيصر ملك الروم وهو هرقل في دمشق فخاف على ملكه فعصى واستكبر عن الإيمان لكنه أخذ كتابه ووضعه في قصبة من ذهب تعظيمًا له فدعا له المصطفى بأن يثبت ملكه، وأرسل ابن حذافة لكسرى واسمه أبرويز فقرأ الكتاب ثم مزقه نُكرًا بضم الكاف أي: مُنْكَرًا فدعا (المصطفى) عليه بأن يُمزق الله ملكه فمزقـــه.

وَحَاطِــبًا أَرْسَلَ لِلْمُقَوْقِــس فَقَالَ خَيْرًا وَدَنَا لَمْ يُؤيِــس
أَهْدَى لَــهُ مَارِيَةَ القِبْطِيَّــهْ وأخْتَهَــا سيرِيْنَ مَــعْ هَدِيَّــهْ
مَنْ ذَهَــبَ وقَــدَح مِــنْ عَسَلْ وطُرف من مصر من بَنْهَا العَسَــلْ

وأرسل المصطفى حاطبًا للمقوقس ملك الإسكندرية فقال المقوقس خيرًا أي: قال: ننظر في أمر هذا الرجل فإنه لا يأمر بـــمرهوب منه ولا ينهى عن مرغوب فيه، ودنا أي:

قرب إلى الإسلام ولـــم يؤمن، وأهدى إلى النبي هدايا منها مارية القبطية وأختها سيرين مع هدايا كثيرة منها ألف مثقال من ذهب وقدح من قوارير وطرف من عسل، وطرف بضم الطاء جع طرفه ما يستطرف أي: يستملح من مصر بنها العسل، فدعا المصطفى لعسل بنها بالبركة ووصلت الهدية إليه سنة سبع وقيل: ثمان، قال ابن الأثير: و لم يسلم المقوقس.

وأرســــل ابــــن العاص حتَّى أدَّى كتـــابـــهُ ابنـــي الـــجَلَنْـــدَى
فأسلمَــــا وصدَّقــــا وخَلَّيَـــــا مَا بينَ عَمْرو والزَّكـــــاةَ هَدَيَــا

وأرسل عمرو بن العاص إلى ملكي عُمان بضم العين ابني الجلندَى بضم الجيم وسكون النون وفتح الدال مقصورًا، فلما قرآ كتابه أسلما وصدقا الرسول فيما جاء به وخليا بين عمرو وبين الزكاة أي: مكّناه من قبضها من رعاياهم.

وأرْسَـــلَ السَّلـــيطَ لليَمَامـــة لـــهوذة مــــلك بنــــي حنيفــة
فأكــرمَ الرَّسُـــولَ إذْ أنْزَلَـــهُ وقال ما أحسن ما يــدعو لــــه
ســـأَلَ أن يُجْعَلْ بعضَ الأمــــر لــه فَلَمْ يُعْطَ قَضَى فــي الــكُفْر

وأرسل السليط بفتح المهملة إلى اليمامة لهوذة بضم فسكون وصرفه الناظم للضرورة ملك بني حنيفة بفتح الحاء المهملة وصرفه أيضًا للضرورة، فلـــما قرأ الكتاب أكرم الرسول وأنزله عنده وحياه وأجازه، وقال: ما أحسن ما يدعو إليه وأجمله، وأرسل يسأل النبي أن يجعل له بعض الأمر فلم يُعط بالبناء للمفعول أي: ما أجابه النبي إلى ذلك. وجاءه جبريل فأخبره أنه قضى أي: مات على النصرانية.

كـــذا شُجَاعُ الأسْديُّ يَلْقَــــــى الـــحـــارث الغَسّانَ مَلكَ البَلــــقَا
رَمَــــى الكتـــابَ قَالَ إنِّي سَائرُ إليــــه رده هرقـــــل قيصــــر
وقيــــل بــــل أرسله لجَبْلَـــــةْ فقـــاربَ الأمر ولكـــن شَغَلـــهْ
الــمُلْكُ ثُـــمَّ فــي زَمَــان عُمَــرَا أسلــمَ ثُمَّ ارتـــدَّ حتَّـــــى كَفَرَا

وكذا شجاع -بضم المعجمة- ابن وهب الأسدي أرسله يلقى بفتح أوله الحارث الغساني ملك البلقاء من عمل دمشق فأتاه بالكتاب وهو بغوطة دمشق فقرأ ثم رمى به وقال: من ينازع في ملكي إني سائر إليه ولو كان باليمن وعزم على ذلك فرده قيصر وهو هرقل، وقيل: إنّما أرسل شجاعًا إلى جبلة بالتحريك الغساني آخر ملوك بني غسان فلما قدم عليه قارب الأمر لكن شغله الملك فلم يُسلم، ثم أسلم في زمن عمر على يديه ثم لطم

عين رجل من مزينة فقضى عمر بالقصاص فأنف جبلة وقال: عيني وعينه سواء لا أقيم بهذه ولحق بعمورية ثم ارتد ومات بها كافرًا.

وابـن أبـي أميَّةَ الـمُهاجرَا أرْسَلَهُ لـحَـارث بـن حَمَيرَا
عبـدُ كُـلال أبُـهُ فَرَدّدَا أنْظُرُ فـي أمـري وبَعْدُ وَفَـدَا
عَلَى النَّبـيّ مُسـلمًا فـاعتَنَقَهْ وفَرَشَ الـردا لـه وَوَمَّقَـهْ

قوله: (وابن) بالنصب ويجوز رفعه من باب اشتغال العامل عن المعمول أي: أرسل المهاجر بن أمية إلى الحارث بن حمير بكسر الحاء، وقوله: (عبد كُلال) بضم الكاف، و(أبه) بضم الباء الموحدة أي: هو أبو الحارث على حد: (بأبه اقتدى عدي في الكرم). أي: وبعث رسول الله ﷺ المهاجر بن أبي أمية المخزومي شقيق أم سلمة زوجته إلى الحارث بن عبد كُلال الحميري باليمن وأمره أن يقرأ عليه سورة لم يكن ففعل، فتردد وقال: أنظر في أمري، وبعد ذلك هداهُ الله فوفد على المصطفى مسلمًا فاعتنقه وفرش له الرّدَا بالقصر للضرورة ومَّقه بشد الميم أي: أحبه فقال فيه: «**يقدم عليكم من هذا الفج رجل كريم الجدين مليح الخدين**» فكان هو[1].

وأرسلَ العَلاَ أي ابنَ الـحَضْرَمـي لـمُنْذر وَهْوَ ابنُ سَاوَى الدَّارمـي
كَـانَ مَـع الـعَـلا أبو هريرة فـانْقَادَ مُنْذرٌ بخيْـر ملّـة
وَوَفَدَ الـمُنْذرُ عـامَ الفتـح أوْ في عام تسعة خلافًا قد حَكـوا

وأرسل العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساوى بفتح المهملة والواو وقيل: بكسرها، الدارمي صاحب البحرين وكان مع العلاء أبو هريرة، فانقاد المنذر لملة الإسلام وهي خير ملة، ووفد عام الفتح[2] على المصطفى مع الجارود وقيل: إنّما قدم في سنة تسع قد حكوا هذا الخلاف ولَمْ يرجحوا.

كـذاك قـد أرسلَ مُعَاذًا وأبـا مُوسَـى إلى مـخَالـف فاقتربَا
وقـال يـسّرَا ولا تُعَسّـرَا وَبشّرَا طَـوْعًـا ولا تُنَفّـرا

---

(١) تعقب الحافظ ابن حجر في الإصابة (٢٨٣/١) هذا بقوله: «والذي تضافرت به الروايات أنه أرسل بإسلامه وأقام باليمن». اهـ

(٢) قال ابن سيد الناس في عيون الأثر (٣٣٤/٢): «وذكر ابن قانع أنه وفد على النبي ﷺ، قال أبو الربيع بن سالم: ولا يصح ذلك». اهـ

وكذا أرسل معاذ بن جبل الخزرجي وأبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري إلى مَخالف بفتح الميم وخاء معجمة جمع مخلاف وهو الكورة أو الإقليم.

وقول الناظم: (فاقتربا) أي: بعث كلاً منهما إلى مخلاف وتقاربا في المكانين وقال لَهُمَا: «يسرا ولا تعسرا وبشرا وكونا طوعًا» أي: تطاوعا ولا تنفرا الخلق عن الإسلام، فانطلق كل منهما إلى عمله وقبلا وصيته.

كـــذا جـــريرٌ نَحْوَ ذي الكلاع ... ونحو ذي عمـــرو ونعمَ الدَّاعـــي

دَعَاهُمَـــا لـــملَّـــة الإســـلام ... فَأسْلَمَـــا لله باسْتـــسْـــلام

وكذا أرسل جرير بن عبد الله البجلي نَحْوَ ذي الكلاع بالتخفيف ونحو ذي عمرو يدعوهما إلى الإسلام ونعمَ الداعي جرير بن عبد الله دعاهما لملة الإسلام فأسلما لله باستسلام أي: بانقياد دون محاربة وتوفي الـــمصطفى وجرير عندهم.

وعَمْرًا الضَّمْري إلـــى مُسيلمـــةْ ... فـــلَمْ يـــؤبْ عَنْ كذبـــه ولزمهُ

أرْسَلَ لـــه كتابـــةُ مـــع ســـائب ... ثانيـــةٌ فَلَمْ يَكُـــنْ بالتـــائب

وأرسل عمرو بن أمية الضمري إلى مسيلمة باليمامة فلم يَؤُب أي: يرجع عن كذبه بل لزمه، ثم أرسلَ له كتابه مرة ثانية مع السائب بن العوام أخي الزبير فلـــم يكن مسيلمة بالتائب عن كذبه ولا رجع عنه.

وبعـــدُ عَيَّاشًا أيْضًـــا أرْسَـــلا ... إلـــى بَني عَبـــد كُلال قَبـــلا

كُلُّهُـــم كتابَـــهُ وأسْلَمـــوا ... نَعيـــمٌ الـــحارث مسروحٌ هُـــمُ

وأرسلَ بعده أيضًا عياش -بشين معجمة- بن أبي ربيعة المخزومي إلى بني عبد كُلال بضم الكاف وهم ثلاثة فأقبلَ حتى انتهى إلى سُتور عظام على أبواب دور ثلاثة فقال: أنا رسول رسول الله إليكم، فقبل كل واحد من الثلاثة كتابه وأسلموا وهم نعيم والحارث ومسروح بسين وحاء مهملتين.

وأرْسَـــلَ النبي أيضًـــا إذ كتـــبْ ... لعدة لـــمْ يُسْمَ مـــن بهـــا ذَهَبْ

لفروةَ بـــن عمـــرو الـــجُذَامـــي ... أفْلَـــحَ إذ أقـــرَّ بالإســـلام

ولبـــني عمـــرو وهُمْ من حمـــير ... كذاك معدي كرب الـــمُشْتَهـــر

وأرسلَ المصطفى رسلاً أيضًا لأنه كتب إلى عدة من الملوك والكتاب لا بدَّ من رسول يذهب به لكن لـــم يسم من ذهب به، فكتب لفروة بن عمرو الـــجُذامي بضم الجيم وأفلح كل الفلاح إذ أي حين أقر أي: نطق بالثاني، وكتب لبني عمرو وهم من حمير

ولمعدي كرب الصحابي الجليل المشهور.

وَلأَسَاقِفَ بِنَجْرَانَ كَتَبْ ... كَذَا لِمَنْ أَسْلَمَ من حدس عَرَبْ

وابن ضِمَاد خَالد الأَزْدِيّ ... ولابن حزم عمرو الرَّضِيّ

وليزيدَ بن الطُّفيل الحَارث ... ولِبَني زياد بن الحَارث

ولأخي تميم أوس كتبا ... وَهوَ لَدَى أولادهم مَا ذَهَبا

وكذا كتب لأساقف نجران ولمن أسلم من حَدَس بفتح الحاء المهملة والدال وسكنت للوزن ثم سين مهملة وهم عرب، وكتب إلى ابن ضماد بكسر الضاد المعجمة واسمه خالد الأزدي، وكتب إلى عمرو بن حزم بن زيد من بني مالك بني النجار الرضي أي: المرضي استعمله المصطفى على نجران وهو ابن سبع عشرة سنة.

وكتب لنعيم بن أوس (أخي تميم) الداري بأن له حبرى كفعلى قرية بين وادي القرى والشام، وهذا الاقتطاع عند أولاده قرنًا بعد قرن ما ذهبَ منهم إلى الآن، وكتب ليزيد بن الطفيل الحارثي أن له المضة كلها (لا يحاقه فيها أحد) ما أقام الصلاة وآتى الزكاة وحارب المشركين، وكتب لبني زياد بن الحارث الحارثيين أن لهم جماء تأنيث الأجم موضع من محال المدينة وأذنبة وأنَّهم آمنون ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحاربوا المشركين. هذا ما ذكره الناظم وذكر غيره جماعة أخرى كتب لهم.

۞ ۞ ۞

باب ذكر أولاده من الذكور والإناث

كَانَ لَهُ ثلاثة بَنُونَا ... القاسمُ الذي به يَكْنُونَا

بمكَّة قبلَ النُّبوة وُلدْ ... والطَّيبُ الطَّاهرُ وهوَ واحدْ

وهو الصَّحيح واسْمُهُ عبدُ الله ... وقيل بل هَذان فابنَان سوَاهْ

والثالثُ إبراهيمُ بالمدينة ... عاشَ بِهَا عامًا ونصف سنة

وقيلَ مع نُقْصَان شَهْر وَقَضَى ... سِتَّة عشر فَرَطًا لَهُ رضَا

ومَاتَ قَاسمٌ لَه عَامَان ... وعِدَّةُ الأولاد من نسْوَان

كان له ثلاثة بنين الأول: القاسم الذي كانوا يكنونه به بمكة قبل النبوة، وولد القاسم هذا بمكة قبل النبوة وهو أول أولاده، واختلف هل مات قبل البعثة أو بعدها وبه كان يُكنى أبا القاسم.

الثاني: الطيب الطاهر وهو ولد واحد سُمي بهما معًا لأنه ولد في الإسلام على الصحيح واسمه الذي سمي به أوَّلاً عبد الله ثم سمي الطيب الطاهر، وقيل: الطيب والطاهر اثنان سوى عبد الله ذكره ابن عساكر.

الثالث: إبراهيم ولد بالمدينة في ذي الحجة سنة ثمان وعاش بها سنة ونصف سنة على الأشهر، وقيل: مع نقصان شهر يعني سبعة عشر شهرًا ثم قضى أي: مات فَرَطًا أي: سابقًا لأبويه له -رضي الله تعالى عنه-، ومات ابنه القاسم وله عامان كما في طبقات ابن سعد[1]، وقيل: أقل، وقيل: أكثر. وقوله: (وعدة الأولاد) إلى آخر يأتي شرحه.

أربعـــة فاطمـــة البتـــولُ	زوَّجهـــا عـــليًّـــا الـــرَّسُولُ
وَزَيْنَبٌ زَوَّجَهَـــا أبـــا الـــعَاص	ابنَ الرَّبيع وافيًـــا ذا إخْـــلاص
بـــوعـــده وزَوَّجَ اثنتـــين	تَعاقُبًـــا عُثمـــانَ ذا النُّـــورَيْن
رُقيَّـــةٌ فـــأمُّ كُلثُوم تَلـــي	ونعمَ ذاكَ الصهْرُ عُثمانُ الـــوَلـــيْ
وجُمْـــلةُ الأولاد مـــن خديجـــة	لكـــن إبراهيم مـــن ماريَـــة
وليْسَ في بَنَاتـــه مـــن أعْقَبـــا	إلا البتـــول طَابَ أمًّا وأبَـــا

أي: وعدة أولاده من البنات أربعة اتفاقًا، فاطمة البتول سميت به لأن الله فطمها وذريتها عن النار، زوجها الرسول ﷺ عليًّا ﷺ وسنها خمس عشرة سنة ونحو نصف وعمر علي يومئذ نحو العشرين.

وزينب زوجها أبا العاص لقيط بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس وهو ابن خالتها، وافيًا بما يعد صاحب إخلاص بوعده فإنه شهد بدرًا مع الكفار فأسرَ فأطلقه المصطفى على أن يخلي سبيل ابنته ففعل، وبعد زمن طويل أسلم فردها عليه بنكاح جديد.

وزوج اثنتين تعاقبًا أي: واحدة عقب أخرى عثمان ذا النورين سمي به لزواجه إياهما واسمهما رقية وأم كلثوم.

وقول الناظم: (أم كلثوم تلي) أي: بعد موت رقية، ونعم ذاك الصهر عثمان الولي لله تعالى.

وجملة أولاده من الذكور والإناث من زوجته خديجة لكن إبراهيم من سريته مارية

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١٠٦/١).

القبطية؛ وليس في بناته من أعقب أي: عاش بعده إلا فاطمة فعاشت بعده ستة أشهر على الأصح.

وقول الناظم: (طاب) أي: طابت فحذف التاء للوزن على حد ولا أرض أبقل إبقالـــها أي: طاب أصلاها أبوها وأمها.

۞ ۞ ۞

باب ذكر أعمامه وعماتِهِ -عليه السلام-

وهم اثنا عشر، وقيل: عشرة، وقيل: تسعة والأول هو ما جرى عليه الناظم حيث قال:

أَعمَامُــــــهُ حَمْــــزَةُ والعَبَّـاسُ ... قَـــدْ أَسْلَمَا وأَرْغَـمَ الـخَنَّاسُ

زُبَيْرٌ الـحَـارِثُ حَجْــلٌ قُثَمُ ... ضِـــرارٌ الغَيْــدَاقُ والـمُقَوَّمُ

عبـدُ منـــاف مع عبد الكعبــةْ ... كذا أبــو لــهب أردي كَسْبَـــهْ

عَمَّـــاتُــهُ صَفِيَّـــةٌ عَـــاتِكَــةُ ... أُمُّ حَــكِيــم بَـــرَّةٌ أُمَيْمَـــةُ

أَرْوَى وَلَـــمْ يُسْلِــم سِوَى صَفِيَّــة ... قِيْلَ وَمَعَ أَرْوَى وَمَــعْ عَاتِكَــة

اختُلفَ في عدد أعمامه فقيل: اثنا عشر، وقيل: عشرة، وقيل: تسعة، وعلى الأول: هم حمزة بن عبد المطلب أسد الله وأسد رسوله وأخوه من الرضاعة، والثاني: العباس جد الخلفاء أسلم وحسن إسلامه وأرغم الخناس بإسلامه فإنه لما أسلم شق على كفار قريش وعلموا أن إسلامه عز ومنعة لرسول الله، الثالث: الزبير وكان من أشراف قريش رئيس بني هاشم شاعرًا عاقلاً و لم يدرك الإسلام، والحارث وهو أكبر ولد عبد المطلب وبه كان يُكنى ومات في حياة أبيه و لم يدرك الإسلام، وجحل بتقديم الجيم على الحاء المهملة وقيل: عكسه لم يدرك الإسلام، وقثم هلك صغيرًا، وضرار بكسر الضاد المعجمة مات في مبادئ الوحي، والغَيداق بفتح المعجمة سمي به لأنه كان أجود قريش، والغيداق المطر الكثير، والـــمُقوم بالقاف وشد الواو، وأبو طالب واسمه عبد مناف وهو الذي كفل المصطفى، وعبد الكعبة لم يدرك الإسلام، وأبو لهب واسمه عبد العزى.

وقول الناظم: (أدرى كسبه) أي: أهلك ماله وولده فلم ينفعاه ﴿**مَا أَغْنَــى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ**﴾ [المسد: ٢].

وأمّا عماته فهن ست: صفية أم الزبير بن العوام، أسلمت وهاجرت كانت ذات

جلد وقوة، وعاتكة، وأم حكيم واسمها البيضاء، وبرة بالتشديد، وأميمة، وأروى، ولم يسلم منهن سوى صفية على الأصح، وقيل: أسلمت أروى أيضًا، وقيل: أسلمت عاتكة أيضًا.

۞ ۞ ۞

باب ذكر أزواجه -عليه السلام-

زوجاتهُ اللاتي بِهِنَّ قد دَخَلْ ثنتا أو إحدى عشرة خُلْفٌ نَقَلْ
خديجة الأولى تليها سودة ثُمَّ تلي عائشة الصديقة
وقيل قبلَ سودة فحفصَةُ فزينبُ والدُها خُزَيمةُ
فبعدها هند أي: أمَّ سَلَمهْ فابنة جحش زينبُ المُكرَّمهْ
تلي ابنة الحارث أي جويرية فبَعْدَها رَيْحانةُ المسْبِيَّةْ
وقيل بل ملك يَمين فقَطْ لَم يتزَوَّجَها وذاكَ اضبطُ
بنتُ أبي سفيان وهي رَمْلَةُ أمُّ حبيبة تلي صَفيَّةُ
من بعدها فبعدها ميمونةْ حِلاًّ وكانت كاسمها مَيْمُونهْ

وعدد زوجاته اللاتي دخل بهن اثنتا عشرة، وقيل: إحدى عشرة هكذا نُقل هذا الخلاف، فمن قال: هن اثنتا عشرة أدخل فيهن ريحانة، ومن قال: إحدى عشرة أخرجها.

أولُهُنَّ خديجة كما مر، ثم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس فهي بعد خديجة على الصحيح وأصدقها أربعمائة درهم، ثم عائشة بنت الصديق عقد عليها وهي ابنة ست وبنى بِها وهي ابنة تسع ومات عنها وهي بنت ثماني عشرة، ثم حفصة بنت عمر، وقيل: تزوجها قبل سودة، ثم زينب بنت خزيمة الحارثية كانت تُدعى أم المساكين لرحمتها لهم أصدقها اثنتي عشرة أوقية، ثم أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية، ثم زينب بنت جحش وكان اسمها برة فسماها زينب وكانت كثيرة الصدقة والإيثار وكانت هي التي تسامي عائشة في المنزلة عنده أوَّاهةً قوَّامةً صوّامةً، ثم جويرية بنت الحارث المصطلقية سباها يوم من بني قريظة أعتقها وتزوجها وأصدقها اثنتي عشرة أوقية، وقيل: إنّما كانت من ملك اليمين فقط والأول أضبط أي: أقوى وأصح عند الواقدي[1]، ثُمَّ أم

(١) انظر: المغازي للواقدي (٢/٥٢٠، ٥٢١).

حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب هاجرت مع زوجها ابن جحش للحبشة فتنصر زوجها هناك ومات وثبتت هي على الإسلام، وبعث المصطفى عمرو بن أمية إلى النجاشي فزوجه إياها فبلغ والدها فقال: (ذاك الفحلُ لا يجدع أنفه).

وقوله: (تلي صفية من بعدها) أي: وتلي صفية بنت حيي، ثم ميمونة بنت الحارث وكان اسمها برة فسماها ميمونة وهي خالة ابن عباس وخالد بن الوليد تزوجها في عمرة القضاء وهو حلال، وقيل: كان محرمًا وهي آخر من تزوج، ومن العجب أنه تزوجها بسرف وماتت به وكانت ميمونة كاسمها.

وابنُ المُثَنَّى مَعْمَرٌ قد أدْخَلا ... في جُمْلَةِ اللاتي بِهِنَّ دَخَلا
بنتَ شُرَيح واسْمُها فاطمةُ ... عَرَّفَها بأنَّها الواهبةُ
ولَم أجِد مِن جمعَ الصَّحابةْ ... ذَكَرَها ولا بأُسْدِ الغَابةْ
وَعَلَّها الَّتي اسْتَعَاذَتْ منْهُ ... وهي ابنةُ الضَّحَّاك بَانتْ عَنْهُ
وغَيْرُ مَن بَنَى بِها أو وَهَبَتْ ... إلى النبي نَفْسَها أو خُطِبت
ولَمْ يَقَعْ تَزْوِيجُها فالعِدَّةُ ... نَحْو ثلاثِين بِخُلْف أثبَتُوا

قد أدخلَ معمر بن المثنى[1] في جملة اللاتي دخل بِهن المصطفى فاطمة بنت شريح، وقال: هي الواهبة نفسها له المذكورة في القرآن، وبحث الناظم فلم يجدها في شيء من كتب من جمع من الصحابة ولا لابن الأثير في أسد الغابة على كثرة جمعه، ولعلها هي التي استعاذت منه حين دنا منها ليقبلها وهي فاطمة بنت الضحاك فأبانها ولم يصبها، وهؤلاء الاثنتا عشرة أو الإحدى عشرة غير من عقد عليها أو وهبت نفسها له أو خطبها ولم يبين تزويجها، أما هن فثلاثون امرأة كما قاله الدمياطي على خلاف في بعضهن.

۞ ۞ ۞

(١) انظر: تسمية أزواج النبي ﷺ وأولاده (ص٦٨).

باب ذكر خُدَّامه من الرجال والنساء

فأنسٌ ألزمهُمْ للخدْمَة أسْمَاء هنْدٌ وَلَدَا حَارثة

كذا بلالٌ عقبةُ بنُ عامر سَعْدٌ فَتَى الصديق مع ذي مخمر

رَبيعةٌ مَعَ ابن مَسْعُود أبو ذرّ بُكَيْرٌ ولليث نُسبُوا

وابنُ شُريك أسْلَعٌ فأرْبَدُ كذا ابنُ مالك والاسمُ الاسْوَدُ

وابنُ أخيه الحَدْرَجَان جَزْرٌ لهُ بخدَّام النَّبيّ ذكْرُ

وسابقٌ وسالمٌ قد ذُكرَا وقيل سَلْمى واعدُد المُهاجرا

قَيْسُ بنُ سَعْد أيْمَنٌ ثَعْلَبَةُ كذا نُعَيْمٌ أبُهُ رَبيعةُ

كذا أبو السمح أبو الحمراء أبُو عبيْد وَمنَ النّسَاء

فأول خدامه أنس بن مالك الأنصاري وكان ألزمهم لخدمته، وأسماء وهند ابنتا حارثة الأسلميان، وبلال بن رباح المؤذن، وعقبة بن عامر الجهني كان صاحب بغلته يقود به في الأسفار، وسعدٌ مولى أبي بكر الصديق، وذو مخمر ابن أخي النجاشي أو ابن أخته، وربيعة بن كعب الأسلمي، وعبد الله بن مسعود وكان صاحب نعله ووسادته، وأبو ذر الغفاري، وبكير بن شريح الليثي ويُقال بكر، وأسلع بن شريك وكان صاحب راحلته، وأربد قيل هو ابن حمير وقيل غيره، والأسود بن مالك الأسدي، وابن أخيه الحدرجان بن مالك وقيل: إنما هو أخوه، وجزر بن الحدرجان كذا ذكره ابن منده في خدام النبي ﷺ، وسابق وسالم على ما ذكره ابن عبد البر وقيل لا يصح سابق في الصحابة، وذكر بعضهم أن من خدامه سلمى وقيل هو سالم المذكور، وقيل: هو أبو سلمى وقيل: أبو سلام، ومهاجر مولى أم سلمة، وقيس بن سعد بن عبادة كان من المصطفى بِمنزلة صاحب الشرطة من السلطان، وأيمن ابن أم أيمن، وثعلبة بن عبد الرحمن الأنصاري، ونعيم بن ربيعة بن كعب، وأبو السمح قيل واسمه إياد، وأبو الحمراء هلال بن الحارث أو هلال بن ظفر، وأبو عبيد قاله ابن عبد البر: قيل خادمه وقيل: مولاه، ولم أقف على اسمه. وقول الناظم: (ومن النساء) يأتي شرحه.

مَارِيَةُ اثْنَتَان مَعْ رُزَيْنَه وأمَةُ الله لهذه ابْنَهْ

صَفيَّةٌ وَخَولَةٌ وخَضْرَةُ سَلْمَى وَأُمُّ أيْمَن بَرَكَةُ

وأم عيَّــاش كَــذا مَيْمُونـــةُ وفي الـمَوالـي ذُكِرت ذي الخمسةُ

وخدَّامه من النساء ماريةٌ وهما اثنتان مارية جدة الـمثنى بن صالح لها حديث في الكوفيين، ومارية أم الرباب لها حديث في البصريين ذكرهما ابن عبد البر وغيره وقيل: هما واحدة، ورزينة لـها حديث عاشوراء عند أهل البصرة وبنتها أمة الله، وصفية روت عنها أمة الله حديثًا في الكسوف ذكره ابن عبد البر، وخولة جدة حفص بن سعيد لـها حديث في تفسير الضحى، وخضرة، وسلمى، وأم أيمن واسمها بركة وهي حاضنته، وأم عياش، وميمونة وقد ذكرت هذه الخمسة في مواليه.

۞ ۞ ۞

باب ذكـر مواليـه ﷺ

زيـدٌ أسامـةُ ابنُـهُ ثَوْبَانُ أنسَـةٌ وصـالـحٌ شَـقْرَانُ

كذا أبـو كبشـة واسمـه سليم أو أوْسٌ اسْمَـاهُ بـه أبُـو نَعيم

كـذا ربـاحٌ ويسـار مُدْعـمُ كذا أبو رافـع وهـو أسْلَـمُ

وقيـل إبراهيـم أوْ فَثَـابتُ أو هـرمزٌ يزيـدُ خُـلْفٌ ثابتُ

ورافـعٌ كَرْكَـرَةٌ فَضَالـةْ وَوَاقـدٌ سَفـينَةٌ فَـزَارةْ

أول مواليه زيد بن حارثة الكلبي، وابنه أسامـة، وثوبان ويكنى أبا عبد الله، وأنسة ويُكنى أبا مسروح، وصالح واسمه شقران، وأبو كبشة واسمه سليم أو أوس كذا سماهُ به أبو نعيم، ورباح بـموحدة على ما ذكره ابن ماكولا[1] أسود كان يأذن على المصطفى، ويسار نوبي، ومدعم أسود وهبه له رفاعة بن زيد الجذامي، وأبو رافع واسمه أسلم وقيل إبراهيم وقيل ثابت وقيل هرمز وقيل يزيد خلاف ثابت محقق، ورافع كان لسعيد بن العاص، وكركرة كان على ثقل المصطفى، وفضالة، وواقد، وسفينة، وفزارة بفتح الفاء.

طَهْمَـانُ أوْ كَيْسَـانُ أوْ مَهْرَانُ مَـوْلاهُ أو ذَكْـوَانُ أوْ مَروَانُ

يعني هذه الأسماء الخمسة علم شخص وقع في تعيين اسمه خلاف فقيل: كذا، وقيل: كذا إلخ..، حكاه مغلطاي وغيره، وقال القطب الحلبي: لـم يقع لي ذكر مروان.

---

(١) انظر: الإكمال (٤/٧).

جَـــدُّ هـــلال بـــن يسَار زيدُ ... حُنَيْـــنُ مَـــابُورٌ كَـــذا عُبَيْدُ
أبـــو عَسـيب وأبُـــو عُبَيْـــد ... مَـعَ أبـــي ضُمَيْـــرة سَعيـــد

ومن مواليه زيد وهو جد هلال بن يسار وهو زيد بن بولا كان عبدًا نوبيًّا، وحُنين بنونين مصغرًا كان خادمًا أو عبدًا له فوهبه لعمه العباس فأعتقه، ومابور بضم الموحدة القبطي أهداهُ له المقوقس وكان خصيًّا، وعبيد بن عبد الغفار، وأبو عسيب واسمه أحمر أو مرة، وأبو عبيد وكان يطبخ له، وأبو ضميرة مصغرًا واسمه سعد الحميري من آل ذي يزن.

ومـــن مـــواليـــه أبـــو موهوبة ... حازوا بـــه فخرًا عَلَـــى الـــمَرتبة
وكل مـــن سُمّي فيهـــا أو كُني ... فلـــم يـــزد عليهـــم عبد الغني
وزادَ بعضُهُم عليـــه فـــي العَـــدَدْ ... تسعًـــا وأربعين كـــلٌ قـــد ورَدْ

ومن مواليه أيضًا أبو مويهبة من مولدي مزينة قيل: لا يعرف اسمه.

وقول الناظم: (حازوا به فخرًا على المرتبة) أي: حازت به مزينة فخرًا على مرتبتهم، وهذا حشو كمل به الوزن. وقوله: (وكل من سُمي) بالبناء للمجهول أي: وكل هؤلاء الذين ذكرتهم فلم يزد عليهم الحافظ عبد الغني في سيرته[1]، وزاد عليه بعضهم وهو القطب الحلبي تسعًا وأربعين نفرًا كل منهم قد ورد عن بعض العلماء.

أفلَـــحُ مَغْـــهُ أَنْجشَـــهْ وأسْلَم ... أيْمـــنُ بـــاذامُ وبـــدرٌ حاتِمُ
دوسٌ قفَـــيزٌ سابـــقٌ رُوَيفِـــعُ ... سعيدٌ اثنـــان عُبَيـــد رافـــعُ
سنـــدرُ سالِـــم كـــريبُ غَيْلان ... كـــذا عبيـــد الله سعد سَلْمَان
مُحمد هو ابـــن عبـــد الرَّحـــمن ... مكـــحول نافـــعٌ نفيـــعٌ وردانْ

ومنهم أفلح، وأنجشة بفتح الهمزة والجيم كان حاديًا لجماله، وأسلم بن عبيدة حاديه أيضًا، وأيمن -بسكون التحتية- بن عبيد الـــمعروف بابن أم أيمن، وباذام بموحدة وذال معجمة ذكره ابن الجوزي، وعبيد ورافع ذكره البغوي وغيره، وبدر أبو عبد الله، وحاتم، ردوس، وقفيز بفتح القاف، وسابق بمهملة وموحدة، ورويفع يماني، وسعيد وهما اثنان سعيد بن زيد ذكره الدمياطي وسعيد بن كنده ذكره ابن الجوزي، وعبيد، ورافع، وسندر بفتح السين ونون ذكره الدمياطي، وسالم، وكريب، وغيلان، وعبيد الله بن أسلم،

---

(١) انظر: سيرة النبي ﷺ (ص٤٤).

وسعد، وسلمان الفارسي المشهور، ومحمد بن عبد الرحمن الحضرمي، ومكحول، ونافع، وأبو السائب، ونفيع بن الحارث وهو أبو بكرة، ووردان ذكره ابن حبيب وغيره.

هرمُــزُ واقــدٌ يسـارُ شَمْعُـونْ ... ضُمـيرة فضـالـةٌ وعَمْرُون
كـذا نُبَـيْةٌ ونبيـلٌ وهـلال ... كذا أبو رافـع آخـر يُقَـال
أبـو البشـير وأبـو أثيلـهْ ... أبـو لقيـط وأبـو صفيَّـهْ
كذا أبو الـحَمْرا أبُـو سَـلاَّمْ ... مع أبي هنـد أي الـحَجَّـام
كـذا أبـو اليُسر أبو لبابـة ... كـذا أبو سلمى مع أبي قَيْلَـة

ومنهم هرمز أبو كيسان وقيل: هو طهمان المار، وواقد، ويسار بن زيد، وشمعون بشين معجمة وعين مهملة وقيل معجمة وهو ابن يزيد بن حبان أبو ريحانة حليف الأنصار، وضُميرة مصغرًا، وفضالة، وعمرون، ونُبيه مصغرًا وقيل مكبرًا من مولدي السراة اشتراه وأعتقه، ونبيل بفتح النون، وهلال بن الحارث ويُقال ابن ظفر، وكذا أبو رافع آخر غير أبي رافع المشهور، وأبو البشير بفتح الموحدة وكسر المعجمة، وأبو أثيلة مصغرًا، وأبو لقيط كان حبشيًا وقيل نوبيًا، وأبو صفية، وأبو الحمرا بالقصر للوزن، وأبو سلام بشد اللام واسمه حريث كان راعيًا لنعمه، وأبو هند وهو الحجام اشتراه منصرفه من الحديبية وأعتقه، وأبو اليسر بضم التحتية قيل اسمه كعب بن عمرو، وأبو لبابة بضم اللام كان لبعض عماته فوهبته له، وأبو سلمى قيل: هو راعيه وقيل: غيره، وأبو قيلة بفتح القاف وسكون المثناة التحتية آخر ما زاده على عبد الغني.

أمَّـا الإمَاءُ فـذُكرن خَمْسَـةْ ... فيـمَا مَضَـى رَضْوَى كَذَا أُمَيْمَـهْ
رُبيحـةٌ رزينـةٌ رُكَانَـةُ ... كـذاكَ قَيسرُ أختهـا مَاريـةُ
مَيْمُـونَةُ اثنتـان والبعـض جَعَلْ ... ثَيْن من الجذام فيمـا قَـدْ نَقَـلْ

وأما مواليه من الإماء بمد الهمزة فذكرت خمسة أي: خمسة منهن مر ذكرهن فيما مضى من خدامه وهن خضرة، وسلمى، وأم أيمن، وأم عياش، وميمونة، ومنهن أيضًا رَضوى بفتح الواو وذكرها ابن سعد وغيره[1]، وأميمة، ورُبيحة بضم الراء وفتح الموحدة، ورَزينة بفتح الراء وكسر الزاي، ورُكانة بضم الراء، وكذا قيسر بفتح القاف وسكون

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٣٨٥، ٣٨٦).

التحتية وسين مهملة القبطية أهداها له المقوقس، وأختها مارية سريته أم إبراهيم، ومنهن ميمونة اثنتان ميمونة بنت سعد المذكورة في خدامه وميمونة بنت أبي عسيب وجعل بعض أهل السير هاتين مما أهداه له الجذامي كذا نقل.

۞ ۞ ۞

باب ذكر أفراسه -عليه الصلاة والسلام-

سَكْبٌ لِزَازٌ ظَرْبٌ وَسَبْحَةْ ... مُرتَجزٌ وردٌ لحيفٌ سَبْعَةْ

وَلَيْسَ فيها عندَهُمْ منْ خُلْف ... والخُلْفُ في مَلاوح والطُّرْف

كذاكَ ضرسٌ وشَحَا مَنْدُوبُ ... مرْوَاحُ بَحْرٌ أدْهمٌ نَجيب

أبْلقُ مع مُرْتَجل مَع يَعْسُوبْ ... سَرْحَانَ والعُقَال سجل يَعْبُوبْ

كان للمصطفى أفراس عدة منها السَّكب بفتح فسكون وهو أول فرس ملكه سمي به لسرعة جريه، قال الثعالبي: إذا كان الفرس شديد الجري فهو فيض وسكب شبه بفيض الماء وانسكابه، ابتاعه بالمدينة من رجل من فزارة وأول ما غزا عليه أُحُدًا، وكان أدهم أو كميتا ثم حصل له خيل عدة.

الثاني: لزاز بكسر اللام وزاي قال السهيلي: معناه لا يسابق شيئًا إلا لزاه أي: أثبته، أهداهُ له المقوقس وكان معجبًا به.

الثالث: الظرب بفتح الظاء المعجمة وكسر الراء واحد الظراب وهي الجبال الصغار، سمي به لقوته وصلابة حافره ولكبره وسمنه، أهداه له فروة بن عمرو الجذامي وقيل غيره.

الرابع: سبحة بفتح السين المهملة وسكون الموحدة وحاء مهملة، قال ابن سيرين: وهي أنثى شقراء ابتاعها من جهني بعشر من الإبل.

الخامس: المرتجز بكسر الجيم، سمي به لحسن صهيله كأنه ينشد رجزًا، وهو الذي اشتراه من الأعرابي الذي شهد له فيه خزيمة وكان أبيض.

السادس: ورد أهداه له تميم الداري والورد لون بين الكميت والأشقر شبه بالورد المشموم.

السابع: اللحيف فعيل بمعنى فاعل وقيل فيه بفتح اللام وقيل: بضمها وحاء مهملة كان يلحق الأرض بذنبه، وروي بجيم وخاء معجمة، فهذه السبعة ليس فيها خلف عند أهل السير.

والـــخلف عندهم في ملاوح وهو الضامر الذي لا يسمن والعظيم الألواح، والطرف بطاء مهملة وهو الكريم الآباء والأمهات كلا طرفيه كريم، والضرس بفتح الضاد المعجمة، وشَحا بفتح الشين المعجمة وحاء مهملة، ومندوب من قولـــهم ندبه إلى الشيء فانتدب أي: دعاه فأجاب، ومراوح بكسر الميم بلا تنوين من أبنية المبالغة كالمقدام سمي به لسرعته كالريح، وبحر سمي به لسرعة جريه شبه بالبحر الذي لا ينقطع ماؤه، وأدهم بالتنوين للوزن وهو الأسود، ونجيب وهو الكريم من الخيل، وأبلق وهو ما فيه بياض وسواد، ومرتجل وهو المباعد ما بين خطاه أو المقارب بينها مع الإسراع، ويعسوب واليعسوب غرة تستطيل في وجه الفرس أو دائرة عند مريضه، وسرحان، وذو العقال بضم العين، وسجل بكسر السين المهملة وسكون الجيم، ويعبوب بموحدة مكررة بينهما واو، هذا ما ذكر من أفراسه.

۞ ۞ ۞

باب ذكر بغاله وحميره -صلى الله تعالى عليه وسلم-

بغَالـــــهُ خَمْســــةٌ أوْ فَستّـــهْ ... دُلْدُلُ مـــع فضـــة والأيْليَّـــهْ

وبَغلـــةً أهــــدى لـــهُ الأُكيْـــدرُ ... وجـــاء من كسرى وفيه نَظَـــــرْ

وبَغلـــةً أهـــدى لـــهُ النَّـــجَاشــــي ... وهو بـــأخْلاق النَّبـــي الفَاشـــي

كانت بغاله خمسة أو ستة.

الأولى: دلدل بضم الدالين كانت بيضاء وهي أول بغلة رؤيت في الإسلام أهداها المقوقس فكان يركبها في السفر.

الثانية: فضة أهداها له الجذامي فوهبها لأبي بكر، **الثالثة:** الأيلية بفتح الهمزة نسبة إلى أيلة أهداها له صاحب أيلة.

وقول الناظم: (وبغلة) مفعول مقدم أي: وأهدى له الأكيدر صاحب دومة الجندل بغلة وهي الرابعة، وجاء في رواية ذكرها الثعالبي في تفسيره أنه جاء له من كسرى بغلة هدية وهذه الخامسة، وفيه نظر لـــما مر أنه مزق كتابه ورد رسوله، وقوله: (وبغلة) مفعول مقدم أيضًا أي: أهدى له النجاشي بغلة، وقوله: (وهو بأخلاق النبي) أي: أن ما

ذكر من أن النجاشي أهدى له بغلة مذكور في كتاب "أخلاق النبي" لأبي الشيخ[1].

وقوله: (الفاشي) أي: الكتاب المشتهر المنتشر بين الناس.

حِمَارُهُ عُفَيْرٌ أو يَعْفُورُ ... أو فَهُمَا اثنان وذا الـمَشْهُورُ
وكونُهُ كان اسمُهُ زيادا ... أو بيَزِيدُ منكرٌ إسنادًا
وثالثٌ أعطاهُ سعدٌ سَنَدُهْ ... رديفه قيس بن سعد وَلَدُهْ

وأما حميره فمنهم حماره الذي يُقال له: عُفير بضم العين المهملة وفتح الفاء أهداهُ له المقوقس، وقيل: اسمه يعفور، وقيل: هما اثنان وهذا هو المشهور، وكون هذا الحمار كان اسمه زياد بن شهاب أو يزيد بن شهاب منكر إسنادًا ومتنًا، وله حمار ثالث أعطاه له سعد ابن عبادة فإنه كان ماشيًا فأركبه في رجوعه حمارًا، وأرسل قيس بن سعد خلفه فلما وصل إلى بيته أراد أن يرد الحمار فقال: هو هدية، روى ذلك يحيى بن منده وغيره بسنده عن قيس المذكور.

۞ ۞ ۞

باب ذكر لقاحه وجماله ﷺ

اللقاح جَمع لقحة -بالكسر- الناقة ذات اللبن والفتح لغة، والجمال جمع جمل وهو من الإبل بمنـزلة الرجل يختص بالذكر قالوا: ولا يُسمى بذلك إلا إذا أنزل.

كانت لـه لقاحٌ الحنَّاءُ ... عُريسٌ بغُومٌ السَّمرَاءُ
بُردةُ والـمَروةُ والسَّعديـة ... حَفدةٌ مهْرَةُ واليَسيرةُ
ريَّاءُ والشَّقْراءُ والصَّهْباءُ ... عَضْبَا وجدعاءُ هما القَصْوَاءُ
وغيرُهُنَّ والجمالُ الثَّعْلَبُ ... وجَمَلٌ أحمرُ والـمُكتَسَبُ
غَنمَهُ في يوم بدر من أبي ... جهل فأهداهُ إلى البيت النَّبي
في أنفه بُرةٌ أي من فضة ... غَاظَ به كُفَّارَ أهل مَكةْ

وكانت له لقاح كثيرة الحناء بالتشديد، وعريس مصغرًا، وبغوم، والرابعة: السمراء -بسين مهملة ممدود-، الخامسة: بردة كانت تحلب كما تحلب لقحتان عظيمتان أهداها له الضحاك بن سفيان، السادسة: المروة أهداها له سعد بن عبادة، السابعة: السعدية بفتح

---

(١) انظر: أخلاق النبي ﷺ (ص١٣٣).

السين وسكون العين وكسر الدال المهملتين، الثامنة: حفدة بفتح الحاء المهملة وكسر الفاء، التاسعة: مهرة بضم الميم أهداها له سعد بن عبادة، العاشرة: اليسيرة، بضم أوله.

الحادية عشرة: رياء بفتح الراء وتشديد المثناة التحتية، الثانية عشرة: الشقراء بشين معجمة وقاف، الثالثة عشرة: الصهباء، وهي الشقراء، الرابعة عشرة: العضباء بفتح العين المهملة وسكون الضاد المعجمة وموحدة تحتية، والجدعاء بفتح الجيم وسكون الدال وهما ناقة اسمها القصواء كما رواه ابن إسحاق عن ابن عباس.

وقال ابن قتيبة: بل هن ثلاث. وقوله: (القصواء) بفتح القاف والمد قال عياض: ووقع في رواية العذري بضم القاف والقصر وهو خطأ، وقوله: (وغيرهن) أي: مما يطول ذكرهن.

وأمّا الجمال فكثيرة الأول: الثعلب بفتح المثلثة وسكون المهملة، الثاني: جمل أحمر رواه ابن سعد[1]، الثالث: المكتسب غنمه في يوم بدر من أبي جهل وكان مهريًا فأهداه إلى بيت الله في عمرة الحديبية وكان في أنفه برة أي: من فضة وغاظ به كفار أهل مكة، وكان لرسول الله ﷺ جمل اسمه عسكر عنده يغزو عليه ويضرب في لقاحه.

۞ ۞ ۞

باب ذكر منائحه وديكه ﷺ

المنائح جمع منيحة وهي في الأصل الشاة أو الناقة يعطيها صاحبها لمن يشرب لبنها ثم يردها إذا انقطع اللبن، ثم كثر استعمالها حتى أطلق على كل شاة أو بقرة معدّة للبنها، والديك ذكر الدجاج جمعه ديوك وديكه وزان عنبة.

كَانَتْ لَهُ مَنَائِحٌ بَرَكَةُ ... زَمْزَمُ سُقيا عَجْرَةٌ وَوَرْشَةُ
أطلالٌ أطرافٌ قَمَر مع يمن ... غوية أو غَيثةُ بل في السنن
كانت له مائةُ شاة غَنَما ... ولا يُريدُ أن تزيدَ كلّما
وُلد منها بَهْمَةٌ رَاعيها ... ذَبَحَ شاةً لا يَزيدُ فيْهَا
وَكَانَ أيضًا عندَهُ ديكٌ لَهُ ... أبيض فالـمُحب قَدْ نَقَلَهُ

كانت له منائح ترعاهن أم أيمن كان يسميهن بأسماء وهن: بركة بالتحريك، الثانية: زمزم، الثالثة: سُقيا بضم المهملة وسكون القاف، الرابعة: عجرة بفتح المهملة وسكون الجيم، الخامسة: ورشة بشين معجمة، السادسة: أطلال، السابعة: أطراف، الثامنة: قمر

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٤٩٣).

كما رواه ابن سعد[١]، التاسعة: يمن، العاشرة: غوثة وقيل اسمها غيثة وهي بالغين المعجمة والمثلثة وقوله: (بل في السنن) أي: في سنن أبي داود[٢] أنه كانت له مائة شاة من الغنم ولا يريد أن تزيد عليها بل كلما ولد الراعي منها بهمة ذبح مكانها شاة.

وكان أيضًا له ديك أبيض يوقظه إلى الصلاة كما ذكره المحب الطبري عن بعضهم وقد ورد النهي عن سبه، قال الحافظ: زعم أهل الطيرة أن الرجل إذا ذبح الديك الأبيض الأفرق ينكب في ماله، قال اليعمري[٣]: وأمّا البقر فلم ينقل أنه ملك منها شيئًا.

۞ ۞ ۞

باب ذكر سلاحه ﷺ

وهو ما يقاتل به في الحرب ويدافع، والتذكير فيه أغلب وجمعه على التذكير أسلحة وعلى التأنيث سلاحات، والسلح وزان حمل لغة في السلاح.

كان له من الرّماح خَمْسَةُ ... من قَيْنُقَاع جَاءَهُ ثَلاثَةُ

ورابعٌ لهُ يُسَمَّى المُثويَا ... والخامس المَثْنَى بذاك سُمّيا

كان له خمسة أرماح ثلاثة غنمها من يهود بني قينقاع ذكره ابن أبي خيثمة في تاريخه، والرابع يُسمى المثوي كما قاله الدمياطي، والخامس تسمى المثنى ذكره ابن فارس وغيره.

أقواسُه خمسةٌ الرَّوحاءُ ... وقوسُ شَوْحَط هي البيضاءُ

وقَوْسُ نبع وهي الصَّفراءُ ... كذلك الكَتُومُ والزَّوراءُ

كان له من القسي خمس: **الأول:** الروحاء، **الثاني:** البيضاء وهو قوس من شوحط بشين معجمة مفتوحة ثم واو ساكنة فحاء وطاء مهملتين، صنف من شجر الجبال، **الثالث:** قوس صفراء من نبع بفتح النون وسكون الموحدة وعين مهملة، روى ابن سعد[٤] أن الثلاثة أصابها من سلاح بني قينقاع.

الرابع: الكتوم سميت به لانخفاض صوتها إذا رمى عنها، **الخامس:** الزوراء، والقوس

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (١/٤٩٦).

(٢) أخرجه أبو داود (١٤٢) من حديث لقيط بن صبرة ﷺ وانظر: صحيح أبي داود للألباني -رحمه الله-.

(٣) انظر: عيون الأثر (٢/٣٩١).

(٤) انظر: طبقات ابن سعد (١/٤٨٩).

أنثى وقيل: تذكيرها وتصغيرها قويس وربما قيل: قويسة، وتجمع على قسي بكسر القاف وأقوس وأقواس وقياس وهو القياس كثوب وأثواب وثياب، وتضاف إلى ما يخصصها فيقال: قوس ندف وقوس جلاهق وقوس نبل وهي العربية وقوس نشاب وهي الفارسية.

كانت له ترسٌ به تمْثَالُ كرِهَهُ فَذَهَبَ التِمْثَالُ
كذا الزلوقُ للسلاح يَزْلَقُ وترسُهُ الثالثُ وَهْوَ الفُتَقُ

كان له ترس أهدي له وبه تمثال عقاب أو كبش فكرهه لذلك فوضع يده عليه فأذهب الله ذلك التمثال معجزة له، وكانت له ترس تسمى الزلوق بفتح الزاي وضم اللام وآخره قاف، سُمي به لكون السلاح يزلق فيها ولا يخرقها، وله ترس ثالث اسمه الفتق بالفوقية بضم الفاء والمثناة الفوقية، وروى الطبراني: (كان له ترس أبيض يسمى الموجز)، وآخر يسمى الجمع، وقول الناظم: (بذاك سميا) حشو كمل به الوزن، فأتراسه ثلاثة، والتُرس بالضم معروف وجمعه ترسه كعنبه وتروس وتراس كفلوس وسهام وربما قيل: أتراس، قال ابن السكيت[1]: ولا يُقال أترسة كأرغفة، وإذا كان من جلد لا خشب فيه تسمى ورقة.

أسيافه الحَتْفُ وذُو الفقار مَأْثُورٌ العَضْبُ مَع البَتَّار
كذاكَ مِخْذَمٌ كذا رَسُوبُ والقَلَعي لم يُسم والقضيب
وقيلَ ذا قَضِيبُهُ المَمْشُوقُ كان بأيدي الخُلفَا يَشوقُ

وأمَّا أسيافه كثيرة، قيل: تسعة على ما ذكره الناظم، وقيل: إحدى عشر كما ذكره بعضهم.

الأول: الحتف بفتح الحاء المهملة وسكون المثناة فوق وفاء أصابه من سلاح بني قينقاع، **والثاني**: ذو الفقار بكسر الفاء جمع فقرة وقيل: بفتح الفاء جمع فقارة سمي به لفقرات كانت في وسط ظهره كان للعاص بن منبه فغنمه يوم بدر، **والثالث**: مأثور بضم المثلثة ورثه من أبيه، **والرابع**: العضب بفتح المهملة وسكون المعجمة أرسله إليه سعد بن عبادة عند توجهه لبدر، **والخامس**: البتار بفتح الموحدة والمثناة فوق وهو القاطع، وكان لبني قينقاع، **والسادس**: المخذم بكسر الميم وسكون الخاء وفتح الذال المعجمتين وأصله سرعة القطع.

(١) انظر: المصباح المنير (ص٢٩).

والسابع: الرسوب براء مفتوحة فسين مهملة أصابهما مما كان على الفلس صنم طيء، **والثامن:** القلعي بفتح القاف واللام ثم عين مهملة نسبة إلى مرج القلعة موضع بالبادية.

وقوله: (ولم يسم) أي: ولم يكن له اسم، **والتاسع:** القضيب بقاف وضاد معجمة، فهذه تسعة أسياف، وقيل: هي ثمانية فقط، أما ذا فهو قضيبه الذي كان يسمى الممشوق وكان يُمسكه بيده الذي كان من شوحط وكان بأيدي الخلفاء العباسيين، وقوله: (يشوق) حشو كمل به الوزن.

وزاد بعضهم في أسيافه الصمصامة وآخر يسمى اللحيف سيف مشهور.

أدْرَاعـــهُ سَبْعَـــةٌ السُّغْـــدِيَّةُ ذاتُ الفُضُولِ وكـــذاكَ فضَّـــةُ
ذات الـحَواشـي مَـا لَهَا كِفـــاءُ ذاتُ الوشَـــاح الـخرنقُ البَتْرَاءُ

وأمّا أدراعه فسبعة، **الأولى:** السُّغدية بسين مهملة مضمومة وغين معجمة ساكنة أصابها من بني قينقاع وكانت درع داود التي لبسها لقتال جالوت.

والثانية: ذات الفضول بضاد معجمة سميت به لطولها أرسلها إليه سعد بن عبادة عند مسيره إلى بدر، **والثالثة:** فضة كما قال الدمياطي، **والرابعة:** ذات الحواشي ولم يكن لها كفؤ في الحسن، **والخامسة:** ذات الوشاح كان موشحًا بنحاس كما رواه الطبراني، **والسادسة:** الخرنق بكسر الخاء المعجمة وسكون الراء وكسر النون وفتحها وهو ذكر الأرنب وكأنها سميت به لقصرها.

والسابعة: البَتراء بفتح الباء الموحدة وسكون المثناة الفوقية سميت به لقصرها، والأدراع بكسر الدال الزودية ودرع الحديد مؤنثة في الأكثر وتصغر على دريع بغير هاء على غير قياس وربما قيل: دريعة، والجمع أدراع، وأدرع، ودروع.

كـــانت لـــه منطقـــة أديمُ فضَّةٌ الـحلقُ والإبْـــزيـــمُ
رايتُـــهُ العقـــابُ كـــالنَّمْرَاء مع رايـــة صفـــراء مـــع سَوداء
كـــانت لـــه ألويـــةٌ بيضٌ كـــذا سُودُ معْ أغبَـــر منها اتَّخَـــذا

كانت له منطقة من أدم منشور يشد بها وسطه بها ثلاث حلق من فضة وإبزيمها الذي في رأس المنطقة من فضة وطرفها فضة ذكره الدمياطي.

وكانت له راية تسمى العقاب سوداء أي: غالب لونها السواد بحيث ترى من بعيد سوداء لا أن لونها كان أسود خالصًا وكانت مربعة مزمزمة أي: من صوف، وكانت تسمى النمر أيضًا وسميت به لكون لونها لون النمر لما فيها من بياض وسواد.

وراية صفراء كما روى الطبراني[١] (أن المصطفى عقد رايات الأنصار وجعلهن صفرًا) ولهذه الراية المخصوصة التي ذكرها الناظم ولم يبين لها اسم.

وراية سوداء أي: غالب لونها السواد بحيث ترى من بُعد سوداء لا أن لونها كان أسود خالصًا وكان مكتوبًا على راياته (لا إله إلا الله محمد رسول الله) رواه أبو الشيخ[٢].

وكانت له ألوية جمع لواء بيض وكذا سود وربما اتخذ بعضها أغبر كما في حواشي السنن للمنذري عن مجاهد: (وكان لرسول الله ﷺ لواء أغبر أي: بين البياض والسواد، والمنطق والمنطقة بكسر الميم ما يشد به الوسط وانتطق شد المنطقة على وسط ويسميها الناس الحياصة، وقوله: (الأدم) هو الجلد المدبوغ، والراية العلم الكبير، واللواء العلم الصغير.

جرابُـــهُ البيضـــاء ثُـمَّ النبعةُ وحــربـــةٌ صغــيرةٌ عنـــزَةُ
مغفـــرُهُ السبـــوغُ والـــموشـــحُ فُسطاطُهُ الكنُّ كـــما قد صرّحوا
محجنُـــهُ قـــدرُ ذراع يَستلـــم في حجه الرُّكنَ به كـــما عُـــلم

كان له حراب عدة فمنها حربة كبيرة اسمها البيضاء، وحربة تسمى النبعة بنون مفتوحة وموحدة ساكنة وعين مهملة، وحربة صغيرة دون الرمح تسمى عنزة بفتح العين المهملة وفتح النون والزاي.

وكان له مغفران السبوغ بسين مهملة فموحدة تحتية فواو فغين معجمة ويُقال له أيضًا: ذو السبوغ، والثاني: الموشح ذكرهما الدمياطي، وكانت فسطاطه يُسمى الكن بكسر الكاف، وكان له محجن بكسر الميم فمهملة ساكنة فجيم مفتوحة خشبة في طرفها اعوجاج كالصولجان، وروى الطبراني[٣]: "كان له محجن يسمى الذقن" قدر ذراع أو

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٣٤٧/٢٠)، وقال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٢١/٥): "وفيه محمد بن الليث الْهَدَاري ولم أعرفه وبقية رجاله ثقات". اهـ

(٢) انظر: أخلاق النبي ﷺ (ص١٢٦).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٩١/١١، ٩٢)، وابن الجوزي في الموضوعات (٢٩٣/١)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٧٢/٥): "رواه الطبراني وفيه علي بن عروة وهو متروك". اهـ

أكثر يمشي ويركب به ويعلقه بين يديه على بعيره ويستلم به الركن اليماني عند الطواف في الحج كما قد علم في بابه، والحربة رمح قصير، والمغفر بكسر الميم ما يلبسه الدارع على رأسه من الزرد وغيره تحت البيضة، والفسطاط بضم الفاء وكسرها بيت من شعر لكن ما يستر من الحر أو البرد، والمحجن وزان مقود خشبة في طرفها اعوجاج كالصولجان.

كـانت لـهُ هـراوةٌ بـالنَّقْل كذا عَسيبٌ من جريـد النَّخْـل
كـانت لـهُ مـخصَرَةٌ يَختَصـرُ بهـا اسْمُهَا العُرجُـونُ فيما ذَكَروا

كانت له هراوة بكسر الهاء وهي العصا بالنقل فإن لها ذكرًا في حديث الحوض يزود بها، وكانت له عسيب بعين وسين مهملتين كقريب من جريد النخل، ومخصرة وهي ما يتخصر به الإنسان سواء كان عصا أو مقرعة أو غير ذلك يختصر بها أي يتوكأ عليها اسمها العرجون فيما ذكره أهل السير، والمخصرة بكسر الميم قضيب أو عنزة يشير بها الخطيب إذا خاطب الناس.

كـان لـه خُفَّان سَاذَجـان أهْدَاهُمـا أصْحَمَـةُ الرَّبانـي
كذا لـه أربعةٌ منهـا أُخـرْ أصَابَهَا مِنْ سَهْمِـه مِنْ خَيْبـر

كان له خُفان أسودان ساذجان أهداهما له أصحمة النجاشي ملك الحبشة الرباني وكان يلبسهما ويمسح عليهما، وكذا له أربعة أزواج خفاف قد أصابها من خيبر، ونعلان سبتيتان، والخف معروف سمي خفًّا من الخفا لأنه يستر الرجل.

لـه ثـلاثٌ مـن جباب تُلبسُ فـي الحرب إحداهُنَّ منْهَا سُنْدسُ
أخضـرُ ثـمَّ جُبَّةٌ طَيَالسـةْ تُغْسَـلُ للـمَرْضَى وكانت ملبسـةْ
ونَبْلُـهُ سُمّـي بالـمُؤتصلةْ ومنه مـا سُمّـي بالـمُنصّلةْ

كان له ثلاث جباب جمع جبة وهي ما يلبسها في الحرب، إحداهن سندس أخضر، وجبة أخرى طيالسة كانت تغسل للمرضى ويشربون غسالتها للتبرك[1] وكانت ملبسه غالبًا، ونبله كان يسمى بالمؤتصلة وكان منه ما يُسمى بالمنصلة؛ لأن للنبل نصلاً يصل إلى المرمى إليه، ذكره الدمياطي.

۞ ۞ ۞

(١) انظر: صحيح مسلم (٢٠٦٩).

باب ذكر أقداحه وآنيته وركوته وربعته وسريره -عليه السلام-

أقــــداحـــــه الــرَّيَّانُ والــمُغيثُ ... وآخــــرٌ مُضَــــبَّبٌ يَغــــيثُ
بــــه إذا مــــا مَسَّهُم مــن حــاج ... وقَــــدْحٌ آخــــــرُ مــن زُجاج
وقَــــدَح تحــتَ السَّرير عَيــــدانْ ... يقضـــي به حاجَتَهُ فـــي الأحْيــــانْ

كان له أقداح كثيرة قدح يُسمى الريان بفتح الراء وشدة المثناة التحتية، وآخر يُسمى المغيث بضم الميم ومعجمة، وآخر مضبب بعضه يقدر أكثر من نصف المد وأقل من المد، وفيه ثلاث ضبات من فضة وحلقة يعلق بها يغيثهم به إذا ما مستهم حاجة فيشربون فيه فيشفون رواه الطبراني[١]، وقدح آخر من زجاج، وكان له قدح من عيدان بفتح أوله وسكون ثانيه اشتهر نقله قاضي القضاة السعدي الحنبلي وكان يجعل تحت سريره يقضي به حاجته ويبول فيه بالليل في الأحيان الباردة.

مــــركَنُهُ مــــن شبـــــه وتــــورَه ... حجــارةٌ مَــنْ نالــــهُ يَميــــرَهْ
رَكْــوتُــــهُ كــــانت تُسمى الصَّادرهْ ... قَصعَتُــــــهُ الغرَّاء لــيست قاصرهْ
كــــان لــهُ لأجــــل الـــــفطرة ... وقعْبــــهُ كان اسمــهُ بالسَّعَــــة

وكان مركنه أي: مخضبه من شَبَه وهو ضرب من النحاس تكون فيه الحناء، وكان له تور من حجارة يتوضأ فيه والتَّوْرُ بمثناة فوقية إناء كبير يتطهرُ منه من ناله يميره، وكانت ركوته تسمى الصادرة سميت به لأنه يصدر عنها بالرحى.

وكانت قصعته تسمى الغراء ليس قاصرة أي: ليست قليلة السعة بل كانت كبيرة جدًا بحيث لا يحملها إلا أربعة رجال كما رواه أحمد وغيره[٢] إذا ما مسهم بزيادة ما، وكان له صاع لأجل إخراج زكاة الفطر به، وكانت له قعبة من صفر موسومة بالسعة.

كــــانت لـــه ربعةٌ أي مُربَّعَــــــهْ ... كــجونَــة يُجعلُ فيها أمْتعــــــهْ
سواكُــــــــهُ ومشْطُــهُ والــمُكحُلَهْ ... كذلك الــمرآةُ والــمقراضُ لَــــهْ

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٢٤/٢٠٥، ٢٠٦).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٧٧٣) من حديث عبد الله بن بُسْر ﷺ، ولَمْ يروه أحمد كما ذكر الشارح -رحمه الله-. والله أعلم .

كان له ربعة مربعة اسكندرانية أهداها له المقوقس مع مارية أم إبراهيم، وكانت كالجونة بضم الجيم ما يُجعل فيه الطيب، وكان يجعل فيها أمتعته أي سواكه ومشطه وكان من عاج وقيل من ذبل[1]، ومكحلته التي كان يكتحلُ منها عند النوم، ومرآته قال السهيلي: (واسمها المدله كان ينظرُ فيها)، ومقراضه يُسمى الجامع كما رواه الطبراني وكانت هذه الأشياء لا يُفارقها في السفر.

كــانَ لَــــهُ سريرٌ اهدَاهُ لَــــــهُ ... أسْعَدُ وَهْوَ سَاجٌ استَعْمَلَــــــهُ

مُـــــوشَّحٌ بالليف ثـــمَّ وضعـــا ... عَلَيْه لَمَّـــــا مَات ثم رُفِعَـــــا

عَلَيْـــــه أيضًا بعـــــدَهُ الصِّـــديقُ ... كَـــذَاكَ أيضًـــا عُمَرُ الــفاروقُ

وكان له سرير ينام عليه أهداه له أسعد بن زرارة وهو من ساج أي: قوائمه منه كما روى البلاذري عن عائشة قالت: كانت قريش بمكة وليس شيء أحب إلينا من السرير ننام عليه، فلما قدم رسول الله المدينة ونزل منـــزل أبي أيوب قال: «**أما لكم سرير؟**» قالوا: لا، فبلغ أسعد بن زراره فبعث له سريرًا له عمود وقوائمه ساج، وكان ينام عليه حتى تحول إلى منـــزلي وكان فيه، فوهبه لي وكان ينامُ عليه حتى توفي ﷺ وهو فوقه، وطلبه الناس منا يحملون عليه موتاهم، فحمل عليه أبو بكر وعمر والناس طلبًا لبركته، وقوله: (استعمله) أي: استعمله له أسعد وهو موشح بالليف اشترى ألواحه عبد الله بن إسحاق مولى معاوية بأربعة آلاف درهم، ذكره ابن حماد، وأنه بيع في ميراث عائشة، ثم وضع عليه لما مات، ثم وضع عليه بعده الصديق، ثم الفاروق، ثم كان الناس يحملون عليه موتاهم تبركًا به، وقوله: (ثم وضعا) و(رفعا) بألف الإطلاق.

۞ ۞ ۞

---

(١) شيء كالعاج، وقيل: عظام دابة بحرية يتخذ منها الأسورة والأمشاط.

باب ذكر الوفود إليه ﷺ

الوفود جمع وفد وهم الجماعة المختارة من القوم يتقدمونهم للقاء العظماء.

أَولُ وفْدٍ وفَدوا المَدينهْ ... سنةَ خمسٍ وافدوا مُزَينهْ
وهكذا سعدُ بنُ بكرٍ في رجبْ ... وعامَ سبْعةٍ جُذَامٌ وَعَقَبْ
الأشعريُّونَ ودَوسُ القَومْ ... وفي الثَّمان ألفت سُليمُ
ثَعلَبَةٌ ثُمَالةٌ والحَدَانْ ... فيها وفي التاسع وفدُ هَمدَانْ
كَذا بنو الدار وفيه في صَفَر ... عَذرةُ بعدَها بَلي وحِمْيَرْ

أول وفد وفدوا المدينة على المصطفى وفد مزينة في رجب سنة خمس وكانوا أربعمائة فأسلموا، وكذا وفد سعد بن بكر في رجب منها، وفي سنة سبع وفد جذام قدم رفاعة بن يزيد الجذامي في جماعة، وأعقبه الأشعريون وهم خمسون رجلاً منهم أبو موسى الأشعري فوجدوه في خيبر فبايعوه وأسلموا.

ودوس القوم قدم عليه منهم أربعمائة، وقوله: (القوم) حشو كمل به الوزن، وفي سنة ثمان ألفت سليم بضم وفتح أي: ألفت الإسلام.

وثعلبة لما قدم من الجعرانة قدم عليه أربعة منهم وقالوا: نحن رسل من خلفنا نحن وهم مقرّونَ بالإسلام، وثمالة بمثلثة مضمومة فميم فألف، والحدان بحاء مهملة مفتوحة فدال مهملة، وقوله: (فيها) أي: في عام ثمان قدم عبد الله بن علس الثمالي، وفي عام تسع قدم وفد همدان بفتح فسكون فدعوا وأسلموا، وبنو عبد الدار وهم عشرة، وفيه في صفر قدم وفد عذرة اثنا عشر رجلاً حمزة بن النعمان وبشرهم المصطفى بفتح الشام، وفيه قدم وفد بَلي بفتح الموحدة التحتية وكسر اللام فأنزلهم رويفع بن ثابت عنده وقدم بهم المصطفى وقال: (هؤلاء قومي) فقال: «**مرحبًا بك وبقومك**» فأسلموا، وفيه قدم وفد حِمْيَر.

وبعدُ في العاشر وفدُ خولانْ ... وكندة وغامد وغَسانْ
وفدُ الرُّهاويين وَفدُ نَجْرَانْ ... وفدُ صُدا والأَزْد مع سَلامانْ
بَجيلة وحَضْرَمَوتُ النَّخَعُ ... والحارث بن كعب أيضًا أجمع

وقدم بعدُ بالضم أي: بعد ذلك في شعبان في العام العاشر قدم وفد خولان بفتح

الخاء المعجمة وسكون الواو وهم عشرة نفر، ووفد كندة قدم الأشعث بن قيس الكندي في بضعة عشر راكبًا، وقيل: في ثمانين وقيل: في ستين، ووفد غامد بغين معجمة حي من عرب اليمن عشرة أنفس في رمضان سنة عشر، ووفد غسان بفتح المعجمة وشدة المهملة، قدم ثلاثة نفر منهم في رمضان عام عشر المدينة فأسلموا.

ووفد الرهاويين بضم الراء حي من مذحج خمسة عشر، ووفد من نصارى نجران أربعة عشر من أشرافهم، ووفد صدا بضم الصاد المهملة وفتح الدال مقصورًا للوزن، قدم زياد بن الحارث الصدائي ومعه خمسة عشر منهم، ووفد الأزد ويُقال: الأسد قدم صرد بن عبد الله في خمسة عشر منهم، ووفد سَلامان بفتح السين المهملة وخفة اللام من قضاعة قدم منهم حبيب بن عمرو في سبعة أنفس فأسلموا، ووفد بجيلة فتح الباء وبينهم جرير بن عبد الله ومعه خمسون ومائة، ووفد حضرموت بفتح الحاء والراء والميم قدموا مع وفد كندة، ووفد النخع أرسلوا رجلين بإسلامهم، ووفد الحارث بن كعب.

وفيهما مُرةُ عبسٌ أسدُ ... وَفْدُ تَميم فيهمُ عُطَارِدُ
باهلةٌ وجعدةٌ فزَارَةُ ... عَقيل عبدٌ أشجعٌ كنانةُ
لقيطُ بكر وابنُ عَمَّار قَدَدْ ... ماتَ رُجوعًا وكلابٌ وَوَفَدْ
وَفْدُ ثَقيف مَعَ عبد القَيْس ... رؤاس عامر هلال عَنْس

وقوله: (وفيهما) أي: يُحتمل عود الضمير على سنة عشر وإحدى عشرة أي: في السنتين إما هذه أو هذه، قدم وفد مرة ثلاثة عشر رجلاً رأسهم الحارث بن عوف منصرفه من تبوك، ووفد عبس بباء موحدة تسعة نفر وكانوا من المهاجرين الأولين، ووفد أسد قدم منهم حضرمي بن عامر في عشرة أنفس، وقيل: في ثلاثين.

ووفد تميم ثمانون أو تسعون وفيهم عطارد بن حاجب، والزبرقان بن بدر، والأقرع ابن حابس، وقيس بن عاصم، ووفد باهلة بموحدة وهاء مكسورة فلام مفتوحة قدم منهم مطرف بن كاهن الباهلي، بعد الفتح فأسلم، ووفد جعدة وهو الرقاد بن عمرو بن زمعة ابن جعدة، ووفد فزارة بفتح الفاء قدم عليه منهم لما رجع من تبوك بضعة عشر رجلاً، ووفد عقيل بفتح العين المهملة وكسر القاف بن كعب، ووفد بني عبد -بتنوين- بن عدي، ووفد أشجع بهمزة فشين معجمة فجيم قدموا عام الخندق وهم مائة وقيل: سبعمائة.

ووفد كنانة ووفد عليه واثلة بن الأسقع فأسلم وبايع ورجع إلى أهله، ووفد لقيط ابن عامر، ووفد بكر بن وائل، ووفد قُدَد بن عمار بضم القاف وفتح الدال الأولى وسكون الثانية فأسلم وعاهد على أن يأتي بألف من قومه، فخرج معه تسعمائة وخلف في الحي مائة فأقبل بِهم يريد المصطفى فنـزل به الموت فلهذا قال الناظم: (مات رجوعًا) أي: مات في رجوعه إلى النبي أي: في ذهابه إليه فلم يصل إليه، ووفد بني كلاب بثلاثة عشر رجلاً منهم لبيد بن ربيعة، ووفد ثقيف قدم عليه في رمضان منصرفه من تبوك في سبعين رجلاً وقيل: بضعة عشر رأسهم ياليل، ومع وفد ربيعة وفد عبد القيس بفتح القاف بن أفصى بفتح الهمزة وبفاء وصاد ابن دعمى بن جديلة، قيل: قدموا مرتين وكانوا أربعين أو أربعة عشر أو ثلاثة عشر، ووفد رُؤاس بضم الراء وفتح الهمزة من كلاب قدم منهم عمرو بن مالك فأسلم، ووفد عامر بن صعصعة، ووفد هلال بن عامر، ووفد عنس بسكون النون فأسلموا.

قشـيرُ تغلـب وبعضٌ مُسْلـمُ ... أمَّا النَّصَارى منهم فألزَمُوا
أن يَمْنَعُوا أولادَهُمْ من صبْغَة ... في دينهم وفي بني حَنيفة
ومن وفود اليَمن اليَمان ... وفدُ تُجيب طيء جَيْشان
كلبٌ خُشَيْنٌ ومرادٌ والصَّدفْ ... وخَثْعَمٌ سَعْد العشيرة ردف
أزدٌ عُمَانٌ وزُبيدٌ اسْلمُ ... وبارق وابنُ حُميد سالم
سعد هُذَيم جَرْمُ بَهْرا مَهْرةُ ... ووفدُ جُعفي كذا جُهينةُ
سنةَ إحدى عَشْرة جاءَ النَّخَعْ ... في مئتين بعدَ مَنْ قَبلُ نَجَعْ
وَفْدُ السَّباع والذّئاب ذُكرَا ... في غابة وغيرها واستُنْكرَا

وفيه بشير بن عمر وربيعة بن عامر بن صعصعة، ثم وفد قشير بن كعب، ووفد تغلب بفتح المثناة فوق وسكون الغين وكسر اللام ستة عشر رجلاً بعضهم مسلمين وبعضهم نصارى أما النصارى منهم فالتزموا أن يمنعوا أولادهم الصغار من صبغة النصرانية في دينهم والصبغة بكسر المهملة وسكون الموحدة، ووفد بني حنيفة بن لجيم بن صعب قدم في بضعة عشر رجلاً.

ومن جملة وفود اليمن اليمان بن جابر والد حذيفة، ووفد تُجيب بضم المثناة الفوقية وكسر الجيم ثلاثة عشر رجلاً سنة تسع، ووفد طيء بتشديد الياء بعدها همزة خمسة عشر

رجلاً، ووفد جَيْشان بفتح الجيم وسكون المثناة تحت قدم أبو وهب الجيشاني في نفر، ووفد كلب منهم عبد عمرو بن جبلة فعرض عليه الإسلام فأسلموا.

ووفد خُشين بخاء وشين معجمتين مصغرًا، ووفد مراد منهم فروة المرادي، ووفد الصَّدف بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين وفاء بضعة عشر رجلاً، ووفد خثعم قدم منهم رجال، ووفد سعد العشيرة ردف لَهم، ووفد أزد عُمان -بضم العين المهملة فميم مخففة-، ووفد زُبيد بضم الزاي وفتح الباء الموحدة عشرة أو أكثر، ووفد أسلم، ووفد بارق بموحدة وراء وقاف قدموا فأسلموا وبايعوه، ووفد ابن حميد واسمه سالم وهو من بني مرة، ووفد سعد هذيم بإضافة سعد إلى هُذَيم بضم الهاء وفتح الذال المعجمة ومثناة تحتية مصغرًا كان عبدًا أسود، ووفد جرم بفتح الجيم وسكون الراء، ووفد بهرا بفتح الموحدة وسكون الهاء والمد قدموا من اليمن ثلاثة عشر رجلاً، ووفد مَهرة بفتح الميم وسكون الهاء، ووفد جُعفي بضم الجيم وسكون العين المهملة وكسر الفاء وشدة الياء، ووفد جهينة.

وقول الناظم (سنة إحدى عشرة) أي: وفي نصف محرم سنة إحدى عشرة بالتنوين للوزن جاء وفد النخع من اليمن مرة ثانية وهو أول وفد قدموا عليهَ في مائتي رجل فأسلموا، وقوله: (بعد) بالنصب، وقوله: (من قبل) بالضم أي: بعد الذي تقدم قبلهم، وقوله: (نَجَع) بفتح النون والجيم أي: نفع فيهم كلام النبي لـما قدموا عليه.

ثم وفد السباع جمع سبع الحيوان المفترس المعروف وفدت عليه وهو في غزوة الغابة وسألته أن يتعرض لـها ما تأكله ذكره ابن سعد في الطبقات[1] بسنده عن عبد الله بن حنطب قال: بينما النبي جالس بالمدينة فأقبل له سبعٌ فوقف بين يديه فعوى فقال: «**هذا وافد السباع إليكم فإن أحببتم أن تعرضوا له شيئًا لا يعدوه إلى غيره، وإن أحببتم تركتموه وتحرزتم منه فما أخذ فهو رزقه**» قالوا: ما تطيب أنفسنا بشيء، فأومأ إليه بأصابعه أن خالبتهم فولّى، ووفد الذئاب جمع ذئب، روى البيهقي[2] عن أبي هريرة جاء إلى النبي ذئب فأقعى غير بعيد ثم جعل يصبص[3] بذنبه فقال النبي: «**هذا وافد الذئاب إليكم يسألكم أن**

(١) أخرجه ابن سعد في طبقاته من طريق الواقدي (٢٦٩/١) وهو متفق على ضعفه.

(٢) انظر: دلائل النبوة للبيهقي (٤٠/٦).

(٣) قال الفيروزآبادي في القاموس (ص٢٩١): «بصبص الكلبُ: حرك ذنبه».

تجعلوا له شيئًا من أموالكم»، قالوا: لا، كذا ذكر أن وفد السباع والذئاب وفدا في غزوة غابة وغيرها، وقد استنكر حديث وفدهما جمع من العلماء فجزموا بأنه منكر.

تنبيه: كان عليه أن يذكر وفد الجن فإنَّهم وفدوا عليه وفادة كوفادة الإنس فجاءوا فوجًا بعد فوج وقبيلة بعد قبيلة بمكة وبعد الهجرة كما أخرجه أبو نعيم وغيره[1]، ولهم معه وقائع كثيرة وأسئلة وأجوبة مذكورة في كتب شهيرة فإهمال ذلك تقصير.

۞ ۞ ۞

باب ذكر أمرائه ﷺ

أَمَّـرَ باذانَ بـــلادَ اليَـــمَن ... ثُـمَّ ابنَـهُ شَهْرًا بصَنْعا يَمَنْ

وابـنَ أبـي أميَّـة الـمُهاجرا ... كنْدَةَ والصَّدفْ فَقبل أنْ سَـرا

لعمَلـه قَضَـى النَّبيُّ بالـموت ... كَذَا زيـادُ بنُ لبيـد حَضرَمَوتْ

كـذا أبو موسَـى زبيـدًا وَعَدَنْ ... وَزَمْع والسَّاحل مـن أرض اليَمَنْ

كـذَاكَ قَـدْ وَلَّى معاذًا الـجَنَد ... كذاك عَتَّابًا عَلَـى خَيْر بَلـدْ

أَمَّرَ بتشديد الميم رسول الله ﷺ باذان بباء موحدة وذال معجمة على بلاد اليمن ذكره الواقدي وهو أحد من قام في قتل الأسود العنسي، ثم أَمَّر ابنه شهرًا واستعمله على صنعاء اليمن، وأمَّر الـمهاجر بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي واسمه الوليد استعمله على صدقات كندة بكسر الكاف والصدف بفتح الصاد وكسر الدال المهملتين وتشديد الفاء فقبل أن سرى من المدينة لعمله بسكون الهاء للوزن، أي: قبل مسيره إلى عمله لكندة فالصدف قضَى النبي بالموت في ربيع الأول، وكذا أمَّر زياد بن لبيد بن ثعلبة البياضي على حضرموت، وأمَّر أبا موسى عبد الله بن قيس الأشعري ولاية زبيد بفتح الزاي وكسر الباء الموحدة، وعدن بفتح العين والدال فنون، وزمع بفتح أوله وسكون ثانيه وعين مهملة، وعدن أرض باليمن وهي من مخاليف وإلى الساحل من مخاليف أرض اليمن أيضًا.

وكذا ولَّى معاذًا بن جبل وبعثه قاضيًا للجَند بفتح الجيم والنون بلد باليمن، وولى عتاب بفتح المهملة وشدة المثناة فوق بن أسيد بن أبي العيص الأموي مكة خير بلد على وجه الأرض فلم يزل أميرًا عليها حتى مات.

(١) انظر: دلائل النبوة لأبي نعيم ص(٣٥٨- ٣٧٢).

كَذَاكَ قَدْ وَلَّى أَبَا سُفْيَانَـــا صَخْرَ بنَ حَرْب بَعْدَ ذَا نَجْرَانَـــا
كَذَا ابنَهُ يَزِيدُ فـــي تَيْمــــاءَ وابنَ سَعيد خَالـــدًا صَنْعَـــاء
كَذاكَ عَمْرًا أخَـــهُ وادي القرَى وحكمًا أخَاهمـــا عَلـــى قُـــرَى
عُرينـــة كَـــذاكَ أيضًا أعْـــطَى أخـــاهُمَا أبـــانَ منـــهُ الـــخَطَّى
كَذاك ابن العاص عمـــرًا بِعُمـــانْ كَـــذا على الطَّائف وَلَّى عُثْمـــانْ

وكذلك ولَّـــى أبا سفيان واسمه صخر بن حرب بن أمية القرشي بعد ذلك الزمان لأن أبا سفيان أسلم يوم الفتح واستعمله على بلد نجران بفتح النون وسكون الجيم مدينة بالحجاز من شق اليمن وهي أطيب بلاد الحجاز سميت بنجران بن زيد، وولى ابنه يزيدًا أي: استعمله على تَيماء بفتح المثناة فوق والمد من أمهات القرى، وأمَّر خالد بن سعيد بن العاص على صنعاء اليمن فلم يزل عليها حتى مات المصطفى، وكذا أمَّر عمرًا أخه بفتح الخاء المعجمة أي: أخاه، فهو على لغة القصر أي: استعمل عمرًا أخا خالد بن سعيد على وادي القرى.

وأمّر الحكم أخاهما على قرى عرينة بالإضافة لا ينصرف قرى بالحجاز معروفة، وكذا أعطى المصطفى أخاهما أبان بن سعيد منه أي: من عنده الخطى بفتح الخاء المعجمة وشد الطاء المهملة ساحل ما بين عمان إلى البصرة أو هي قرية على ساحل البحرين، وكذا أمَّر عمرو بن العاص السهمي على عُمان بضم العين وتخفيف الميم وهي من اليمن، أمّا عَمان بفتح العين وشد الميم فهي عمان البلقاء من أكناف دمشق، وولى عثمان بن أبي العاص السهمي أخا عمرو على الطائف.

ابـــنَ أبـــي العـــاص كذاك ولَّـــى مَحمِـــئَةَ الأخْمـــاس ثُـــمَّ ولَّ
عـــليًّا القضـــاء والأخْمـــاسَـــا بِيَمَن فَكَـــانَ فيـــه رَاسَـــا
كـــذاك أمَّرَ ابـــنَ حـــاتـــم عَدي فـــي صدقـــات طيء وأســـد
وغَيْرَهُ مـــن أمـــراء الصَّدَقـــهْ تَجْمَعُ من قَبَائل مُفْتـــرقَـــهْ

قولـــه: (كـــذاك ولى) مبني للمفعول أي: وكذا ولى النبي محمئة بفتح الميم الأولى وكسر الثانية فهمزة مفتوحة وهو ابن جزء بفتح الجيم وسكون الزاي، ابن عبد يغوث الزبيدي على الأخماس، وولى علي بن أبي طالب القضاء والأخماس الأربعة بالقضاء وضرب بيده في صدره وقال: «**اللهم اهد قلبه وسدده**»، فكان في القضاء رأسًا لقول النبي:

«**أقضاكم عليّ**»[1]. وكذا أمر عدي بن حاتِم الطائي واستعمله على صدقات قومه طيئ بتشديد الياء وهمزة، وولى غيره أي: غير ابن حاتم من أمراء الصدقة لجمع الصدقات من قبائل متفرقة.

وأمَّرَ الصديـــق في الحجّ لَــدَى سَنَــة تســـع وعليًا في النّـــدا
أنْ لا يحجَّ بعــدْ عَـــامي مُشْرِكُ ويقـــرأ السورة خَابَ الــمُشْرِكُ
أمّا الأولـــى أمَّرهُـــمْ بـــالبعث فذكروا فـــي كـــل بعـــث بَعْث

وأمَّر أبا بكر الصديق على الحج بالناس سنة تسع من الهجرة ومعه ثلاثمائة رجل وعشرون بدنة لدى سنة تسع بتقديم التاء يؤذن بسورة براءة.

ولـــما نزل العرج بمن جاء معه على نحو ثمانية وسبعين ميلاً من المدينة وهي أول تهامة أدركه علي فقال له أبو بكر: فيم جئت؟، قال: مبلغًا للناس بالنداء لا أميرًا عليهم بأن أنادي أن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان، وأقرأ على الناس سورة براءة، وقوله: (خاب المشرك) أي: خسر حشو كمل به الوزن.

وقوله: (أما الأولى) بالقصر للوزن أي: وأما الذين أمَّرهم المصطفى في البعوث والسرايا فذكروا في كل بعث وسرية ذكر من بعث فيها أميرًا عليها كما مرَّ مفصلاً.

۞ ۞ ۞

---

(١) ذكره العجلوني في كشف الخفاء (١٨٤/١)، وقال: «رواه البغوي في شرح السنة والمصابيح، عن أنس، ورواه البخاري وابن الإمام أحمد عن ابن عباس بلفظ قال: قال عمر بن الخطاب: «عليٌّ أقضانا...» ، والحاكم وصححه عن ابن مسعود بلفظ: «كنا نتحدث أن أقضى أهل المدينة عليّ». اهـ. وانظر ضعيف الجامع للعلامة الألباني -رحمه الله- (٧٧٥).

باب ذكر مرضـــه ووفاتـــه ﷺ

مرضَ في العشر الأخــير مـــــن صفر — أَقَامَ في شَكْواهُ ذاكَ اثْنــى عَشَرْ
أو عشــرًا أو أقَــــامَ أربع عَشْرةْ — أو فَثَــلاثَ عشــرة قَـدْ ذَكَرَه
كذا ابنُ عبــد البَرِّ فــي ربيـــع — في يوم الاثنــين لـــدى الـجميع
وفاتُه إمَّـــا بثـــاني الـــشَّهْر — أو مُستهـــــل أو بثانـــي عَشْر
وهــوَ الــذي أورَدَهُ الـجُمْهـــورُ — لكـــن عليــه نَظَرٌ كَـــبيـــر
لأن وَقْفَــةَ الــوَدَاع الـجُمُعَــةْ — فــلا يصحُّ كونُها فيه مَعَــةْ
وقيلَ بَل فـــي ثامـــن بالـجَزْم — وهْوَ الـــذي صَحَّحَـــه ابنُ حَزْم
وكانَ ذاكَ عندما اشتــدَّ الضُّحـــى — أو حينَ زَاغَ الشَّمْسُ خُلْفٌ صَرحَــا

كان ابتداء مرض المصطفى في العشر الأخير من صفر، وكانت بداية وجعه يوم الأربعاء لليلتين بقيتا منه سنة إحدى عشرة في بيت ميمونة، ثم انتقلَ حين اشتد وجعه إلى بيت عائشة، وأقامَ في مرضه اثني عشر يومًا حكاه ابن الجوزي.

وفي مراسيل الحسن: «مرض عشرة أيام»، وقيل: أربعة عشر يومًا حكاه ابن الجوزي، وقيل: ثلاثة عشر وهذا القول ذكره ابن عبد البر النمري الأندلسي، وتوفي شهيدًا في ربيع الأول في يوم الإثنين ففيه ولد وفيه هاجر وفيه مات عند جميع أهل العلم.

وكانت وفاته إما في ثاني الشهر عند جمع منهم ابن مندة والطبري، وقيل: في مستهله، وقيل: في ثاني عشره وعليه الجمهور من أهل السير وغيرهم؛ لكن فيه نظر كبير كما قاله الواقدي والسهيلي وغيرهما[١].

قال السهيلي: اتفقوا على أنه مات يوم الإثنين، قالوا: كلهم وفي ربيع الأول غير أنهم قالوا، وأكثرهم: في الثاني عشر من ربيع، ولا يصح أن يكون مات يوم الاثنين، إلا في الثاني من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر، وذلك لأن وقفة حجة الوداع كانت يوم الجمعة بإجماع المسلمين، فيكون أول ذي الحجة يوم الخميس ويكون أول المحرم إما الجمعة أو السبت.

---

(١) انظر: عيون الأثر (٢/٤٠٨).

فإن كان الجمعة فيكون صفر السبت أو الأحد، فإن كان السبت فيكون أول ربيع الأول الأحد أو الاثنين، وكيف كان فلم يكن ثاني عشر ربيع الاثنين بوجه، وكذا قال الناظم.

ولا يصح كونها أي: الوقفة فيه مع كون موته يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول سواء تمت الشهور كلها أم نقصت أم تم بعض ونقص بعض، وقيل: إنّما كانت وفاته ثامن ربيع جزمًا وصححه ابن حزم(١).

وكان ذلك الوقت الذي مات فيه عند اشتداد الضحى في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة ذكره ابن عبد البر، وهذا قول أكثر المؤرخين، أو حين زاغت الشمس وصححه الحاكم(٢).

وقوله: (خلف) بضم الخاء فسكون اللام، وقوله: (صرحا) مبني للمجهول أي: صرح به العلماء.

غَسَّلَهُ عَلِيٌّ والعبَّاسُ ... وقُثَمٌ والفضْلُ ثُمَّ نَاسُ
أُسَامَةٌ شَقْرَانُ يَصُبَّانِ ... المَا وأوسٌ حاضرُ المَكَان
وقيلَ كانَ ينقُلُ الماءَ لَهُ ... وأنّ عَمَّهُ لَمْ يشاهد غسلَهْ

وغسله علي والعباس وابناه قثم والفضل يعيناهما ثم ناس آخرون وهم أسامة بن زيد، وشقران بضم المعجمة مولاه وكانا يصبّان الماء عليه، وأوس بن خولي بفتح الخاء المعجمة وسكون الواو ومثناة تحتية ساكنة بعد اللام على ما ذكره القطب الحلبي، ثم نقل عن شيخه الشاطبي والعسكري أنه بفتح الخاء والواو وشدة الواو، وهو ابن عبد الله الخزرجي السالمي أحد بني عوف شهد بدرًا والمشاهد كلها، حاضر المكان الذي غسل فيه من غير أن يلي شيئًا.

---

(١) ما ذكره ابن حزم في جوامع السير أن وفاته ﷺ كانت في اليوم الثاني عشر من ربيع الأول.

(٢) قال الحافظ في فتح الباري (١٤٣/٨، ١٤٤): «وقوله: وتوفي من آخر ذلك اليوم يخدش في جزم ابن إسحاق بأنه مات حين اشتد الضحى، ويجمع بينهما بأن إطلاق الآخر بمعنى ابتداء الدخول في أول النصف الثاني من النهار وذلك عند الزوال، واشتداد الضحى يقع قبل الزوال ويستمر حتى يتحقق زوال الشمس. وقد جزم موسى بن عقبة عن ابن شهاب بأنه ﷺ مات حين زاغت الشمس وكذا لأبي الأسود عن عروة، فهذا يؤيد الجمع الذي أشرت إليه» اهـ.

وقيل: بل كان ينقلُ الماء له أي: لغسله كما رواه البغوي عن ابن عباس، وقيل: إن عمه العباس وقف بالباب ولم يُشاهد غسله، وقال: كان يستحي أن أراه حاسرًا فلا أحضره.

غَسلَ من بئره بئر غَرْس ولَمْ يُجَرّد من قَميص اللُّبس
يَدْلُكُهُ بَخرقة عَليٌّ من تحته وهو لهُ وليٌّ
بالمَاء والسّدر ثلاثًا غسَلاَ وفي ثلاثة ثيابًا جُعلا
وتلك بيضٌ من سحُول اليَمَن ولَم يكن قميصه في الكفَن
وقد رَوى الحاكم أنْ قد كُفِّنَا في سبعة وبالشذوذ وَهَنا

وغسل من بئره بئر غَرس بفتح الغين وسكون الراء فمهملة وكان يشرب منها، ولم يجرد من قميص اللبس بضم اللام، وجعل علي يدلكه بخرقة أي: جعل على يده خرقة وأدخلها تحت قميصه، وعلي هو له ولي الغسل والدلك بوصية منه كما رواه الواقدي عنه.

وغسله بالماء والسدر ثلاث غسل، أي: غسلات كما رواه الواقدي أيضًا عنه، وروى الشيخان[1] عن عائشة: «كفن رسول الله ﷺ في ثلاث أثواب يمانية»، وتلك الثياب بيض ليس فيها قميص ولا عمامة، وتلك الأثواب من سحول بفتح السين المهملة وضمها، قال النووي[2]: والفتح أشهر ورواية الأكثر وبضم الحاء المهملة قرية من بلاد اليمن نسبة إلى سحولة قرية باليمن، ولم يكن قميصه الذي كفن فيه في الكفن بل نزع حين كفن؛ وقد روى الحاكم عن ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه كفن في سبعة أثواب ووهن بأنه شاذ.

ثُمَّ أتى الرِّجالُ فوجًا فوجا صَلُّوا فرادى ومَضَوا خُروجا
ثُمَّ النساءُ بعدهُم والصبيةُ وفي حديث وبه جَهَالةُ
صَلَّى عليه أوَّلاً جبريلُ ثَمَّتَ ميكائيلُ إسْرافيلُ
ثم يليهم مَلَكُ المَوت مَعَهْ جُنُودُهُ المَلائكُ المُجتمَعَهْ
وقيل ما صلوا عليه بل دَعوا وانصرفوا وذا ضعيفٌ ورَوَوْا
عن مالك أن عدد الصلاة تسعون واثنان من المرَّات

(١) أخرجه البخاري (١٢٦٤)، ومسلم (٩٤١).
(٢) انظر: تَهْذيب الأسْمَاء واللغات (٣/١٤٦).

ولـــيس ذا متَّصـــل الإسنـــاد عن مـــالك فـــي كُتُب النُّقـــاد

ثم جاء الرجال فوجًا فوجًا أي: فوجًا بعد فوج فصلوا عليه فرادى أي: أفرادًا، فكان فوج يدخلون فيصلون فرادى ثم يخرجون ويدخل غيرهم يصلون كذلك، ومضوا خروجًا أي: ويمضون بعد أن يصلوا عليه خارجين من عنده، ثم صلى عليه النساء بعدهم فالصبية ثم دخل العبيد فصلوا عليه إرسالاً لم يؤمهم أحد كما رواه البيهقي[1].

وروي في حديث ضعيف رواته مجهولون عن ابن مسعود أنه صلى عليه أولاً جبريل ثم ميكائيل فإسرافيل فملك الموت ومعه جنوده من الملائك بحذف الهاء للوزن ثم الإنس كما رواه البزار والحاكم[2]. وقيل: لـــم يصلوا عليه بل دعوا له لأنه غني عن الصلاة عليه وهذا قول ضعيف.

وقول بعضهم: لـــم يكن هنا إمام غلط فإن أبا بكر بويع قبل دفنه، وروى أهلُ السير عن مالك بن أنس أن عدد الصلوات التي صليت عليه اثنتان وتسعون صلاة، قال القطب الحلبي: وليس هذا متصل الإسناد عن مالك في كتب الثقات من المحدثين، لكن زعم بعضهم أنه رواه مالك عن نافع، عن ابن عمر، وقوله: (متصل) بالنصب.

ودفنـــه فـــي بقعة الوَفـــاة بخـــبر الصديـــق بالإثبـــات
وَدَخَلَ القَبـــرَ الأولى فـــي الغَسْـــل قِيلَ سوى أسامـــة وخَـــولي
زَادَ ابنُ سعد أيضًا ابن عـــوف مع عقيل أمِنُوا مـــن خـــوف
وفـــرشت في قَبْـــره قُطَيْفَـــةُ وقيـــل أخـــرجت وهذا أثبتُ
ولَحَـــدوا لَـــحْدًا لـــه ونُصبتْ عليـــه تســـع لبَنَـــات أطبقَتْ
وسَطَّحُـــوا مَـــعْ رَشّهم بالـــماء واشترك الأنامُ في العَـــزَاء

وكان دفن الـــمصطفى في البقعة التي توفي فيها بالخبر الذي رواه الصديق بالإثبات لأنه قال سمعته يقول[3]: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» فرفع فراشه وحفر له تحته،

---

(١) انظر: دلائل النبوة (٧/٢٥٠).
(٢) انظر: كشف الأستار (١/٣٩٨، ٣٩٩).
(٣) أخرجه ابن ماجه (١٦٢٨) من حديث أبي بكر الصديق ﷺ. وصححه الألباني -رحمه الله- في صحيح الجامع (٥٦٧٠).

ودخل القبر الجماعة الأولى أي: الذين تقدم ذكرهم في الغسل وقيل: دخلوا كلهم إلا أسامة وأوس بن خولي، وزاد ابن سعد في طبقاته[1] أيضًا عبد الرحمن بن عوف مع عقيل بفتح العين ابن أبي طالب، وقوله: (أمنوا) بقصر الهمزة، وقوله: (من خوف) أي: نار جهنم أو عذاب القبر حشو كمل به.

وفُرشت في قبره قطيفة كان يلبسها ويفترشها وهي كساء له خمل نجرانية كان يتغطى بِها، وقيل: أدخلت ثم أخرجت قبل إهالة التراب رواه الواقدي عن علي بن الحسين، وهذا أثبت وأصح.

ولحدوا له لحدًا أي: شقوا له في جانب القبر ونُصبت عليه تسع بتقديم المثناة على السين لَبِنَات بكسر الموحدة جمع لبنة وهي ما ضرب من الطين قبل الطبخ، ثم أطبقت عليه أي: جعلت على مقداره من جميع جهاته كالغطاء، وقوله: (وسطحوا) بتشديد الطاء أي: جعلوا قبرًا مسطحًا لا مُسنمًا ولا لاطيًا بالأرض، وذكر ابن الأثير أن الذي حفر قبره ولحده أبو طلحة زيد بن سهل ورشوا عليه ماءً باردًا.

روى البيهقي[2] عن جابر رش على قبر المصطفى الماء رشًّا فكان الذي رش بلال بدأ من قِبَلِ رأسه من شقه الأيمن حتى انتهى إلى رجليه، واشترك الأنام أي: الخلق كلهم في العزاء وطاشت العقول وأظلمت الدنيا.

وذَاكَ فـي ليلـةِ الأربعَـاء أو قَبلـها بليـلة لَيـلاء
وقيـلَ يومَ المـوت بـالتعجيـل صحَّحَـهُ الحاكـمُ في الإكليل

وقوله: (وذاك) أي: تجهيزه ودفنه فرغ منه في ليلة الأربعاء بفتح الهمزة وكسر الموحدة، قال ابن عبد البر: قبلها بليلة يعني ليلة الثلاثاء، قال: (قبض يوم الاثنين ضحًى ودفن يوم الثلاثاء حين زاغت الشمس)، وكانت ليلة ليلاء أي مظلمة لفقد الرسول ﷺ وانقطاع الوحي.

وقيل: بل دفن يوم موته فجهزوه بالتعجيل وصحح هذا القول الحاكم في كتاب الإكليل.

وَفَسَّرَ الصِّـدِيقُ للصِّديقَـة مَنَامَـها أنْ سَقَطَتْ فـي الـحُجْرة
حُجْرتـها ثَلاثـةٌ أقْمـارَا هـا خَـيْرُ أقـمَارك حَلَّ الدَّارَا

---

(١) انظر: طبقات ابن سعد (٢/٢٧٩).

(٢) انظر: دلائل النبوة (٧/٢٦٤).

صَلَّى عَليه رَبُّنـــا وسَلَّمـــا وصـاحِبَيْـــه نُعَمَـــا وأنْعـــمَا
هُما الضَّجيعـان مـــنَ الأقْمـــار قَدْ جَاوروا في اللَّحْد خَيرَ جَـــار
ثُــمَّ عَلـــى عثمانَ معْ عَــليّ وسائر الأصحـاب والــولـــيّ

كانت عائشة رأت أن ثلاثة أقمار سقطت في حجرها أي: بيتها فقصتها على أبيها فقال: إن صدقت رؤياك يدفن في بيتك ثلاثة هم خير أهل الأرض، فلمَّا دفن المصطفى قال لـــها: خير أقمارك الثلاثة الذين نزلوا حجرتك قد حلّ الدار، ثم دفن أبو بكر وعمر معه فيها ﷺ وعلى آله وصاحبيه أبي بكر وعمر.

وقول الناظم: (ثلاثة أقمارًا) بتنوين ثلاثة للوزن، وقوله: (نعما) بضم النون وشد العين المكسورة وبعد الميم ألف التثنية فهي من النعمة بالفتح وهي المسرة أي نعمهما الله بنعمته الواسعة، وقوله: (وأنعما) بفتح الهمزة والعين المهملة، وفي الخبر أن أبا بكر وعمر منهم، وأنعما أي: فزادا فضلاً.

يُقال: أحسنت إليه وأنعمت أي: زدت في الإنعام، أو معناهُ صارًا إلى النعيم ودخلا فيه، وهما الضجيعان للمصطفى من الأقمار الثلاثة كما تقرر قد جاورا في اللحد محمدًا ﷺ أفضل الأنبياء فهو خير جار في الـــممات وخير جار في الحياة، ثم رضوان الله مع الصلاة والسلام على عثمان بن عفان مع -بسكون العين- علي بن أبي طالب وعلى سائر الأصحاب، وقول الناظم: (والولي) بشدة الياء، أي: الناصر وأل فيه للاستغراق أي: وعلى كل الأنصار والله أعلم.

والحمد لله رب العالمين، والحمد لله على الإتمام، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام، والتابعين لـــهم بإحسان إلى يوم القيامة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذرياته وسلَّم ما أشرق صباح وعقب ظلام.

وقد وقع الفراغُ من تحرير هذه السيرة النبوية يوم الأحد لوقت الضحى اثني عشر شهر ربيع الأول لسنة سبع وخمسين ومائة وألف من الهجرة النبوية على صاحبها أفضلُ الصلاة والسلام والحمد لله رب العالمين.

تَمت على يد الفقير مـــلا علي بن عبد الله رحم الله من دعا له بِخاتمة الإيمان والسلامة في سنة ١١٥٧هجرية.

۞۞ ۞۞



الفهرس



الفهرس

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة التحقيق	٣
ترجَمة المؤلف	٥
ترجَمة الشارح	٨
وصف النسخة الْخَطية	١١
مقدمة المؤلف	١٥
أسْمَاؤُه الشَّريفة	١٨
باب ذكر نسبه الزكي الطيب الطاهر	٢٣
ذكر مولده الشريف وإرضاعه -عليه السلام- وما وقع فيهما من العجائب والآيات الْخَوَارق الغرائب	٢٨
باب ذكر كفالة أبي طالب له ومتعلقات ذلك والكفالةُ القيام بأمر الطفل وتربيته	٣٣
بابُ قصة بناء الكعبة الشريفة	٣٦
باب كيف كان بدء الوحي	٣٧
باب ذكر قدر إقامته -عليه السلام- بِمكة بعد البعثة	٤٣
باب ذكر السابقين للإسلام	٤٤
باب ذكر إسْلام عبد الله بن مسعود المذكور	٥٤
باب اجتماع المسلمين بدار الأرقم	٥٥
باب ذكر تأييده -عليه السلام- بِمعجزة القرآن الْمَجيد	٥٦
باب كفاية الله تعالى نبيه المستهزئين به من كفار قريش ومن تبعهم	٥٩

باب مشي كفار قريش أي رؤسائهم ووجوههم في أمره أي: النبي إلى عمه أبي طالب بن عبد المطلب ٦٠
باب ذكر وفـــد نَجران ٦٢
باب ذكر قـــدوم ضماد بن ثعلبـــة عليه ٦٣
باب ذكر أذى قريش لنبي الله ﷺ وللمستضعفين الذين اتبعوه ٦٤
بابُ ذكر انشقاق القمر ٦٥
باب ذكر الْهِجْرَتَيْن إلى النجاشي ملك الحبشة ٦٧
باب وفاة أبي طالب وخديجة بنت خويلد زوجـــة المصطفى وذلك في عام واحـــد ٧٣
باب ذكر وفـــد الجن من جن نصيبين ٧٦
باب ذكر قصـــة الإسراء ٧٧
باب ذكر عرض النبي نفسه على القبائل من العرب وبيعة الأنصار لَمَّا هداهم الله إلى الإسلام ٨٣
باب ذكر الْهجرة من مكة إلى المدينة المشرفة ٨٧
باب ذكر مـــروره ﷺ بأم معبـــد ٩٠
باب ذكر وصولـــه -أي: رسول الله- إلى قُباء ٩٢
باب ذكر صفتـــه ﷺ أي أوصافـــه الطاهرة ١٠٤
باب ذكر وصف أم معبد الخزاعيـــة له وقـــد تقدم ذكر اسمها ١٠٨
باب ذكر وصف هنـــد بن أبي هالـــة لـــه ١١١
باب ذكر أخلاقه الشريفة -جَمع خُلُق- بضمتين، صورته الباطنة، وهي نفسه وأوصافها ومعانيها ١١٤
باب ذكر خُلُقه بضمتين في الطعام والشراب ومتعلقاتِهما ١٢٣

باب ذكر خُلُقه في اللباس	١٢٦
باب ذكر صفـــة خاتِمـــه	١٣٠
باب ذكر فراشـــه	١٣١
باب ذكر طيبه الذي كان يتطيبُ به وكحله	١٣٢
باب ذكر شيء من معجزاته	١٣٣
باب ذكر خصائصـــه	١٤٤
باب ذكر حجه وعُمرِه	١٦١
باب ذكر مغازيـــه	١٦٣
باب ذكر بعوثه وسراياه إلى الملوك والبلاد	٢٢٢
باب ذكر كُتَّابـــه -عليه السلام-	٢٥٠
باب ذكر رُسله -عليه الصلاة والسلام- إلى الملوك	٢٥٣
باب ذكر أولاده من الـــذكور والإناث	٢٥٧
باب ذكر أعمامه وعماته -عليه السلام-	٢٥٩
باب ذكر أزواجه -عليه السلام-	٢٦٠
باب ذكر خُدَّامـــه من الرجال والنساء	٢٦٢
باب ذكر مواليه ﷺ	٢٦٣
باب ذكر أفراســـه -عليه الصلاة والسلام-	٢٦٦
باب ذكر بغاله وحَميره ﷺ	٢٦٧
باب ذكر لقاحه وجَماله ﷺ	٢٦٨
باب ذكر منائحـــه وديكـــه ﷺ	٢٦٩
باب ذكر سلاحه ﷺ	٢٧٠
باب ذكر أقداحـــه وآنيته وركوته وربعته وسريره -عليه السلام-	٢٧٥

باب ذكر الوفــود إليه ﷺ ٢٧٧

باب ذكر أمرائه ﷺ ٢٨١

باب ذكر مرضــه ووفاته ﷺ ٢٨٤

الفهرس ٢٩١

